



أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: المقاصر العقائرية عند ابن قيم الجوزية

تحت إشراف الأستاذ:
الدكتور/ سيدي محمد زهير

إعداد الطالبة:
فوزية عمر عبد الله عمر
رقم التسجيل: 15CED/11

لجنة المناقشة:

الدكتور/ عمر جدية	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس (رئيسا)
الدكتور/ إدريس الشرقي	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس (عضوا)
الدكتور/ لخضر بن يحي زحوط	كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة (عضوا)
الدكتور/ سيدي محمد زهير	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس (مشرفا ومقررا)

نوقشت يوم الخميس 16 نومبر 2017م

السنة الجامعية:
2017/2016م
1438/1437هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

سورة الإخلاص

الإهداء

إلى من علمني النجاح والصبر، ولم تمهله الحياة ليبصر قطاف ثمره

ويسعد برؤيته ...

أبي رحمه الله

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ...

أمي أمدها الله بالصحة والعافية.

إلى اليد الحانية التي لم تبخل عليّ بالوقت والجهد والنصح ...

زوجي الغالي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي هذا

الباحثة

الشكر والتقدير

الحمد لله ذي المن والإحسان حمداً طيباً مباركاً فيه ، وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد ،،

فله الشكر أولاً وأخيراً أن وفقني في إنجاز هذه الأطروحة بعد أن يسر لي العسير وذل لي الصعب ، وأدخل السعادة والبهجة في قلبي وروحي بما وجدت من لذائد العمل ، وأطيب العلم ، وما التقطه من ألىء ودرر من هذا الحقل الغني الخصب.
ثم وافر الشكر وعظيم الامتنان لإستاذي الفاضل المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور، سيدي محمد زهير الذي منحني من وقته وجهده الكثير، وتحفني بتوجيهاته، وإرشاداته القيمة وآرائه السديدة وسعة صدره وصبره معي دون ضجر ولا ملل للسير قدماً بهذه الدراسة نحو الأفضل سائلة من الله العلي القدير أن يجزئه عني خير الجزاء ويثيبه مزيداً من الأجر والثواب.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لأساتذتي الأفاضل والأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الموقرين لتقبلهم وتفضلهم بقراءة هذه الأطروحة ، ومنحي شرف مناقشتها والأخذ بما يبذلونه من آراء وملاحظات قيمة تثري هذا البحث وترفع من قيمته العلمية.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص أيضاً إلى جامعة سيدي محمد بن عبدالله وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سايس عمادة، وأساتذة وجميع العاملين فيها، متمنية لها من الله العلي القدير أن تبقى صرحاً علمياً شامخاً ومنارة لطلاب العلم تعطي بلا توقف ولا حساب.

كما أتقدم بوافر شكري إلى والدتي التي دعمتني بدعواتها الصادقة وكلماتها الحانية وحبها الفياض ، أسأل الله تعالى أن يمد في عمرها، كما يسعدني أن أخص بالشكر والعرفان بالجميل زوجي العزيز الهادي محمد المرغني على دعمه وتشجيعه لي ، حيث كان خير عون طيلة مدة دراستي ، جزاه الله عني خير الجزاء.

هذا كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لزميلي وأخي الفاضل الدكتور الهادي محمد أبولجام بما قدمه لي من العون والمساعدة في تنسيق هذا العمل وإخراجه في صورته النهائية، جعل الله ذلك في ميزان حسناته، كما لا أنسى أن اسجل عبارات الشكر والتقدير لصديقتي وأختي الفاضلة الدكتورة / بهية القمودي البشتي لما قدمته لي من عون ومساعدة جزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم أيضا بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى صديقتي الدكتورة سعاد العاكوري على ما قدمته لي من مساعدة في هذه الأطروحة، فأسأل الله العلي العظيم أن يثيبها الأجر والثواب.

وأخيرا لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من دولة ليبيا ممثلة في السفارة الليبية والملحقية الثقافية ، والمملكة المغربية حكومةً وشعباً .

وأخيراً الشكر موصول إلى كل من مد لي يد العون ولم تسعفني الذاكرة بذكرهم لشكرهم .

وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل متقبلاً ، وأن يجعله علماً نافعاً يسهل لي به طريقاً إلى الجنة.

الباحثة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق رحمة الله للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على العباد يوم الدين.

وبعد:

فإن الله أرسل رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى الخلق أجمعين وأنزل عليه كتابه المبين فيه تبياناً لكل شيء ليبين للناس ما فيه صلاحهم، وفلاحهم في حالهم ومآلهم، واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم من العقائد الصحيحة، والأعمال القويمة السليمة من كل زيغ أو ميل عن الحق، دالة على عظمة هذا الدين وعظمة خالقه المستحق وحده للعبودية والتوحيد.

فإن من عرف الله تعالى حق المعرفة، اهتدى إلى معرفة أسرار ومقاصد عقيدته، فعرف صفاته، وأفعاله وحقيقة ذلك، أطلع على مقصود الصفات العليا والأسماء الحسنى وأدرك سر الأفعال وعلتها، عبده حق عبادته وأخلص له في عبوديته ووحدته في ربوبيته وألوهيته ونزّهه في أسمائه وصفاته، حظي بقربه وفاز بمعيته. فما من عقيدة تقرب العبد من ربه إلا ولها مقاصد وأسرار، يدركها المتأمل في مقاصد العقيدة، ومن لم يعرف معانيها، وغاياتها ويتفطن لمقاصدها فلن يعتقد صدق قائلها، وربما جرّه ذلك إلى ما يفسد عليه إيمانه وتوحيده.

فيجب معرفة أن الدافع على انقياد العباد للتكاليف الشرعية الإيمانية والإذعان

لمقرراتها؛ إنما يكون الباعث عليها هو إدراكهم لأسرار معانيها وخواصها ولطائفها.

ولاشك أن الصحابة - رضوان الله عنهم - كانوا قد أدركوا معاني أسرار العقيدة ومكوناتها، يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : "وقد كانت الصحابة أفهم الأمة لمراد

نبيها وأتبع له، وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده¹.

روي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: ((من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، واعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه-صلى الله عليه وسلم- وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))².

كيف لا؟ وهم ألصق الناس وألزمهم برسول الله- صلى الله عليه وسلم- مجلساً، فكانوا يعاينون الوحي سورة بسورة، وآية بآية، مقبلين على تعلم دينهم والتخلق بأخلاق رسولهم- صلى الله عليه وسلم- والإهداء بهديه، والسير على طريقه ومنهجه. ثم التوجه إلى تعليم الخلق قواعد دينهم وعقيدتهم، ودعوتهم إلى حقائق التوحيد والنبوة، وحقائق صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى وإرشادهم إلى مقاصد عقائدهم بالرفق والإحسان سيرا على المنهج النبوي في الدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:108]

فكان هذا منهجهم- رضوان الله عنهم- وسبيلهم طيلة عصرهم حتى جاء من بعدهم قوم اقتفى أثرهم وسار على هديهم، وسلك سبيلهم من أفاضل هذه الأمة وعلمائها من أئمتنا الأكاير أمثال العلامة صاحب العبقريّة الفدّة والشخصية المتميزة" أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بـ ابن قيم الجوزية" الذي أدرك بعلمه الغزير ومنهجه الواسع أسرار العقيدة ومقاصدها من خلال تصانيفه في العقيدة والشريعة، التي أبدع فيها بطرحه القيم لجميع مسائلها وحقائقها وتميز فيها بأسلوبه

(1) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 234/1.

(2) يوسف بن عبدالبر النمري. جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: 1398هـ، باب مايكره فيه المناظرة والجدال والمرء، حديث رقم 1118.

الشيخ الذي أكسبه خصوصية مستقلة ومتفردة أعجبت أهل العلم وطلابه وأفحمت الخصوم ، وأخرست ألسنة أهل الضلال والباطل بما يملكه من قدرة على طرح المسائل وعرضها بأسلوب علمي شيق ، يقدم من خلاله طرحاً وافياً مستوفياً يعرض فيها جميع الأدلة والآراء بعد مناقشتها والرد عليها بأكثر من وجه بما يتفق مع النقل الصحيح والعقل الصريح في نظره، وهذا منهجه في غالب كتبه ومصنفاته.

أهمية الدراسة:-

1- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من عنوان موضوعها المقاصد العقائدية، حيث إن شرف العلم من شرف المعلوم، وعلم العقيدة وإدراك مقاصدها من أشرف العلوم وأزكاها، وذلك لاختصاصه بالبحث في ذات الله وصفاته، وما يجوز في حقه من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وكل ما يتعلق بمسائل الآخرة من بعث وحساب وميزان وجنة ونار.

2- بيان أهمية العقيدة الإسلامية من خلال بيان مقاصدها وأسرارها، باعتبارها تشرifaً سماوياً يهدف إلى تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة، وذلك بجلب المصالح والمنافع العاجلة لهم ودفع المضار عنهم، وتحقيق الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، حتى يقوم العباد بوظيفتهم التي شرفهم الله تعالى بالقيام بها في الأرض بعد أن جعلهم خلائف فيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ آلِ أَرَضٍ ۖ﴾ [سورة الأنعام: 165] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ آلَ جِنِّ وَآلَ إِنْسٍ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۖ﴾ [سورة الذاريات: 56]

3- بيان أن أساس قيام الأعمال في الإسلام مبني على صحة الإيمان وصحة الإسلام، فكل عمل ليس على أساس عقدي صحيح فإنه عمل غير مقبول.

4- تنقية العقيدة الإسلامية مما شابها من بدع وضلالات وبعد عن الإيمان والإسلام الحقيقيين، كما أنزلت صافية ، وجاءت بها الرسالة الخاتمة رسالة محمد-صلى الله عليه وسلم- من غير زيغ أو انحراف عن جادة الطريق الصحيح.

5- بيان أن دراسة العقيدة ومقاصدها يعد من أهم المواضيع التي تتعلق بحياة الفرد والمجتمع ، لما لها من آثار وانعكاسات على سلوكياتهم وأخلاقهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات داخل المجتمع الإسلامي الواحد، أو داخل المجتمع الإنساني في عمومه.

أسباب اختيار الموضوع

من المعلوم أن لكل دراسة من الدراسات لها أسبابها التي تستدعي الكتابة فيها، من أجل ذلك كانت لهذه الدراسة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، على النحو التالي:
أولاً- الأسباب ذاتية، ومنها:

• إن هذا الموضوع لم يحظ بالعناية التي يستحقها بصورة مستقلة، وأن أكثر الذين ألفوا فيها لم تكن بصورة مجموعة، لذلك أردت أن أقوم بجمع هذه المقاصد وترتيبها حسب مواضيعها وأسبقيتها.

• إن ظهور مثل هذه البحوث في مثل هذا الوقت، تساعد في الدعوة لنشر العقيدة الصحيحة في مسرح الحياة العلمية، ومعالجة القضايا المطروقة المخالفة للدعوة الإسلامية فيما يتعلق بأمور العقيدة.

• رغبتى الأكيدة في المساهمة في إثراء التراث الإسلامي من خلال الكتابة في موضوع المقاصد العقائدية عند ابن قيم الجوزية.

• إن مثل هذه الدراسات تلفت نظر بعض القادرين من المسلمين أن يعتنوا بتحقيق كتب ابن قيم الجوزية تحقيقاً علمياً ونشرها بين الناس، وخاصة طلاب العلم الذين لا يزال بعضهم في الجامعات العربية لا يعرفون شيئاً عن قيمة ونفاسة هذا التراث.

ثانياً-أسباب موضوعية، ومن بينها:

• دراسة مقاصد العقيدة الإسلامية وأسرارها دراسة معمقة تهدف إلى ترسيخ قيم الدين الإسلامي الحنيف.

• الإسهام في إبراز علم من أعلام الفكر الإسلامي على الساحة العلمية كابن قيم الجوزية، وإبراز الجانب الفكري والعقائدي من خلال دعوته الصادقة للعودة لما كان عليه سلف الأمة الصالح في أخذ الأصول من المنبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

• الاقتداء بأمثال هؤلاء المبدعين في علمهم، وعبادتهم، وأخلاقهم، وابن قيم الجوزية

أحد هؤلاء الأعلام الذين يقتدى بهديهم، ويستضاء بنورهم، ويستحث الهمم بالنظر في دينهم ومدارسة علمهم.

إشكالية البحث:

تمحور إشكالية البحث حول قضية هامة لها الأثر البالغ في تغيير نمط التفكير العقدي لدى كثير من المسلمين من أصحاب المعتقدات المنحرفة، لذلك تكمن هذه الإشكالية تحديداً في مدى اهتمام ابن قيم الجوزية بهذا الجانب من التصحيح العقدي لدى كثيرا المسلمين.

وهذا من شأنه أن يطرح بعض التساؤلات حول هذه الإشكالية، ومن بين تلك التساؤلات:

- هل استطاع ابن القيم أن يولي اهتمامه في تصحيح المعتقدات المنحرفة، وأن يفرد لها حيزا كبيرا في كتبه ومؤلفاته، وتناولها بالطرح والتعليل مبينا الحكمة والغاية منها؟

- كيف تناول ابن قيم الجوزية مقاصد العقائد وكيف وظفها للإجابة والرد على هذه الفرق؟

- هل استطاع أن يقدم إجابات شافية عن كثير من القضايا المتعلقة بتوحيد الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات، والقضايا الإيمانية، كالسمعيات والغيبيات، وما يتعلق بها من أسرار ومقاصد عقائدية؟

- ما مدى أهمية المنهج الذي اتبعه في علاج هذه القضايا، وهل اتسم هذا المنهج بالموضوعية والوضوح، واكتسب طابع الخصوصية والتميز؟

- ما مدى تأثيره في بيان الجانب العقدي للآخر؟

هذا ما ستحاول الباحثة الإجابة عنه في هذه الدراسة إن شاء الله.

أهداف الدراسة :-

إن أبرز أهداف هذه الدراسة تكمن في النقاط الآتية:

1- إبراز الصورة الصحيحة للعقيدة الإسلامية السليمة، من خلال بيان مقاصدها

وأسرارها.

- 2- خدمة العقيدة الإسلامية من خلال القيام بهذه الدراسة العلمية.
 - 3- تصحيح العقيدة الإسلامية من المعتقدات الفاسدة والآراء الباطلة ، لأن تصحيح العقيدة أمر هام، كونها الأساس الذي تبنى عليه أعمال الإنسان ويتوقف قبول الاعمال على سلامة أصول العقيدة من الشرك والكفر.
 - 4- إظهار صياغة المقاصد العقائدية بصورة جديدة غير التي اعتادها الناس وجرت عليها العادة.
 - 5- الكشف عن جانب مهم من جوانب شخصية ابن قيم الجوزية العلمية وهو الجانب العقائدي، وذلك بما قدمه من دراسات في أصول العقائد ومقاصدها، وما قام به من جهد يحدد القيم العلمية لعمله في مجال العقيدة ومقاصدها.
 - 6- معرفة المنهج العلمي وخصائصه الذي أتبعه ابن قيم الجوزية في دراسة قضايا ومسائل العقيدة الإسلامية واقتفاء أثره في اتباع المنهج العلمي.
 - 7- الإرتقاء بالعقل المسلم إلى القمة السامقة، وذلك بتصحيح عقيدته وتحريره من التبعية وذل العبودية إلى فضاء أرحب وأوسع وهو عبوديته لربه وخالقه.
- منهج البحث: -

لقد اعتمدت الباحثة في إعدادها على المنهج الاستقرائي، وذلك بقراءة كل ما كتبه ابن قيم الجوزية في الجانب العقائدي، قراءةً متأنية، ثم استنباط وإخراج المقاصد منها، وكذلك الاعتماد على المنهج التحليلي، الذي يقوم بطبيعته بتحليل نصوص مادة البحث، وتحديد وظيفتها، وتوزيعها في مواضعها من البحث.

الدراسات السابقة:

قامت دراسات متعددة وكثيرة حول العقيدة الإسلامية ومقاصدها، سواء كان من المتقدمين أو من المتأخرين منهم، الأمر الذي جعل من الكتب التي كانت في متناول الباحثة، لها فضل في كتابة السند المرجعي في تراث ابن قيم الجوزية، وأبرزها:

- 1- ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره وموارده، لبكر بن عبدالله أبوزيد، كتاب ترجم فيه لابن قيم الجوزية، أراد من خلاله العودة إلى المنهج الصحيح الخالي من البدع

والضلالات، والدعوة إلى نقاء العقيدة، مبينا أسلوبه ومنهجه وطريقة عرضه للمسائل وردوده على مخالفيه، بأسلوب ينم عن سعة أفق، وقوة علم، ومعرفة بدقائق الأمور، كما تضمن هذا الكتاب دفاعه عن ابن قيم الجوزية، دفاع علمي قائم على الحجة والدليل فيما نسب إليه في كتاباته وأسلوبه، وما يصح نسبه إليه منها مما لا يصح.

2- ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، لعوض الله جاد حجازي، اشتمل الكتاب على دراسة علمية معمقة وشاملة للجانب العقدي، وذلك من خلال بيان آراء ابن قيم الجوزية في توحيد الله *سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى*، والاستدلال على وجوده، وكلامه عن الصفات، ومذهبه فيها، والحسن والقبح، والنفس الإنسانية، والثواب والعقاب، وبيان رأيه في المعاد.

3- منهج ابن قيم الجوزية في التفسير، لمحمد أحمد السنباطي، أبرز فيه المؤلف معالم شخصية ابن قيم الجوزية، كمدرسة تحمل طابع التفرد والخصوصية في التفسير من حيث الفكر والأسلوب، وكذلك إبراز الجانب العقدي في آيات القرآن الكريم، مع بيانه لأبرز ما تميز به في ربطه بين الجانب العقدي، والتفسير القرآني، مما جعل ذلك كله له أثره في نفوس جميع الناس، لإيصال فكره ومنهجه في الدعوة إلى الله.

4- ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، لعبدالعظيم عبد السلام شرف الدين، استطاع المؤلف من خلال هذا الكتاب أن يغوص في فكر ابن قيم الجوزية ويسبر أغواره ليبين لنا حقيقة ما يهدف إليه ابن قيم الجوزية من خلال ثورته الإصلاحية الدينية بتصحيح العقيدة والرجوع إلى مذهب السلف، والتحرر الفكري، ومحاربة الحيل، والوقوف ضد البدع.

5- كتاب شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية : لمحمد خليل هراس، ذكر فيه اشتقاق الاسم ومعناه، ويورد الردود على المتكلمين والفرق، وهو في هذا لا يطيل الشرح، وإنما يذكر كلاما موجزا لأنه عبارة عن مقالات وقد تكلم عن ثلاثة وستين اسما من أسماء الله ، وهو يقصد الأسماء التي ترد على الألسنة والتي تحتاج إلى توضيح وبيان، وفيه الردود المفيدة على أصحاب المعتقدات المنحرفة.

6- ابن قيم الجوزية: فصول في الاعتقاد، لأحمد صالح الشامي هذا الكتاب من سلسلة كتب أصدرها المؤلف تحت عنوان تقريب تراث ابن قيم الجوزية جمع فيه كلام ابن قيم

الجوزية من كتبه ورتبها ترتيباً مناسباً، ووضعها بين أيدي الدارسين والباحثين للاستفادة، وزيادة المعرفة في مسائل العقيدة ومقاصدها.

أما مقاصد العقائد تحديداً عند ابن قيم الجوزية لم أجد دراسة متخصصة تتحدث عن هذه المقاصد بصورة مستقلة سواء من المتقدمين أو المتأخرين، وعليه رأيت ضرورة القيام بدراسة ما كتبه ابن قيم الجوزية في مقاصد العقائد وجمعه وترتيبه في هذه الدراسة البحثية.

الصعوبات التي واجهت الباحثة:

إن من أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة لكتابة هذا البحث، ما يلي:

1- صعوبة الحصول على المصادر والمراجع بصورة سهلة وميسورة، مما دفعني إلى السفر إلى بعض الدول العربية كتونس ومصر عدة مرات، الأمر الذي حال دون الإسراع في استكمال البحث.

2- مما لا ريب فيه أن عدم الإقامة في بلد الدراسة زمناً كبيراً يعيق الطالب في إعداد بحثه، حيث كان صعوبة الحصول على التأشيرة أمر مرهق للغاية، مما دفعني إلى السفر إلى دولة تونس مرات عديدة، الأمر الذي أرهقني نفسياً ومادياً، وحال دون الإسراع في استكمال البحث.

3- تشتت المادة العلمية في ثنايا كتب ابن قيم الجوزية، مما اقتضى مني توسيع دائرة الاطلاع على هذا التراث العلمي، ومضاعفة الجهد والوقت في التركيز أثناء القراءة، وإعادة النظر في ذلك عند الحاجة، من أجل الحصول على مادة علمية كافية لصياغة البحث.

4- الزحم العلمي والفكري الهائل عند ابن قيم الجوزية، الأمر الذي استغرق مني وقتاً طويلاً في الإمام بكل ما كتبه في مؤلفاته من مادة علمية ذات الصلة بموضوع البحث بصورة مستوفية، ودراستها دراسة متأنية وبعث.

بنية البحث:-

قمت في هذه الدراسة بتقسيمها إلى خمسة أبواب على النحو التالي:

الباب الأول: تحت عنوان: ابن قيم الجوزية والمقاصد العقائدية - تعاريف ومفاهيم -
ويتضمن فصلين ومبحثين

الفصل الأول: نبذة عن عصر ابن قيم الجوزية ونشأته.

المبحث الأول: ويتناول بيئة ابن قيم الجوزية ونشأته الأسرية (الحالة السياسية، الحالة الاجتماعية، الحالة العلمية).

المبحث الثاني: يتناول نشأته العلمية. (طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه، علاقته بشيخه ابن تيمية، أهداف منهجه، خصائص منهجه، ثناء العلماء عليه، مؤلفاته، أسلوبه في الكتابة).

الفصل الثاني: عنوانه المقاصد العقائدية ، ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول: يتناول مفهوم المقاصد العقائدية لغة واصطلاحاً، وأهميتها، وخصائصها، ومصدر تلقيها.

المبحث الثاني: فيتناول أهم مقاصد الإيمان بالله تعالى.

الباب الثاني: عنوانه المقاصد العقائدية من خلال توحيد الربوبية ويتضمن فصلين وأربعة مباحث .

الفصل الأول: عنوانه التوحيد مفهومه وأقسامه وبيان مقاصده

المبحث الأول: يتناول مفهوم التوحيد لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: فيتناول دلائل وجود الله تعالى وربوبيته وبيان مقاصده.

الفصل الثاني: وعنوانه مقاصد توحيد الربوبية.

المبحث الأول: يتضمن المقاصد التفصيلية الدالة على ربوبيته.

المبحث الثاني: فيتضمن المقاصد الكلية من توحيد الربوبية.

الباب الثالث: وعنوانه المقاصد العقائدية من خلال توحيد الألوهية. ويتضمن فصلين وأربعة مباحث :

الفصل الأول: ويتضمن مفهوم الألوهية ومقاصدها التفصيلية.

المبحث الأول: ويتناول مقاصد العبادات القلبية (المحبة، الخوف، الخشية، الرجاء، التوكل، التوبة، الإنابة، الصبر).

المبحث الثاني: فيتناول مقاصد عبادات اللسان (النطق بالشهادتين، الذكر، الدعاء، الاستغفار).

الفصل الثاني: عنوانه المقاصد الكلية من توحيد الألوهية.

المبحث الأول: ويتناول مقاصد تعبدية.

المبحث الثاني: فيتناول مقاصد دنيوية.

الباب الرابع: عنوانه المقاصد العقائدية من خلال توحيد الأسماء والصفات ، ويتضمن فصلين وخمسة مباحث :

الفصل الأول: ويتضمن المقاصد الكلية من توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول: من مقاصد الأسماء والصفات معرفة الله تعالى والعلم به.

المبحث الثاني: ويتناول مقاصد الأسماء والصفات في الخلق والأمر.

المبحث الثالث: يتناول مقاصد الأسماء والصفات في العبودية.

الفصل الثاني: تحت عنوان المقاصد التفصيلية للأسماء والصفات.

المبحث الأول: ويتناول مقاصد الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية والعظمة والجلال.

المبحث الثاني: ويتناول مقاصد الأسماء الدالة على الإحاطة والمراقبة.

المبحث الثالث: فيتناول الأسماء الدالة على البر والإحسان والحسن والجمال.

الباب الخامس: وعنوانه المقاصد العقائدية من خلال الإيمان بالنبؤات والغيبات ، ويتضمن فصلين وخمسة مباحث :

الفصل الأول: وعنوانه الإيمان بكتب الله تعالى ورسوله عليهم الصلاة والسلام. ويتضمن :

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية وبيان مقاصدها.
المبحث الثاني: مفهوم الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وبيان مقاصدها.
الفصل الثاني: وعنوانه الإيمان بالملائكة واليوم الآخر. ويتضمن :
المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة وبيان مقاصدها.
المبحث الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر وبيان مقاصده.
المبحث الثالث: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر وبيان مقاصده.
أما الخاتمة فتطرق فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

الباب الأول: ابن قيم الجوزية والمقاصد العقائدية تعاريف ومفاهيم

الفصل الأول: نبذة عن عصر ابن قيم الجوزية ونشأته.

الفصل الثاني: المقاصد العقائدية.

الفصل الأول: نبذة عن عصر ابن قيم الجوزية ونشأته

المبحث الأول: بيئة ابن قيم الجوزية ونشأته الأسرية.

المبحث الثاني: نشأته العلمية.

المبحث الأول: عصر ابن قيم الجوزية وبيئته

قبل الحديث عن ترجمة ابن قيم الجوزية ينبغي أولاً: الإشارة إلى أهمية العلاقة التي تربط الإنسان ببيئته وأثرها على تكوينه وبناء شخصيته، ولا شك أن هناك علاقة وثيقة وصلة وطيدة بين المرء وبيئته التي عاش وترعرع فيها، وبين الصفات التي تميز شخصيته، ولذلك فإنه من الضروري عند دراسة أي شخصية من الشخصيات، إلقاء الضوء على الزمان والمكان اللذين وجدت فيه تلك الشخصية، وبخاصة أولئك الذين يعيشون أحداث عصرهم ولهم صلة بمشكلاته، وعلى رأس هؤلاء الساسة والدعاة والمصلحون والعلماء، فكما أن هؤلاء العلماء أثر واضح في مجتمعاتهم وأهل عصرهم تربيةً وإصلاحاً، ونشر للخير والفضيلة، فإن للعصر وأحداثه أيضاً تأثيراً بالغاً فيهم اؤذلك من حيث: نوع المشكلات والأدواء التي يهتمون بمعالجتها، والطريقة التي يسلكونها في ذلك، وما يروونه بصرف العناية إليه من غيره.

وفيما يلي عرض موجز للحالة السياسية والاجتماعية والعلمية

أولاً: الحالة السياسية

ولد ابن قيم الجوزية في مطلع القرن السابع الهجري بدمشق في جو مشحون بالحروب، فقد كانت جولات التتار على دمشق أكثر من مرة تلقى بظلالها على الأجواء العامة، التي كانت مليئة بالخوف والرعب والوحشية التي اشتهرت بها وتميزت بها أعمالهم المنكرة.

وكان لابن تيمية - رحمه الله - دوراً بارزاً في إذكاء روح الجهاد والدعوة إلى قتال التتار والوقوف في وجه هذا العدو الغاشم بعد أن جاءت الأخبار بعزم التتار على دخول مصر والشام، فقام الشيخ محرضاً الناس على الجهاد ثم "ساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ونهى في الإسراع إلى الفرار، ورغب في إنفاق المال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم (...). ثم جاءت الأخبار أن ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم (...). فطارت النفوس لذلك وسكن الناس"⁽¹⁾، إلا أن حلم دخول دمشق الذي كان يراود التتار ما زال لم يفارقهم ولذا لم تطل فترة اطمئنان

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط4، 1982، 214/14، 216.

نفوس أهل دمشق حتى حملت الأخبار سنة اثنين وسبعمئة أخبار عزم التتار على ذلك "فالتقت جيوشهم بجيوش المماليك وعلى رأسهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون⁽¹⁾ ومعه الخليفة في موقعة مرج الصفر (...). وكان ذلك يوم السبت ثاني رمضان وقتلوهم أشد قتال"⁽²⁾، وكتب الله لهم النصر المؤزر في هذه المعركة الحاسمة التي مني فيها التتار بالهزيمة الساحقة، وكانت هذه آخر معاركه ضد المسلمين.

وفي هذا الجو قضى ابن قيم الجوزية صباحه؛ حيث كان عمره يوم وقعة عين الصفر اثني عشر عاماً، وقد عاش مع أهل دمشق خوفهم وفزعهم وشدتهم ولعل إعجابه بابن تيمية قد بدأ في تلك الأيام، حيث رأى فيه كما رأى غيره العالم المجاهد بسيفه، وقلمه، ولسانه، ورأى فيه القائد، والشيخ والعالم الفقيه المتمرس بشؤون الدين والسياسة، وقد تأثر به وبآرائه الفكرية تأثراً كبيراً وسجل إعجابه به ووبطولاته ومواقفه الجريئة في الحق التي كان يصدح بها دون خوف ولا وازع من أحد إلا الله فنحى طريق شيخه وحذا حذوه في الدفاع عن الدين والعقيدة والدعوة إلى الحق والتصدي لأهل الباطل، وبيان خطرهم على الإسلام والمسلمين من أمثال الرافضة⁽³⁾: يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في حق الرافضة "وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام- من عسكر هولاء كو وذويه من التتار- إلا من تحت رعوسهم، وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات⁽⁴⁾، المسلمين، وعلمائهم وعبادهم وخليفتهم إلا بسببهم. ومن جرائمهم؟

(1) هو أخو الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون تولى الملك وعمره ثماني سنين وبضع شهور بعد مقتل أخيه السلطان وخلال فترة حكمه الأولى كان كتباً نائباً للسلطنة فجلس على سرير الملك وخلع الناصر وألزمه بيت أهله. توفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة ودفن بجانب أبيه. ابن كثير البداية والنهاية، 334/13، 335-339، 190/14.

(2) يوسف بن تغرى بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي جمال الدين، "ت 874هـ"، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الناشر، وزارة الأوقاف والإرشاد القومي، دار الكتاب، مصر 8/ص 163.

(3) الرافضة لغة: الترك، تقول رفض رفضه، والروافض جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، ابن منظور. لسان العرب، طبعة مراجعة مصححة، دار الحديث، القاهرة، ط 1323هـ-2003م، 201/4، أما اصطلاحاً "فانه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين، وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم وأن خلافة غيرهم باطلة، غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة، ط 3، 232/1.

(4) مفرداً سراً، مادة سرا، وهو ما ارتفع من الوادي وأحدر من غلظ الجبل، وقيل السرو والجبل ما ارتفع عن موضع السيل، وقيل السروات: الأشراف، والسرية قطعة من الجيش، ابن منظور، لسان العرب، 571/4، 572.

ومظاهرتهم للمشركين والنصارى عند الخاصة والعامة وآثارهم في الدين معلومة⁽¹⁾ وبهذا يتبين لنا كيف استفاد ابن قيم الجوزية واستوعب الدروس من أحداث عصره في تسخير جهوده العلمية في خدمة أهدافه ، ومبادئه التي راح ينشرها ويدافع عنها ، يدفعه في ذلك حبه لدينه وغيرته عليه.

ثانياً: الحالة الاجتماعية.

من البديهي أن لكل مجتمع من المجتمعات له عاداته وتقاليده وما يحكمه من معاملات وعلاقات تخضع بصورة مباشرة للظروف السياسية التي يعيشها ذلك المجتمع، فالحروب المتتابة التي تعرضت لها البلاد في تلك الفترة أدت إلى عدم الاستقرار في المجتمع وكثرة الانتقال والارتحال وذلك فراراً من خطر القتل، وما يصاحب ذلك من فقدان المؤن، وتعطل الأعمال وكساد التجارة، ويصور ابن كثير ذلك عندما عزم هولاء على غزو دمشق، فيقول: "فانزعج الناصر - صاحب دمشق - لذلك وبعث بجريمه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها، وخاف أهل دمشق خوفاً شديداً ، ولا سيما لما بلغه أن التتار قد قطعوا الفرات، سافر كثير منهم إلى مصر زمن الشتاء، فمات ناس كثير منهم ونهبوا"⁽²⁾.

كما أننا نلمح أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين حالة البلاد الدينية والاجتماعية، فإن الفهم الصحيح للإسلام والتطبيق السليم لأحكامه له أثر طيب على المجتمع، والعكس فإن الإنسلاخ من أحكام الدين وتضييع تعاليمه ، من أهم أسباب شيوع الفوضى وعدم الاستقرار، وفساد الأخلاق، أما أهم السمات التي ميزت حالة المجتمع في تلك الفترة التفاوت الطبقي بين فئاته، حيث انقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات، وهي طبقة الحكام ، والعلماء ، والعامة.

الطبقة الأولى فلا شك أنها أقوى الطبقات تأثيراً في المجتمع بما تملكه من نفوذ السلطة ونفوذ المال. ثم يليهم طبقة العلماء، الذين يستطيعون بما أتاهم الله من علم وورع وتقوى أن يملكوا قلوب الناس، وأن يوجههم إلى الخير والبر، بحسب قوة إيمانهم،

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، صححه وخرجه احاديثه محمد عبدالله، دار التقوى، شبرا الخيمة، مصر، 56/1.

(2) بن كثير، البداية والنهاية، 249/13.

وإخلاصهم في الدعوة يستمدون قوة سلطانهم من قوة إيمانهم سلطان يرهبون به حتى السلاطين والحكام، يروي المؤرخون " أن الظاهر بيبرس⁽¹⁾ كان يرهب الشيخ عز الدين عبدالسلام⁽²⁾ حتى أنه قال لما مات الشيخ عز الدين "اليوم استقر أمري في الملك: ⁽³⁾ "أما سلطان الملوك فهو سلطان قائم على تخويف الناس وظلمهم الواقع على الطبقة الثالثة ، وهي طبقة العامة التي تعرضت لكثير من ألوان الظلم ، وهضم الحقوق، فهذه حادثة يرويها ابن كثير تبين مدى ظلم الحكام للناس في فرض الضرائب الباهظة عليهم فيقول : "قُرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم وضربت الأملاك، والأوقاف فتألم الناس من ذلك تألماً شديداً"⁽⁴⁾ وبعد ذلك بعام تكلم وزير السلطان في البلد وطلب أموالاً كثيرة وصادر وضرب بالمقارع⁽⁵⁾ وأهان جماعة من الرؤساء"⁽⁶⁾ إلى غير ذلك من وجوه الفساد والظلم الذي كان يسود المجتمع في تلك الفترة ، بالإضافة إلى ذلك نجد أن المستقرى للتاريخ في بلاد المسلمين يجد أن العالم الإسلامي قد مُني بهجمات شرسة من الصليبيين في الغرب، ومن التتار في الشرق، مما ترك أثراً سيئاً على المجتمع نتيجة احتكاكه مع غير المسلمين، إضافة إلى التفكك الداخلي والخلاف المذهبي بين الطوائف الموجودة في المجتمع الذي ترك أثاره على تصرفات الناس وأخلاقهم فظهرت الفتن وكثرت الاضطرابات.

(1) هو السلطان الملك القاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس البندقداري سلطان الديار المصرية وهو الرابع من ملوك الأتراك ولد سنة 620هـ، أخذ بيبرس من بلاده وبيع بدمشق اشتراه الملك واعتقه وانتهى الأمر به إلى أحد أعظم السلاطين حقق العديد من الانتصارات وقد كان الظاهر شجاعاً عالي الهمة توفي ست وسبعون وستمائة، ابن كثير، البداية والنهاية، 274/13، 275، وابن تغري النجوم الزاهرة، 94/7، 95.

(2) هو عز الدين بن شيخ الإسلام أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم الدمشقي، شيخ الشافعية ولد سنة 578هـ تفقه على يد نخبة من الفقهاء والعلماء برع في الفقه والأصول والعربية، درس وأفتى وبلغ رتبة الاجتهاد، وانتهى إلى الزهد والورع، توفي سنة 660هـ. ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبدالحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1/2002م، 99/2، الذهبي العبر: 283/2، ابن كثير البداية والنهاية، 235/13.

(3) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت-771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، 215/8.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 62/14.

(5) جمع مقرعه والمقرعة خشبة تضرب بها البغال والحمير، ابن منظور، لسان العرب، 322/7.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 67/14.

وكننتيجة لضعف الحكام، وضعف الإيمان نشأت في هذا المجتمع كثير من العادات السيئة والظواهر الفاسدة، فانتشرت المعاصي والمنكرات، واختل الأمن وشاعت الفوضى وضاعت القيم وفسدت أخلاق الناس ولعل أبرز هذه المفاسد.

1- الرشوة

ويبدو أن هذا الأمر قد استشرى بين الناس وعمت به البلوى حتى كانت سنة اثنا عشرة وسبعمائة "وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق لا يوالي أحد بمال ولا برشوة، فإن ذلك يقضي إلى من لا يستحق والى ولاية غير الأهل (...)"، وكان سبب ذلك يرجع للشيخ نقي الدين بن تيمية -رحمه الله-⁽¹⁾، حيث كان يقوم بدوره الدعوي والإصلاحي في محاربة أوجه الفساد.

2- كثرة الحيل المحرمة في الأعمال والمعاملات

كثرة الحيل التي اتخذت كوسيلة وذريعة للتخلص من أحكام الشرع والتلاعب بالدين والتي كان يلجأ إليها تحيلاً إلى التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعاً وقلباً لطريقة مشروعة وضعت لأمر معين واستعمال لها في حالة أخرى وعلى رأس الحيل، "التحليل"، وقد أعلن ابن قيم الجوزية حربه على هذه الحيلة فلم يترك مناسبة إلا وبين شرها، وحكم الشرع فيها وآثارها الخطيرة على المجتمع والأسرة، وقد خصص في كتابه إغاثة اللفهان فصلاً وهو يتحدث عن شر هذا الخطر ويذكر مآلاته، ويحذر منه قال: "فلو شاهدت الحرائر المصونات على حوانيت المحللين مبتذلات تنظر المرأة إلى التيس نظر الشاة إلى شفرة الجازر ويقول ياليتني كنت قبل هذا من أهل المقابر حتى إذا تشارطا على ما يجلب فلا جهاز ينقل، ولا فراش إلى بيت الزوج يحول (...)" ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر ولا وليمة ولا نثار ولا دف ولا إعلان ولا شعار، والزوج يبذل المهر وهذا التيس يظاً بالأجر"⁽²⁾.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 66/14.

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، المنصورة، ط1، 1426هـ-2005م، ج1/243.

3- شيوع الغناء واللهو وشرب الخمر وتعاطي الحشيش

شيوخ كثير من المحرمات والمنكرات التي كانت ملازمة لظهور ابن قيم الجوزية الذي أعلن حربه على هؤلاء البغاة المفسدين وقد شنع فيها على الغناء وأهله وبين شبههم ودحض مزاعمهم الباطلة في استحلال الغناء، وتعاطي الحشيش وهي آفة انتشرت في تلك الفترة حتى تأذى الناس منها وأظهروا إنكارهم لها، يقول ابن كثير: "نهدت جماعة من مجاوري الجامع بدمشق سنة ثمان وخمسون وسبعمائة وجأؤوا إلى متهمة بالخمر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً من الحشيش وغيره"⁽¹⁾.

وهذا دليل على استتراء مثل هذه الظواهر في تلك الفترة وموقف بعض الناس منهم.

4- سفور النساء وتبرجهن واختلاطن بالرجال وعموم الشر بسببه

ظهر في العصر الذي عاش فيه ابن قيم الجوزية آفة اختلاط الرجال والنساء الذي نتج عنها كثير من الآثار السيئة على حياة الناس العامة والخاصة، وقد "علل ابن قيم الجوزية ظهور الأوبئة والأمراض الخطيرة والفتاكة وعلى رأسها الطاعون القاتل إلى الاختلاط وقال: "ولا ريب أن تمكين النساء واختلاطهم بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعن المتصلة"⁽²⁾ وظل الأمر على ما هو عليه إلى أن "نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسها -الله تعالى- في البلد-: أن النساء يمشين في تستر، ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن ولا يظهرن زينة ولا يداً، فامتثلن لذلك ولله الحمد والمنة"⁽³⁾.

(1) ابن كثير البداية والنهاية، 257/14.

(2) ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م، ص241.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 280/14.

5- انعدام الأمن في المجتمع

إن كثرة انعدام الأمن في المجتمع أدى إلى انتشار السرقة والنهب وقطع الطريق على الناس فقد أمر نائب السلطان "بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة، فقطعوا احدى عشر منهم وسمر عشرة تسميراً، تعزيراً وتأديباً"⁽¹⁾، وفي سنة 746هـ، وفي عشية يوم الاثنين الرابع عشر جمادي الأول قطع نائب السلطنة ممن وجب قطعه في الحبس ثلاثة عشر- رجلاً، وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل لكل منهم لما بلغه أنه تكرر من جناياته⁽²⁾، منهم ومن غيرهم ممن أثاروا الشرور والعبث والفساد في السلطة فهذه الحوادث وغيرها تنم عن حقيقة ما يجري في تلك الحقبة من الزمن داخل هذا المجتمع.

6- نزول الجذب والقحط ونقص السلع والأقوات وغلاء الأسعار

إن من اهم الحوادث التي حلت بالبلاد في هذه الفترة نزول القحط والجذب التي ترك آثاره السيئة على حياة الناس وتدهور وأمورهم المعيشية، ففي شهر ذي الحجة من سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة هـ "حديث ان غلا السعر وقل الخبز وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة وبيع خبز الشعير المخلوط بالزوان⁽³⁾ والنقاره⁽⁴⁾ وكثر السؤال وجاع العيال وضعف كثير من الأسباب والأحوال"⁽⁵⁾، ولا شك أن هذا الغلاء والضنك والنقص في الأقوات والأرزاق، يرجع إلى إغراق الناس في المعاصي وتضييعهم حقوق الله، وتعددهم حدوده، هذه كانت أبرز الأوضاع التي سادت المجتمع في زمن ابن قيم الجوزية، والتي تأثر بها وتصدي لمحاربتها وشنع على أهلها ومرتكبيها في كتبه ورسائله فقام مع

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 225/14.

(2) المصدر نفسه: 217/14.

(3) حب بخالط البر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج العروس وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ت399هـ، ط4، 1990م، 410/5.

(4) ما نقر من الجمر والخشب ونحوه مجد الدين بن طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي، ت817هـ، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف نعيم العرقوسي، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ-205م، 486/1.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 208/14.

جمع من العلماء البارزين والدعاة المصلحين في علاج هذه الظواهر، وهذه الأمراض فألفوا فيها كتباً ورسائل تبين خطر هذه البدع والمنكرات وما لها من آثار على النفس والمجتمع. فألف شيخ الإسلام ابن تيمية في "السياسة الشرعية في أحوال الراعي والرعية" رسالة إلى أحد الحكام المسلمين وتضمنها ما يجب على الحاكم المسلم من أداء الأمانات، والحكم بين الناس بالقسط في الحدود والحقوق، وضمنها فصلاً في إقامة الحدود كحد السرقة، وحد الزنا، وحد شرب الخمر والقذف" وألف ابن قيم الجوزية إغائة اللهفان من مصايد الشيطان مبيناً حكم كثير من المظاهر والمنكرات المخالفة للقرآن والسنة و"كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء" الذي يرد فيه على أهل الغناء سواء أهل اللهو واللعب، أو من يتخذون الغناء قرابة وعبادة لله⁽¹⁾ إلى غير ذلك من المنكرات والمفاسد التي شاعت في هذا المجتمع، وكان فيها لابن قيم الجوزية دوره البارز والعظيم في رفع راية الإصلاح في ذلك العصر والذي لا يزال صداه إلى يومنا هذا وسيظل إلى يوم القيامة إن شاء الله، هذا إلى جانب مواقفه على عادة علماء عصره وزمانه في مواجهة الناس والحكام كمحاربة البدع المخالفة للعقيدة الصحيحة التي لا تتفق مع منهج السلف وأشهرها محاربته للبدعة السائدة في عصره وهي "ابطال الوقيد في ليلة النصف من شعبان بجامع دمشق، والذي ارتبط وجوده في عقول الناس وأذهانهم بموت الحكام، والتي تولد بسببها شرور ومفاسد كثيرة بالبلد كما حدثنا بذلك ابن كثير عن هذه الواقعة فلم يزد في وقيدته على قنديل واحد على عادة ليليه في سائر السنة"⁽²⁾

هذا إلى جانب "انكاره شد الرحيل إلى قبر الخليل مما تسبب في تعرضه للحبس والإهانة"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: كشف الغطاء عن حكم سماع الغطاء تحقيق ربيع بن أحمد خلف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، 4.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية: 335/14.

(3) زين الدين عبدالرحمن ابن احمد ابن رشد الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة 795هـ، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبدالرحمن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ-2005م، 172/5.

بالإضافة إلى "مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء وإنكاره مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد للمسجد النبوي، فأوذي وضرب مع شيخه في يوم الاثنين سادس شعبان سنة 726هـ"⁽¹⁾.

ثالثاً: الحالة العلمية.

حظيت الحالة العلمية بنهضة جادة ، فالمتتبع للحركة العلمية وسيرها في العالم الإسلامي يجد أن مصر والشام قد ازدهرت فيهما الحياة العلمية في تلك الفترة وأصبحتا مقصد وقبلة كل طلاب العلم الوافدين من جميع أقطار العالم الإسلامي ، ولا أدل على ذلك من هذا التراث العلمي الهائل الذي أثمرته جهود العلماء في تلك الفترة كما يشير بذلك الحافظ الذهبي⁽²⁾ - رحمه الله - إلى ازدهار الحركة العلمية وكثرة العلم بدمشق أيام ابن قيم الجوزية وشيوخه فيقول: "وتناقص العلم في المائة الرابعة والخامسة ، وكثر بعد ذلك ولاسيما في دولة نور الدين⁽³⁾ (...) ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزى⁽⁴⁾ وأصحابهما ولله الحمد"⁽⁵⁾ وقد ساهم في ازدهار هذه النهضة العلمية العظيمة عدة عوامل من أبرزها، رعاية سلاطين الدولة وملوكها للعلم والعلماء.

حيث شجعوا العلماء والمفكرين، والمبدعين، وأجزلوا لهم العطاء، وبنوا لهم دور العلم من مدارس، ومساجد، ورباطات. فازدهرت عندهم الحركة العلمية، ونشطت حركة التأليف والكتابة وبرز منهم علماء إجلاء ساهموا في إبراز معالم الحضارة الإسلامية فكان من أشهر دور العلم في تلك الفترة.

(1) أحمد بن علي عبدالقادر تقي الدين المقرئ ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ت سنة 845هـ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط1، 1418هـ-1997م، 89/3.

(2) سأتي على ترجمته عند ذكر تلاميذ ابن قيم الجوزية.

(3) هو نور الدين محمود بن زنكي ولد بـ حلب سنة عشر وخمسمائة هـ نشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل تعلم القرآن والفروسية والرمي كان شجاعاً ذا همة عالية، وقصد صالح، بنى المدارس والمساجد ووسع الأسواق ووضع المكوس، وكان يعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه، توفي سنة خمس مائة وتسع هـ، ابن كثير البداية والنهاية، 278-277/12، وذكر له ابن كثير ترجمة طويلة في ذكر مناقبه وآثاره.

(4) سأتي على ترجمته عند ذكر شيوخ ابن قيم الجوزية.

(5) الذهبي شمس الدين بن عبدالله بن محمد بن عثمان، الأمصار ذوات الآثار تحقيق وتعليق محمود الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1405هـ-1985م، ص26-28.

1- المدارس

لقد كان للمدارس في تلك الفترة دور فعال في خدمة العلم وطلابه، وتخرج خيرة العلماء، وذلك أن المدارس كان يقوم عليها نخبة من العلماء في تدريس الطلبة، بالإضافة إلى أن هذه المدارس لم يكن يحضرها الطلبة فقط ، وإنما كان يحضرها بعض كبار الناس من الأعيان والعلماء. ومن ذلك ما يحكيه ابن كثير عن المدرسة الشامية لما كان فيها القاضي جمال الدين⁽¹⁾ بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي "حضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء"⁽²⁾.

وقد كان آنذاك ببلاد الشام عدد من المدارس أهمها:

أ- المدرسة الجوزية.

وهي منسوبة إلى واقفها محي الدين⁽³⁾ يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، وكان من أهل العلم والفضل، وعظ في موضع أبيه بعد وفاته، فأجاد وأفاد ثم لم يزل متقدماً في المذاهب حتى ولى أستاذ دار الخلافة ثم قتل مع الخليفة المستعصم بالله على يد التتار سنة ست وخمسين وستمائة هـ"⁽⁴⁾ قال عنها الحافظ بن كثير-رحمه الله- هي من أحسن المدارس"⁽⁵⁾.

في تاريخ تلك الفترة التي اتسمت بالازدهار العلمي والفكري، وكثر فيها المقبولين على طلب العلم وتلقيه من كبار العلماء والشيوخ حتى صار معلماً من معالم تلك الفترة، وعلامة بارزة من علامات تلك الأمة، وظلت على تلك الحال فترة من الزمن تقدم العلم والمعرفة لطلابها إلى أن اندرست ولم يبق إلا مكانها الذي يعرف الآن "بدمشق (حي البزروية) الذي يسمى اليوم بسوق القمح" ثم اختلس جيرانها معظمها،

(1) سآتي على ترجمته عند ذكر تلاميذ ابن قيم الجوزية.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 215/14.

(3) هو جمال الدين ابن أبي الفرج الجوزي القرشي البكري الحنبلي ولد سنة ثمانين وخمسمائة روي عنه أنه درس وأفتى وناظر وتصدر للفقهِ والوعظ. ضربت عنقه صبراً عند هولاكو سنة ستة وخمسين وستمائة. الذهبي سير أعلام النبلاء. 454، 494/16.

(4) ابن كثير البداية والنهاية، 215/14.

(5) المصدر نفسه، 205/13.

وبيعت منها بقية ثم صارت محكمة في سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف وهي الآن مقفلة"⁽¹⁾.

ب- المدرسة الصدرية.

نسبة إلى واقفها: صدر الدين أسعد بن النجاة بن بركات مؤمل التنوخي الدمشقي الحنبلي "أحد المعدلين ذوي الأموال والمروءات والصدقات الدّارة والبارّة كما يقول ابن كثير: "وقفها للحنابلة وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وستمائة هـ"⁽²⁾.

وقد درس بهذه المدرسة "ابن قيم الجوزية وولده إبراهيم"⁽³⁾ وابن مفلح⁽⁴⁾ وغيرهم.

ج- المدرسة الاتابكية:

أنشأتها زوجة الملك الأشرف موسى⁽⁵⁾.

د- المدرسة الأسدية:

بناها شيركوه⁽⁶⁾، ابن مروان الملقب بأسد الدين⁽⁷⁾.

بالإضافة إلى عدد كبير من المدارس ذكرها صاحب منادمة الأطلال اذكر منها

المدرسة الجوهريّة والمدرسة الحاجية، والمدرسة الدماغية، والمدرسة الركنية⁽⁸⁾.

(1) عبدالقادر بدران (ت-1346هـ) منادمة الأطلال، تحقيق زهير الشاويش والناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ص227.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 316/13.

(3) سأتي على ترجمته عند ذكر تلاميذ ابن قيم الجوزية.

(4) سأتي على ترجمته عن ذكر شيوخ ابن قيم الجوزية.

(5) هو موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه كان من الكرماء وكبار الدماشقة المشرفين توفي سنة ثنتين وستين وستمائة وصار ملكه إلى الدولة الظاهرية وابن كثير البداية والنهاية 243/13.

(6) هو أسد الدين الكردي الزرزاري وهو أشرف شعوب الأكراد وهو من قرية يقال لها: دربين خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب ثم خطيباً عند ابنه نور الدين أيوب، وصار أسد الدين عنده، من أكابر أمرائه واحصهم عنده لشجاعته وشهامته وجهاده توفي سنة أربع وستين وخمسمائة، ابن كثير البداية والنهاية 259/12.

(7) عبدالقادر بدران، منادمة الأطلال 27، 79، 80، 153

(8) المرجع نفسه، 64-171.

2- الجوامع.

تصدرت الجوامع في تلك الفترة مركزاً هاماً في إثراء الحركة العلمية، وازدهارها واهتمام الملوك والأمراء بها شأنها في ذلك شأن اهتمامهم ببناء المدارس والإيقاف عليها. يقول ابن كثير في سرد حوادث سنة اثنين وثلاثون وستمائة هـ: "فيها ضرب الملك الأشرف بن العادل خان الزنجاري الذي كان بالعقيبة فيه خواطئ وخمور ومنكرات متعددة فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه، سمي جامع التوبة"⁽¹⁾، وأما عن أشهر الجوامع في ذلك الوقت فهو الجامع الأموي وقد كان لهذا الجامع في عصر- بن القيم أثر كبير في الحركة العلمية، يذكر صاحب منادمة الأطلال أنه كان بهذا الجامع، عدة مدارس منها: "الغزالية، والأسدية، والقوصية والسيفية وغيرها، وكان له تسعمائة واحد عشر حلقة للتدريس في المختلفة وثلاث حلقات للاشتغال بالحديث، وكان به بيت للخطابة وبه خزانة للكتب"⁽²⁾.

فكل هذه الحوادث اختزلت في عصر ابن قيم الجوزية، وكان لها الأثر البالغ في حياته ونشأته العلمية، وإبراز مواهبه وملكاته، وبناء شخصيته المتميزة والمنفردة بين أبناء عصره وزمانه.

رابعاً: حياته ونسبه ونشأته.

1- نسبه:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز بن مكي زين الدين الزرعي، ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بـ "ابن قيم الجوزية"⁽³⁾.

(1) ابن كثير البداية والنهاية، 143/13.

(2) عبدالقادر بدران، منادمة الأطلال، 363، باختصار.

(3) الصفدي، صلاح الدين بن ايبيك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م، 195/2. ابن كثير، البداية والنهاية، 234/14. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص 170/5. ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تحقيق محمد عبد المعين ضان، دائرة المعارف الثمانية، حيدرآباد، الهند، ط 2، 1392هـ/1972م، 137/5. الداودي محمد بن علي (ت 945هـ)

وهذا النسب اتفقت عليه جميع كتب التراجم التي ترجمت له من المتقدمين أو المتأخرين.

أما سبب تسميته بهذا اللقب "قيم الجوزية" كما ذكر الحافظ بن كثير يرجع إلى والد الإمام الشيخ أبو بكر ابن أيوب الزرعي إذ كان إمام الجوزية وقيمها⁽¹⁾.
2- مولده

اتفق جمع غفير من المترجمين على أن ولادته كانت سنة (691هـ) (1292م) في سابع صفر من ذلك العام.⁽²⁾ فهذا من حيث زمن الولادة، أما من حيث مكان ولادته فمختلف فيه هل ولد في زرع أم في دمشق، فأكثر المترجمين يشيرون في ترجمتهم له وترجمة والده "الزرعي الأصل ثم الدمشقي"⁽³⁾ وكأنهم بذلك يشيرون إلى زرع محل ولادته، ثم انتقل منها إلى دمشق حيث أقام بها ودرس وترعرع فيها حتى صار انتسابه إليها فيقال "الدمشقي".

3- أسرته ونشأته:

كان للبيئة التي يعيش فيها ابن قيم الجوزية أثرها الكبير على تنمية استعداداته وإبراز مواهبه المبكرة، كما كان لها الأثر البين على تربية اخلاقه وبناء شخصيته المتميزة بين أهل زمانه وعصره، ومن الذين كان لهم الدور الأساس والفاعل في بناء هذه الشخصية الفذة وتحديد ملامحها وكان من المحيطين به والده أولاً الذي عاش في كنفه وتربى على يديه ونهل من ينابيع علمه ومعرفته. قال فيه ابن كثير هو: "أبو بكر بن سعد

طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 94/2. وابن العماد، زين الدين عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، 167/6.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 234/14.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 234/14. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 170/5. ابن حجر، الدرر الكامنة، 94/2.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 195/2. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 170/5. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911هـ) طبقات المفسرين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ/2000م، 195/2. ابن العماد، شذرات الذهب، 167/6.

الزرعي كان رجلاً صالحاً، متعبداً، فاضلاً (...)، قليل التكلف، سمع وحدث وكان له في علم الفرائض يد طويلة. توفي فجأة ليلة الأحد تاسع عشر من ذي الحجة 723هـ بالمدرسة الجوزية وقد أثنى الناس عليه، وصلي عليه بجامع دمشق من الباب الصغير⁽¹⁾.

ابنه برهان الدين (719-767هـ)

هو أحد افراد أسرته الذين تفقهُو على يديه وأخذوا منه العلم في فنون متعددة وكان أحد أولئك الذين لهم أثر واحد في إثراء الحركة العلمية، قيل في ترجمته: "هو ابراهيم بن شمس الدين بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. قال ابن العماد⁽²⁾ في "الشذرات" سمع من ابن الشحنة⁽³⁾، وغيره واشتغل في أنواع العلوم وأفتى ودرس وناظر، وذكره الذهبي في معجمه المختص فقال، تفقه بأبيه وشارك في العربية، وسمع وتنبه وأسمعه أبوه بالحجاز، وكان له تصدير بالجامع الاموي وشرح ألفية بن مالك، توفي بالمزة سنة (767هـ) ودفن عند والده بالباب الصغير⁽⁴⁾.

ابنه جمال الدين (723 - 756هـ)

وهو أحد أبناء الأجلاء الذين خلفوه في مسيرته العلمية، ترجم له فليل: "هو عبد الله جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية. وقال ابن كثير: "كان لديه علوم

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 14/110. ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/527.

(2) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح مؤرخ فقيه عالم بالأدب، ولد بدمشق سنة 1032هـ، أقام بمكة مدة طويلة ومات بما حاجا سنة 1089هـ، له الشذرات، وشرح متن المنتهى في فقه الحنابلة. الزركلي خير الدين بن فارس (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، 2/920.

(3) هو شهاب الدين أبو العباس بن أبي طالب بن نعمة بن حسن المعروف ابن الشحنة، سمع البخاري علي الزبيدي، أكثر المحدثون السماع عليه فقري البخاري عليه أكثر من ستين مرة، له إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسندين، وسمع عليه اهل الديار المصرية والشامية كان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر: ممتعاً. ت: 730هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، 14/150.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/65. ابن العماد، شذرات الذهب، 6/207.

جيدة، وذهن حاضر حاذق، أفق ودرس وناظر وحج مرات، تولى الدرس بالجوزية عوضاً عن أبيه، وأفاد وأجاد وأسرد طرفاً صالحاً في فضل العلم وأهله".(1)

أخوه زين الدين (693 - 769 هـ)

وهو من أبرز أفراد أسرته الذي يسبقه بسنتين، كان على قدر كبير من العلم والمعرفة في صنف شتى من العلوم قيل في ترجمته: "هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز مكي زين الدين الدمشقي الشهير بابن قيم الحوزية، اخو الشيخ شمس الدين، سمع عن نخبة من علماء عصره، وحدث عنهم وكان إماماً قدوة. توفي ليلة الأحد ثاني عشر من ذي الحجة، وصلي عليه بجامع دمشق من الباب الصغير"(2).

ابن أخيه زين الدين (.... - 799 هـ)

ترجم له ابن حجر في الشذرات فقال: "هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، كان من الأفاضل، واقتنى كتباً نفيسة، وهي كتب عمه الشيخ شمس الدين، وكان لا يبخل بإعارتها توفي يوم السبت الخامس عشر من شهر رجب"(3).

وهكذا في هذا الجو العلمي الرائق، والدفء الأسري، نشأت هذه الأسرة الطيبة الأصل والمنبت الصالح، تنهل من معين العلم والمعرفة، تنشر منه درراً ولآلئ ما زالت ولا تزال تشع بنورها وتلمع ببريقها وأصل معدنها النفيس الذي قلما تجود بمثله الدنيا.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 14 / 235.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبدالمعين، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط2، 1392 هـ-1972 م، 3 / 114، 115. ابن العماد، شذرات الذهب: 6 / 215.

(3) ابن العماد، الشذرات الذهب: 6 / 357.

المبحث الثاني: نشأته العلمية ومنهجه

أولاً: طلبه للعلم:

نشأ ابن قيم الجوزية نشأة طيبة في أحضان والده الذي كان قيماً للمدرسة الجوزية ولا شك أن ابن قيم الجوزية كان يتردد على والده في هذه المدرسة منذ نعومة أظفاره، فنشأ في أحضان العلم وحلقات الدرس وألف رؤيتها واعتاد على تقليب صفحاتها، وأقبل عليها بحب وشغف كبيرين "فدرس على كبار الشيوخ والعلماء المبرزين في أيامه، درس عليهم أنواعاً شتى من العلوم والمعارف، فسمع على الشهاب العابر، وسليمان بن حمزة وأبي بكر بن عبد الدائم، وعيسى المطعم، والشيرازي، وابن مكتوم والبهاء بن عساكر وعلاء الدين الكندي⁽¹⁾ وأبي الفتح البعلبكي وأيوب بن نعمة الكحال قرأ عليه الملخص لأبي البقاء، ثم قرأ الجرجانية، ثم قرأ ألفية ابن مالك، وأكثر الكافية الشافية، وبعض التسهيل ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي من المغرب. وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ إسماعيل بن محمد الحراني، قرأ عليه مختصر ابن أبي قاسم⁽²⁾ الخرقى، والمقنع لابن قدامة⁽³⁾، ومنهم أبي الفتح البعلبي، ومنهم الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحرر كما أخذ الفرائض أولاً عن والده، ثم أخذ الأصولين عن شيخ الإسلام ابن تيمية وصفى الدين الهندي⁽⁴⁾. هذا ولم تتوقف مسيرة الشيخ ورحلته في طلب العلم وتلقيه عن كبار الشيوخ والعلماء لمحيطين به في قطره، بل تعداها في خارج هذا القطر، فرحل إلى بلاد عدة للتزود من منابع العلم والمعرفة، فكانت له رحلات في

(1) هو علاء الدين بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد الكندي كاتب بن وداعة المعروف بالوداعي، صاحب التذكرة الكندية ولد بجلب سنة 640 سافر إلى دمشق وتوفي سنة 716هـ كان فاضلاً أديباً شاعراً حصل الأصول وبرع في الأدب واشتغل بأنواع من العلوم، وقرأ الحديث وسمع وحصل طرفاً من اللغة، ابن حجر الدرر الكامنة، 4/154-157.

(2) هو عمر بن الحسين الخرقى صاحب المختصر في الفقه كان من سادات الفقهاء والعباد كثير الفضائل والعبادة، اقام في دمشق حتى توفي سنة 433هـ وله مصنفات أخرى، ابن كثير البداية والنهاية 11/214.

(3) هو موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر شيخ الإسلام أبو محمد المقدس مصنف المغني في المذهب ولد سنة 541هـ. فقيه محدث كان حجة في المذهب الحنبلي برع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة وكان زاهداً ورعاً متواضعاً من كتبه المغني في شرح الخرقى، والشافعي والمقنع، ابن كثير، البداية والنهاية 13/99، 100.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات 2/195، ابن حجر الكامنة، 5/137، ابن العماد شذرات الذهب، 6/167-170. محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، تحقيق محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2006م، 2/144.

طلب العلم، يشيد في ذلك بعض أقواله وبعض إشارات من خلال بعض مؤلفاته، كان يتعقب العلماء في كثير من البلدان والأمصار شأنه في ذلك شأن طلاب العلم حيث كانوا لا يفترون في تحصيل العلم والرحيل من أجله وتلقيه عن الشيوخ والعلماء. فكان ابن قيم الجوزية أحد أولئك الأفاضل الذين كانوا يرتحلون من أجله ويتفانون في تحصيله، وإن كان الذين ترجموا له لم يعنوا بذكر رحلاته وسفاراته سوى ما ذكره عن حجاته أنه "حج مرات كثيرة وجاور بمكة".⁽¹⁾ وإن كان هناك ما يشير رحيله إلى القاهرة ما ذكره المقرئزي⁽²⁾ في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" وقدم القاهرة غير مرة،⁽³⁾ وكذلك ما ذكره ابن قيم الجوزية من إشارات وإفادات تشيد برحيله إلى مصر كما ورد في مؤلفه "إغاثة اللهفان" في معرض كلامه على طب البدن ما نصه "وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر بهذا فقال: "والله لو سافرت إلى الغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً"⁽⁴⁾

وقال في كتابه هداية الحيارى: "لقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة"⁽⁵⁾. كما ذكر أيضاً في كتابه بدائع الفوائد ما يفيد سفره إلى نابلس وهو يتحدث عن مناظرته لليهود السامرة في شأن قبلتهم، فيقول: "وأما السامرة فإنهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام يعظمونه، ويحجون إليه، ورأيت أنه وهو في بلد نابلس، وناظرت فضلائهم في استقباله، وقلت: هو قبلة باطلة مبتدعة"⁽⁶⁾.

(1) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 137/5.

(2) هو أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقرئزي (766 - 845هـ) مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة. الزركلي، الأعلام، خيرالدين فارس، ت1395هـ، دار العلم للملايين، ط15، 2000م، 1/177.

(3) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، 4/132.

(4) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، 1/19.

(5) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 2006م/83.

(6) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق صالح اللحام، خلدون خالد، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، ص1223.

ولا شك أن هذه الرحلات المتكررة قد أسهمت في زيادة ثروته العلمية ورصيده الفكري وحصلت له علوم كثيرة ومتنوعة في مجالات عدة ومختلفة ، ظهرت بوضوح من خلال كتاباته ومؤلفاته.

ثانياً: شيوخه

إن التعرف على شيوخ العالم تساعد في إلقاء الضوء عليه وتبين مواهبه وتبرز مصادر تكوينه العلمي ومن هؤلاء الشيوخ وأبرزهم.

1. والده قيم الجوزية.

وقد سبقت ترجمته.

2. الشهاب العابر (628- 697 هـ)

وهو أحد العلماء المبرزين الذين سمع منهم ابن قيم الجوزية قيل في ترجمته: "هو أبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي، قال فيه الذهبي: "إمام عالم لا يدرك شأوه كان عارفاً بالمذهب وولى التدريس بالجوزية سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽¹⁾.

3. ابن عبد الدائم (626 - 718 هـ)

هو أحد مشايخه الذين اتموا بالعلم والعبادة ترجم له عدد من المترجمين فقالوا: "هو أبو بكر بن المنذر بن زين الدين أحمد عبد الدائم بن نعمة المقدسي الحنبلي، قال فيه الذهبي: "كان مسند الوقت صالحاً (...). كان ذا همة وجلادة وذكر وعبادة لكنه أضر وثقل سمعه، سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽²⁾.

4. ابن الشيرازي (629 هـ - 723 هـ)

هو أحد المحدثين المشهورين الذين أخذ عنهم ابن قيم الجوزية الحديث، قال عنه الصفدي وغيره: "هو شمس الدين أبو نصر محمد بن عماد بن هبة الله الفارسي الأصل

(1) الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين 1983م، 94/2، و ابن العماد، شذرات الذهب 437/5/3. والصفدي الوافي بالوفيات، 38/7.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، 523/1، الداودي، طبقات المفسرين 94/2، ابن العماد، الشذرات، 47/6.

الدمشقي ثم المزي الشيرازي مسند الوقت، سمع منه الإمام ابن قيم الجوزية الحديث، وكان شيخاً حسناً وقوراً سمع الكثير وأسمع وأفاد"⁽¹⁾

5. المجد التونسي (656هـ-718هـ)

هو علم من أعلام اللغة والنحو كان له أثره في بناء شخصية ابن قيم الجوزية العلمية ترجم له ابن العماد: "هو أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي الشافعي المولود بتونس دخل القاهرة وأقام بها ثم انتقل إلى دمشق جلس بجامعة للإقراء وتدرّس النحو بالناصرية وصار شيخ الإقراء قرأ عليه ابن قيم الجوزية العربية والمقرب، قال عنه الذهبي هو شيخ النحاة والباحثين"⁽²⁾.

6. شرف الدين ابن تيمية (727هـ)

كان هذا الشيخ من أبرز المشائخ الذين ألموا بكثير من العلوم، وكان على رأسها علم الفقه وأصوله ترجم له في الشذرات والوافي بالوفيات، فقيلاً: "هو عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية أخو شيخ الإسلام - رحمهما الله - وكان فقيهاً عالماً بالمذهب والحساب، وعلم الهيئة، وفي الأصول العربية (أصول النحو، وأصول الفقه)، أخذ عنه ابن قيم الجوزية الفقه"⁽³⁾.

7. المجد الحراني (ت 729م)

يعد هذا الشيخ من أبرز شيوخ المذهب الذين أخذ عنهم ابن قيم الجوزية علوم شتى في فنون متنوعة قيل في ترجمته: "هو إسماعيل مجد الدين بن محمد ابن إسماعيل الحراني ابن الفراء، شيخ المذهب تفقه وبرع في المذهب وكان عالماً بالفقه والحديث وتصدى للاشتغال والفنون وانتفع به خلق كثير. أخذ عنه ابن قيم الجوزية الفرائض بعد أن أخذها عن والده وأخذ عنه الفقه وقرأ عليه مختصر أبي قاسم الحراني" وكتاب المقنع لابن قدامة أخذ عنه الأصول وقرأ عليه أكثر الروضة"⁽⁴⁾

(1)الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 195، ابن حجر الدرر الكامنة، 5/ 137، والداودي، طبقات المفسرين 2/ 90، ابن العماد، الشذرات 6/ 61.

(2)ابن حجر، الدرر الكامنة، 5/ 137، والداودي، طبقات المفسرين 2/ 94، ابن العماد، الشذرات، 6/ 46.

(3)الصفدي، الوافي بالوفيات 2/ 195، ابن العماد، شذرات الذهب، 6/ 75.

(4)الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 195، ابن حجر، الدرر الكامنة، 5/ 137، ابن العماد، الشذرات، 6/ 88.

8. ابن مكتوم (و.623هـ - ت.716هـ)

ذكره الصفدي وابن حجر في الدرر فقالوا في ترجمة له: "هو إسماعيل الملقب بصدر الدين والمكنى بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي الشافعي كان حسن الخلق محباً للسمع حدث في الحرم سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽¹⁾.

9. الكحال (ت 730هـ)

هو أحد الشيوخ الذين تتلمذ على يديه ابن قيم الجوزية ، قال ابن العماد في ترجمته: "هو زين الدين بن نعمة النابلسي، ثم الدمشقي الكحال ذكره الصفدي في جماعة سمع منهم ابن قيم الجوزية"⁽²⁾.

10. البهاء بن عساكر (527 - 600 هـ)

هو أحد الحفظة والمحدثين الثقة، قيل في ترجمته: "هو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الحافظ المسند الورع بهاء الدين أبو محمد القاسم بن عساكر، محدث ثقة كتب الكثير وصنف وخرج وعنى بالكتابة والمطالعة سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽³⁾.

11. الحاكم (628 هـ - 715 هـ)

هو أحد علماء الشام المعروفين، أثنى عليه أهل العلم في غزارة العلم وقوة معرفته وكثرة عبادته، ترجم له ابن رجب فقال: "هو سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي مسند الشام وكبير قضاتها، سمع منه نحو مائة شيخ وأجازه أكثر من سبعمائة شيخ كان شيخاً فقيهاً كثيراً عارفاً بالفقه ذا عبادة قال عنه الذهبي كان إماماً محدثاً برع في المذهب وتخرج به الفقهاء وروى الكثير ممن سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽⁴⁾.

12. المطعم (626 هـ - 709 هـ)

(1) الصفدي الوافي بالوفيات، 195/2، ابن حجر، الدرر الكامنة 137/5.

(2) الشذرات 91/6، الوفيات 195/2.

(3) الوافي بالوفيات 103/24، 195/2، الشذرات، 136/6.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 195/2، ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، 403-400/4، الداودي، طبقات المفسرين، 94/2.

هو احد المسنين الذين تلقى عنهم ابن قيم الجوزية العلم والحديث، ذكر ذلك ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة فقال: "هو عيسى شرف الدين بن عبد الرحمن المطعمفي الاشجار ثم السمسار في العقار مسند الوقت سمع منه ابن قيم الجوزية"⁽¹⁾

13. بنت جوهر (711 هـ)

تعد بنت جوهر من النساء الفقيهات والمحدثات الثقة اللاتي تلقى عنهم ابن قيم الجوزية وسمع منهن، قيل في ترجمتها: "هي فاطمة ام محمد بنت الشيخ ابراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي المسندة المحدثه، ذكر سماعه منها ابن رجب والذهبي"⁽²⁾.

14. أبو الفتح البعلبي (645 - 709 هـ)

هو أحد العلماء المعروفين الذين تصدروا للإفتاء والتدريس في مدارس الحنابلة، قيل في ترجمته: "هو محمد شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الفتح البعلبي الفقيه اللغوي النحوي، إمام الحنابلة هو مدرس الصدرية أخذ عنه ابن قيم الجوزية العربية والنحو"⁽³⁾.

15. الصفي الهندي (م. 644 هـ - ت. 715 هـ)⁽⁴⁾

هو احد العلماء المشهورين الذين توفر لديهم علم غزير في علوم شتى وفنون متنوعة، درس في مدارس عدة من بلاد الشام، وكانت له مصنفات كثيرة معروفة مشهورة لدة أهل العلم ترجم له ابن عماد في الشذرات فقال: "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد صفي الدين الهندي الأموي المتكلم على مذهب الأشعري (...)", كان

(1) الصفدي، الوافي الوفيات، 195/2، ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة، 171/5، الداودي، طبقات المفسرين 94/2.

(2) الذهبي، المعجم المختص، تحقيق محمد الخطيب الهيل، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1408 هـ/1488 م، ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة، 171/5، ابن العماد شذرات الذهب 27/6.

(3) الذهبي المعجم المختص 272، ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة، 372/4، ابن حجر الدرر، الكامنة 137/5، طبقات المفسرين، 94/2، الوفيات، 195/2.

(4) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، الناشر، هجر للطباعة، ط2-1413 هـ، 162/9، 163.

متضلعا بالأصلين من تصانيفه في الكلام الزبدة، وفي أصول الفقه، النهاية والفائق، والرسالة السيفية وكل مصنفاة حسنة. كان مولده بالهند، ثم رحل إلى اليمن، ثم قدم دمشق، واستوطن بها ودرس بالأتابكية، والظاهرية الجوانية وشغل الناس بالعلم، أخذ عنه ابن قيم الجوزية الأصلين أصول الفقه والتوحيد وقرأ عليه أكثر الأربعين و"المحصل"⁽¹⁾.

16. ابن مفلح (ت. 763 هـ)

هو أحد العلماء الذين حضوا بمكانة عظيمة ومحبة فائقة بما اكتسبوه من علم ودين وخلق، قيل في ترجمته: "هو محمد شمس الدين أبو عبد الله بن مفلح بن محمد بن مفلح الحنبلي أحد الأئمة الأعلام، تفقه وترعرع ودرس وأفقي وناظر وحدث وأفاد (...)"، و كان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة وورع ودين متين وشكرت سيرته وأحكامه ذكره الذهبي في المعجم"⁽²⁾ قال عنه ابن قيم الجوزية "ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الامام احمد بن حنبل، كان ابن قيم الجوزية يراجعه في كثير من المسائل"⁽³⁾.

17. المزي (654 هـ - 742 هـ)

هو واحد العلماء المبرزين الذين شهد لهم بالعلم والمعرفة في علوم متنوعة، كان له فيها اليد الطولى معرفةً وتحقيقاً، قيل في ترجمته: "هو يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن القضاعي دمشقي الشافعي جمال الدين المزي، أمام المحدثين وخاتمة الحفاظ، برع في التعريف واللغة وبرع في علوم الحديث، وأقر له الحفاظ قال الذهبي وإليه المنتهى في معرفة الرجال وطبقاتهم من نظر في كتابه تهذيب الكمال عمل محله من الحفظ"⁽⁴⁾.

18. ابن جماعة (639 هـ - 733 هـ)

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 94/2، ابن العماد، الشذرات 198/6-200.

(2) الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، 1/265، 266.

(3) ابن العماد، الشذرات 198/6-100.

(4) الذهبي، المعجم المختص 299، لابن كثير البداية والنهاية، 14/191، 192، ابن العماد شذرات الذهب 135/6.

هو أبرز علماء الشافعية المعروفين الذين حصلوا علوم كثيرة وتفوقوا فيها، ترجم له كثير من أهل العلم، فقالوا فيه: "هو محمد بن ابراهيم بن سعد بن جماعة بن علي بن حازن بن صهر بن حجر الكناني الحموي الشافعي الامام المشهور سمع الحديث واشتغل بالعلم وحصل علوم متعددة وتقدم وساد أقرانه سمع عنه ابن قيم الجوزية"⁽¹⁾

19. شيخ الإسلام ابن تيمية (661هـ - 728هـ)

"هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية الحراي الحنبلي المجتهد المطلق، قدم دمشق صحبة والده وهو ابن ست سنوات أقبل على العلوم فبرز في التفسير وأحكام أصول الفقه والفرائض وبرع في الحديث وجمعه والحساب، والجبر والمقابلة، والنحو والفلسفة، وسمع وحدث وتفقه وتفنن، ومهر في هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وقد اثنى عليه العلماء والمؤرخون قال الذهبي: "فريد العصر علماً ومعرفة ونهياً عن المنكر" وقد امتحن واوذي مرات عدة وحبس بقلعة مصر بالقاهرة والاسكندرية، ودمشق مرتين وبها توفي رحمه الله. له مصنفات كثيرة⁽²⁾ تتلمذ على يديه - ابن قيم الجوزية، "ولازمه إلى أن مات وقد أخذ عنه علماً جماً"⁽³⁾.

ثالثاً: تلاميذه

إن شهرة ابن قيم الجوزية- رحمه الله- ومكانته العلمية جعلت الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون عليه، ويكبون على الاخذ عنه، وقد كثر الآخذون عنه وازدحمت مجالسه

(1) الصفدي الوافي بالوفيات، 195/2، ابن كثير البداية والنهاية، 163/14، ابن العماد شذرات الذهب 104/6، الدرر الكامنة، 4/3، 5، الذهبي، المعجم المختص، 16.

(2) لابن كثير البداية والنهاية، 243/14، ابن العماد شذرات الذهب 81/6.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 138-135/14، ابن حجر الدرر الكامنة، 137/5، ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1426هـ، 2005م، 124.

بالأئمة، وتلقى عنه كثير من العلماء في حياة شيخه إلى أن مات وتخرج عليه جماعة في شتى أنواع العلوم والفنون. كان من أبرزهم وأشهرهم:-

1. ابنه برهان الدين⁽¹⁾

2. ابن كثير (و.700هـ- ت.774هـ)

يعد ابن كثير من أكابر علماء عصره وزمانه الذين عجت المكتبات بمصنفاتهم وعلومهم، وكان أبرز تلاميذ ابن قيم الجوزية الذين تتلمذوا عليه وترجموا له ترجمة واسعة، قيل في ترجمته: "هو اسماعيل عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، الامام الحافظ المشهور، شهد له العلماء بالضبط والتحرير، وانتهت اليه رسالة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. تتلمذ على ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وقد تُرجم له لابن كثير ترجمة حافلة قال: "وكنت من اصحاب الناس له وأحب الناس إليه".⁽²⁾

3. ابن رجب الحنبلي (ت.795هـ)

عبد الرحمن زين الدين أبو الفرج بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب بابن رجب الحنبلي وهو صاحب المؤلفات الحافلة منها كتابه "الذيل على طبقات الحنابلة"، وفيه ترجم لشيخه ابن قيم الجوزية ترجمة حافلة بها. قال: "لازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسَمَّعت، عليه قصيدته النونية واشياء من تصانيفه وغيرها"⁽³⁾.

4. جمال الدين بن قيم الجوزية⁽⁴⁾

5. السبكي (و.683- ت.756هـ)

هو أحد العلماء المبرزين الذين ظهوروا في الساحة العلمية في عصر ابن قيم الجوزية، وكانوا من الذين تتلمذوا على يده، قيل في ترجمته: "هو علي بن عبد الكافي بن علي

(1) تقدمت ترجمته، ص: 31.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 14/234، ابن حجر الدرر الكامنة 1/373، ابن العماد شذرات الذهب 6/230.

(3) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 5/170-179، ابن العماد شذرات الذهب 6/168.

(4) تقدمت ترجمته في ص: 27.

بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن الإمام الفقيه المحدث ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة أن السبكي رحل لطلب الحديث إلى الشام والحجاز والاسكندرية، وفي الشام أخذ عن جماعة عدّ منهم ابن قيم الجوزية⁽¹⁾

6. الذهبي (و.673-ت.748 هـ)

يعد الذهبي من أكابر علماء الأمة الذين برزوا في علوم وفنون شتى وكانت له مصنفات كثيرة ومتعددة أثرت المكتبة الإسلامية، وكان لها الدور الرئيس في معرفة كثير من العلوم والمعارف التي اتسمت فيها تلك الفترة من الزمن، قيل في ترجمته: "هو محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني، الشافعي الإمام الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث وغيره، وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات، ترجم لابن قيم الجوزية في كتابه "المعجم المختص"⁽²⁾

7. ابن عبد الهادي (و.705-ت.744 هـ)

هو أشهر تلاميذ ابن قيم الجوزية علماً ومعرفة، قيل في ترجمته: "هو محمد شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن احمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن قدامة المقدسي الحنبلي، ذكر له ابن رجب ما يزيد عن سبعين مصنفاً أفتى ودرس وبرع في الحديث، والقراءات والفقه والأصلين"⁽³⁾ قال ابن رجب في ترجمة ابن قيم الجوزية "كان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره"⁽⁴⁾

8. النابلسي (ت.797 هـ)

من العلماء المشهورين الذين تتلمذوا على ابن قيم الجوزية وحضوا عنده بمكانة عظيمة، قيل في ترجمته: "محمد شمس الدين أبو عبد الله بن عبد القادر بن مجد الدين

(1) ابن العماد، شذرات الذهب، 6/3/180.

(2) ابن العماد شذرات الذهب 6/153، 154، الشوكاني، البدر الطالع، 2/663-664، محمد شاعر الكبتي، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، 3/316، ناصر الدين دمشقي، الرد الوافر، 66، 67.

(3) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة 5/115-123.

(4) الذهبي طبقات الحفاظ، 4/150، ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة 5/174، ابن حجر الدرر الكامنة، 5/61-62،

ابن العماد شذرات الذهب 6/141.

عثمان الحنبلي المعروف بالجئة له تصانيف منها مختصر طبقات الحنابلة وغيرها كثير، قال ابن العماد: "صاحب ابن قيم الجوزية الجوزية فقرا عليه أكثر تصانيفه"⁽¹⁾.

9. الغزي (م.724 هـ - ت 808 هـ)

هو أحد الذين تتلمذوا على مشايخ عدة وعلماء كثر، أشهرهم ابن قيم الجوزية، قال الشوكاني في ترجمته: "هو محمد بن محمد بن الخضر الغزي الشافعي ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال الشوكاني: دخل دمشق فأخذ بها عن ابن كثير والسبكي وابن قيم الجوزية وغيرهم"⁽²⁾.

10. الفيروزآبادي (-م 729 هـ - ت 817 هـ)

يعد الفيروزآبادي أحد علماء الشافعية وأبرزهم المعروفين الذين برعوا في فنون شتى وألفوا فيها التصانيف الكثيرة، قال ابن رجب في ترجمته: "هو محمد بن يعقوب بن محمد بن محي الدين أبو الطاهر الفيروزآبادي الشافعي، صاحب القاموس وغيره من التأليف الكثيرة النافعة، سمع من ابن قيم الجوزية وطبقته"⁽³⁾.

رابعاً: علاقته بشيخه ابن تيمية

لشيخ الإسلام ابن تيمية أثر واضح في تكوين شخصية ابن قيم الجوزية، ويظهر ذلك جلياً حين "لازم ابن قيم الجوزية شيخه ابن تيمية فترة من الزمن امتدت من سنة (712 هـ) أي منذ عودته من مصر إلى دمشق وحتى وفاته سنة (728 هـ) كما تذكر ذلك كتب التراجم فكانت هذه الفترة لابن تيمية فترة حافلة بالأحداث والمتغيرات في تاريخ حياة ابن قيم الجوزية، حيث كانت شخصيته شخصية لها الأثر الواضح في ثقافته وتكوين مذهبه. رأى فيه نمطاً جديداً من التفكير، وأسلوباً لم يعهده في فهم النصوص

(1) ابن العماد شذرات الذهب 348/6، 349.

(2) ابن كثير طبقات الشافعية، تحقيق عبدالحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، ط1، 752/2، الشوكاني، البدر الطالع، 836/2-839.

(3) ابن كثير، طبقات الشافعية، 2 / 752، البدر الطالع، 280/2.

من قبل، ومرجعية محصورة في الكتاب والسنة، وكان من قبل يعيش في إطار المذهب ومرجعيته⁽¹⁾.

فمن هذا المذهب ومن هذا المنطلق أحب التلميذ شيخه وغلبت عليه محبته فكان كثيراً ما يؤيده في رأيه وينتصر لمذهبه، ويعتد بفكره ويستشهد بأقواله في كثير من المسائل التي تعرض له ويذكرها في مؤلفاته، فيقول "قال لي شيخي" ثم يذكر المسألة، فمثلاً ورد في كتابه، البيان في مصاديد الشيطان جواباً على القائلين بأن الوسوسة من الاحتياط، قال: "قال شيخنا: والاحتياط حسن ما لم يفض صاحبه إلى مخالفة السنة، فإذا أفضى إلى ذلك الاحتياط ترك هذا الاحتياط"⁽²⁾، وقال: في نفس الكتاب في علة النهي على اتخاذ المساجد على القبور، قال شيخنا: "وهذه العلة لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، هي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك"⁽³⁾.

وورد في كتابه مفتاح دار السعادة، قال: قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه: "وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضج إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات"⁽⁴⁾.

في هذه النصوص وغيرها كثيرة لا يكاد يخلو منها مصنف أو مؤلف من مصنفاته ومؤلفاته، بيان مشترك للعلاقة المزدوجة بين التلميذ وشيخه وما تحمله من إشارات ودلالات أهمها:-

1- أن هذه العلاقة تنم عن محبة التلميذ لشيخه بقوله (قال لي شيخي)

(1) عوض حجازي، ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، مطبوعات معجم البحوث الإسلامية، 1972م/56.

(2) ابن قيم الجوزية، البيان في مصاديد الشيطان، اعداد احمد صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م، 89.

(3) المصدر السابق، 95.

(4) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، 1/168.

2- تتم عن محبة الشيخ لتلميذه وعنايته به لما وجدته من رغبة صادقة لدى تلميذه، والتفاني في خدمة العلم، والتحصيل والحرص على ملازمة مجالس العلم والعلماء، فصار يتعهدة بجملة من النصائح والتوجيهات لصقل شخصيته، والثالثة إشارة إلى المنهج الذي ينبغي عليه أن يتبعه التلميذ.

3- تتم عن مدى تحلي ابن قيم الجوزية بأخلاق العلم والعلماء، وتقديره لجهودهم في النقل عنهم وتوثيق ما نقلوه عنهم.

خامساً - عدم التعصب للمذهب

إن الدارس لفقاه ابن قيم الجوزية يجد أنه لا يتعصب لمذهب معين، ولا يلتزم رأياً بعينه إن بدا له ما هو أقوى منه دليلاً وأرجح منه رأياً كان ذلك مذهبه الذي يعمل به دون النظر إلى الرجال، حتى وصفه بعض أهل العلم فقالوا: "كان ابن قيم الجوزية باحثاً حراً قوياً الشخصية يعمل فكره، ولا يلتزم رأياً غيره ولو كان هذا الغير شيخه بل كان أحياناً يناقش ويرد رأيه إن بدا له ما هو أرجح منه".⁽¹⁾

والدليل على ذلك ترجيحه لقول مالك - رحمه الله - في علة الربا في الأصناف الأربعة: البر، الشعير، التمر، والملح، وهي الأقتيات بعد أن ذكر للعلماء في هذه المسألة خمسة أقوال مرجحاً إحداها قائلاً: "وطائفة خصته بالقول، وهو قول مالك وهو أرجح الأقوال كما ستراه"⁽²⁾ واختياره هذا على اختلاف اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه قال: "إن العلة في تحريم ربا الفضل الكيل أو الوزن مع الطعم".⁽³⁾

ومن هنا ندرك أن هدف ابن قيم الجوزية الذي دعا إليه هو التحرر الفكري، ونبذ التقليد وتحكيم الكتاب والسنة، وخاصة أنه "عاش في عصر غلبت على علمائه نزعة التقليد وسيطرة الجمود الفكري، وأصبح جهد العلماء أن يفهموا كلام السابقين دون بحث أو مناقشة، مما دعا ابن قيم الجوزية أن يثور ضد هذا العصر، وأن يحارب التقليد

(1) عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، ابن قيم الجوزية: عصره، منهجه، وأراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، ط 3، 1984م/99.

(2) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، 2/155.

(3) ابن تيمية، الاختيارات الفقهية، تحقيق علي بن محمد عباس البعلبي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1397هـ/1978م، كتاب البيوع، باب الربا، 1/473.

بكل قوة ويجعله طاغوتا من الطواغيت فيقول في مؤلفاته (كسر طاغوت التقليد) ثم يفتح لهم باب الاجتهاد في الأصول والفروع⁽¹⁾.

فهو ينتقد التقليد والمقلد وينتقص من قدره فغاية الباحث كما يراها ابن قيم الجوزية هي الخلق والابتكار والإثراء بناء على قواعد وأسس مرجعية سليمة والاهتمام بروح الدين وتحقيق الوعي الصحيح، بمقاصده فهو يقول في مؤلفه زاد المعاد: "فالتقليد ليس بعلم والمقلد لا يطلق عليه اسم عالم"⁽²⁾.

وهذه قاعدة سار عليها وطبقها على منهجه في البحث العلمي حتى صار يوصف بالجرأة في أمور كثيرة، قال عنه الذهبي واصفا إياه بذلك: "ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم ولكنه معجب برأيه جريء على أمور"⁽³⁾ ويعلق الشوكاني على هذا القول فيقول: "قلت بل كان متقيدا بالأدلة الصحيحة معجبا بالعمل بها، غير معول على الرأي صادعاً بالحق لا يحايي فيه أحد ونعمت الجرأة"⁽⁴⁾.

أجل لقد كان ابن قيم الجوزية كذلك لأنه كان يملك الدليل على ما ذهب إليه، وهذا الذي يفسر جرأته، فالدليل هو السلاح الفعال في ميدان العلم، والدليل هنا هو الكتاب والسنة، والذي يملك هذا الدليل في مواجهة خصمه فلماذا لا يكون جريئاً، وقد جاء هذا الوصف في الدرر الكامنة لابن حجر إذ قال: "وكان جريء الجنان"⁽⁵⁾.

(1) عوض الله حجازي، ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، 1972 م، 29.

(2) ابن قيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، تعليق عبد العزيز بن باز، حامد الفقي، دار ابن الجوزي القاهرة، 2008، 63/1.

(3) الذهبي، معجم محدثي الذهبي، تحقيق د. روية عبد الرحمن السويدي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1413هـ/1993م، مكان النشر بيروت، 180/1.

(4) الشوكاني، البدر الطالع، 696/2.

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، 183/5.

سادساً - أهداف منهجه

وضع ابن قيم الجوزية نصب عينيه أهدافاً وغايات من خلال منهجه الذي التزم به ودعا إليه للحفاظ على التراث الإسلامي و ضمان استمراريته في أنقى صورة، وتبليغ رسالته، وإيصالها إلى العالم ولتحقق ذلك كان لا بد من الآتي:

1- الدعوة إلى مذهب السلف في العقائد. وذلك من خلال التمسك بالكتاب والسنة، والتحاكم إليهما وبند ما يخالف ذلك من الآراء والأقوال وجعل نصوص الوحي حكماً على آراء الرجال وأقوالهم.

2- محاربة التلاعب بالدين،⁽¹⁾ من خلال محاربة الإنحراف في العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة في باب العقيدة فهما وسلوكاً ومنهجاً وطريقاً ومحاربة البدع والمخالفات الشرعية والتصدي لها.

3- تفهم روح الشريعة.⁽²⁾

4- التحرر الفكري،⁽³⁾ إذ دعا ابن قيم الجوزية إلى التحرر الفكري "وعدم الجمود، ومحاربة التقليد والدعوة إلى الاجتهاد في ضوء الكتاب والسنة حتى ترقى نفوسهم وتقوى عقولهم، ولأجل أن يجلو ما استغلق عليهم فهمه من مسائل، وبوجود حلولاً لبعض المسائل التي جدت في حياة المسلمين ولم تكن عند الأقربين وليفتح لهم باب المباريات الفكرية،⁽⁴⁾ والبحث العميق، في ذلك الوقت الذي ركذ فيه الذهن الإسلامي، واستعجمت فيه الألسنة العربية بسبب الغزو التتري.⁽⁵⁾

سابعاً - خصائص منهجه

امتاز منهج ابن قيم الجوزية بعدة خصائص ومزايا قلما وجدت عند غيره حتى أصبحت هذه الخصائص والمزايا منهجاً يسير عليه رواد المدرسة السلفية، أبرزها وأهمها، ما يلي:

(1) عوض حجازي، ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، 56.

(2) المصدر نفسه، 56.

(3) المصدر نفسه، 56.

(4) المصدر نفسه، 56.

(5) عبد السلام شرف الدين، ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه، 104.

1. اعتماده على الكتاب والسنة

يعد ابن قيم الجوزية أحد أقطاب المدرسة السلفية التي تحدد الارتباط بالكتاب والسنة، والأخذ منها، واستبعاد الأقيسة الفاسدة، والتأويلات الباطلة المجانبة للحق بأسلوب سهل مبسط خال من التعقيد اللفظي والمعنوي، ولو تأملنا ما ذكره في كتابه أعلام الموقعين ما عاب به عن المؤولة قوله: "ذهب أئمة السلف إلى الإنكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين لله به عقد اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن اجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول - صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم - على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة لا يألوان جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه".⁽¹⁾

2. الاخذ بظاهر النصوص دون تأويل أو مجاز

وهذه خصيصة من خصائص منهجه وأبرز مميزاته، "وذلك ظاهر في جميع كتاباته، ومختلف مؤلفاته، حتى أنه ألف كتابه (الصواعق المرسلّة) وغيره ليحارب به المتأولين ويرد عليهم ويبين أن التأويل طاغوت من الطواغيت. كما بين أن سبب البلاء الذي حل بالأمة الإسلامية والسبب الذي فرقهم إلى ثلاث وسبعين فرقة كما أخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إنما هو التأويل واخراج النصوص عن ظاهرها".⁽²⁾

3. إيراد جميع الأقوال المذكورة في المسألة بعد سردها جميعاً

وهذه أيضاً خصيصة أخرى من خصائص منهجه واطهار قدرته الفذة في إيراد جميع الأقوال والرد عليها جميعاً بعد سردها قولاً قولاً، "ثم يذكر صحيح كل منها،

(1) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، 229/4، 230.

(2) عوض حجازي، ابن قيم الجوزية موقفه من التفكير الإسلامي، مطبوعات معجم البحوث الإسلامية، 1972،

ويناقشها متبعاً في ذلك منهج أرسطو في البحث، وبعد مناقشته الأدلة يرفض منها ما لا يتفق مع العقل والنقل في نظره".⁽¹⁾

ويعد هذا المنهج هو المنهج العلمي السليم الذي يجب اتباعه دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى كالتباعد الهوى أو التعصب لمذهب بعينه أو فكر معين.

4. التطويل في مؤلفاته

يعد التطويل في كتابات ابن قيم الجوزية هو السمة الغالبة على مؤلفاته وذلك لما يتميز به من القدرة الفائقة على عرض النصوص وتحليلها تحليلاً منطقياً، ثم القدرة على الإستنتاج والاستنباط، مع استيعاب المفهوم، وهذه خصائص قلما تجتمع في شخصية واحدة، إلا أن ابن قيم الجوزية قد اجتمعت لديه جميعاً وقد شهد له الإمام الشوكاني بذلك وأثنى عليه فقال: "وخاصة أن الرجل كان قوي البيان، فصيح اللسان، واسع الاطلاع، كثير البحث وهو طويل النفس في مؤلفاته يتعانى الايضاح جهده، فيسهب جداً"⁽²⁾، حتى عدَّ بعضهم هذا الإسهاب الطويل الذي تطلب منه أحياناً أن يكتب الكتاب الضخم في مسألة واحدة عيباً يؤدي به إلى التكرار، والاستطراد في مؤلفاته، في حين رأى أحد الباحثين، أن هذا الاستطراد خصيصة، وليس عيباً، كما يقول: "يزيد المبحوث لذاته وضوحاً ويكشف عنه في كثير من جوانبه كما يكسب القارئ معرفة الارتباط بين العلوم الإسلامية ومدى اشتباكها ببعض.

والاستطراد ليس كل عالم يستطيعه، ولا كل مؤلف يطيقه فهو لا يأتي إلا من أكابر الحفاظ، وأوعية العلم الذين تموج قرائحهم وأذهانهم بشتى أنواع العلوم والمعارف"⁽³⁾

5. التكرار

إن هذه الميزة بارزة في كثير من مؤلفاته، فقد كان ابن قيم الجوزية يعرض المسألة ويبسط لها في أكثر من موضع، ولكن هذا التكرار لا يخلو من فائدة، وخاصة أن ابن

(1) عوض حجازي، ابن قيم الجوزية موقفه من التفكير الإسلامي، مطبوعات معجم البحوث الإسلامية، 1972، 106.

(2) الشوكاني، البدر الطالع، 297/2.

(3) بكر زيد، ابن قيم الجوزية حياته وأثاره وموارده، دار العاصمة للنشر والتوزيع، مصر / 103.

قيم الجوزية كان يعيش في زمن أصابه شيء من الضعف العقدي والانجذاب وراء أهل الكلام والفرق المتفلسفة وكثر فيه الجدال العقلي، والبعد عن الدين ولجأ الناس إلى المكر والحيل وغيرها من الأمور التي جعلت من ابن قيم الجوزية يؤسس جزء من منهجه على ظاهرة التكرار التي تبدو ظاهرة في مؤلفاته والتي يستوجبها الظاهر من حال الناس ويرى فيها علاجاً لما وقع بالأمة كمسألة الطلاق بلفظ واحد هل يقع ثلاث طلاقات أو واحدة فقط؟ ذكر ذلك في أكثر من كتاب⁽¹⁾ "ومسألة" تحريم الافتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول⁽²⁾ وساق على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة ذكرها في موضع من كتابه اعلام الموقعين، ثم أتى بأدلة في الموضوع الثاني لم يأت بها في الموضوع الأول ومسألة "تحريم الافتاء في دين الله بغير علم وذكر الاجماع على ذلك"⁽³⁾ بسطها في كتابه اعلام الموقعين الجزء الأول ثم أعاد ذكرها مرة أخرى مع زيادة أدلة وإشارات بالاضافة إلى الامثلة السابقة ما أورده في كتابه التبيان في أقسام القرآن في الاستدلال بآياته الكونية على وجوده سبحانه ووحدانيته وتفرد بالخلق والابداع، ثم كررها مرة أخرى بتوسع في كتابه مفتاح دار السعادة⁽⁴⁾.

6. السعة والشمول

إن ظاهرة السعة والشمول ظاهرة منتشرة في كل كتاباته ومؤلفاته، سواء فيكثرة المصادر والمراجع التي نقل منها ابن قيم الجوزية أو في معالجته لمسألة معينة من المسائل يقدم لها طرحاً وافياً مستوفياً يعرض فيها جميع الأدلة والآراء، فهو مثلاً في كتابه (الصواعق المرسله) يذكر في الرد على الطاغوت الأول ثلاثة وسبعين وجهاً وهو "قولهم إذا

(1) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين، 29/3، 71، ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان ، 253/1، 299.

(2) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين، 65/1، 274/2.

(3) المصدر نفسه، 56/1، 182/2.

(4) ابن قيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن، عالم الكتب، بيروت، 195، 281، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد ، القاهرة، ط1، 1429هـ- 2008م، 1/ 222، 318.

تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا بالعقل"⁽¹⁾ وفي الرد على الطاغوت الثاني واحد وأربعين ومائتي وجه وهو "قولهم إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل"⁽²⁾ وهذا مما يدل على غزارة علمه وسعة أفقه.

7. الأمانة والدقة في النقل

المتصفح في كتب ابن قيم الجوزية يجد صحة ما أشرت إليه فهو كان من الأمانة والدقة بمكان في النقل بحيث كان يعزو ما نقل إلى صاحبه أو اسم الكتاب الذي نقل منه فمثلاً يقول في (بدائع الفوائد) في دخول (أن على الفعل) قال أبو القاسم السهيلي⁽³⁾"(4). ويقول في كتاب (الصواعق المرسلّة) في الوجه التاسع والاربعين بعد المائة: قال أبو الحسن الأشعري⁽⁵⁾ في كتبه: "ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات فلولا أن الله عز وجل مستو على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا نحو الأرض، هذا لفظه في جل كتبه وأكبرها وهو الموجز وفي أشهرها وهو الإبانة التي اعتمد عليها أبصر الناس له"⁽⁶⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، السعودية، ط 3، 1418هـ/1998م، 633/2، 793.

(2) المصدر نفسه، 796/2.

(3) هو أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبدالله بن الخطيب بن عمر بن احمد بن ابي الحسن السهيلي أبو القاسم ولد سنة 1508هـ وقرأ القراءات واشتغل وحصل حتى برع وساد اهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف من كتبه الاعلام ونتائج الفكر، توفي سنة 1581هـ، ابن كثير البداية النهاية 318/12.

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق صالح اللحام ، خلدون خالد، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، 125.

(5) أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل بن أبي بشر من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري وهو المنظر الأول لمواقف أهل السنة ومؤسس المذهب المعروف باسمه بعد أن انشق عن المعتزلة ولد بالبصرة 260هـ وتوفي ببغداد 324هـ له مصنفات كثيرة الرد على المجسمة والابانة عن أصول الديانة وغيرها، ابن كثير البداية والنهاية 187/11، ابن العماد الشذرات 300/2، الزركلي، الاعلام 263/4.

(6) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة، 1281/4.

وقال الشيخ نصر الدين المقدسي⁽¹⁾ الشافعي المشهور في كتابه الحجة " له: إن قال قائل قد ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه الأئمة والعلماء والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة فأذكر مذاهبهم وما أجمعوا عليه من اعتقادهم وما يلزمنا من المصير إليه من اجماعهم، فالجواب أن الذي أدركت عليه أهل العلم ومن لقيتهم وأخذت عنهم ومن بلغني قوله من غيرهم فذكر جل اعتقاد أهل السنة وفيه أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه".⁽²⁾

وقال: "وقال الشيخ المتفق على إمامته وعلمه وصلاحه وكرامته أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي إن الله وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الاتقياء والأئمة من الفقهاء⁽³⁾، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين.⁽⁴⁾

وهكذا كان دأبه في نقله واستشهاده بأقوال العلماء والفقهاء في غير ما موضع من كتبه حتى أنه أحيانا يعرض للمسألة الواحدة أكثر من رأي وقول، مما ينم على أمانته ودقة نقله لأقوال العلماء ونصوصهم وحرصه على عزو أقوال العلماء وعباراتهم في نقوله واستشهاده بأقوالهم.

(1) نصر الدين المقدسي: هو نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي أبو الفتح ولد سنة 373هـ، وكان شافعي المذهب يعرف بابن أبي حافظ، من كتبه الحجة على تارك المحجة، ابن العماد، شذرات الذهب، 395، 394/3.

(2) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلية، 1285/4.

(3) المصدر نفسه 1285 / 4

(4) المصدر نفسه، 1291/4.

ثامناً - ثناء العلماء عليه، مؤلفاته، أسلوبه في الكتابة، وفاته.

1- ثناء العلماء عليه

أثنى أهل العلم على ابن قيم الجوزية ثناءً حسناً وأشادوا بعلمه، وخلقه، وعبادته وفضله على العلم والعلماء.

فقال ابن كثير: " كان ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستعته ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحاب الناس له وأحسن الناس إليه، ولا أعرف في زماننا أكثر عبادة منه".⁽¹⁾

وقال برهان الدين الزرعي: "وما تحت اديم السماء أوسع علماً منه"⁽²⁾

كان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيها وفي أصول الدين واليه فيه المنتهى وبالحدِيث ومعانيه وفكره ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك وبالفقه وأصوله والعربية وله فيه يد طولى وبعلم الكلام وغير ذلك، وعالماً بعلم السلوك وكلام أصل التصوف وإشاراتهم ومتونهم وبعض رجاله".⁽³⁾

وقال الصفدي: "واشتغل كثيراً، وناظر واجتهد كثيراً، واكب على الطلب، وصنف، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحدِيث والأصول، فقها وكلاماً، والأصول، والعربية ولم يخلف الشيخ العلامة ابن تيمية مثله"⁽⁴⁾.

وقال ابن حجر⁽⁵⁾: " كان جريء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف"⁽⁶⁾

وقال تلميذه ابن رجب: " كان رحمه الله - ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 14 / 134-135.

(2) ابن العماد، الشذرات، 6/167.

(3) المصدر نفسه، 6/168.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/271.

(5) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي المعروف بابن حجر (و773هـ-ت852هـ) الحافظ الكبير بمعرفة الحدِيث وعلمه، حصل علوم كثيرة واجتمع له ما لم يجمع لغيره من مؤلفاته فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ت852هـ، الشوكاني البدر الطالع، 1/118-119.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/138.

القصوى وتآله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبه عبوديته، لم أشاهد مثله، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا اعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان وليس هو المعصوم ولكن لم أر في معناه مثله".(1)

ابن ناصر الدمشقي(2): "وكان ذا فنون من العلوم، وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم"(3).

وقال الشوكاني: "العلامة الكبير المجتهد المطلق المصنف المشهور (...) وكان يقول بالصبر بالتيسير تنال الأمامة في الدين، وكان يقول لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه، وقال وله ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها (...) وله من حسن التصرف في الكلام مع العذوبة الزائدة وحسن السماع ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل اليه الأذهان وتحبه القلوب".(4)

فهذه جملة من شهادات العدول من أهل العلم تتفق جميعها على أن الإمام ابن قيم الجوزية كان فريد عصره، وزمانه علماً وعبادة، وخلقا فهذه هي صفة أهل العلم العاملين لهذا بارك الله فيهم ونفع بمعارفهم ونشر في العالمين كلمتهم.

2- مؤلفاته :

صنف الإمام ابن قيم الجوزية- رحمه الله - تصانيف كثيرة في مختلف العلوم والمعارف وقد ذكر جماعة من العلماء ممن ترجم له في كتبهم عدداً كبيراً من مؤلفاته، ومصنفاته وقد قام الشيخ بكر زيد(5) بمجهود مشكور حيث جمعها وحذف المكرر منها

(1) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 172/5

(2) محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن احمد القيس الدمشقي الشافعي شمس الدين الشهير بابن ناصر، حافظ للحديث ماهر به مؤرخ، ولد بدمشق سنة 727هـ، توفي 842 من كتبه افتتاح القارئ لصحيح البخاري والرد الوافر، الاعلام الزركلي 6/236-37، الشذرات 7/242-243.

(3) ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، 124.

(4) الشوكاني، البدر الطالع، 2/695-697.

(5) بكر زيد، ابن قيم الجوزية، حياته اثاره موارد، 199-309.

وأضاف ما تحصل من أسماء كتب ذكرها المؤلف في ثنايا كتبه ولم يذكرها أصحاب التراجم فبلغ مجموع هذه الكتب ثمانية وتسعون كتاباً، بعضها مطبوع وبعضها لم يطبع ولعل السبب هو عدم العثور على مخطوطاته، وما تسنى لنا الحصول عليه هو الذي بين أيدينا من الكتب المطبوعة والتي تنم عن غزارة إنتاجه وتنوع موضوعاته، التي تناولها المؤلف، فهو لم يترك باباً من أبواب العلم وغلا وكتب فيه، فكانت كتبه مراجعاً يستشهد بها طالب العلم لأنه موثق بالأدلة الشرعية والعقلية الصحيحة، نفعنا الله بعلمه.

أولاً: كتبه المطبوعة

أ. في الفقه وأصوله:

- إعلام الموقعين عن رب العالمين

- احكام أهل الذمة.

- الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية.

- تحفة المودود بأحكام المولود.

- الصلاة وحكم تاركها.

- الفروسية.

- اغائة اللهفان في طلاق الغضبان.

ب. في الحديث وعلومه:

- تهذيب سنن أبي داود وايضاح مشكلاته وعمله

- المنار المنيف في الصحيح والضعيف

ج. في السيرة

- زاد المعاد في هدى خير العباد وفيه ابجاث فقهية

د. في العقائد والفرق

- شرح أسماء الله الحسنى

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة

- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية
- الروح
- التبيان في مصائد الشيطان
- في الاخلاق والزهد والرقائق
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام
- علوم القرآن
- الأمثال في القرآن
- التبيان في أقسام القرآن
- بالإضافة إلى كتب اخرى مثل
- بدائع الفوائد
- الفوائد
- مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية أهل العلم والارادة
- الرسالة التبوكية
- طريق المهجرتين وباب السعادتين
- الوابل الصيب من الكلم الطيب
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
- فتاوى إمام المفتين.
- التفسير القيم، وهو عبارة عن جمع لتفسير بعض سورة القرآن في ثنايا كتبه.
- الطب النبوي.

- الفروسية.

ثانياً: الثناء على مؤلفاته

لاقت كتب ابن قيم الجوزية قبولا كبيرا في أيامه، كما هو الشأن في أيامنا، وذلك كما ذكرت لتنوع موضوعاتها وعمق المعالجة، والموضوعية، والجديد الذي يضيفه الشيخ على الموضوع الذي يتناوله بالبحث.

قال ابن ناصر الدمشقي واصفاً كتبه: " له التصانيف الأنيقة والتأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة"⁽¹⁾

ثالثاً: أسلوبه في الكتابة

امتازت كتابات ابن قيم الجوزية بعدة مزايا أهمها:

حسن الترتيب والسياق

إن من يقرأ مؤلفات ابن قيم الجوزية وكتبه يجد في أسلوبه من الخصائص الشيء الكثير مما يجعل القارئ يقبل على مؤلفاته وكتاباته، وذلك لما تمتاز به من حسن الترتيب والإبداع في التنظيم والسياق مما جعلها محل إعجاب وقبول⁽²⁾.

الجاذبية في أسلوبه

يتميز أسلوب ابن قيم الجوزية بعدة مزايا وخصائص، بحيث جعلت من مؤلفاته وكتاباته محط إعجاب وتقدير من جميع الناس، وذلك لما تميز به أسلوبه في الكتابة من الجاذبية وحسن الصياغة مع قوة

ابن قيم الجوزية في المعنى وعمق في الفكر مطعمة بجمال في اللفظ.

قال الشيخ بكر زيد: "شهد أنصار وخصومه على أن مؤلفاته - رحمه الله تعالى - تتصف بعذوبة اللفظ وقوة البيان وتبسيط المعلومات بأسلوب سمح خال من الجفاف والتعقيد مما أكسب القراء جاذبية غريبة لاقتناء كتبه، وقراءتها والاستشهاد بكلامه

(1) محمد بن أبي بكر ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، تحقيق، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط4، 2005 م، 124.

(2) بكر زيد، ابن قيم الجوزية حياته ونشأته وموارده، 115، 116.

مع وجود الصراع العقائدي بين منهجهم وما نشره ابن قيم الجوزية⁽¹⁾ وقد شهد له بذلك جملة من العلماء منهم.

يقول: الشوكاني⁽²⁾: "وله حسن التصرف في الكلام والعدوبة الزائدة وحسن السياق مما لا يقدر عليه غالب المصنفين"⁽³⁾.

وقال ابن حجر: "وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف"⁽⁴⁾.

كما يصف الشيخ بكر زيد أسلوبه، وخصائصه في التأليف بما يميزه عن غيره قائلاً: "إن من يقرأ بعضاً من مؤلفات ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في مباحثه العقدية والفقهية على حد سواء، يلمس منه نفساً شفافاً لها بصر وعناية، يتفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها، وحكمة الأحكام وأسرارها بما يشفي ويكفي ويجعل النفس في راحة وانشرح لما يبينه ويقرره وأن هذا هو ما تقتضيه أصول الشريعة المحمدية (...). وهذا من أعظم الأسرار في تفوق مؤلفاته"⁽⁵⁾.

تاسعا: وفاته

تتفق جميع الروايات التي ترجمت للإمام ابن قيم الجوزية على أن وفاته كانت ليلة الخميس في الثالث عشر من رجب وقت أذان العشاء سنة احدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة، وصلى عليه من الغد عقب صلاة الظهر بجامع دمشق الكبير الأموي ثم بجامع الجراح وقد ازدحم الناس على تشييع جنازته⁽⁶⁾. قال ابن كثير "وقد كانت جنازته حافلة - رحمه الله رحمة واسعة - شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة

(1) ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد، 115، 116.

(2) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن. 1173 هـ ونشأ بصنعاء وولي قضاءها ومات بها نيل الاوتار والبدر الطالع وفتح القدير وارشاد الفحول، ت. 1250 هـ، الزركلي، الاعلام 298/6.

(3) الشوكاني، البدر الطالع، 2/697.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، 5/139.

(5) بكر زيد، ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد، 115، 116.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنة، 5/140، وناصر الدين الدمشقي الرد الوافر، 124، الشوكاني، البدر الطالع، 2/697.

وتزاحم الناس على نعشه، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند والديه رحمهم الله جميعاً⁽¹⁾.
خلاصة:

ظهر لي بالجملة إن للعصر الذي كان يعيش فيه ابن قيم الجوزية أثر واضح في تحديد ملامح شخصيته وتكوينه العلمي، بدءاً من أسرته التي كانت تمثل الجو العلمي الرائق لهذه الشخصية المتميزة بين أهل زمانه وعصره، ثم انتقاله إلى أحضان كبار الشيوخ والعلماء المميزين، الذين ساهموا بشكل كبير وعظيم في نشأته العلمية من أمثال شيخه ابن تيمية - رحمه الله - الذي تأثر به كثيراً واقتفى أثره في كثير من الأمور والمسائل مبدياً إعجاباً به حتى صار له مكانة علمية عظيمة جعلت منه قبلة لكثير من طلاب العلم ورواد المعرفة، فالتف حوله عدد كبير من التلاميذ المشاهير أمثال ابن كثير وابن رجب، والذهبي الذين شهدوا له في مؤلفاتهم وتراجمهم بفضلهم وعزارة علمه وكثرة مصنفاًته، كما شهدوا له بفطنته وقدرته على الاستنباط والتحليل باستخدام الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، التي تمثل أبرز خصائص منهجه العلمي الرصين الذي يدعو له ومن خلاله إلى التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما، وذي التقليد الذي يحمل المقلد إلى ترك ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لقول مقلده، واجتهاده في محاربة الإنحراف في العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة في باب العقيدة الصحيحة والسليمة، وإدراك مقاصدها وحكمها وأسرارها العظيمة.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 14/234.

الفصل الثاني: المقاصد العقائدية

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقائدية.

المبحث الثاني: مقاصد الإيمان بالله تعالى

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقائدية أولاً: تعريف المقاصد لغةً:

المقاصد في اللغة: هي جمع مقصد بكسر الصاد ومنها قصد الطريق قصداً، استقام (...) وله وإليه توجه عاقداً، والقصد إتيان الشيء، قال صاحب لسان العرب: "قال ابن جنى"⁽¹⁾: أصل "قصد" ومواقعها في كلام العرب، الاعتزام والتوجيه، والنهوض والنهود نحو الشيء على اعتدال كان أو جور، هذا أصله في الحقيقة وإن كان يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى؟ فالاعتزام والتوجيه شامل لهما.⁽²⁾

إذا فأصل القصد هو العزم والتوجه نحو الشيء.

وللمقاصد معان أخرى منها:

- الاستقامة

كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ۝٩﴾ [سورة النحل:9] أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ومنها طريق قاصد سهل مستقيم، وسفر قاصد سهل قريب⁽³⁾، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ۝٤٢﴾ [سورة التوبة:42]. وبناء على القول بالإستقامة في أصل معناها هي الغاية والمقصد التي دل عليها القرآن الكريم ودعى إليها عباده المؤمنين.

- الاعتماد والأتم

(1) هو أبو الفتح بن جنى الموصللي النحوي المشهور، ولد سنة 330 هـ وكان اماما في العربية قرأ الأدب على الشيخ ابي علي الفارسي من مصنفاته الخصائص، وسر الصناعة... توفي 392هـ، وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق حسان عباس، دار صادر بيروت، 246/3، 247.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 379/7، ومحمد احمد الفيومي، المصباح المنير، دار الحديث القاهرة، ط2، 2003م، 300.

(3) ابن منظور لسان العرب، 377/7، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، 9 / 35

أي بمعنى إتيانه، والتوجه إليه كقولك قصدته وقصدت له، وقصدت إليه⁽¹⁾.
وقصدت قصده: نحوت نحوه.⁽²⁾

- الاعتدال:

وهو الوسط بين الطرفين، لا إفراط، ولا تفريط، ومنه الاقتصاد في المعيشة اي عدم الإسراف، وعدم التقدير⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء:29]. والقصد في الحكم، العدل فيه قال تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء:58] والقصد في المشي الاعتدال، أي إذا مشى مستويًا، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [سورة لقمان:19]⁽⁴⁾.

1- معناها اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح فإن علماء الأصول الأوائل لم يهتموا بتعريف المقاصد ووضع حدا لها كما يجري اليوم عند المحدثين والمعاصرين من الأصوليين، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما ذكره الاستاذ أحمد الريسوني: في كتابه "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي⁽⁵⁾ إلى أن الشاطبي "إنما هو يخاطب الخاصة من الناس من لديهم إدراك وفهم لمعاني الشريعة وأسرارها⁽⁶⁾ وقد استند الريسوني على ما ذهب إليه الشاطبي في كتاب (الموافقات) قوله: "ولا يسمح بالناظر في هذا الكتاب ان ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد

(1) الزبيدي، تاج العروس، 9 / 35، ابن فارس معجم مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2001، 404.

(2) الجوهري، صحاح العربية، 86/3.

(3) الزبيدي، تاج العروس، 9 / 35.

(4) ابن منظور، لسان العرب ج7/ 377، 378.

(5) ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصول حافظ من اهل غرناطة كان من أئمة المالكية من كتبه الموافقات في أصول الفقه، والمجالس شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، والافادات والانشاءات، رسالة في الادب، والاعتصام وغيرها، ت790هـ، 1388م، ج1/75.

(6) احمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دار الكلمة، ط1، 2010 م، المنصورة، 5.

حتى يكون ريان من علم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها، ومعقولها، غير مخلط إلى التقليد والتعصب للمذهب".⁽¹⁾

هذا من جهة، ومن جهة أخرى حسب اعتقادي، أن الكتابة في المقاصد تحديدا ما زالت في طور النشأة ولم تحض بالاهتمام الكافي في وضع حد لها إنما تدرك بالفهم من خلال النصوص على عادة أهل عصره وزمانه ممن يكتبون في أصول الدين والشريعة.

أما المُحدّثين من الأصوليين والفقهاء فقد عرفوا المقاصد بتعريفات، واستعمالات شتى مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى فأذكر من ضمن هذه الاستعمالات والمعاني ما يلي:

1. الأهداف والحكم: فمن استعمالات المقاصد بهذا اللفظ قول الإمام الجويني⁽²⁾،

"ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة"⁽³⁾ والمعنى أن الشريعة وضعت لأهداف، وحكم لا يدركها إلا من كان على بصيرة من ربه متجلية في الأوامر والنواهي الشرعية للمكلفين.

2. الغاية والأسرار: قول علال الفاسي⁽⁴⁾ "المراد بمقاصد الشريعة - الغاية - والأسرار، التي وضعها الشارع وغاية كل شيء مقصده"⁽⁵⁾.

(1) الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، 87/1.

(2) هو عبد الملك بن يوسف بن محمد إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي، كان إمام الأئمة ولد سنة 419هـ، نفقة على والده كان عالماً بالفقه والأصول والخطابة والتدريس، وكان يحضر الأكابر والجمع العظيم من الطلبة درسه، تفقه به جماعة من الأئمة من مؤلفاته، نهایة المطلب في دراية المذهب، والإرشاد في الأصول، البرهان... طبقات الشافعية 449-646/1، الذهبي، العبر في أخبار من عبر. 12/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 128/12.

(3) الإمام الجويني، البرهان في علوم القرآن، تحقيق سمير مصطفى، دار احیاء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

(4) هو علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبدالله بن المجدوب الفاسي الفهري، زعيم وطني من كبار الخطباء العلماء في المغرب ولد في فارس وتعلم بالقرويين 1326-1394هـ، 1908م-1974م، الزركلي الاعلام 246/4.

(5) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكازمها، منشورات مؤسسة علا، بيروت، ط 5، 2008، 7.

3. المعاني والحكم: ومنها قول الشيخ الطاهر بن عاشور⁽¹⁾ "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"⁽²⁾ ويوضح الأستاذ أحمد الريسوني ذلك بقوله: "والمقصود بالأسرار الحقائق والدقائق العميقة التي تحتاج إلى نظر وسداد جهد، والتفوق في علوم الكتاب والسنة والغوص في أعماقها، لأن العلم عبادة وجهاد، فهناك من يجاهد بالحفظ، والرواية وهناك من يجاهد بالنظر والدراية"⁽³⁾.

ولعل التعريف الجامع لكل المفردات السابقة كان للأستاذ أحمد الريسوني: فقد عرفها بقوله: المقاصد هي "جمع مقصد، والمراد بالمقصد هنا المعنى والهدف والغرض الذي قصده الشارع، فهو مقصد له، ومقصوداً له أيضاً"⁽⁴⁾. ثم زاد المعنى بياناً وتوضيحاً فقال: "ومعنى هذا أن مقاصد الشريعة تمثل مراد الله وغاية ما كلف به عباده وما شرعه لهم فهي بمنزلة الثمرة من الشجرة"⁽⁵⁾.

لذا كان من الحكمة البحث عن الأسرار والحكم والغرض الأساسي الذي من أجله شرعت الأحكام والعلل، فمن خلال التتبع والاستقراء لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد المتخصص أنها جاءت بهدف تحقيق مراعاة مصلحة العباد في الدنيا والآخرة، وذلك بجلب المصالح لهم ودرء المفسد عنهم فكل أمر جاء به الشرع الحكيم أو فعل نهى عنه فيه صلاحهم وفلاحهم.

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: "الشريعة مبناها وأساسها على الحكمة

(1) محمد الطاهر بن محمد عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس مولده ووفاته ودراسته بها ومن مصنفاته مقاصد الشريعة، أصول النظام الاجتماعي، التحرير والتنوير، توفي 1393هـ، الزركلي الاعلام 174/6-175.

(2) الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط2، 2001م، 251.

(3) احمد الريسوني، محاضرات في مقاصد الشريعة، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010م، 26، 27.

(4) المرجع نفسه، ص:9.

(5) أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، دار الكلمة للنشر المنصورة، 2009م، 17.

ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة" (1) فمقصد الشريعة عنده يقوم على مطلق العدل والرحمة والمصلحة والحكمة البالغة ولا يمكن أن يخرج عن هذه الأمور التي جاء بها الشارع الحكيم وقررها لرسوله الكريم للعمل بها "فالشريعة الصادرة عن امره مبناهما على الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوث بالكتاب والحكمة، والحكمة هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم" (2). الجامعة لكل معاني الخير التي فيها مصالح العباد، وقال القرطبي (3): "لا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية" (4).

فالغاية من إرسال الرسل كما أخبر سبحانه وتعالى يتجلى في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 107]، "فالقصد من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشرية، وعمارة الأرض، وطريقته لذلك هي التربية بالحكمة والتعليم بالإرشاد لمصادر المعرفة، فهو يدعو قبل كل شيء، إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، والاعتقاد في ألوهيته، وليصلح ما فسد من عقائد الدين وينفي كل تحريف، وقع في شرائع الأنبياء، مقيماً على ذلك من الحجج العقلية، والبراهين الكونية ما يفتح باب الفكر والنظر ما يزيل كل غواية وضلال، ويعلم الإنسان عدم قبول إدعاء ما لم يقيم عليه دليل وتلك أعظم الخطوات في تحرير الإنسان ورفع مستواه العقلي والاجتماعي" (5).

(1) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، 3/3.

(2) ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين وباب السعادتين، إشراف عبد المنعم العاني، مكتبة الحياة، 1980م، ج 126.

(3) هو محمد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي كان من الأئمة العارفين شهد له بالتقوى والعلم من مصنفاته الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وغيرها، ت. سنة 671هـ، الداودي طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت 70/2.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، إبراهيم اطفيش، دار الشام بيروت، ط 3، 69/2.

(5) عمال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، 88.

ومن هنا تتجلى أهم مقاصد العقيدة، وأسرارها كما يقول الإمام، أبو حامد الغزالي⁽¹⁾ في كتاب "قواعد العقائد" من الإحياء "فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها، وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة، فلا مفتاح له إلا المجاهدة، وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى.⁽²⁾

وبذلك تتجلى حقيقة العقيدة في أسمى معانيها من خلال إدراك أسرارها ومقاصدها، وهي تحقيق التوحيد الخالص له سبحانه وإخلاصه في عبادته، وقصده وحده مع توجيه الأسباب التي تعين على ذلك، ثم التجرد من كل ما من شأنه أن يحول دون تحقيق أسباب الوصول إلى الغاية التي من أجلها خلق الإنسان.

2- معنى العقيدة:

العقيدة لغة: عقد: العين والقاف والdal أصل واحد، يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها⁽³⁾ فمادة "عقد" في مختلف استعمالاتها تدل على التصميم والعزم، والصلابة، "يقال عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد واعتقد الشيء أي اشتد وصلب واعتقد كذا بقلبه"⁽⁴⁾ وكذلك تدل على التوكيد والتوثيق والإبرام، سواء كان ذلك في الجانب الحسي أو الجانب المعنوي، "واعتقد الأمر أي صدقه". ومنه التصديق⁽⁵⁾. "تصديق في القول وتصديق في العمل ومحل القول القلب، ومنه قول: "واعتقدت كذا: أي عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل: العقيدة هي ما يدين

(1) هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، أحد أئمة الشافعية برع في التصنيف والترتيب، والتقريب والتعبير، والتحقيق، وبرع في علوم كثيرة في فنون متعددة من مصنفاته، أحياء علوم الدين، المستصفى، ولد سنة 450هـ، وتوفي سنة 505هـ، طبقات الشافعية، 510/2، 511، الذهبي، العبر في أخبار من عبر، دار المطبوعات، الكويت 1960، 43/2.

(2) أبو حامد الغزالي، أحياء علوم الدين، دار السلام، ط3، 2007م، 118/1.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 147/2.

(4) الجوهري، الصحاح، 72/3.

(5) إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، 614/2، الزبيدي تاج العروس حققه جمع من المحققين، دار الهداية، 403-404، المصباح المنير، 326.

الإنسان به، وله عقيدة حسنة"⁽¹⁾ ومن هنا فإن العقيدة في اللغة تطلق على الأمر الذي يعقده الإنسان على "قلبه وضميره بحيث يصير عنده حكماً لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"⁽²⁾ لأنه لما كان العقد في اللغة هو الجمع بين أطراف الشيء فكان المعتقد قد جمع أطراف قلبه وعقد ضميره على معتقده، فأحكم وثاقه بالأدلة لديه والبراهين القاطعة على معتقده حتى يكون هذا الاعتقاد على أثر ظاهر من الإذعان والخضوع له، فأشبهت العقيدة العهد المشدود والعروة الوثقى، لاستقرارها في القلب ورسوخها في الأعماق. فكلمة العقيدة كما تبين تدل على الاعتقاد الصحيح المصحوب بالجزم واليقين والانقياد والإذعان الخالي من كل شوائب الشرك وأدرانته.

ثانياً: معنى العقيدة اصطلاحاً:

فقد عرفها علماء العقيدة بعدة تعريفات عدة منها ما هو على وجه العموم ومنها ما هو على وجه الخصوص :

1- ما كان منها على وجه العموم:

العقيدة: "هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفترة يعقد الإنسان عليها قلبه ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون"⁽³⁾.

وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود رب خالق مدبر لهذا الكون يراقبه ويرعى شؤونه ويسير أموره وفق مشيئته وإرادته، اعتقاد صحيح قائم على الفطرة والأدلة العقلية والنقلية توجه معتقده توجيهها سليماً من كل شائبة قد تشببه وكاعتقاده بأمور أخرى كالبعث بعد الموت، وأن هناك حياة أخرى أفضل من هذه الحياة فيها يحاسب الناس على أعمالهم، فيجازى فيها الكافر على كفره والمفرط على تفريطه، ويثاب فيها المؤمن على إيمانه، والمحسن على إحسانه.

(1) الفيومي، المصباح المنير، 421/2.

(2) المعجم الوسيط، 614/2.

(3) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، دار الكتب المصرية، ط1، 2007، 15.

ومن معانيها على وجه العموم

"الإيمان بوجود الله ووحدانيته وأن لا سلطان حقيقيا في الكون غير سلطانه ولا قوة قاهرة غير قوته، ولا ملك غير ملكه، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز وجل يمنحه حيث يشاء، ويسلبه حيث يشاء، وأنه الرقيب على عبادة كلهم وسيبعثهم بعد الموت، فيحاسب كل على ما كسب أو اكتسب، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"⁽¹⁾.

- ومنها أن "العقيدة هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريب، فهي بمعنى الإيمان يقال: اعتقد كذا أي آمن به، والإيمان بمعنى التصديق، يقال: آمن بالشيء أي صدق به تصديقاً لا ريب ولا شك معه"⁽²⁾.

- ومنها "العقيدة هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، هذا على جهة العموم"⁽³⁾.

2- أما من جهة الخصوص.

فالعقيدة الإسلامية: "فهي الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته، وكل ما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور القلبية والعملية، والقولية، وأيضاً مناهج الحياة، بل ويشمل ذلك جانب التعامل مع الآخرين وهذه نقطة مهمة، لأن كثيراً من الذين يتناولون أمر العقيدة يغفلون أو ربما يذهلون عن أن ثمره العقيدة هي التعامل الظاهر"⁽⁴⁾.

ومنها: "ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به سواء كان حقاً أو باطلاً"⁽⁵⁾.

ومنها: "هي المحرك إلى العمل كعقيدة المسلم في وجود الله وصدق الرسل"⁽⁶⁾.

(1) محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيّات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط8، 1982م، ج67.

(2) سيد سابق العقائد الإسلامي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط10-2000م، ج9.

(3) علي بن نايف السحود، الخلاصة في خصائص العقيدة، ط1، 1430هـ/2009م، ماليزيا، 4.

(4) علي بن نايف السحود، الخلاصة في خصائص العقيدة، مرجع سابق/4.

(5) علي جمعة، عقيدة أهل السنة والجماعة، دار المقطم، القاهرة، ط1، 2011م، 9.

(6) نفس المرجع/9.

فهذه جملة من التعريفات: تكاد تتفق جميعها فإن العقيدة هي المعنى المرادف للإيمان في حين أن هناك اختلافا بين المفهومين مفهوم العقيدة ومفهوم الإيمان أي أنه لا ترادف بينهما فالعقيدة جزء من الإيمان، وأحد عناصره الأساسية وليست مرادفة للإيمان حيث أن الإيمان يشمل ثلاث عناصر أساسية: اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

والعقيدة هي العنصر الأول من عناصر الإيمان، وهو اعتقاد القلب حيث يعد هذا العنصر هو أساس الإيمان، وأصله فهو عمل باطني متعلق بالقلب، لذلك لعله كان التعريف الأول هو أنسب التعريفات في العموم في تحديد مفهوم العقيدة. ومن ثم تحديد مفهوم مقاصد العقائد من خلال ما سبق هي الأسرار والحكم المتعلقة بكل جزئية من جزئيات العقيدة الإسلامية بصورة مفصلة، والتي يجب على المؤمن إدراكها ومعرفة مراد الشارع منها.

ثالثا: أهمية العقيدة

لا بد لكل بناء مادياً كان أو معنوياً من أساس يقوم عليه والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم بكل جوانبها منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته وهذا البناء يقوم على أساس متين وهو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الله وتوحيده منطلقاً إيمانياً لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: 162]، فالإسلام يعني بالعقيدة ويولها أكبر عناية واهتمام سواء من حيث ثبوتها بنصوص الكتاب والسنة ووضوحها أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها، فهي تمثل القيمة الحقيقية والأساسية للإنسان في حياته الدنيا والآخرة، فالإنسان بلا دين ولا عقيدة لا قيمة له ولا يمكن أن تتحقق العبادة إلا بالعقيدة السليمة، لذلك تكمن أهمية العقيدة في النقاط التالية:

1. الدين ضرورة

فأهمية العقيدة للإنسان في عمومها تكمن في "كون الدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجات نفسه فلا غنى له عن الإيمان بربه، وعن عبادته بحال من الأحوال"⁽¹⁾.

(1) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن ، 17.

2. توفير الأمن والأمان

من حق لنفسه التوحيد الخالص من كل شوائب الشرك وأدراجه كان ذلك أماناً له في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: 82].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "إن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الأمر والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم ومن يلبس إيمانه كان من أهل الأمن والأمان كما كان من أهل الاصطفاء"،⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فاطر: 32-33].

فالعقيدة الصحيحة ضرورة ملحة للإنسان فهي تحقق له الأمن الديني في كل ما يتعلق بشؤون حياته الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وترصد له الأمن والأمان الأخروي وهو النجاة من النار والفوز بالجنة.

3. معرفة الله ومحبه

إخلاص الدين لله تعالى لا يبلغ كماله، إلا بإخلاص المحبة لله تعالى والمحبة لا تكتمل إلا بمعرفة الله والعقيدة تقدم للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في الله تعالى. قال ابن قيم الجوزية- رحمه الله تعالى -: " من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة"⁽²⁾.

4. تحقيق الحرية

إن تحقيق الحرية غاية قصوى تطمح إليها كل نفوس البشر ولا يمكن لهذه الحرية أن تتحقق وأن يصل الإنسان إلى مبتغاه إلا بإفراجه سبحانه بالوحدانية فإن "إفراجه الله

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، خرج أحاديثه أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 47.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 223/2.

تعالى بالوحدانية والتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحرية الحقيقية التي يسعى إليها، فلا يكون إلا عبداً لله وحده لا شريك له، فتصغر بذلك جميع المعبودات من غير الله وتصغر العبودية للمادة والانقياد للشهوات، فإن العقيدة ما أن تتمكن من قلب المسلم حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى والذل إلا لله⁽¹⁾ لذا لما تقررت عقيدة لا إله إلا الله في القلوب تطهرت الأرض من كل سلطان جائر إلا سلطان الله تعالى، وتطهرت المجتمعات الإنسانية من كل أنواع الظلم وأجناسه، وقام النظام الإسلامي على ميزان العدل، فتطهرت النفوس والأخلاق وزكت القلوب والأرواح، وقامت الرقابة الذاتية في الضمائر، وبات الطمع في رضى الله تعالى وثوابه والحياء والخوف من غضبه وعقابه فارتفعت البشرية في نظامها وأخلاقها إلى القمة السامقة والتي لم ترتفع إليها من قبل إلا في ظل الإسلام.

5. مصدر العواطف

إن للدين تأثير أعلى المشاعر والأحاسيس، فغرس العقيدة في النفوس غرساً صحيحاً من شأنه أن يؤتي بثماره الطيبة على حياة الأفراد والجماعات في المجتمع والامة فيكونون في مقدمة أمة في الدعوة إلى الخير والفضيلة.

إذ "إن العقيدة مصدر العواطف النبيلة ومغرس المشاعر الطيبة ومنبت الأحاسيس الشريفة فما من فضيلة إلا تصدر عنها، ولا صالحة إلا ترد إليها، والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات إنما يذكر العقيدة في طليعة أعمال البر كأصل تتفرع عنه، وكأساس تقوم عليه"⁽²⁾.

6. مصدر القوانين الضابطة

خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه من الغرائز والرغبات ما يناسب طبيعته وخلقته كإنسان ويميزه عن غيره من المخلوقات ويجعله مسؤولاً أمام ربه بضبط غرائزه والحد منها بما يتماشى مع دوره ورسالته أمام ربه وخالقه، لذا كان هذا "الإنسان بحاجة ماسة وملحة إلى قوانين ضابطة تعدل من غرائزه، وتنظم سلوكه وتحدد اتجاهاته وتهيئه

(1) علي بن نايف الشحود، الخلاصة في خصائص العقيدة، 8.

(2) سيد سابق، العقائد الإسلامية، 12.

للكمال الذي خلق مستعداً له في كلتي حياتيه: الأولى هذه التي بعضها قصيرة على هذه الأرض والثانية التي تتم له في عالم غير هذا العالم (...) وإنما في عالم الطهر والصفاء (...) غير أن تلك القوانين المطلوبة لتعديل غرائزه، وتنظيم سلوكه، وتحديد اتجاهاته في الحياة، لا توجد وهيئات هيئات أن توجد في تشريع غير رباني، لا دخل لأهل الأرض في وضعه وشرعه، إذ لا يعرف الإنسان بعواطفه وأشواقه ولواعج نفسه وبأفكاره وآماله و متطلعاته، ولا يقوى على توفيته مطلوبه من ذلك كله إلا الله خالقه، فهو إذا وحده الذي يحق له أن يضع له القوانين والشرائع والأديان ما يكمله به، ويعده للكمال والسعادة الأبدية الخالدة.⁽¹⁾

وهذا أمر بديهي في وجود هذا المنهج المتكامل في ضبط وتوجيه سلوك البشر والارتقاء به إلى أعلى درجات البناء الإنساني الكامل، ذلك لأنه يصدر عن الذات الإلهية المتصفة بالكمال المطلق والمنزهة عن النقص.

"وقد ادرك حديثا الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان فبدأوا يتحدثون عنها تحت عنوان "أيدولوجيات" ولكنهم ما استطاعوا ان يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً لا يضاهيه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي ايدلوجي يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم"⁽²⁾.

7. بناء الشخصية

التحرر من قيود البشرية والانطلاق إلى فضاء أرحب وأوسع، وهو فضاء العبودية الإلهية الخالصة لوجهه تعالى، والقادر على تحقيق ذاته، وبناء كيانه وتكوين شخصيتها الإسلامية المتميزة والقادرة على تخطي المحن والصعاب، والتضحية بالنفس والجود بالمال في سبيل دينه وعقيدته، وأي عقيدة تلك التي يضحى من أجلها ويقدم لها النفس والغالي؟! لا شك " إنها عقيدة التوحيد التي صنعت الرجال في كل زمان سل التاريخ عنهم قبل بعثة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وبعده سل، عن الذين اصطفاهم الله من بين خلقه من النبيين والرسل الكرام عليهم السلام (...) سل القرآن

(1) ابو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، 18.

(2) عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية، وأسسها، دار القلم، دمشق، ط15، 2010م، 30.

عن إيمانهم ومواقفهم وثباتهم وتضحياتهم سله عن زكريا وعن يحيى وعيسى (...)
وقف متأملاً حال سحرة فرعون وكيف صنعت عقيدة التوحيد فيهم وهم الذين ما
عرفوا لهم قبلها ربا إلا فرعون، فأقسموا بعزته واحتموا، بقوته، وافتقروا إليه فلما دخل
الإيمان قلوبهم صاروا رجالا وهانت عليهم أرواحهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا حين هددهم أطغى الطغاة".⁽¹⁾

فالعقيدة كما رأينا "تنزل بالمتألهين والمتكبرين من عليائهم و جبروتهم، وتحجزهم
عن التناول عن الآخرين وترتفع بالمستضعفين من مناح الذل والصغار الذي فرض
عليهم إلى صعيد الحرية والكرامة، وتعيد إلى كيانهن المسلوب مشاعر العز والاباء
والقوة"⁽²⁾.

8. مصدر الفضائل

المطلوب من كل مسلم أن يكون متحلياً بفضائل الأعمال متنزهاً عن الرذائل
والنقائص فجوهر الإسلام ورأس الأمر فيه أن يكون المسلم كما أراد الله له أن يكون
من عباده المؤمنين الأتقياء الأنقياء، والعقيدة الإسلامية هي المصدر لهذه الفضائل
والقيم "فالعقيدة تغرس في نفس الإنسان الاستقامة وتكسبه روح الانضباط
والمسؤولية وتبعث في نفسه السعادة والطمأنينة"⁽³⁾.

9. صقل الشخصية

تكمن أهمية العقيدة في صقل الشخصية الإنسانية بالتربية الاخلاقية، وهي
إحدى سمات الإسلام وركيزة من ركائزه الأساسية السامية، "تميزها عن سواها وتجعل
منها النموذج الأمثل في الفضائل والشمائل، ومن ثم يصبح خليفة برسالتها في الحياة وهي
العبودية لله وحده، والعمل وفق ما يأمر به وينهي عنه"⁽⁴⁾.

(1) جمعة أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، مراجعة وتقديم محمد نجيب بخيت، دار الدعوة،
ط3، 2007 م، 20-21.

(2) كبرى اليقينيات، محمد رمضان سعيد البوطي، 68.

(3) محمد أحمد الخطيب، محمد عوض الهزائم، دراسات في العقيدة الإسلامية، دار عمان الاردن، ط6، 2001 م،
14-15.

(4) محمد الدسوقي، دعائم العقيدة في الإسلام، منشورات كلية الدعوة طرابلس، ط1، 1990 م، 61.

10. تدفع إلى العمل الجاد المثمر

إن مهمة الإنسان في الدنيا ووظيفته في هذه الحياة هو إعمار الكون باستثمار كل طاقاته وإمكاناته التي وهبها إياه المولى عز وجل بعد أن استخلفه في الأرض وخلق له لعبادته والدعوة إليه بإخلاص "والمسلم في حياته كلها يستشعر أنه يؤدي رسالة الله تعالى بتحقيق شرعه في الأرض، فعقيدته تدفعه إلى العمل الجاد المخلص لأنه يعلم أنه مأمور بذلك وأنه مثاب على كل ما يقوم به من عمل جل في ذلك العمل أم صغر، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النجم: 39-40].⁽¹⁾

رابعا: خصائص العقيدة الإسلامية:

تمتاز العقيدة الإسلامية بخصائص عدة ومزايا كثيرة، أبرزها أنها:

1- ربانية:

والمعنى أن المؤمنين يستمدون عقيدتهم من أصولها الصحيحة القرآن والسنة، فالوحي هو الأصل المعتمد في تقرير مسائل الاعتقاد، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قال: " ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدون"⁽²⁾.

2- الشمولية:

بمعنى أنها شاملة لجميع القضايا الكبرى في هذا الوجود، ومفسرة لها، مثل قضية الألوهية والكون والإنسان ، والنبوت والغيبيات، فهي عقيدة لا تقبل التجزئة ولا الانقسام، فهي كل واحد لا يتجزأ، والإيمان بشموليتها يشمل شتى مناحي الحياة، وجميع مجالاتها، فكل ما يتعلق بحياة الناس، أفراداً أو جماعات عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً ، "ففي مجال الاعتقاد تشمل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبیین والكتب السماوية والقدر خيره وشره ، وفي مجال العمل ، تشمل العمل بالدنيا والآخرة في ذات الوقت، وفي

(1) علي بن نايف الشهود، الخلاصة في مسائل العقيدة 7/، 8.

(2) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، 67/3.

مجال الكائن البشري، تشمل حركة جسمه وفكره وروحه وفي مجال المجموع البشري تشمل الفرد والجماعة والأمة والدولة في ذات الوقت، وفي مجال العلاقات تشمل علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه، وعلاقته بغيره في داخل الأسرة، وفي داخل المجتمع، وفيما بين المسلمين وغير المسلمين، وفي ما بين الإنسان والكون كذلك⁽¹⁾ وباختصار فهي عقيدة شاملة كاملة صالحة لكل زمان ومكان.

3-الثبوت:

تمتاز العقيدة الإسلامية بأن حقائقها ثابتة ، فهي ليست نظريات من وضع البشر، ولا فلسفات صاغوها بتخيلاتهم وظنونهم وأوهامهم ، بل هي عقيدة محددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبديل، وذلك لكونها "منزلة من عند الله وقصد انقطع الوحي بالتحاق الرسول -صلى الله عليه وسلم* بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر"⁽²⁾.

4-الوضوح:

تمتاز العقيدة الإسلامية بخلوها من التعارض والتناقض، والغموض والتعقيد في ألفاظها ومعانيها ، بل إنها من الوضوح بمكان أنها سهلة الفهم والاستيعاب، لا يوجد فيها ما يشوش الفكرة أو يحير العقل في فهمها، فالدارس لها والباحث فيها يجد فيها من اليسر والسهولة ما يناسب العقل السليم والترابط والوحدة ، بين جميع موضوعاتها لأنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بينه يديه ولا من خلفه ومن كلام رسول - صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهولا، فهي عقيدة تتلخص "في أن لهذه المخلوقات إله واحد مستحقاً للعبادة هو الله تعالى الذي خلق الكون البديع المنسق، وقدر كل شيء فيه تقديراً، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه، ولا صاحبة ولا ولد"⁽³⁾.

(1) خصائص العقيدة الإسلامية، نايف الشحوذ، 77، 78.

(2) المصدر نفسه، 29.

(3) خصائص العقيدة الإسلامية، نايف الشحوذ 42.

5- الغيبية:

وهي إحدى خصائص العقيدة الإسلامية، لقيامها على التسليم بوجود الغيب، فالإيمان بالغيب من الركائز الكبرى في هذه العقيدة، ذلك أن كثيراً من أركانها وأصولها يقع في نطاق الغيب، كما أن الأمور الغيبية التي قامت عليها العقيدة غير متناقضة مع العقل، فالإيمان بالغيب من خصائص المؤمن بصفة عامة بعيدة عن الشكوك والشبهات، يقول ابن قيم الجوزية: "قبول ما غاب من الحق وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسوله من أمور المعاد، وتفصيله، واللجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك من تشقق السماء، وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك من الأمور: كالبرزخ ونعيمه، وعذابه، فقبول هذا كله إيماناً وتصديقاً هو اليقين بحيث لا يخالف القلب فيه شبهة ولا شك، ولا تناسٍ ولا غفلة"⁽¹⁾.

6- الفطرية:

إن العقيدة الإسلامية، لا تناقض الفطرة السليمة، بل هي على وفاق تام وانسجام تام معها، قال ابن قيم الجوزية: "فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار، واتفاق السلف على ان الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته والإقرار به، ومحبته والخضوع له، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها"⁽²⁾. وقال أيضاً مؤكداً وبيناً على فطرية هذه العقيدة وسلامتها ما لم يوجد عارض يوجهها إلى غير وجهتها الصحيحة: "بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محال فارتضاعه ضروري فإذا لم يوجد معارض، وهو مولود على ان يرضع، فكذلك هو مولود على أن يعرف الله حق المعرفة ضرورية لا محال إذا لم يوجد معارض"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 123/2.

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي؛ فاروق حسن الترك، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1427هـ-2006م، 886.

(3) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، 886.

7-الوسطية:

تمتاز العقيدة الإسلامية بالوسطية، فهي لا تميل إلى الغلو والزيادة والإفراط، ولا إلى التفريط والنقصان والجفاء، وإنما تقف موقف الوسط والاعتدال في جميع القضايا الإيمانية والاعتقادية الكبرى، فالوسطية في هذه الأمة، أمر عزيز لا يظفر به إلا من وفقه الله وأعان عليه، فتمسك به، تمسك العاض عليه بنواجذه خوفاً من الوقوع في براثن الشيطان ومكائده، فهو حريص على إغراء بني آدم وإظلالهم وصرفهم عن جادة الطريق "قال ابن قيم الجوزية: قال بعض السلف ما أمر الله بالأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"⁽¹⁾.

فمن كیده بهم في قضية العقيدة والتوحيد "قصر بهم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم، وقصر بقوم حتى اعتزلوهم بالطاعات والجماعات وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي، وقصر بآخرين حتى نفوا حقائق أسماء الرب وصفاته وعطلوه منها، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه، وقصر باليهود بالمسيح حتى كذبوه ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه، وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله إله يعبد مع الله، وقصر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب وعدوها فضلاً أو فضولاً"⁽²⁾.

إلى غير ذلك كثير مما فيه غلو وإفراط وتفريط ومجاوزة الحد في دين الله كما يقول ابن قيم الجوزية: "فدين الله بين الغالي فيه والجاهلي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين وقد جعل الله هذه الأمة وسطاً وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط"⁽³⁾.

خامساً مصدر تلقي العقيدة

إن مصدر تلقي العقدة هو كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، فالقرآن

(1) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 105/1.

(2) المصدر نفسه، 106.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 56/1.

الكريم هو المصدر الأول بعد سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من مصادر تلقى العقيدة بكل دقائقها وتفصيلها، ودلائلها، وصورها وما يضادها من صور الباطل وفساده، عن طريق رسل الله "فجل عقائدنا التي نعتقد بها في ديننا قد جاءتنا عن طريق الوحي، ونطق بها الرسول الصادق المؤيد من الله بالمعجزة فكانت أول مهمة يحملها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم" هي دعوة الناس إلى أصول العقائد، وأسس الإسلام، وعبادته، وهذه الأمور هو ما يسمى بأصول الدين⁽¹⁾.

وهو ما دعت إليه كل رسل الله وأنبيائه - عليهم صلوات الله وسلامه - شعارهم في ذلك الصدق والإخلاص في تبليغ دعوتهم إلى الناس "فرسل الله الكرام يبلغون المعارف التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها الموحى بها إليهم، لتكون لهم منهاجاً، وأسلوباً في حياتهم الدنيا، فيسعدوا وتطمئن نفوسهم، وتطيب حياتهم (...). فإن للمعارف المحترمة مصادر معينة لا يعول على ما وراءها.

فإذا كان مصدرها إنسانياً فيجب أن تنبع من ثنايا المنطق التجريبي أو الرياضي كما هو حاصل الآن في علوم الكون والحياة، أما إذا كانت هذه المعارف (...) متصلة بما وراء المادة، أي بما يقصر المنطق الرياضي عن مناله - فإن الوحي الصادق هو سبيلها الفذ، ولا يقبل غيرها فيها، ومن ثم فالكلام على الله، وعن صفاته وحقوقه، لا يعتمد فيه إلا على السنة الأنبياء وحدهم⁽²⁾.

فمنهج أهل الحق، هو منهج صحابة رسول الله (ص) والذين جاءوا من بعدهم واتبعوهم بإحسان، هو الاعتماد على الكتاب والسنة، وتعظيم نصوصهما يحفظونها ولا يعرضونها لتحريف أو تأويل، يخرجها عن مراد الله ورسوله، كما يفعل أهل البدع والأهواء، يخوضون في آيات الله وأحاديث رسوله بغير علم، ولا تدبر "قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: 138]

قال ابن قيم الجوزية: في كتابه "الصواعق المرسله" في شأن انقسام الناس في نصوص الوحي "هذه خمسة أصناف انقسم الناس إليها في هذا الباب بحسب اعتقادهم

(1) عبد الرحمن حسن حبنكه، العقيدة الإسلامية وأسسها، 36.

(2) جمعة أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عصر عقيدة الإسلام، 257.

من النصوص الصنفالأول: أصحاب التأويل والصنف الثاني: أصحاب التخييل،
والصنف الثالث: أصحاب التجهيل والصنف الرابع: أصحاب التمثيل، والصنف
الخامس: أصحاب الطريق السوى⁽¹⁾.

فكل كلام لا يستند فيه على منهج الوحي لا بد أن يقع في النقائص والخرافات،
ويؤدي إلى حدوث صدع كبير وشرخ عظيم في بناء عقيدة صحيحة وسليمة، وهذا ما
دفع كثير من الفلاسفة، وأصحاب المهارات الكلامية إلى الوقوع فيما وقعوا فيه من
ضلال والحاد، وذلك نتيجة عدم فهمهم لنصوص القرآن، وقصور عقولهم، عن إدراك
مقاصده وفهم معانيه.

"قال بعض الحكماء: "إن الأنبياء كلهم مع تباعد أزمانهم، واختلاف لغاتهم،
وموضوعات شرائعهم، واختلاف سنتهم متفقون على رأى واحد، ومقصد واحد، فيما
يشيرون إليه في دعوتهم الأمم، أما الفلاسفة، فليست شريعتهم واحدة، ولا دينهم واحد
بل آراؤهم مختلفة، وأقوالهم متناقضة، تورث لاتباعهم حيرة قلما تنجلي غمرتها، فكيف
يرضى العاقل عن مذهب الفلاسفة مع اختلافهم، كأنما يكذب بعضهم بعضاً -
ويعرض عن البحث والنظر في الكتب الأنبياء مع اتفاقها، إنما ذهبل أكثر المتفلسفين
عن حقائق الأشياء لعدم معرفتهم كتب الأنبياء وإعراضهم عن النظر فيها وقصور أما
همهم منها عن تصورها"⁽²⁾.

خلاصة :

اتضح لي مما سبق أن ابن قيم الجوزية من أبرز الشخصيات المتميزة بين علماء
عصره وزمانه وحتى يومنا هذا، وذلك لما يتميز به من ذهن وقاد وعلم عزيز، وقدرة على
الاستنباط والتحليل والاستنتاج بأسلوب سهل مبسط يؤثر في السامع والقارئ مما جعل
مؤلفاته تحظى باهتمام واسع وكبير وتتل من الإعجاب والتقدير الشيء الكثير،

(1) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسله، ج418.

(2) جمعة أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عصر عقيدة الإسلام، مراجعة وتقديم، نجيب نجيت، دار الدعوة، ط3،
2007م، 257 - 258.

وبالأخص فيما يتعلق بجوانب العقيدة والشريعة ومقاصدها الجمّة التي تهدف إلى بناء الإنسان العقدي والأخلاقي في الدنيا والآخرة.

فالعقيدة كما تبين هي القاعدة والأساس الذي يقوم عليه المجتمع، وبها تتضح أحوال الناس في الدنيا والآخرة فهي مصدر كل خير في هذا الكون، ومصدر كل فضيلة وراذع عن كل شر وفساد، ذلك لأن مصدرها هو القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وآثار صحابته الكرام. فكل ما جاء في القرآن والسنة هو الدعوة إلى التوحيد الخالص والتنزيه عن الند والشرك، فالقرآن كله دعوة إلى توحيد الله في ربوبيته، والوهيته، وأسمائه وصفاته.

المبحث الثاني: مقاصد الإيمان بالله تعالى

إن أفضل الأعمال عند الله تعالى وأزكاها الإيمان به تعالى، فهو رأس الأمر وعموده، فإذا قام واستقام في قلوب الناس صلحت جميع أعمالهم وأحوالهم وأثمرت الخير كله عاجله وآجله، قال ابن قيم الجوزية: "أن النصوص النبوية قد تواترت بأن أفضل الأعمال إيمان بالله فهو رأس الأمر"⁽¹⁾.

سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أفضل قال: ((إيمان بالله ورسوله))⁽²⁾ لما يحويه من المقاصد والغايات والحكم فهو أجل الأعمال وأنبهها، وأعظم الأهداف وأرفعها به ينال العبد سعادة الدنيا والآخرة ويظفر بنيل الجنة ورضي الله عز وجل وينجو من النار وسخط الجبار. ومقاصد الإيمان بالله وثمراته لا حصر لها أذكر منها:-

أولاً: الهداية التامة والرحمة في الدارين:

الهداية التامة مقصد عظيم من مقاصد الإيمان بالله تعالى والرحمة التامة في الدارين، وذلك إن صاحب الإيمان يهديه -إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة- قال ابن قيم الجوزية "فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم"⁽³⁾ فأهل الإيمان هم المستحقون للهداية والتوفيق والرحمة من رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩١﴾

[سورة يونس:9]. أي بسبب إيمانهم وأعمالهم من البر "فأعمال البر تثمر الهدى وكلما ازداد

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ، تحقيق محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، ط 1 ، 2008م .101/1

(2) أخرجه البخاري: كتاب الحج- باب: فضل الحج المبرور، جزء من حديث رقم 1519 ومسلم كتاب الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، جزء من حديث رقم 83.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 10/1.

منها ازداد هدى وأعمال الفجور بالصد، وذلك أن الله سبحانه يبب أعمال البر فيجازى عليها بالهدى والفلاح، ويبغض أعمال الفجور ويجازى عليها بالضلال والشقاء وأيضاً فإنه البرُّ يجب أهل البر فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور"⁽¹⁾.

ثانياً: الفوز بالدرجة العالية والمنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة:

إن أهل الإيمان هم أعلى الخلق درجة وأرفع منزلة عند الله وعند عباده نالوا هذه الدرجة وهذه الرفعة وفازوا بها عن جميع سائر الخلق وذلك بإيمانهم الصحيح وسعيهم الحثيث إلى طاعة الله ومرضاته قال ابن قيم الجوزية "أفضل ما اكتسبته وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: 11].

فهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية"⁽²⁾.

فمن سعى بعلمه وعمله ليحيي به الإسلام فقد فاز بأعلى الرتب وأفضل الدرجات وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: 69].

ثالثاً: الإيمان بالله يثمر سعادة الدارين :

مما ينبغي أن يعلم أنّ السعادة الحقيقية هي سعادة الدنيا والآخرة لهذا من كان من أهلا لإيمان تحقيقاً له وتتميماً نال من السعادة بحسب ما عنده من الإيمان، وإذا ضعف الإيمان ضعف حظه من السعادة، وإذا ذهب الإيمان، ذهبت السعادة، وفارقت الإنسان فبالإيمان يسعد وبالإيمان يطمئن، وبالإيمان تقر العين، وينشرح الصدر قال

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد: 166.

(2) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 135 باختصار يسير، وما بعدها ابن قيم الجوزية ، الداء والدواء، حقه وعلق عليه حسن ابن علي ابن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط2 ، 1430 هـ ، 111.

تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْفَسَّيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر: 22].

قال ابن قيم الجوزية: "فأهل الإيمان في النور وانشرح الصدر وأهل الضلال لهم ضيق الصدر"⁽¹⁾ فالسعادة أمر مرتبط بالإيمان وجوداً وعدماً.

كما جاء في الحديث الصحيح: ((عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر وكان خيراً له))⁽²⁾، فالمؤمن في سرائه شاكر وفي ضرائه صابر وفي وقوعه في الذنب مستغفر وهذه الأمور الثلاثة هي عيون سعادة العبد، وقد أقر هذا المعنى ابن قيم الجوزية تقريراً لا مزيد عليه في أول كتابه الوابل الصيب وبيّن أن العبد في حياته لا يخلو من هذه الأحوال الثلاثة "إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلى صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه، وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبداً"⁽³⁾ والسعادة لا تنال إلا بمعرفة الحق واتباع سبيله فالسعيد من عرف ربه وعمل بمقتضى منهجه والشقي من جهل الحق وحاد عنه. قال ابن قيم الجوزية: "إن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه وإن أهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه، أو علموه وخالفوه، واتبعوا غيره"⁽⁴⁾.

رابعاً: جعل الله لهم لسان صدق علياً:

إن من أجل المقاصد الإيمانية أن يجعل الله تعالى للمؤمنين الذين كملوا إيمانهم بالعمل والعمل لسان صدق في العالمين وأن ويثني عليهم بأحسن أعمالهم التي قربتهم من ربهم، فجعلتهم في أعلى منزلة وهو ذكرهم في هذه الدار، قال ابن قيم الجوزية: "فإن أكرم الخلق عند الله، اتقاهم وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه؛ على حسب ذلك؛ فعاش

(1) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 25/1.

(2) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرفائق، باب: المؤمن أمره كله خير حديث رقم 2999.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 5.

(4) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 27/1.

بينهم أسوأ عيش: حامل الذكر، ساقط القدر، زريّ الحال، لا حرمة له، فلا فرح له ولا سرور، فإنّ خمول الذكر، وسقوط القدر والجاه جالب كل غم، وهم وحزن، ولا سرور معه، ولا فرح، وأين هذا الألم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة¹ فمن كان صادقا مع الله في الدنيا في أقواله وأفعاله صدقه الله تعالى وأنعم عليه بجلائل النعم وعظيمها" ومن أعظم نعم الله على العبد: أن يرفع له ذكره، ويعلى له قدره ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۗ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۗ﴾ [سورة ص: 45-46]. أي: خصصناهم بخصيصة، وهي الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار، وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [سورة الشعراء آية 84] وقال سبحانه عنهم وعن نبيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۗ﴾ [سورة مريم: 50].

خامساً: رضا الله تعالى عن عباده المؤمنين

إن أعز شيء في هذه الدنيا رضا الله تعالى عن العبد، وإذا رضى الله تعالى عن العبد أسعده وأرضاه، وثبت قلبه على الصراط ويسر له الخير كله حيث كان وأيضا توجه وحلّ، فهو ثمرة رضى ربه عنه وثوابه له: قال تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۗ﴾ [سورة البينة: 8]، قال ابن قيم الجوزية: "فمن رضى عن ربه رضى الله عنه. بل رضى العبد عن الله من نتائج رضى الله عنه فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضى قبله، أوجب له أن يرضى عنه، ورضى بعده هو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضى باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين وقرّة عيون المشتاقين"⁽²⁾.

سادساً: لذة الطاعة وحلاوة الإيمان:

إن لذة الطاعة وذوق حلاوة الإيمان تعد مقصداً عظيماً من مقاصد الإيمان، ففي الحديث الصحيح، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ذاق طعم الإيمان من رضى

(1) ابن قيم الجوزية الداء والدواء ص 120

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 535/1.

الله بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً⁽¹⁾ وقال: ((من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً غفرت ذنوبه))⁽²⁾ فأخبر أن للإيمان طعاماً، فثمرة الرضا ذوق طعم الإيمان، قال ابن قيم الجوزية: "هذان الحديثان عليهما مدارات الدين واليهما ينتهي وقد تضمنتا الرضى بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضى برسوله، والانقياد له، والرضى بدينه والتسليم له"⁽³⁾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في إرساء هذه القاعدة الإيمانية "فإنَّ المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنحه من عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً"⁽⁴⁾ يقول ابن قيم الجوزية: تعليقاً على كلام شيخه ابن تيمية: "ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية، والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرأً، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً تلوح قطرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض، أتيناها، فما هو إلا أن تراه وتسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقينا وطمانينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطبيها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها، وكان بعض العارفين يقول لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"⁽⁵⁾ يعني ما يجدونه من لذة الإيمان، وحلاوة الطاعة فالإيمان طعم وحلاوة، إذا خالطت بشاشته القلوب حدث لها ذوق ووجد يجده الذائق قال ابن قيم الجوزية: "فالإيمان طعم وحلاوة يتعلق

(1) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان باب: الدليل على أن من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر، حديث رقم 34.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يسأل الله له الوسيلة، حديث رقم 386.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 1/533.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 10/114.

(5) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب: 48.

بهما ذوق ووجد، ولا تزول الشبه والشكوك من القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال فباشر الإيمان قلبه حقيقة فيتذوق طعمه ويجد حلاوته⁽¹⁾، وهذه الحلاوة واللذة الحقيقية التي لا تزول إلا بزوال الإيمان على خلاف اللذة العارضة التي تزول بزوال العارض كذوق الطعام والشراب والرغبة والشهوة وغير ذلك من لذائذ الدنيا وأطيابها . فمن وجد هذا الذوق وطعم حلاوته لا يرجع بعد ذلك إلى الكفر والظلام كما قال ابن قيم الجوزية: " فهذا الذي ذاق حلاوة الإيمان وخالطت بشاشته سويداء قلبه وأضاء نورا به وأطمأن بذلك أشد الاطمئنان لا يكاد بعد ذلك يرجع إلى الكفر والضلال واتباع الأهواء والظنون الكاذبة، بل إنه يكون من أرسخ الناس إيمانا وأشدهم تمسكا وثباتا وأقواهم تعلقا بربه وخالقه لأنه دخل الإسلام عن علم وقناعة ومعرفة فعرف حسن الإسلام وبهائه وجودته ونقاؤه وتميزه عن غيره من الأديان، فرضيه ديناً لنفسه وأنس به أشد الأنس فكيف ينبغي بعد ذلك غيره بدلاً أو يطلب عنه مصرفاً أو يروم عنه أفعالاً أو تحويلاً"⁽²⁾.

سابعاً: الإيمان نور في قلب المؤمن:

الإيمان نور يقذفه الله في قلب العبد المؤمن تكون به مادة حياته يستهدى به في دروبها ويستتير به في مسالكها ليدفع به عن نفسه شرور الذنوب وآثام المعاصي لكي ينعم بهذا النور العظيم نور الإيمان. قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

[سورة النور:35]. قال ابن قيم الجوزية: "مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي أمتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات عليه من كل ناحية، كما أنه إذا اظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوى واجتناب هدى، وأعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 279/2، 280.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج1، 341-341.

فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يحوس في حنادس الظلمات⁽¹⁾ فالنور حياة القلب ومادة كل خير فيه "فأصل كل خير وسعادة للعبد، بل لكل حي ناطق: كمال حياته ونوره فالحياة والنور مادة الخير كله"⁽²⁾ قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾⁽³⁾ سورة الأنعام: 122 فجمع بين الروح الذي يحصل به الحياة، والنور الذي يحصل به الإضاءة والإشراق⁽³⁾.

وملخص القول: "فالإيمان كله نور ومآله إلى نور ومستقره في القلب المضي المستنير المقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة"⁽⁴⁾ حتى يتعداها إلى أن يظهر على وجوه أهلها، وجوارحهم وأبدانهم قال ابن قيم الجوزية "وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم"⁽⁵⁾.

ثامناً: الأجر العظيم والثواب الجزيل:

إن مقدار الأجر والثواب الذي يجود الله به على عباده المؤمنين لا يعلمه إلا هو سبحانه فهو جواد كريم، عطائه كثير وثوابه جزيل يعطي على الحسنة عشرة أمثالها، ويضاعف لمن يشاء، والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي ترتب الأجر والثواب على الإيمان الصحيح والسليم الذي وعد به عباده من الفوز بالجنة ونعيمها المقيم، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾ [سورة النساء: 146].

وفسر الأجر العظيم بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾⁽⁷⁾ [سورة لقمان: 8]. وهذا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة، والمنظر البهيج،

(1) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي 472.

(2) ابن قيم الجوزية، إغائة اللفهان من مصايد الشيطان، 23/1.

(3) ابن قيم الجوزية: إغائة اللفهان المصدر نفسه، 23/1.

(4) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 560.

(5) ابن قيم الجوزية: الوايل الصيب من الكلم الطيب، 51.

والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن" (1) ومن نعيم الجنة وثوابها الذي يحصل لأهلها-رضوان الله عليهم- كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- ((إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد اعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يارب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم أبداً)) (2) أورده ابن قيم الجوزية: "في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين" (3) وكذلك من النعيم الذي يجريه الله لعباده رؤيته سبحانه في الآخرة والتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى رؤية معاينة ومشاهدة لا خلاف عليها. قال ابن قيم الجوزية "قد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحوً وكما ترى الشمس في الظهيرة" (4) كما في الصحيحين قال ﷺ: ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته" (5) قال ابن قدامة: "أفضل ما ينال في الجنة رؤية الله تعالى" (6).

جزاء من الله لهم وأجراً حسناً على صدق إيمانهم وتفانيهم في حبهم لربهم وخالقهم . قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: 26]. قال الصحابة وجمع من المفسرين الزيادة ها هنا النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة في الجنة.

(1) ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 115.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، حديث رقم 6549، ومسلم كتاب الجنة، باب احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، حديث رقم 2829.

(3) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 266، 267.

(4) ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 366.

(5) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث رقم 554 ومسلم كتاب: المساجد باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم 633.

(6) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي: 388.

تاسعاً: الحياة الطيبة والتمتع بالنعيم في الدور الثلاثة:

خص الله تعالى عباده المؤمنين الصالحين بالفضل العظيم والنعيم المقيم ،
والعيش الطيب الهنيء في الدنيا بحياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره وسعة العيش وطيبه
وفي القبر بسعته وراحته وفي الآخرة دخول الجنة والفوز بنعيمها الأبدي قال ابن قيم
الجوزية: "وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبه وعبادته، فقال تعالى
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [سورة النحل: 97].

وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا والرزق الحسن وغير ذلك والصواب
أنها حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبه والإناابة إليه،
والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه، إلا نعيم الجنة،
كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن أهل الجنة في مثل هذا
إنهم لفي عيش طيب، وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً، وإذا كانت
حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك
لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة، وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور
الثلاث أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والمعيشة أيضاً تكون في الدور
الثلاث، فالأبرار في النعيم هنا وهناك، والفجار في الجحيم هنا وهناك قال الله تعالى:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۗ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة النحل: 30].

والإعراض عنه والغفلة ومعصيته، كفيل بالحياة المنغصة والمعيشة الضنك في
الدنيا والآخرة⁽¹⁾ وهذا سر من أسرار أهل الطاعة والإيمان أن يثيبهم على إيمانهم
بالنعيم في الدور الثلاث ويدراً عنهم العذاب والمعيشة الضنك ويحل عذابه وغضبه على
الفجار من الكفار والمشركين في دار الدنيا، ودار البرزخ ودار القرار.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 411/2، 412.

عاشراً: الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة:

من مقاصد الإيمان بالله تعالى أن الله تعالى يدفع عن المؤمنين شرور الدنيا والآخرة⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج:38]. أي يدفع عنهم كل مكروه يدفع عنهم شر شياطين الإنس والجن، قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه، وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم"⁽²⁾.

إحدى عشر: استغفار الملائكة للمؤمنين:

من مقاصد الإيمان بالله تعالى "استغفار الملائكة وأهل العرش لهم"⁽³⁾ وهذه رحمة من الله وفضل تفضل به على أهل طاعته ومحبته أن جعل الملائكة تستغفر لهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر:7].

وقال: "وإذا أذنب العبد المؤمن الموحد المتبع لسبيله وسنة رسوله استغفر له حملة العرش، وإذا نام على وضوء بات في شعاره ملك فكلما استيقظ من الليل استغفر له"⁽⁴⁾. وهذه منة عظيمة ومنحة جلييلة أكرم الله تعالى بها عباده المؤمنين أن جعل لهم من خلقه من يستغفر لهم على ذنوبهم التي ارتكبوها في الدنيا ويشفع لهم يوم القيامة حتى لا يدخلوا النار.

اثنا عشر: موالاة الله لهم:

إن من مقاصد الإيمان بالله تعالى قال ابن قيم الجوزية "موالاة الله لهم ولا يذل من والاه الله"⁽⁵⁾ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:68]. وهذه الولاية

(1) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 110.

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 647/4.

(3) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 110.

(4) المصدر نفسه، 158.

(5) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، 110.

ولاية خاصة وهي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون وتسابق فيه المتسابقون وأعظم ما حصل عليه المؤمنون أن يتولاهم الله بعونه ولا يكلهم إلى غيره.

ثالث عشر: تثبيت الملائكة للمؤمنين

إن من تمام نعمة الله وفضله على عباده المؤمنين إكرامهم بأمره للملائكة

بتثبيتهم

بقوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ [سورة الأنفال: 12].

فالمؤمن أحوج ما يكون إلى التثبيت عند الموت "فيقول له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك، ويثبته بالقول أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا وعند الموت، وفي القبر، عند المسألة فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته، وعند موته، وفي قبره ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سره يجارب عنه عدوه، ويدافع عنه ويعينه عليه، ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق"⁽¹⁾.

رابع عشر: الدرجات والمغفرة والرزق الكريم:

إن الفوز الدرجات العالية والمغفرة وسعة الرزق وبركته إنما هي لأهل الإيمان خصهم الله بها على سائر خلقه قال ابن قيم الجوزية: "أن لهم الدرجات والمغفرة والرزق الكريم"⁽²⁾ قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأنفال: 4].

خامس عشر: العزة للمؤمنين:

إن الإيمان بالله تعالى يجعل المؤمن يشعر بالعزة والعلو والعزة إحساس يملأ جوانحه بالإباء والشموخ، ويجرر نفسه من أي عبودية أو خضوع لغير الله عز وجل وهذا مقصد عظيم وجليل وخصيصه لأهل الإيمان قال ابن قيم الجوزية: "العز والعلو إنما هما

(1) ابن قيم الجوزية ، الداء والدواء ، 156 .

(2) المصدر نفسه ، 110 .

لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وهو علم وعمل وحال قال تعالى:
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون: 8].

فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه فإذا فاته حظ من العلو والعزة ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان علماً وعملاً ظاهراً وباطناً⁽¹⁾ فالعزة لا تنال إلا بالطاعة ولا تحل الذلة إلا بالمعصية وقال: "وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته، والذل قرين معصيته"⁽²⁾.

سادس عشر: معيته لأهل الإيمان:

"ومعية الله لأهل الإيمان"⁽³⁾ هي المعية الخاصة التي مقتضاها العون والتسديد والحفظ، التأييد واللفظ في الأمور كلها ومن كان الله معه فقد آوى إلى ركن شديد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: 19].

وهذه المعية تحفز المؤمنين على الإرتقاء في مقامات العابدين والسالكين إلى ربهم لأن المعية لا تكون إلا مع من اتصفوا بصفات عظيمة وجليلة كالمؤمنين الصادقين.

سابع عشر: إعطاؤهم كفلين من رحمته

كافأ الله تعالى المؤمنين على إيمانهم بأن جعل لهم نصيبين من رحمته "وإعطاؤهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم"⁽⁴⁾ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءِؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ءِوَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءِوَيَغْفِرْ لَكُمْ ءِوَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحديد: 28].

قال ابن قيم الجوزية في قوله "تمشون به" إعلام بأن تصرفهم، وتقلبهم الذي ينفعهم: إنما هو بالنور، وأن مشيهم بغير النور غير مجد عليهم ولا نافع لهم، بل ضرره أكثر من نفعه، وفيه أن أهل النور هم أهل المشي في الناس، ومن سواهم هم أهل

(1) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، 477/2.

(2) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص 257.

(3) المصدر نفسه، 111.

(4) المصدر نفسه، 111.

الزَّمانه⁽¹⁾ والانتقطاع فلا مشي لقلوبهم ولا أحوالهم ولا لأموالهم ولا لأقدامهم إلى الطاعات وكذلك لا تمشي على الصراط إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم⁽²⁾.

في هذا توضيح وبيان لخطر الظلمة التي مستقرها القلب قلب الجاحد المعاند لربه وآياته الداله على وجوده وتلحفه بلباس المعصية حتى ظهرت آثارها على قلبه وجوارحه من القسوة والبغضاء والمعاندة والكرهية لأهل الحق والإيمان ، حتى أظلم كل شيء عنده ظاهره وباطنه فلا يرى إلاّ أسودا و ظلمة حالكة وفي الآخرة أشدّ وأظلم من الأولى جزاء على ما قدّم .

ثامن عشر: الود الذي يجعله الله لعباده المؤمنين:

من مقاصد الإيمان وثمراته من الأعمال الصالحة، ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٦) سورة مريم: 96^[96] أي بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين، قال ابن قيم الجوزية" وهو أن يحبهم ويجببهم إلى ملائكته وأنبيائه وعباده الصالحين"⁽³⁾ جزاء إيمانهم والجزاء من جنس العمل أحبوا الله وعبدوه حق عبادته وأخلصوا في محبته و طاعته فكافأهم بمحبته لهم ومحبة الناس و الملائكة أجمعين.

تاسع عشر: الأمان من الخوف:

من مقاصد الإيمان بالله تعالى: الأمان التام من جميع الوجوه ولهم الأمان المطلق في مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٨٢) [سورة الأنعام: 82]. ولهم الأمان المقيد "يوم يشتد الخوف في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤٨) [سورة الأنعام: 48].

فالؤمن له الأمان التام في الدنيا والآخرة أمن من سخط الله وعقابه وأمن من جميع المكار والشرور، كما قال ابن قيم الجوزية: "الإسلام مركب السلامة والإيمان خاتم

(1) الزمانه الآفة والزمانه العاهة ورجل زمن أي مبتلى بيّن الزمانه ابن منظور، لسان العرب، 4/408.

(2) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية 23 وما بعدها ابن قيم الجوزية: التفسير القيم ، تحقيق محمد أويس الندوي ، محمد حامد الفقهي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1971 هـ ، 377.

(3) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 111.

الأمان"⁽¹⁾ فيجب على كل مؤمن أن يفكر في كل لحظة كيف يزداد من الإيمان والعمل الصالح لينجو من الهلاك ويؤمن لنفسه الأمن والأمان في الدنيا والآخرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "محركات القلوب إلى الله ثلاثة، المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودة لذاتها لأنها معه في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة"⁽²⁾.

عشرون: أنهم المنعم عليهم:

يبين لنا سبحانه وتعالى أن أهل النعيم هم المؤمنون الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام والإيمان واتبعوا طريق الحق علماً وعملاً فأهله أصحاب النعيم الكامل. "الذين أمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة"⁽³⁾ كما أخبر بذلك في كتابه في غير موضع كقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [سورة الفاتحة:6-7]..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- "ليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان"⁽⁴⁾ وذلك بما يفتح على أهله من أبواب الخير والفضل والإحسان وبما خص الله أهله عن سائر عباده من إسباغ نعمه التي لا تعد ولا تحصى ومن "جزيل مواهبه وسعة عطاياه، وكريم أياديته وجميل صنائعه، وحسن معاملته لعباده وسعة رحمته لهم وبره ولطفه وحنانه وإجابته لدعوات المضطرين وكشف كربات المكروبين، وإغاثة المهوفين، ورحمته للعاملين، وابتدائه بالنعيم قبل السؤال ومن غير استحقاق بل ابتداء منه بمجرد فضله وكرمه وإحسانه ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرها بعد وقوعها، ولطفه في ذلك بإيصاله إلى من أراده بأحسن الألفاظ وتبليغه من ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال، وهدايته وخاصته وعباده إلى سبيل دار السلام"⁽⁵⁾، فلا ينقطع النعيم عن

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة: 74/1.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 112/1.

(3) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، 111.

(4) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 18/28.

(5) ابن قيم الجوزية: طريق المجرتين وباب السعادتين، إشراف عبدالمنعم العاني، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،

هؤلاء المؤمنين ولا تنقطع فضائلهم فهو في استرسال دائم ومستمر بنوعيه سواء الحسي المادي أو المعنوي فهم في حفظ الله وحماه الذي يلوذ به اللائذون من كيد الأعداء ومكر الماكرين وحصنه الحصين الذي يتحصن به المؤمنون فهم في كلاءته ورعايته "ومدافعتهم عنهم أحسن الدفاع، وحمائتهم عن مراتع الآثام، وحبب إليهم الإيمان، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين قبل أن يخلقهم وذكروهم قبل أن يذكرهم، وأعطاهم قبل أن يسألوه وتحبب إليهم بنعمه مع غناه، وتبغضهم عليه بالمعاصي ووفرهم إليه، ومع هذا كله فاتخذ لهم داراً وأعد لهم فيها من كل ما تشتهي النفس وتلد الأعين وملاؤها من جميع الخيرات، وأودعها من النعيم والخبرة والسرور والبهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم أرسل إليهم الرسل يدعونهم إليها ثم يسر لهم الأسباب التي توصلهم إليها، وأعانهم عليها، ورضى منهم باليسير في هذه المدة القصيرة جداً بالإضافة إلى بقاء دار النعيم"⁽¹⁾ وأتم نعمته عليهم إن أحسنوا واستغفروا أنابوا ورجعوا أن يغفر لهم ويبدل سيئاتهم إلى حسنات ويثيبهم أحسن الثواب بأن " يثيبهم بالحسنة، عشراً وإن أسأؤوا واستغفروه أن يغفر لهم، ووعدهم أن يمحو ما جنوه من السيئات بما يفعلونه بعدها من الحسنات، وذكروهم بالآلئه وتعرف إليهم بأسمائه وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحساناً لا حاجة منه إليهم ونهاهم عما نهاهم عنه حماية محابة لهم لا بخلا منه عليهم وخاطبهم بالطف الخطاب، وأملاه ونصحهم بأحسن النصائح ووصاهم بأكمل الوصايا وأمرهم بأشرف الخصال ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال، وصرف لهم الآيات وضرب لهم الأمثال ووضع لهم طريق العلم به ومعرفته وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه ويخاطبهم بالطف الخطاب ويسميهم بأحسن أسمائهم كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا².

(1) ابن قيم الجوزية طريق المجرئين 173.

(2) المصدر نفسه ، 173

إحدى وعشرون: القرآن هدى وشفاء للمؤمنين:

قال ابن قيم الجوزية: "أن القرآن إنما هو هدى لهم وشفاء"⁽¹⁾ ﴿هُدَى وَشِفَاءً
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيءِ آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾⁽²⁾
[سورة فصلت:44]. هدى لمن تأمل فيه بقلبه وتدبر معانيه بفكره وعقله "فليس شيء
أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع فيه
الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معاني الخير والشر بجزايفها وعلى طرقاتهما
وأسابها وغاياتها وثمراتها، ومآل أهلها، وتثُلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم
النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه، وتوطد أركانه وترية صورة الدنيا
والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وترية أيام الله منهم، وتبصره مواقع
العبر وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته، وأفعاله وما يحبه وما
يبغضه وصراطه الموصل إليه"⁽²⁾ وفيه شفاء الأبدان والقلوب "فالقرآن هو الشفاء التام
من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة"⁽³⁾ فالقرآن هدى وشفاء لما في
الصدور، قال ابن كثير: "هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لماء في الصدور من
الشكوك والريب"⁽⁴⁾. ولا أدل على ذلك ولا أعظم من قراءة سورة الفاتحة وما تحويه من
الأسرار والحكم ففيها شفاء القلوب وشفاء الأبدان قال ابن قيم الجوزية: "فأما
اشتغالها على شفاء القلوب: فإنها اشتملت عليه أتم اشتغال من طلب الهداية التي
تتضمن الشفاء من مرض الضلال وسؤال الإستعانة للشفاء من مرض فساد القلب
والقصد فإن القلب يعرض له مرضان خطيران هما الرياء والكبر فإذا عوفي من مرض
الرياء " بياك نعبد " ومرض الكبرياء بياك نستعين ومن مرض الضلال والجهل " بإهدنا
الصراط المستقيم " عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية وتمت عليه
النعمة وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض."⁵

(1) ابن قيم الجوزية: الدار والدوار، 111

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 344/1.

(3) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في خير هدي العباد، 184/4.

(4) ابن كثير: تفسير ابن كثير: 181/6.

(5) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 44/1، بتصرف يسير.

أما شفاء الأبدان الذي تضمنته هذه السورة العظيمة ما جاء في الصحيحين عن
ابي سعيد الخدري أن أناساً من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مرو بجي من
العرب فلم يقروهم ، ولم يضيفوهم ، فلدغ سيد الحي ، فقالوا هل عندكم من رقية ، أو
هل فيكم من راق ؟ فقالوا نعم ولكنكم لم تقرونا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً ،
فجعلوا على ذلك قطيعاً من الغنم فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن
لم يكن به قبلة ، فقلنا لا تعجلوا حتى نأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكرنا له
ذلك فقال: ((وما يدريك أنها رقية ؟ كلوا وأضربوا لي معكم بسهم))¹ قال ابن قيم
الجوزية: "فتضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللدغ فأغنته عن الدواء"².
اثنان وعشرون: طمأنينة القلب وسكينته:

للسكينة مصدر واحد وهو الإيمان بالله، الإيمان الصادق واليقين الكامل الذي
لا يكدره شك، ولا يعكر صفوه ويفسد مذاقه نفاق ولا رياء، وهذا ما يشهد به التاريخ
وتشهد به الحوادث والأيام، وما يلمسه كل إنسان بصير في نفسه وفيمن حوله، إن أكثر
الناس قلقاً وضيلاً واضطراباً وشعوراً بالضيق هم المحرمون من نعمة الإيمان وبرد
اليقين، فإن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت بالمتع والملذات، لأنهم لا يدركون
لها معنى ولا يفقهون لها سرا "فأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله
الله في قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد
عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على
رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق، والاضطراب كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار
والعدو فوق رؤوسهم لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما حتى ولو لولا مدبرين من
شدة بأس الكفار لا يلوى أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم
من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، حسبك

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة ، باب : ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، حديث رقم
2276، ومسلم، كتاب السلام: باب: أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، حديث رقم 2201.

(2) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين / 45/1.

بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها-وهو عمر-حتى ثبته الله بالصدق رضي الله عنه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل سكينه في القرآن فهي طمانينه إلا التي في البقرة¹ ثلاثة وعشرون: النصر والتأييد:

من مقاصد الإيمان وأسراره النصر والتأييد على الأعداء فالله سبحانه وتعالى- إنما ضمن نصر دينه وأولياءه القائمين بدينه علماً وعملاً على عدوهم نصراً كاملاً قال ابن قيم الجوزية: النصر والتأييد إنما هو لأهل الإيمان الكامل قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [سورة غافر: 51]، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من التأييد والنصر ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه إما بترك واجب أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه⁽²⁾ لأن المؤمن الكامل الإيمان موعود من الله بالنصر والتأييد وأن الله تعالى لا يخذل عبده المؤمن أبداً فلننظر إلى سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزواته ومعاركه ضد أعدائه كان دائماً النصر حليفه وكان الله مؤيد وكافيه ، وكافي المؤمنين الصادقين من صحابته واتباعه الذين آمنوا به إتبعوه بحق ، فكان لهم الغلبة والعزة والنصر قال ابن قيم الجوزية: "فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفى مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً"⁽³⁾.

وخلاصة القول:

مما سبق هو ما ذكره ابن قيم الجوزية: "أن الإيمان سبب جالب لكل خير، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان، وكل شر في الدنيا فسببه عدم الإيمان"⁽⁴⁾ فهو منبع الفضائل ، ومصدر الخير كله عاجله وآجله .

(1) المصدر نفسه، 199/2

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: 477/2.

(3) المصدر نفسه: 477/2.

(4) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 111.

الباب الثاني: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الربوبية

الفصل الأول: توحيد الربوبية مفهومه وأقسامه.

الفصل الثاني: مقاصد توحيد الربوبية

الفصل الأول: توحيد الربوبية مفهومه وأقسامه

المبحث الأول: مفهوم التوحيد وبيان أقسامه

المبحث الثاني: دلائل وجود الله تعالى وربوبيته وبيان مقاصده

المبحث الأول: مفهوم التوحيد وبيان أقسامه أولاً: معناه لغة واصطلاحاً

التوحيد لغة: مصدر وحد، الواو والحاء، والدال يدل على الانفراد، منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، والواحد هو الذي لا يتجزأ، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له، ولا مثل له، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله - عز وجل - (1).

يتبين من خلال هذه التعريف عند أهل اللغة أن التوحيد لغة هو ما دل على الانفراد في كل شيء، انفراد في الذات وانفراد في الصفات. وأما اصطلاحاً: هو "تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام، والأذهان، وهو معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالواحد، ونفي الأنداد عنه جملة وشرعاً" (2).

وفي الشرع كما عرفه ابن تيمية - رحمه الله - قال: "والتوحيد الذي بعث به رسوله - صلي الله عليه وسلم -، وأنزل به كتابه، هو عبادة الله وحده، لا شريك له، وهو توحيد الهيته المتضمن توحيد ربوبيته" (3).

وقال الإمام التفتازاني (4)، في شرح المقاصد "حقيقة التوحيد، عدم اعتقاد الشريك في الألوهية وخواصها، ولا نزاع لأهل الإسلام في أن تدبير العالم، وخلق الأجسام، واستحقاق العبادة، وقدم ما يقوم بنفسه كلها من الخواص، ونعني بالقدم عدم

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2001م، 623/2. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، 236/9.

(2) الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 96/1.

(3) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية تحقيق إبراهيم سعيد، ط1415هـ، 42/1.

(4) هو مسعود بن عمر التفتازاني المعروف بسعد الدين، ولد سنة 722هـ، أخذ العلم عن أكابر عصره، وفاق في النحو والصرف والمعاني، والمنطق، والبيان والأصول، والتفسير والكلام، وكثير من العلوم، من مؤلفاته شرح العقائد، شرح المقاصد، رسالة الإرشاد، تهذيب الكلام... الخ توفي سنة 792هـ، الشوكاني، البدر الطالع، تحقيق محمد حسن حلاق، دار بن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2006، 585/2.

المسبوقة بالعدم⁽¹⁾، وقيل هو "إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والصفات⁽²⁾، وعرف العز بن عبد السلام⁽³⁾ التوحيد بأنه قسمان:

أحدهما قديم، وهو ضربان:

"الأول: معرفة الله بتوحيده، وتفرد به بكل وصف ذاتي أو سلبي أو فعلي، عرفه العباد أو جهلوه، إذ لا يحصى أحد ثناء عليه.

الثاني: شهادته لنفسه بالتوحد، وأما التوحد الحادث فأضرب:

1- معرفتنا بما أطلعنا عليه من توحيده، وأرشدنا إليه من تفرد.

2- إيماننا بذلك التوحد.

3- اعتقادنا لذلك التوحد.

4- إيماننا بمتعلق ذلك الاعتقاد.

5- تلفظنا بما عرفناه من ذلك التوحد.

6- نطقنا باعتقاد ذلك التوحد.

7- معاملته بمقتضى توحيده بأن لا نعبد غيره، إذ لا إله سواه، ولا نتوكل إلا

عليه، إذ لا مفزع إلا إليه، ولا نحب أحدا كحبه، إذ لا جمال كجماله، ولا نجل أحدا

كإجلاله، إذ لا نظير لكماله، ولا نشكر أحداً كشكره، إذ لا منعم غيره، ولا نرجو إلا

إحسانه، إذ لا محسن سواه، ولا نرهب إلا سلطانه إذ لا ملجأ إلا إليه، وكذلك معاملته

(1) التفتازاني شرح المقاصد، قدم له إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2011م، 27/3.

(2) ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، أعنتى به محمد سامح عمر، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1424هـ/8.

(3) هو عز الدين بن شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي الشافعي، شيخ الشافعية ولد سنة 578هـ نفقه على يد نخبة من العلماء، برع في الفقه والأصول والعربية، درس واقفي، وصنف، وبلغ رتبة الاجتهاد، وانتهى إلى الزهد والورع توفي سنة 660هـ، ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م، 99/2-7-800 الذهبي العبر، 283/2، ابن كثير، البداية والتهاية، 535/13.

بمقتضى سائر صفاته، من التخضع لعظمته، والتذلل لعزته وكذلك توحيده بسائر الأقوال والأعمال حتى لا نحلف بأحد سواه⁽¹⁾.

والمعنى أن مجمل القول في التوحيد عنده هو معرفة الله، والإيمان به قولاً وعملاً. وعرفه الإمام ابن قيم الجوزية فقال: "التوحيد هو إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له نداً في قصد ولا حب، ولا خوف ولا رجاء، ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه، وقصده ولسانه وعبادته"⁽²⁾.

فهذا هو معنى التوحيد في أصله ومجمله وهو افراده بأنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات مع كمال إخلاص العبادة له وحده، وأن لا يصرف منها شيئاً لغيره سبحانه وتعالى مع نفي الشريك والمثيل عنه سبحانه وتعالى، وأنه وحده المستحق لهذا الإفراد والتوحيد.

ثانياً- بيان أقسامه

ينقسم توحيد الله إلى ثلاثة أقسام عند أهل العلم: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذا التقسيم ليس وليد الهوى بل الرأي والعقل وإنما هو وليد الاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب، والسنة. وكل قسم عليه دليل قائم يثبت صحة ما ذهبوا إليه، وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية - رحمه الله - وطائفه من العلماء أنها أقسام ثلاثة، وهذا ما تقرر عليه مذهب أهل السنة والجماعة فكل آيات

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والعلوم والأحوال، تحقيق إباد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر دمشق، 1996م، ط 2، 1421هـ/2000م، 70، 71.

(2) ابن قيم الجوزية، الروح، تحقيق حمادة عزيز فرحات، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط، 2009م، 400، والصواعق المرسله على الجهية، والمعطلة، 933/3.

القرآن، والأحاديث في العقيدة لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة⁽¹⁾، قال:- ابن قيم الجوزية- رحمه الله - في بيان هذا المعنى "بل نقول قولاً كلياً إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به، داعية إليه، إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيد، وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة جزاء توحيد. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك، وأهله وجزائهم⁽²⁾.

فهذه أقسام ثلاثة من أنواع التوحيد كما ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية في كتاب "مدارج السالكين" فأشار إلى النوع الأول "وهو ما يسمى بالتوحيد العلمي والاعتقادي، وذلك لتعلقه بالأخبار والمعرفة، ويسمى الثاني بالتوحيد القصدى الإرادي، لتعلقه بالقصد والإرادة، وهذا الثاني نوعان، توحيد في الربوبية، وتوحيد في الألوهية فهذه ثلاثة أنواع⁽³⁾، وقد أشار إلى النوع الثالث توحيد الأسماء والصفات عن طريق التوحيد الأول، توحيد الربوبية وهو إثبات صفات الكمال، ونفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص. وقد اجتمعت ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: 65].

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 22/2، 24. وأبو الغر الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبدالعزيز بن باز، صالح الفوزان، وأحمد محمد شاكر، دار العقيدة، ط2004م، 81، 87 وما بعدها باختصار. محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، اعتنى به سامح عمر، دار بن الجوزي، القاهرة، ط 1، 1432هـ/2011م/4.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 560/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 21/1.

وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية ما يدل على جماع التوحيد فيها بقوله: "رب السموات والأرض وما بينهما، أي ربهما وخالقهما، وخالق ما بينهما، ومالك ما بينهما فكما إليه تدبير الأزمان، كذلك إليه تدبير الأعيان (فأعبده) أي وحده لذلك (...). لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه إلا على المالك، وإذا ثبت أنه مالك ما بين السماء والأرض، دخل في ذلك اكتساب الخلق، ووجبت عبادته، لما ثبت أنه المالك على الإطلاق، وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع، ولا يستحقها سوى المالك المعبود (...). هل تعلم سمياً. قال ابن عباس (1)، - رضى الله عنه - يريد هل تعلم له ولداً أو نظيراً أو مثلاً أو شبيهاً يستحق مثل اسمه" (2).

وقال الطحاوي (3) رحمه في بيان التوحيد الواجب على المكلف "نقول في التوحيد معتمدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره" (4).

وهذا التعريف يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة فقوله في توحيد الله عام يشمل أنواع التوحيد الثلاثة، وقوله: "لا شيء مثله" هو توحيد الأسماء والصفات. وقوله "ولا شيء يعجزه" هو توحيد الربوبية، وقوله "ولا إله غيره" هو توحيد الألوهية (5).

(1) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله (ص) وكان يسمى البحر لعلمه، وسمى حبر الأمة، دعا له النبي (ص) بالعلم والحكمة، وكان أعلم أهل زمانه دنيا وفقهاً وتفسيراً توفي سنة 68هـ، بالطائف، الذهبي، تذكرة الحفاظ، مطبوعات دار المعارف، حيدر آباد، ط4، 40/1-41، ابن الأثير، أسد الغاية، مطبوعات دار الشعب، تحقيق إبراهيم البناء، محمد عاشق، 290/3.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق إبراهيم أطفيش، دار الشام، بيروت لبنان، ط3، 130/11/16.

(3) هو أبو جعفر أحمد ابن محمد ابن سلامة الأزدي الطحاوي من أعلام الاسلام " 229 - 321 هـ " تفقه على مذهب الإمام الشافعي، ثم انتقل إلى المذهب الحنفي، قال عنه ابن كثير، هو أحد الثقة الأثبات، ابن كثير البداية والنهاية / 174.

(4) أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية 52.

(5) المصدر نفسه، 17، 40، 47، 50.

فهذه جملة من التعريفات ذكرها أهل العلم في أنواع التوحيد وأقسامه، وعلى تعريف ابن قيم الجوزية هو التعريف الأنسب من جملة ما ذكر من التعريفات السابقة على اعتباره تعريف جامع لجميع أنواع التوحيد وأقسامه، التي ذكرها أهل العلم وهي توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات، وأن جميع أنواع هذا التوحيد وأقسامه هو محط اتفاق بين أهل العلم جميعاً.

ثالثاً- معنى الربوبية لغة واصطلاحاً

إن توحيد الربوبية حق وأمره عظيم، ولا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن به، غير أن هذا التوحيد ليس هو الغاية التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها من الكتب، وليس هو الغاية من التوحيد وكماله، ذلك أن الله تعالى أمر الخلق بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحتها وغايتها، ولم يقتصر على مجرد الإقرار به لأن الإقرار بتوحيد الربوبية، لا يكفي وحده بل لابد من توحيد الإلهية كما قال شيخ الإسلام بن تيمية: "فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو الحجة عليهم"⁽¹⁾.

الربوبية لغة تعني ما يلي:

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معان.

قال ابن فارس: " (رب) الراء والباء، يدل على أصول، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه، يقال: ربّ فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها، والرب هو المصلح للشيء، والله جل ثناؤه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر، لزوم الشيء والإقامة عليه. والأصل الثالث ضم الشيء للشيء"⁽²⁾.

وعند ابن منظور، الربوبية "مصدر رب، ومنه الرب. والرب هو الله عز وجل، وهو رب كل شيء أي مالكة، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك ورب كل شيء مالكة ومستحقه، وقيل: صاحبه. ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، فيقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له، وكل من ملك شيئاً

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 1/ 70.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 381، 382.

فهو ربه، يقال هو رب الدابة، ورب الدار وهن ربات الجمال، وفي حديث اشراط الساعة "وأن تلد الأمة ربها أو ربتها. قيل: الرب في اللغة يطلق على المالك والسيد والمربي، والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلى غير الله - عز وجل - وقد أريد به في الحديث المولي أو السيد، يعني أن الأمة تلد لسيدها ولدا فيكون⁽¹⁾ كالمولى لها لأنه في الحسب كأبيه، أراد أن السبي يكثر، والنعمة تظهر في الناس فتكثر السراري وفي حديث إجابة المؤذن ((اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة))⁽²⁾ أي صاحبها، وقيل: المتمم لها، والزائد في أهلها والعمل بها والإجابة بها، وفي حديث أبي هريرة: ((لا يقل المملوك لسيد ربي))⁽³⁾ كره أن يجعل مالكة ربا له لمشاركة الله في الربوبية. أما في قوله تعالى: ﴿أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [سورة يوسف: 42]، فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونهم به. فأما الحديث في ضالة الأبل ((حتى يلقاها ربها))⁽⁴⁾ فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة فهي بمنزلة الأموال التي يجوز إضافة مالكيها إليها، وجعلهم أربابا لها.⁽⁵⁾

هذه بعض معاني الربوبية كما وردت في نصوص القرآن والسنة ودرجت عليها ألسنة العرب في كلامهم، من حيث التقييد والإضافة، أما إذا أطلقت فلا تكون إلا في حق الله تعالى لاختصاصه بجميع صفات الربوبية على وجه الإجمال والكمال، هذا من حيث اللغة.

(1) محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، نسخة مضبوطة النصوص مخرجة الأحاديث، دار المحدثين، مصر، ط 1، 2008م، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل، جزء من حديث رقم 50، وأبي مسلم الحجاج القشيري، صحيح مسلم، نسخة مصححة، بيت الأفكار الدولية، الأردن، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإيمان من الإسلام، جزء من حديث رقم 8.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب: الدعاء عند النداء، حديث رقم 614.

(3) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب: لا يقولن المملوك ربي وربتي، حديث رقم 4975. والترمذي، كتاب الصلاة، باب: إذا أذن المؤذن، حديث رقم 211، قال اهل العلم سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات.

(4) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعدة، حديث رقم 91. ومسلم، كتاب اللفظة، باب استحباب اصلاح الحاكم بين الخصمين، حديث رقم 1722.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 23/4.

أما اصطلاحاً: الربوبية من الرب، والرب في الاصطلاح الشرعي "هو السيد والمالك، والمنعم والمربي، والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له".⁽¹⁾ فكل هذه الصفات من صفات الأفعال تعد وصفا ذاتيا لازما له على الحقيقة المستوجبة لربوبيته على خلقه التي تتضمن قدرته التامة ورحمته وإحسانه وعلمه بتفاصيل أحواله وتربيتهم وإصلاحهم، وجلب مصالحهم وحفظهم مما يفسدهم، وإجابة دعواتهم وكشف كرباتهم وغير ذلك من الصفات التي توجب في حقه الإيمان التام على الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو وحده المتفرد بخصائص الربوبية جميعا من غير منازعة أحد من خلقه، قال: ابن قيم الجوزية الربوبية هي "توحيد الله تعالى وإفراده بأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة وتدبير الكون، فليس هناك رب سواه - سبحانه وتعالى- رب العالمين لا شريك له في ربوبيته ووحدانيته، ونفيهما عن سواه من صفات الربوبية، ولوازمها فهذا جمع مختصر لصفات ربوبيته المستوجبة لتوحيده"⁽²⁾.

لكن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا يكفي فقد أقرب به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة العنكبوت: 61] وشركهم إنما هو في الإلهية، الذي هو افراد الله بالعبادة فمن أقر بتوحيد الربوبية لم يكن مسلما حتى يوحد الله بالألوهية بل كان هذا التوحيد حجة عليهم⁽³⁾ ولهذا التوحيد مقاصد وأسرار ساقها الرب الحكيم بيانا وتفصيلا من خلقه لخلقه إرشادا منه وتوجيها لهم نحو معرفة خالقهم وبارئهم، والاعتراف له بالربوبية وأفراده بالوحدانية وتنزيهه عن الند والشريك.

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 1175.

(2) المصدر نفسه، 1175.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 70/1.

المبحث الثاني: دلائل وجود الله تعالى وربوبيته وبيان مقاصدها

إن الإيمان بوجود الله تعالى هو المحور الذي تدور حوله أمور العقيدة كلها، والأدلة على وجوده كثيرة لا حصر لها فإن في كل ذرة من ذرات الكون خلقاً متقناً ونظاماً بالغ الدقة لا يملك كل ذي عقل أمام ذلك إلا أن يخر ساجداً لمن خلق وأبدع، والإيمان بوجوده سبحانه يتضمن أربعة أمور هي: دليل الفطرة، دليل الشرع، دليل العقل، دليل الحس، وهذه الأدلة الأربعة تشكل في مضمونها أهم مقاصد الإيمان بالله تعالى من خلال النظر فيها والتأمل في معانيها وهي:

أولاً: دلالة الفطرة:

والفطرة لغة: مشتقة من فطر الشيء يفطره فطراً، وتستعمل على عدة معانٍ منها: الشق، والابتداء والاختراع، والفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه⁽¹⁾. والفطرة اصطلاحاً: هي الإسلام كما أشار بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية تفسيراً لحديث الفطرة: "وهي الحنيفية التي خلقهم عليها"⁽²⁾.

وقال ابن قيم الجوزية توضيحاً وبياناً لمعنى الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((خلقت عبادي حنفاء، فاجتالهم⁽³⁾ الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً))⁽⁴⁾ صريح في أنهم خلقوا على الحنيفية⁽⁵⁾.

وأن الشياطين اجتالتهم، وحرمت عليهم الحلال، وأمرتهم بالشرك، فلو كان الطفل يصير كافراً في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه إياه، لم تكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم

(1) ابن منظور، لسان العرب، 124/7، 125.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 159/16.

(3) أي استخفت بهم، فجالوا معهم في الضلال، ابن منظور، لسان العرب، 267/2.

(4) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، نسخة مصححة، بيت الأفكار الدولية، الأردن، كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم 2865.

(5) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 857.

بالشرك¹ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة البقرة: 257]. "وهذا يتناول إخراج الشياطين لهم من نور الفطرة إلى ظلمة الكفر والشرك، ومن النور الذي جاءت به الرسل من الهدى والعلم إلى ظلمات الجهل والضلال"⁽²⁾ فالفطرة هي الإسلام التي هي أصل النشأة التي خلق عليها الخلق كما قال ابن قيم الجوزية: "ومن نعم الله على عباده أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة"⁽³⁾.

من البديهي أن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم فإنه يستقر في أعماق نفسه بأن لهذا الكون خالقاً خلقه وصانعاً صنعه ومدبراً دبره هذا الشعور نابع من فطرته وذاته وليس مما تعلمه من والديه وأصله يولد معه وينمو معه ويظل جزءاً لا يتجزأ من كينونته ولا ينصرف عن هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها))⁽⁴⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظير تحصل له به المعرفة"⁽⁵⁾.

وقال ابن قيم الجوزية: "فالفطر مركزوز فيها معرفته، ومحبتة، والإخلاص له والإقرار بشرعه، وإيثاره على غيره، فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملًا ومفصلاً بعض التفصيل، فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتنائها أثرها، وهكذا شأن الشرائع التي

(1) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل، 857.

(2) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م، 362.

(3) ابن قيم الجوزية شفاء العليل: 544.

(4) أخرجه البخاري، وكتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام حديث رقم 1358، 1389، ومسلم كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم 2658.

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 15/16.

جاءت بها الرسل فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل ونهي عن ظلم وهذا كله مركز في الفطرة وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل".(1)

والفطرة تتسع لتشمل التوحيد وإثبات صفات الكمال المطلق لله تعالى وهذا ما يوضحه ويبينه ابن قيم الجوزية فيقول: "وهكذا باب التوحيد، وإثبات الصفات فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق، ولهذا كان العقل الصريح موافقاً للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان، والمقصود أن الله فطر عباده على فطرة فيها الإقرار به، ومحبتة وبالإخلاص له، والإناابة إليه، وإجلاله وتعظيمه، فقد تبين دلالة الكتاب، والسنة والآثار واتفاق السلف على أن الخلق مفتورون على دين الله".(2)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مبيناً فطرية هذا الدين وركوزه في نفوس الناس وإنه ليس في الرسل من أمر الناس بطلب معرفة الخالق والاستدلال على معرفته "والمقصود هنا- أنه ليس في الرسل من قال- أو دعا قومه- أنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه- فلم يكلفوا- أولاً بنفس المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقربه".(3)

ومما يدل على الفطرة كذلك، إن الإنسان إذا أحاطت به الشدائد يلجأ إلى الله وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهَهُمْ إِلَى الْبِرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة لقمان:32]. قال القرطبي: "دعوا الله مخلصين له الدين" موحدين له لا يدعون لخالصهم سواه".(4)

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء لعليل، 866_867 باختصار والصواعق المرسله 1277/4_1278

(2) المصدر نفسه 868

(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوي 156/16.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 80/14.

وفي النونية يقول ابن قيم الجوزية:

وإليه أيدي السائلين توجهت نحو العلو بفطرة الرحمن (1).

وهكذا نجد الإنسان مفتقر إلى خالقه ويحس بذلك في قرارة نفسه وعميق وجدانه يتوجه إليه في حاجاته بدون حاجة إلى من يعلمه ذلك، فهو بأصل خلقته يتضرع إليه طالباً منه المعاونة أو الخلاص من المحنة وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع.

ثانياً: دلالة العقل

أمّا دليل العقل على وجود الله تعالى فالتأمل في مخلوقات الله السابقة واللاحقة منها لا بد لها من خالق، ولا يمكن أن توجد محض صدفة لأن وجودها على هذا النظام البديع والنسق الجميل والترابط والتلاحم بين الأسباب والمسببات، يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها محض صدفة؛ لأن العقل السليم يرفض ذلك ويدحض كل حجة واهية ودليل باطل، يقول ابن قيم الجوزية كلاماً في هذا المعنى.

"فسل المعطل الجاحد ما تقول في دولاب دائر على نهر قد أحكمت آلاته وأحكم تركيبه وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه، بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل الثمار والزروع يسقيها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدتها والقيام بجميع مصالحها، فلا يختل منها شيء ولا يتلف ثمارها ثم يقسم قيمتها عن الجذاذ (2) على سائر المخارج بحسب حاجتهم وضروراتهم، فيقسم كل صنف منهم ما يليق به ويقسمه هكذا على الدوام؟! أترى هذا اتفاقاً بلا صانع ولا مختار ولا مدبر؟ بل اتفق وجود ذلك الدولاب والحديقة، وكل ذلك اتفاقاً من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر، أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان؟ وما الذي يفتيك به؟ وما الذي يرشدك إليه؟ (3) فلا ريب أنه العقل المبصر

(1) ابن قيم الجوزية: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية "القصيدة النونية"، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، 41.

(2) الجذاذ القطع: ابن منظور لسان العرب، 66/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 251/1.

وحيث أن يكون العقل دالاً دلالة قطعية على وجود صانع متقن، وخالق مبدع، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: 35].

فانظر كيف وجه العقول من خلال هذه الآية العظيمة إلى النظر والتفكير في آيات الله الدالة عليه، وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق أشهرها:

الطريق الأول: النظر في آيات خلق النفس قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: 21].

قال ابن قيم الجوزية: "لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكير في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه أستنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، وأضحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقضت عنه ظلمات الجهل، فإذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات شاهدة لمديرة دالة عليه مرشدة إليه⁽¹⁾.

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على وجوده قال تعالى: ﴿سَرِّبْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت: 53]، ومن تأمل في الأفاق وما في الكون من سماء وأرض وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب والأرض، ومن جبال وأشجار وبحار وأنهار تسير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق، دله ذلك على أنه هناك خالقاً لهذا الكون موجداً له مديراً لشؤونه قال ابن قيم الجوزية بياناً لهذا: "تأمل حال العالم علوي كله وسفليته بجميع أجزائه تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العالم وجحده، لا فرق بينهما بل دلالة الخالق على المخلوق والفعال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول المشرقة العلوية، والفطر الصحيحة: أظهر من العكس فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليهما ولا ريب أنهما طريقان صحيحان، كل منهما حق والقرآن مشتمل عليهما، فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما

(1) ابن قيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن: 201.

الاستدلال بالصانع فله شأن وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ [سورة إبراهيم: 10]. أي يشك في الله؟ حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟⁽¹⁾ فسبحانه لا يشك في وجوده "وإنما يكون الشك فيما تخفى أدلته وتشكل براهينه فأما من له في كل شيء محسوس أو معقول أية بل آيات مؤدية عنه شاهدة له بأنه الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين فكيف يكون فيه شك"⁽²⁾ وهذه حقيقة لا يتطرق إليها شكّ البتة فهي أظهر للعيان من الشمس في واقعة الظهيرة .

قال ابن كثير: في تقرير هذه الحقيقة: "أفي وجوده شك، فإن الفطر مشاهدة بوجوده ومجولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة"⁽³⁾.
ثالثاً: دلالة الشرع:

أما دلالة الشرع على وجود الله فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف: 54].
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [سورة البقرة: 21]. ومن أدلة الشرع كذلك ما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه.

يقول ابن قيم الجوزية: "وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة، أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاومت قدم أهمها وأجلها، وإن فاتت أدناها وتعطيل المفسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاومت عطل أعظمها فساداً باحتمال أدناها وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه، شاهدة له بكمال علمه وحكمته ولطفه بعباده وإحسانه إليهم، وهذه الجملة لا يترتب فيها من له ذوق من الشريعة وارتضاع من ثديها وورود من صفو

(1) ابن قيم الجوزية: التفسير القيم: 40.

(2) ابن قيم الجوزية: مفتاح درا السعادة، 275/1.

(3) ابن كثير: تفسير ابن كثير: 113، 112/4.

حوضها، وكلما كان تضلعه منها أعظم كان شهوده لمحاسنها ومصالحها أكمل، وقال: والقرآن مملوء من أوله إلى آخره بذكر حكم الخلق والأمر ومصالحهما ومنافعهما، وما تضمناه من الآيات الشاهدة الدالة عليه: وإذا تأملت الشريعة التي بعث الله بها رسوله حق التأمل وجدتها من أولها إلى آخرها منادياً عليها يدعوا العقول والألباب إليها⁽¹⁾. فالشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يمكن للمؤمن أن يدفع عن إيمانه أن الشريعة جاءت بما هو الحق والصدق في المعتقدات وجاءت، مما هو النافع والمصلحة التي تدخل فيها المعتقدات⁽²⁾".

رابعاً: دلالة الحس:

أما دلالة الحس على وجود الله فمن وجهين:

الوجه الأول: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدل دلالة قطعية على وجود الله تعالى قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ،

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ [سورة الأنبياء: 76].

وفي الحديث أن أعرابياً دخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يخطب الجمعة فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال: ((فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا قال أنس لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت))⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 376/2، 377 باختصار يسير.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 164/11.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، حديث رقم 1013 ومسلم كتاب الصلاة في الاستسقاء باب: الدعاء في الاستسقاء، حديث رقم: 897.

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجأ إلى الله تعالى واتي بشرائط الإجابة، كما قال ابن قيم الجوزية: ومما ينصرف إلى ذلك أن العباد كلهم مضطرون إلى دعاء الرب سبحانه وسؤاله وقصده والافتقار إليه كما قال تعالى:

﴿يَسْتَلِئُهُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن: 29]. (1).

الوجه الثاني: إن آيات الأنبياء يشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان ساطع ودليل قاطع على وجود مرسلها وهو الله تعالى.

قال ابن قيم الجوزية: "فإن انقلاب العصا ثقلها" (2) اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدلّ الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد.

فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد، وخلق البحر طرقاتاً، من موضعه ورفعها على قدر العسكر العظيم، فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينا تكفي أمة عظيمة وكذلك سائر آيات الأنبياء، فأخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائراً ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما يراه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر" (3).

خلاصة:

إن من أعظم الحقائق وإجلالها في الفطر والعقول حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة التي اتفقت العقول على الاعتراف بها، وإن أنكرتها بعض الألسن ظلما وعلوا. فهي من الواضح بما كان وبمنزلة لا يرتقي إليها الشك، ففي كل شيء له آية

(1) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، 4/1306.

(2) ثقلها: أي تحملها اليد: جاء في اللسان وأقل الشيء واستقله: حملة ورفعها، 7/480.

(3) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسله، 3/1197، 1198.

تدل على أنه واحد، وقد تنوعت دلائل وجود الله سبحانه ابتداء من فطرة الإنسان إلى كل ذرة في الكون، تقر وتشهد بأن لهذا الكون ربا مدبرا وإلها خالقا: ونعني بالفطرة ما فطر الله الناس عليه من الإيمان به، ثم شهادة العقل الذي مفاده أن لكل مخلوق خالق، ولكل موجود واجد والله تعالى واجد كل الأشياء، والعقل لا ينكر ذلك والشرع والحس يتفقان على وجود الصانع.

الفصل الثاني: مقاصد توحيد الربوبية

المبحث الأول: المقاصد التفصيلية الدالة على توحيد الربوبية

المبحث الثاني: المقاصد الكلية لتوحيد الربوبية

المبحث الأول: المقاصد التفصيلية الدالة على توحيد الربوبية

لقد برهن ربنا سبحانه وتعالى على توحيده وتفردة بالربوبية من الخلق والملك والرزق والتدبير من خلال مظاهر قدرته في خلقه، وبيان مقاصده وحكمه العظيمة والجليلة من الخلق، وهذا ما ذكره ابن قيم الجوزية في هذا الموضوع مبيناً الغاية والحكمة بعد التأمل والتدبر لمعاني الذكر الحكيم حيث قال: " وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته، وصفات كماله، ونعوت جلاله من عموم قدرته، وعلمه وكمال حكمته، ورحمته وإحسانه، وبره ولطفه، وعدله ورضاه، وغضبه وثوابه، وعقابه، فهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكير في آياته⁽¹⁾ ومن التفكير في آياته وهو المقصد الأول من مقاصد خلق الإنسان.

الذي بسط الكلام فيه ابن قيم الجوزية الكلام بسطاً قيماً أوضح من خلاله بدائع قدرة الله تعالى، وعظيم حكمته في خلق الإنسان على هذه الصورة من الحسن والتركيب والتناغم والترابط بين أعضاء الجسد الواحد من غير نقص أو خلل بين الأعضاء في أداء الوظائف المترتبة على كل عضو من أعضائه، ما يشير إلى صانع عظيم اتقن كل شيء صنعه قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [سورة الطارق:5].

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المؤمنون:12-14]. هذه دعوة صريحة من الله تعالى إلى خلقه للتأمل والتبصر في مراحل خلق الإنسان بدءاً من النطفة وإنهاءً إلى آخر مراحل الخلق يقول ابن قيم الجوزية: "وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره إذ نفسه وخلقته من أعظم الدلائل على خالقه وفطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 222/1.

عنه معرض عن التفكير فيه، ولو فكر في نفسه لجزره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفرة⁽¹⁾.

ولا أدل على ذلك من النظر في مبدأ خلقه وهي النقطة التي تحمل أعظم سر من أسرار الكون، وهو سر الحياة ذلك أن هذه النطفة العجيبة التي تحمل في طياتها عجائب خلق الله تعالى وبدائع صفة متمثلة في انتقالها في سلسلة من المراحل التكوينية ابتداء من العلقة ومرورا بالمضغة والعظام وانتهاء باللحم حتى يأخذ الجنين صورته النهائية من الحلقة البشرية يجعلها محلا للتدبر في صنع الله تعالى، والتأمل في النقلة البعيدة بين التراب والإنسان المتحدر في أصل نشأته من ذلك التراب.

كما قال ابن قيم الجوزية: " فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لتسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة، والتراب ولا نتكلم بها فقط، ولا لمجرد تعريفنا بذلك، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب، واليه جرى ذلك الحديث⁽²⁾.

إن التفكير والتأمل بعين البصيرة الثاقبة هو ذلك المنهج الرباني الصحيح الذي يدعو إليه القرآن الكريم، ويحث عليه لأنه من أشرف العبادات لله عز وجل، التي تغذى أسس الإيمان في القلوب، وتقوى المعرفة بالله تعالى وتورث المحبة الإلهية في قلوب الناس، وتنزع عن أبصارهم وقلوبهم الغشاوة وتجلى عنهم سحائب الشك والريب. فلو "تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل فإذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات شاهدة لمديره، دالة عليه، مرشدة إليه"⁽³⁾ وهذا مقصد هام من مقاصد توحيد الربوبية.

المقصد الأول: خلق السموات والأرض

وخلق السموات والأرض من المقاصد الدالة على توحيد الربوبية بما يتضمنه من المقاصد والحكم التعبديّة، ومنها:

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 223/1.

(2) المصدر نفسه، 223/1.

(3) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، عالم الكتب، بيروت، 84.

1- الاستشهاد بربوبيته على وحدانيته

والشاهد في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران: 190] ففي هذه الآية من الإرشاد والبيان، والمقاصد والدلالات ما تعجز العقول والأبصار عن إحصائها فهي "إما إخباراً عن عظمها وسعتها، وإما إقساماً بها، وإما دعاءً إلى النظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيتها ورافعها، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها، والتثام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته"⁽¹⁾، ومما يدل على ذلك اتصافه بجميع صفات الكمال من الجلال والجمال الظاهر في انشائه وخلقهِ للسَّموات والأرض في أكمل صورة وأتمها وأعظمها وأجلها، ما يستدل به على شواهد وحدانيته وتفردهِ بالخلق واتصافه بصفات القدرة والعلم الكامل على الإبداع والإنشاء التي "تدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته، وتحذرهم من بأسه ونقمته، وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته"⁽²⁾.

2- إحداث الهيبة والخشوع ومشاهدة عزة الرب وسلطانه.

إن إحداث الهيبة والعبودية في قلب المؤمن وخشوعه بين يدي ربه وخالقه هو نتيجة حتمية لكل عبد جال بقلبه، وحلق ببصره في أجواء السماوات، وأصبر ما فيها من دلائل شاهدة على عظمة الله وجلال سلطانه، وعزته وقهره وقدرته على تدبير خلقه وما يجريه عليهم من أمور وحوادث، تسعد أقوام وتشقى آخرين، كل ذلك يشاهده بقلبه وهو مسافر في رحلته نحو هذا الفضاء الواسع والأرحب، وهذا هو النظر المعنى قال ابن قيم الجوزية: "والنظر في هذه الآيات نوعان: النظر بالبصر الظاهر وليس هو المقصود بالأمر. الثاني أن يتجاوز هذا النظر بالبصيرة الباطنة"، وفتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها، وملكوته وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى يفضي به القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته، وجلاله ومجده، ورفعته ورأى ملائكته حافين من

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 233/1.

(2) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، 199.

حوله لهم زجل التسبيح والتحميد والتقديس، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك، وينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين وإعزاز وإذلال آخرين، وكشف ضر ونصرة مظلوم وجبر كسر وإغناء فقير، وشفاء مريض إلى غير ذلك من مسائل الأمور ومتعلقاتها، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيبته خاشعاً لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الحق المبين⁽¹⁾. محبتاً لربه طائعا وخاضعا ذليلاً قد امتلأ قلبه بحب خالقه، لما شاهده بقلبه وعينه ببصره من عظمة وجلال ما رأى وسمع من دلائل قدرة الله وعجائب صنعه في خلقه.

3- التفكير والتأمل في خلق السموات والأرض يثمر المدح والثناء من الله تعالى لعباده المتفكرين

ذلك أن هذا التأمل والتفكير بالبصيرة الباطنة يحصل لهم به المقصود، من الوصول إلى الحقائق اليقينية من التوحيد والإيمان بالله وبدينه ورسوله المفضي بهم إلى سعادة الدارين والفوز برضاه سبحانه "ولهذا أثنى الله تعالى على عباده المتفكرين في خلق السموات والأرض، وذم المعرضين عن ذلك"⁽²⁾ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 32] ذلك أن هذا التفكير قادهم إلى الشهادة لله والعلم بأن خلقها يستوجب أمره ونهيه وثوابه وعقابه. "فكانت ثمرة فكرهم في خلق السموات والأرض الإقرار به تعالى، وبوحدانيته وبدينه وبرسوله، وبثوابه وعقابه، فتوسلوا إليه بإيمانهم، الذي هو من أعظم فضله، عليهم، إلى مغفرة ذنوبهم، وتكفير سيئاتهم، وإدخالهم مع الأبرار إلى جنته التي وعدهم، وذلك تمام نعمته عليهم"⁽³⁾.

4- شهادة العبد لربه بخصائص الربوبية

إن المتأمل في الآيات الكونية يجدها جميعا ناطقة ولسان حالها يدل على وجود خالقها وفاطرها شاهدا بربوبيته وتفرد به عن سائر المخلوقين، ولما فيها من مظاهر

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 235/1، بتصرف.

(2) المصدر نفسه، 233/1.

(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 1217.

الإبداع والإعجاز ما يصرف القلوب إلى طاعته عن طاعة غيره وإخلاصه في عبادته سبحانه وتعالى جلت قدرته وعلا سلطانه، وتفرد في ملكه، قال ابن قيم الجوزية "وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها، وبديعها خلقها سبحانه فراشا ومهادا وذلكها لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم لعبادته وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم، ومعايشهم وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم وارساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ووسع اكفافها ودماعها فمدها وبسطها (...)

وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر والتفكير في خلقها. قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ﴾ [سورة الذاريات: 48] الله الذي جعل لكم الأرض قرارا الذي جعل لكم الأرض فراشا وأنزل عليها الماء فتحركت وربت واخضرت وانبتت الأزواج المختلفة والمتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة واللقاح واحدا⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الأعراف: 13] ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [سورة الحديد: 11]

الحج: 5-7]

إن المتأمل لهذه المعاني العظيمة التي تضمنتها هذه الآيات الكريمة، يجد فيها من المقاصد الإيمانية ما يدعو المؤمن إلى أن يشهد لربه وخالقه بخصائص ربوبيته من الإحياء والإماتة والقدرة المطلقة، وصحة المعاد وقيام الساعة وإحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 236/1، 237، بتصرف.

المقصد الثاني: خلق الليل والنهار: وفيه مقصدان عظيمان

1- يشير إلى المعاد والنشأة،

وقد وضع ذلك ابن قيم الجوزية وبينه من خلال ظاهرة تعاقب الليل والنهار فالنهار يُطلب للمعاش، وقضاء الحوائج والمصالح والليل للراحة والسكن، كما تخرج الطيور من أوكارها، طلباً للرزق، ثم تروح عند المساء لتسكن إلى أعشائها فقال "فياله من معاد ونشأة دال على قدرة الله تعالى على المعاد الأكبر⁽¹⁾" فأنظر إلى هذا الربط العجيب والاستدلال القوي بين النشأتين الأولى والأخرى والحياة بعد الموت، فكأنه أراد أن يذكر وينبه العباد إلى ضرورة الاعتبار والعمل للآخرة الباقية.

2- معرفة الله وحمده وشكره :

ولا تتم هذه المعرفة إلا بعد التبصر والتفكر في آيات خلق الليل والنهار، وما أودع فيه من الحكم والأسرار قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: 33]،
وقوله عز وجل:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة يونس: 67]

قال ابن قيم الجوزية: "وهذا كثير في القرآن فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته كيف جعل الليل سكناً ولباساً يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى الحيوانات إلى بيوتها والطيور إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معاشها وتصرفها، جاء فالتق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار يقدم جيشه بشير الصباح فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه وخرجت الطيور من أوكارها، فبهذا وأمثاله

(1) المصدر نفسه 240/1.

يعرف الله عز وجل يشكر ويحمد ويتضرع إليه ويسأل⁽¹⁾.

المقصد الثالث: خلق البحار وما فيه من العجائب الدالة على قدرته سبحانه وعلمه وحكمته.

إن من عجائب صنع الله تعالى وبدائع خلقه في هذا الكون العظيم الدالة على قدرته، وعلمه وحكمته سبحانه في وجود كميات كثيرة من المياه تغمر مساحات شاسعة من اليابسة، وعلى أعماق متفاوتة بين الانخفاض والعلو مع بقائها واستقرارها على حالها دون أن تغمر الأرض بكمياتها العظيمة دليل على وجود حكمة الحكيم، وقدرة التقدير في حبس المياه وإمساكها. قال ابن قيم الجوزية: "إن خلق البحار بهذه الكيفية من البروز والعلو مع ما فيه من خاصية وطبيعة الماء للغمر ومع ذلك يبقى الماء على حاله فلا يغمر الأرض ولا يغرقها، ولولا أمساك الله الرب تبارك وتعالى له بقدرته ومشيتته وحبسه الماء لطفح على الأرض ولعلاها كلها هذا طبع الماء، ولهذا حار عقلاء الطبيعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض، بعد اقتضاء طبيعة الماء للعلو عليه وأن يغمره، ولم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك إلا الاعتراف بالعناية الأزلية، والحكمة الألهية التي اقتضت ذلك لعيش الحيوان الأرضي في الأرض، وهذا حق ولكن يجب الاعتراف بقدرته الله ومشيتته وعلمه وحكمته، وصفات كماله ولا محيص عنه"⁽²⁾.

المقصد الرابع: خلق الحيوان والنبات. الشهادة له بالعظمة والكمال والبر واللطف

إن المتأمل في آيات الله الكونية كخلق الحيوان والنبات، يجد من دلائل عظمة الله وعجائب قدرته وحكمته، ما يجعل قلوب العباد تستشعر عظمة خالقها وفطرها في صنعه واتباعه لصنعه سبحانه، فيقررون له بربوبيته ويشهدون له بوحدانيتها، ويخضعون لعبادته، وهذه أعظم الأسرار الإلهية وأجل المقاصد الإيمانية والتوحيدية التي تجليها هذه الآيات الكونية العظيمة من الخلق بهذه الكيفية. يقول ابن قيم الجوزية: "خلق الحيوان على اختلاف صفاته وأجناسه، وأشكاله ومنافعه وألوانه وعجائبه المودعة فيه، فمنه الماشي على بطنه، ومنه الماشي على رجليه، ومنه الماشي على أربع، ومنه ما جعل

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 240/1 باختصار.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 240/1 بتصريف.

سلاحه في رجله وهو ذو المخالب، ومنه ما جعل سلاحه كالنسر⁽¹⁾ إلى آخر الأوصاف التي ذكرها.

ثم ذكر بدائع صنع الله وخلقه في النبات مسترشداً بآيات الله الدالة على ضرورة التأمل والنظر فيه قال تعالى: ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ [سورة الأنعام، الآية 99] وذلك لمعرفة وفهم وظائفه وخصائصه ثم فوائده فكل ما يتعلق به ينبىء عن عظيم خلقه وعجيب أمره "ولو أردنا أن نستوعب ما في آيات الله المشهودة من العجائب والدلالات الشاهدة لله بأن الله الذي لا اله إلا هو الذي ليس كمثله شيء، وأنه الذي لا أعظم منه ولا أكمل، ولا أبر ولا ألطف، لعجزنا نحن الأولون والآخرون على معرفة أدنى عشر معشار ذلك"⁽²⁾.

المقصد الخامس: خلق العالم وإحسان نظامه

من مقاصده الدالة على أن خالق العالم واحد، حيث استشهد ابن قيم الجوزية في الدلالة على هذا المقصد بإحسان نظام العالم، وتأليف أجزائه ونظمها على أحسن نظام فقال: "تأمل العبرة في موضوع هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على أحسن نظام وأدله على كمال قدرة خالقه، وكمال علمه، وكمال حكمته، وكمال لطفه، فإنك إذا تأملت العالم، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته، ومصالحه، وكل ما يحتاج إليه، فالسماء سقفه المرفوع عليه والأرض مهاد وبساط وفراش مستقر للساكن والشمس والقمر سراجان يزهران فيه، والنجوم مصابيح له وزينة، وأدلة للمتنقل في طريق هذه الدار⁽³⁾ ثم أتم الله نعمته على خلقه وتفضله على عباده "فجعل الإنسان كالمملك المتجول في ذلك المحكم فيه المتصرف بفعله وأمره، ففي هذا أعظم دلالة، وأوضحها على أن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره أحسن تقدير ونظمه أحسن نظام، وأن الخالق سيتحيل أن يكون اثنين، بل الإله واحد لا إله إلا هو تعالى عما يقول الظالمون

(1) المصدر نفسه، 242/1.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 242/1.

(3) المصدر نفسه، 343/1، باختصار.

والجاحدون علواً كبيراً، وانه لو كان في السموات والأرض إله غير الله لفسد أمرهما واختل نظامهما وتعطلت مصالحهما"⁽¹⁾ وقال في موضع آخر مستشهداً بأمر العالم كله علويه وسفليه على وحدانيته سبحانه "وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على أمر محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد"⁽²⁾.

سادساً: الحكمة في خلق الشمس والقمر والنجوم واختلاف سير الكواكب وفي هذا الخلق عدد من المقاصد الدنيوية المتعلقة بحياة الإنسان وأسباب معاشه في الدنيا، وأخرى تعبدية تتعلق بعلاقة الإنسان بربه وخالقه.

1- المقاصد الدنيوية :

أ- مصدر للنور والضوء :

لا يخلو تعلق هذه المقاصد وارتباطها بالمقاصد الدينية والتعبدية لان الثانية تعود على الأولى بعد النظر والاعتبار، فيما خلق الله تعالى في السماوات من شمس وقمر ونجوم وكواكب وأثرها على حياة الإنسان والحيوان، والنبات بما يعود عليهم جميعاً بالنعمة والفائدة. يقول ابن قيم الجوزية " ثم تأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما، لإقامة دولتي الليل والنهار، ولولا طلوعها لبطل أمر العالم، وكيف كان الناس يسعون في معاشهم، ويتصرفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، وكيف كانوا يتهنون بالعيش بعد فقد النور"⁽³⁾.

فمن جملة المنافع والآثار المترتبة على هذين الشئيين الشمس والقمر أن جعل الشمس والقمر ضياءً ونوراً، ولمعرفة عدد السنين والحساب قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة يونس: 5].

(1) المصدر نفسه، 343/1، باختصار.

(2) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسله، 464/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 244/1.

إن استقرار الحياة وبقائها على الأرض مرتين بهذين الجرمين العظيمين (الشمس والقمر) بما يقدمان من مصالح تقوم عليها حياة الإنسان، وتتحقق بها مصالحه من الدفء والنور "وتمام مصالح حساب العالم الذي لا غناء لهم في مصالحهم عنه فبذلك يعلم حساب الأعمار، والآجال المؤجلة للديون والإجازات والمعاملات، والعدد وغير ذلك" (1).

ب- مصدر للحرارة :

ثم يذكر من أحوال الشمس وما فيها من الحكم والمصالح والأحوال على الأجسام والأبدان، من الإنسان والحيوان، وأثرها على النباتات والإثمار، والجبال والبحار والأنهار، وإقامة الأزمنة والفصول فلكل فصل خصائصه التي لا تنفك عنه "ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف وبطن الأرض والجبال، وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيظهر النبات ويتنور الشجر بالزهر ويتحرك الحيوان للتناسل وفي الصيف يحد الهواء، ويسخن جداً، فتضج الثمار، وتنحل فضلات الأبدان والاختلاط التي انعقدت في الشتاء وتغور البرودة وتهرب إلى الأجواف ولهذا تبرد العيون والآبار، فإذا جاء الخريف اعتدل الزمان وصفا الهواء وانكسر ذلك السموم وجعله الله بحكمته برزخاً بين سموم الصيف وبرد الشتاء لئلا ينتقل الحيوان وهلة واحدة من الحر الشديد إلى البرد الشديد فيجد أذاه ويعظم ضرره" (2).

ج- زينة وأعلام :

ومنها جعل النجوم زينة وأعلاما يهتدي بها في البر والبحر: قال ابن قيم الجوزية: "ثم تأمل حكمته تبارك وتعالى في النجوم وكثرتها وعجيب خلقها، وأنها زينة، وأدلة يهتدي بها في طرق البر والبحر، وما جعل فيها من الضوء والنور، بحيث يمكننا رؤيتها مع البعد المفرط، ولولا ذلك لم يحصل لنا الاهتداء، والدلالة ومعرفة المواقيت" (3). وهذه من نعم الله تعالى علينا جميعاً أن خلق لنا هذه السماوات ما وتحويه من

(1) المصدر نفسه، 246/1.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ، 245/1، باختصار.

(3) المصدر نفسه، 247/1.

أسرار وحكم وعجائب تدل جميعها على عظمة بارئها وفاطرها وتشهد بقدرته وعلمه
وحكمته سبحانه وتعالى.

2- المقاصد التعبدية

لاشك أن هناك مقاصد وحكم تتجلى من خلال هذه المخلوقات التي ذكرت
فمنها:

أ- الشهادة على قدرة الله تعالى

الشهادة لله الخالق بالقدرة المطلقة والحكمة التامة على الإبداع في الخلق، والحكمة
في تعريف أمور خلقه في إعجاز تام ليس فيه إمتا ولا عوجا فكل مخلوقاته تشهد "لخالقها
أنه البارئ المصور، وأنه العليم الحكيم الذي خلق فسوى وقدر فهدى وأن هذه إحدى
آياته الدالة عليه وعجائب مصنوعاته الموصلة الأفكار إذا سافرت فيها إليه وأنه خلق
مسخر مربوب مدبر".⁽¹⁾

ب- الشهادة على وجود الله

إن وجود الشمس والقمر وسائر الكواكب في فلك السماء ليس فقط دليلا على
وجود الله، بل "كما يشهد ترتيبها ونظامها الذي هي عليه من أدل الدلائل على وجود
الخالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته"⁽²⁾.

وهذا مقصد عظيم من مقاصد الخلق المربوب لله تعالى.

ج- الفقر والحاجة إلى الله

ومن مقاصدها العظيمة أيضا فقرها وحاجتها إلى ربها في كل وقت وحين، فهي
"جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها، وصامتها وأدميها، وجنيها، وملكها فكل من في
السموات عبده وملكه وهو مخلوق ومصنوع مربوب فقير من كل وجه ومن لم يعرف
هذا لم يعرف شيئا"⁽³⁾. وهذه من صفات العبيد الملازمة لذواتهم، فكل عبد فقير إلى الله
يحتاج إليه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "والفقر وصف ذات لازم

(1) ابن قيم الجوزية مفتاح دار السعادة، 248/1.

(2) المصدر نفسه 248/1، 249، بتصرف التبيان في أقسام القرآن، 110.

(3) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، 178.

أيضا كما الغني أبدا وصف له ذاتي"،⁽¹⁾ فما أخرج الخلق جميعهم إلى المنعم المتفضل فكل نعمة في الدنيا وسعادة إنما هي في فقره واحتياجه لربه وخالقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات، وفقره من لوازم ذاته، يمتنع أن يكون إلا فقيراً إلى خالقه، وليس أحداً غنياً بنفسه إلا الله وحده فهو الصمد الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه فالعبد فقير إلى الله من جهة ربوبيته ومن جهة إلهيته"⁽²⁾.

د- الاعتراف بجلال الخالق

مقاصد خلق الشمس والقمر كما قال ابن قيم الجوزية "الاعتراف بجلال خالقهما، وكمال حكمته ولطف تدبيره"⁽³⁾. فسبحانه أحاط علمه بكل دقيق وجليل، بهرت حكمته العقول، وشهدت بعظمته القلوب، فسجدت القلوب في محراب ملكوته شاكرة لفضله جزاء على أنعمه وعطائه سبحانه جل في علاه.

هـ- الشهادة له بالحكمة في الخلق

من مقاصدهما الشهادة له سبحانه أن ما خلق الشمس والقمر باطلاً "وأن هذا الضوء والنور لا بد أن ينتهي إلى ضد، وأن هذا السلطان لا بد أن ينتهي إلى العزل، وسيجمع بينهما جامع المتفرقات بعد أن لم يكونا مجتمعين، ويذهب بهما حيث شاء، ويرى المشركين من عبدتهما حال آلهتهم التي عبدوها من دونه، كما يرى عباد الكواكب انتشارها، وعباد السماء انفطارها وعباد الشمس تكويرها، وعباد الأصنام إهانتها"⁽⁴⁾.

وفي هذا إشارة إلى أنها خلق من خلق الله مربوبة مسخرة بأمره مصيرها إلى انتهاء وزوال وفناء فلا تستحق أن تعبد أو تؤله من دونه سبحانه وتعالى، فهو أحق بالربوبية والإفراد والتوحيد والألوهية.

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، 21.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 80/1.

(3) ابن قيم الجوزية، التبيان، في أقسام القرآن، 109.

(4) المصدر نفسه، ص 111.

المقصد السابع: الحكمة من خلق النار، والهواء، والجبال والسهل والوعر، والزلازل وأسباب حدوثها

فكل خلق من هذه المخلوقات يحوي مقاصد دنيوية تتعلق بمعاش الناس ومصالحهم، ومقاصد تعبدية تتعلق بعلاقتهم مع ربهم وخالقهم.

1- المقاصد الدنيوية

أ- انضاج الطعام وتجفيفه وتحليله

إن حكمة وجود النار وآثارها المادية في حياة الإنسان كونها وسيلة من الوسائل التي تعينه على قضاء حوائجه وتوفير متطلباته المتعلقة بشؤون حياته اليومية، كما أنها تعد السبب الأول والمباشر في الاستعانة بها في علاج كثير من المشاكل التي يتعرض لها الإنسان. يقول ابن قيم الجوزية في معرض بيان فوائد النار: "وأما منافع النار في انضاج الأطعمة والأدوية، وتجفيف ما ينتفع إلا بجفافة وتحليل ما لا ينتفع إلا بتحليله، وعقد ما لا ينتفع إلا بعقده وتركيبه فأكثر من أن يحصى"⁽¹⁾. ولا ريب أن هذا مقصد عظيم من مقاصد خلق النار لا يخفى على أصحاب العقول السديدة والآراء الحكيمة من الاستدفاء والاستضاء وغير ذلك من وجوه التمتع بالنار في الدنيا.

ب- وجوب الهواء سبب في حياة الإنسان والحيوان والنبات

وأما الحكمة من خلق الهواء والرياح المنتشر على غلاف سطح الأرض ففيه من الحكم والأسرار والفوائد ما يعجز اللسان عن حصره، يقول ابن قيم الجوزية بعد إحصاء فوائده "وبالجملة فحياة ما على الأرض من نبات وحيوان بالرياح فإنه لولا تسخير الله لها لعباده لذوى النبات، ومات الحيوان وفسدت المطاعم وانتن العالم وفسد"⁽²⁾. فبه يحيي الإنسان والنبات والحيوان وسائر ما خلق الله في هذا الكون بل إن الإنسان لا يستطيع أن يتواصل مع غيره، ويتخاطب معه إلا عن طريق الهواء الموجود في الصوت وهو "أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام وليس نفس الاصطكاك وقرع الجسم للجسم أو قلعه

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 253/1.

(2) المصدر نفسه، ص 254/1.

عنه فسببه قرع أو قلع فيحدث الصوت، ويحمله الهواء ويؤديه إلى مسامع الناس فينتفعون به في حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار، وتحدث الأصوات العظيمة، من حركاتهم فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لأمتلاً العالم منه ولعظم الضرر به واشتدت مؤنته"⁽¹⁾.

ج-الحكمة في خلق الجبال والسهل والوعر هي :

- كثرة منافعها

إن هذه المقاصد والحكم لا يدركها إلا من عرف ربه، وتدبر خالقها وناصبها الذي أرساها، وجعل فيها من المصالح والمنافع ما لا يعد ولا يحصى. قال ابن قيم الجوزية: "فمن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف، ومن منافعها، ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها والأرضية وغيرها ومن منافعها ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها، ومن منافعها أنها ترد الرياح العاصفة، وتكسر حدتها، ومن منافعها ترد عنهم السيول إذا كانت في مجاريها، ومن منافعها أنها أعلام يستدل بها في الطرقات فهي بمنزلة الأدلة المنصوبة المرشدة إلى الطرق ومن منافعها جعلها الله للأرض أوتاداً تثبتها فخلقها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدرة باريها وفاطرها، وأما السهل والوعر فلما اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن جعل من الأرض السهل والوعر والجبال والرمل لينتفع بكل ذلك في وجهه ويحصل منه ما خلق له وكانت الأرض بهذه المثابة لزم من ذلك أن صارت كالأم التي تحمل في بطنها أنواع الأولاد من كل صنف ثم تخرج إلى الناس والحيوان من ذلك ما أذن لها فيه ربها أو تخرجه إما بعلمهم وإما بدونه ثم يرد إليها ما أخرج منها وجعلها سبحانه كفاتاً"⁽²⁾.

(1)المصدر نفسه ، 254/1.

(2)ابن قيم الجوزية، مفتاح درا السعادة، 256/1، 259 باختصار.

2- المقاصد التعبدية

أ- الحكمة من خلق النار فهي :

- التذكير بنار الآخرة :

إن حكمة الله تعالى اقتضت وجود النار والحرارة الشديدة في حياتنا نلمسها بأيدينا وتحس بها أجسادنا فلا تطيقها ونشاهدها بأعيننا عن قرب عندما تنصدع الجبال فتخرج منها البراكين تجري في أنهار كما تتفجر في قيعان البحار منها ألسنة النيران محدثة الهلع والخوف والفرع، منظر عظيم يذكر الناس بنار الآخرة وعذابها الشديد. قال ابن قيم الجوزية: "أنه جعلها تذكرة بنار الآخرة فتستجير منها وتهرب إليه منها"⁽¹⁾، مع الفضل والتفاوت الذي بينهما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الواقعة: 71-73]

ب- الحكمة من خلق الجبال فهي :

- العظة والاعتبار :

جعل الله تعالى فيها العظة والاعتبار لعباده إذا نظر الإنسان إليها نظر المتأمل المتبصر في شدتها وقوتها وعلوها وارتفاعها أيقن عظمة وقوة خالقها، فهذه الجبال الشمخ على قوتها تخشع وتلين لكلام ربها وخالقها "فيا عجبا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب فليس بمستنكر على الله عز وجل ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارا تذيبها إذا لم تلن بكلامه وذكره وزواجه ومواعظه فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه، ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته فليمتنع قليلاً فإن أمامه الملمين الأعظم وسيرد إلى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم"⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه، 253/1.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 252/1.

3 - الحكمة من خلق الأرض :

الشهادة على الخلق يوم القيامة وإخبارهم بحالهم

إذا قامت السماء إذن الله تعالى إلى الأرض أن تلقى ما في جوفها، وتحدث أخبارها "فتخرج الناس من بطنها وتقول رب هذا ما استودعتني وتخرج كنوزها بإذنه تعالى، ثم تحدث أخبارها وتشهد على بنيتها بما عملوا على ظهرها"⁽¹⁾.

4- الحكمة من خلق الهواء :

- الشهادة له بالربوبية والوحدانية

إذا طالع العبد ببصره في هذا الكون الواسع رأى من آيات ربه الباهرة في خلق الهواء ووظيفته على سطح الأرض، ودورة الحياة على سطحها من سكون وحركة وأثر ذلك على حياة الإنسان والحيوان والنبات أدرك عظمة خالقه وبارئه "شهد له بالربوبية وأقر له بالوحدانية، وأنه بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين"⁽²⁾.

5- خلق الزلازل:

من مقاصد خلق الزلازل :

-الوعد والوعيد :

وفيه تنبيه الخلق إلى أمر عظيم وحدث جليل يندرك بيوم الوعيد "فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معاصيه والتضرع إليه والندم"⁽³⁾. وهذا من فضل الله ورحمته ولطفه بعباده لهم أن جعل الظواهر الطبيعية التي تحدث للأرض تذكيراً وتنبيهاً للخلق بما سيكون عليه الحال يوم القيامة، فيزداد الطائعون خوفاً وخشية ويرتدع العصاة عن معاصيهم.

(1)المصدر نفسه، 259/1.

(2)ابن قيم الجوزية التبيان في أقسام القرآن، 187.

(3)ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 259/1.

المبحث الثاني: المقاصد الكلية من توحيد الربوبية

لتوحيد الربوبية مقاصد عظيمة وثمرات كثيرة تحصل للعبد المؤمن أبرزها:

أولاً: توحيد الربوبية يوصل إلى توحيد الألهية

يعد هذا المقصد من المقاصد الهامة، وذلك إن هذا التوحيد كما بينه ابن قيم الجوزية من خلال سورة الفاتحة يعد الباب الذي يدخل فيه العبد إلى توحيد الألهية. فيقول: "وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام "إياك نعبد وإياك نستعين" علماً وحالاً فيثبت، قدم العبد في توحيد الربوبية ثم يرقى منه صاعداً، إلى توحيد الإلهية، فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلال والسعادة والشقاء، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يقرب القلوب، ويصرفها كيف شاء وأنه لا موفق إلا من وفقه وإعانة، ولا مخذول إلا من خذله وأهانته وتخلي عنه، واضح القلوب وأسلمها، وأرقها وأصفاها وأشدها وحده من أتخذها إلهاً معبوداً فكان أحب إليه من كل ما سواه وأخوف عنده من كل ما سواه فتقدم محبته في قلبه جميع المحاب فتنساق المحاب تبعاً لها كما ينساق الجيش تبعاً للسلطان، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخلوقات (...) فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية".⁽¹⁾

ثانياً: قطع الطمع من المخلوقين

ومن مقاصده أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى توحيد الله بالدعاء والإرادة والقصد، وهذا غاية مطلوبه ورجائه. قال ابن قيم الجوزية: "فهذه هي المرادة من العباد وهي أن يعرفوا الله ويعبدوه وحده، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد غيره ممن لا يملك نفعا ولا ضراً".⁽²⁾

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 313/1.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد/12/4.

ثالثاً: اللجوء إليه سبحانه والاستعاذة به

ومن مقاصده أن العبد عندما يدرك أن الله هو الخالق والمالك لجميع خلقه ملكاً تاماً، والمدبر لجميع شؤونهم، فيعز ويذل ويغني ويفقر بيده الأمر كله فيلجأ إليه ويستعيذ به "فلا يجد المستعيذ عوناً له ولا غوثاً من ملك ولا عظيم دون الله تعالى"⁽¹⁾. فهو الملك الحق ولا ملك سواه يلوذ الخلق بجنابه سبحانه.

قال ابن قيم الجوزية "فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد، والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم، وملجؤهم، فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به، وتبديره فليس لهم ملك غيره يهربون إليه إذا داهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم"⁽²⁾. وقال في موضع آخر مبيناً صفات أهل التوحيد "فأعرف الخلق وأقواهم لتوحيده من قال في دعائه "أعوذ بك منك" فليس للخلق معاذ سواه ولا مستعاذ منه إلا هو ربه وخالقه ومليكه، وتحت قهره وسلطانه"⁽³⁾.

رابعاً: زيادة الإيمان واليقين والتسليم

من مقاصده: أن العبد إذا تأمل في بدائع صنعه سبحانه وتعالى بما فتح الله عليه "ونظر إلى خلقه وما فيه من العجائب إزداد إيماناً وتسليماً لا كمن حجب بالصفة عن الصانع، وبالكواكب عن مكوكبها فعمى بصره وغلظ عن الله حجابيه، ولو أعطى علمه حقه لكان من أقوى الناس إيماناً لأنه اطلع من حكمة الله وباهراً آياته وعجائب صنعته الدالة عليه وعلى حكمته وعلمه وقدرته على ما خفى عن غيره"⁽⁴⁾. وفي هذا المعنى دعوة إلى ضرورة النظر إلى الأمور بعين البصيرة الباطنة لقدرتها على تمييز الأشياء وتحليلها، ثم وضعها في مكانها الصحيح الذي وجدت لأجله وهو الوصول إلى الإيمان الصادق والعلم اليقيني بوجوده، وقدرته التامة وعلمه المحيط بكل الأشياء جليها ودقيقها.

(1) عبدالله بن القادر التليدي، دلائل التوحيد، دار ابن حزم، بيروت، ط.1، 1999م، 408.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد/594، 595.

(3) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 784.

(4) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 274/1.

خامساً: شكر المنعم المتفضل

ومن مقاصده عندما يدرك المؤمن بعقله وبصيرته أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق والإيجاد من العدم، والموت والإحياء ثم البعث مرة أخرى ليحاسب الخلق على ما قدموا من أعمال ثم يجازيهم بعدله سبحانه، مع علمه أنه لا يقدر على ذلك غيره قاده هذا الإدراك إلى معرفة ربه وخالقه والإيمان به إلى شكره لتفضله عليه فهو الذي سخر له ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليه نعمه جميعها ظاهرها وباطنها جليها، وخفيها.

قال ابن قيم الجوزية: "إن شكره سبحانه مستحق عليهم بجهة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه، وذلك يوجب عليهم أن يعرفوه وأن يعظموه ويوحدوه ويتقربوا إليه تقرب العبد المحب لسيدته الذي يتقلب في نعمه، ولا غناء به طرفة عين، فهو يدأب في التقرب إليه بجهدته ويستفرغ في ذلك وسعه، وطاقته ولا يعدل به سواه في شيء من الأشياء ويؤثر رضا سيده على إرادته وهواه، بل لا هوى له ولا إرادة فيما يريده سيده ويحبه".⁽¹⁾

سادساً: الشعور بالعجز والضعف والحاجة إلى الله تعالى:

إن الشعور بالعجز والضعف وعدم القدرة على تأمين كل ما يحتاجه العبد ويتمناه في حياته على وجه التمام والكمال، يعد ذلك من صفات العبد الملازمة لذواتهم باعتبارهم خلق مربوبون ومقهورون بسلطان الله وقوته وإرادته، وأن ليس لهم من القوة والقدرة إلا ما اراد الله وشاء، فإذا أدرك العبد الضعيف "أنه أعجز شيء من حفظ نفسه وأضعفه، وأنه لا قدرة ولا حول إلا بربه فيشهد قلبه كريحته ملقاة بأرض فلاه تقلبها الرياح يميناً وشمالاً، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها الرياح وتتلاعب بها الأمواج، ترفعها تارة وتخفضها أخرى تجرى عليه أحكام القدر وهو كالآلة، طريحاً بين يدي وليه واضعاً خده على ثرى أعتابه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ليس له من نفسه إلا الجهل والظلم وأثارهما ومقتضياتهما فالهلاك أدنى إليه من شراك نعله كشاة ملقاة بين الذئب والسباع لا يردها عنها إلا الراعي، فلو تحلى عنها طرفة عين لتقاسموها أعضاءاً وهكذا هو حال العبد ملقى بين الله وأعدائه من

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل /408.

شياطين الإنس والجن، فإن حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا إليه سبيلاً وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين لم ينقسم عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم⁽¹⁾. وعندها يدرك هذا العبد الضعيف العاجز عن حماية نفسه وحفظها حاجته إلى ربه وخالقه وخافظه وأنه لا غنى عنه بأي حال من الأحوال فهو الملجأ والمعاذ وجب عليه حينئذ أن يتوجه إليه بما يستحق من حقوق ربوبيته والوهيته إن عرف نفسه وعرف ربه. "فعندها يعرف نفسه حقاً ويعرف ربه كما قيل: من عرف نفسه عرف ربه، ولا ين قيم الجوزية: وفي هذا القول ثلاثة تأويلات:

أحدهما: "أن من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرفها بالذل عرفه ربه بالعز ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم فإن الله سبحانه أستأثر بالكمال المطلق، والحمد والثناء، والمجد والغنى، والعبد فقير ناقص محتاج وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله".⁽²⁾

التأويل الثاني: وفيه أقام الحجة على نفسه أن المتصف بالصفات المدوحة ينبغي أن يكون المعطى لها متصف بالكمال المطلق فهو من باب أولى أن يكون عارفاً بذلك، فقال: "أن من نظر إلى نفسه وما فيها من الصفات المدوحة من القوة والإرادة والكلام والمشية والحياة، عرف أن من أعطاه ذلك وخلقه فيه أولى به، فمعطى الكمال أحق بالكمال، فكيف يكون العبد حياً متكلماً سمعياً بصيراً مريداً عالماً، يفعل باختياره ومن خلقه وأوجده لا يكون أولى بذلك منه؟ فهذا من أعظم المحال، بل من جعل العبد متكلماً أولى أن يكون هو متكلماً، ومن جعله عليمًا سمعياً بصيراً فاعلاً قادراً أولى أن يكون كذلك فالتأويل الأول من باب الضد وهذا من باب الأولوية".⁽³⁾

والتأويل الثالث: أن هذا من باب النفي أي كما أنك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الأشياء إليك فلا تعرف حقيقتها، ولا ماهيتها ولا كيفيتها، فكيف تعرف ربك

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 325/1.

(2) المصدر نفسه، 325/1.

(3) المصدر نفسه، 326/1.

وكيفية صفاته؟ والمقصود أن هذا المشهد يعرّف العبد أنه عاجز ضعيف، فتزول عنه رعونات الدعاوي، والإضافات إلى نفسه ويعلم أنه ليس له من الأمر شيء إن هو إلا محض القهر والعجز والضعف⁽¹⁾ ويكفي في هذا اعترافاً وإقراراً منه بربوبية خالقه وقهره وسلطانه من خلال اعترافه على نفسه بعجزه وضعفه فيوصله هذا العجز والضعف والحاجة إلى ربوبية مولاه ومعرفته به سبحانه جل في علاه.

سابعاً: الرضى بالمقدور

عندما يدرك العبد أن الله تعالى هو "المالك لكل شيء وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار وليس للعبد أن يختار عليه، وليس لأحد معه اختيار، ولا يشرك في حكمه أحداً والعبد لم يكن شيئاً مذكوراً، فهو سبحانه الذي اختار وجوده، واختار أن يكون كما قدره له وقضاه: من عافية وبلاء، وغنى وفقر، وعز وذل، ونباهة وخمول فكما تفرد سبحانه بالخلق تفرد بالاختيار والتدبير-وليس للعبد شيء من ذلك فإن الأمر كله لله وقد قال الله تعالى لنبيه-صلى الله عليه وسلم- ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران:128] فإذا تيقن العبد أن الأمر كله لله، وليس له من الأمر قليل ولا كثير لم يكن له معول-بعد ذلك- غير الرضى بمواقع الأقدار، وما يجرى به من ربه الاختيار⁽²⁾، في اختيار الله له فهو خير له في دينه. قال العز بن عبد السلام: "من رضى بقسم الله شكر فاستوجب المزيد، ومن تسخط بذلك، استوجب السخط فإن الله تعالى يعامل العبيد عما يعاملونه به، فيرضى عن من رضى عنه، ويسخط على من تسخط بقضائه، ويستحي منه ويعرض عن من أعرض عنه، ويؤوي من أوى إليه، ويقبل على من أقبل عليه، ويهرول إلى من مشى إليه"⁽³⁾.

ثامناً: ذكر ألاء الله ونعمه سبب في فلاح العبد وسعادته.

ومن مقاصده أن المؤمن إذا سافر بعقله وحلق بفكره متأملاً الحكمة من خلق النعم وظل "يكرر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها، ما هو لأي شيء خلق ولماذا هي

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، 1/335، 336، بتصرف.

(2) المصدر نفسه، 1/567.

(3) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والعلوم /117.

وَأَيُّ أَمْرٍ طَلَبَ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُواْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: 69] فذكر آلائه تبارك وتعالى ونعمته على عبده سبب الفلاح والسعادة لان ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمداً وشكراً وطاعة، وشهود تقصيره بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه⁽¹⁾.

فذكر الآلاء والنعم من سمات المؤمنين الشاكرين، فالعبد المؤمن أسير الإحسان. فالإنعام واليسر واللفظ معاني تسترق مشاعره وتستولي على أحاسيسه فتدفعه إلى محبة من يسدي إليه النعمة، ويهدي إليه المعروف، والناس محبوبون بفطرتهم على محبة من يسدي إليهم المعروف، ويحسن إليهم ويتلطف بهم في جميع أحوالهم في الخير والشر، في يسرهم وعسرهم.

تاسعا: الاستدلال بالخلق على ضرورة المعاد

إذا عرفت بعض الحقائق المتعلقة بالخلق وأدركت الغاية والحكمة التي من أجلها وجدت كحكمة خلق الكواكب "وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ، وتدل على وجود الخالق وصفات كماله، وربوبيته وحكمته ووجدانيته أعظم دلالة وكل ما دل على صفات جلاله ونعوت كماله، دل على صدق رسله فكما جعل النجوم هداية في طريق البر والبحر، فهي هداية في طريق العلم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته والمبدأ والمعاد والنبوة ودلالاتها على هذه المطالب لا تقصره دلالتها على البر والبحر، بل دلالتها للعقول على ذلك اظهر من دلالتها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا"⁽²⁾. ومن هنا يتبين أن المعاد حقيقية يقينية لا يتطرق إليها أدنى شك في وجودها بل وجودها اظهر وأبين للعباد من أي شيء آخر ومن لديه مسكه عقل لا يميز لنفسه أن ينكر ذلك بل المعاد حق كما المبدأ حق ظاهر.

عاشرا: شهادة العبد على نفسه بالذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب جل جلاله. ومن مقاصده أن العبد المؤمن عندما يطالع منن الله عليه وما هو فيه من خير كثير لا يساوي ما قدم في حياته من الطاعات والقربات وإنما هي لطف الله ورحمته به

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 267/11.

(2) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، 188.

استشعرها بذله وانكساره وافتقاره وعبوديته لربه سبحانه وتعالى: "فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة وافتقاراً تاماً إلى ربه ووليه ومن بيده صلاحه وفلاحه وهداه وسعادته، وهذه الحال تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها وإنما تدرك بالحصول فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء بحيث يرى نفسه كالإناء المرضوض تحت الأرجل، الذي لا شيء فيه ولا به ولا منه ولا فيه منفعة، ولا يرغب في مثله، وأنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبر جديد من صانعه وقيّمه فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما منّ به ربه إليه من الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلاً منه، ولا كثيراً، فأبي خير ناله من الله استكثره على نفسه، وعلم أن قدره دونه، وأن رحمة ربه هي التي اقتضت ذكره به، وسياقته إليه واستقل ما من نفسه من الطاعات لربه، ورآها، ولو ساوت طاعات الثقلين، من أقل ما ينبغي لربه عليه واستكثر قليل معاصيه وذنوبه فإن الكسرة أوجبت له هذا كله"⁽¹⁾، وجعلته ذليلاً لقهره، ذليلاً لربوبيته وتصرفه، وذليل لإحسانه وإنعامه عليه مفتقراً إليه من كل وجه في النعمة والنقمة وفي العسر واليسر.

الخلاصة

لقد أشرت في هذا الباب إلى تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً عند أهل العلم وارتباط كلا منها بالآخر، وأثره في تقرير عقيدة التوحيد الصحيحة. ثم أشرت فيه إلى أهم المقاصد التي توصلت إليها من خلال البحث مجزئياً العقدي والديني، سواء كانت مقاصد تفصيلية أو مقاصد كلية، وقد تبين أثناء البحث في الجزئية الأولى وهي المقاصد التفصيلية إدراك الحكمة والغاية من الخلق سواء خلق الإنسان أو خلق الكون، وما أودع الله فيه من الأسرار بعد المطالعة والتأمل والتدبر، منها الوصول إلى حقيقة هامة وهي الاستشهاد بخصائص ربوبيته من الملك والسيادة والخلق على وحدانيته وتفرد به بالربوبية، وكمال قدرته وعلمه وحكمته، التي تقود إلى الوصول إلى غاية الغايات من هذا التوحيد وهو توحيد الإلهية بكل خصائصه التوحيدية من الخوف والخشية والتوكل والتوبة والإنابة مع صفائه ونقائه وتنزيهه عن الند والشريك.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 326/1.

الباب الثالث: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الألوهية

الفصل الأول: مفهوم الألوهية ومقاصدها التفصيلية

الفصل الثاني: المقاصد الكلية من توحيد الألوهية.

الفصل الأول: مفهوم الألوهية ومقاصدها التفصيلية

المبحث الأول: مفهوم الألوهية

المبحث الثاني: مقاصد العبادات القلبية

المبحث الثالث: مقاصد عبادات اللسان

المبحث الأول: مفهوم الألوهية

إن التوحيد هو مفتاح دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو دعوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وإن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو إليه قومه توحيد الله، وإخلاص العبادة الظاهرة، والباطنة قولاً وعملاً، ونفى العبادة عن كل ما سوى الله، وهذا التوحيد هو ثمرة توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

أولاً: معنى الألوهية لغة واصطلاحاً

لغة:- "من أله: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد للإله له الله تعالى، وسمى بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد.

ومنها سميت الألاهة الشمس لأن قوما كانوا يعبدونها".(1)

وقال ابن منظور: "(أله) الإله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام سموا بذلك لإعتقادهم أن العبادة تحقق لها، وأسماءهم تتبع بذلك لإعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه، وهو بين الآلهة والإلهانية".(2)

وقال: والإلاهة، والألوهة، والألوهية العبادة، والله أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود، كقولنا: إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به. وقيل: أنه مأخوذ من أله يأله إذا تحير، لأن العقول تأله في عظمتها، وإله أله أي تحير، وأصله ولة يؤله ولهاً وقد ألهت على فلان أي اشتد جزعي عليه مثل ولهت، وقيل: هو مأخوذ من أله يأله إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كل أمر، قال الشاعر: ألهت إلينا والحوادث جممة، وقال آخر: ألهت إلينا والركائب وقف".(3).

وقال الراغب: "وقيل: أصله ولاء فأبدل من الواو همزة وتسميته بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه إما بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات، وإما بالتسخير والإرادة معا

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 69/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 196/1.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 197/1، 198.

كبعض الناس، ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها وعليه دل قوله تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسييحهم".⁽¹⁾ إذا الإله في هذا السياق اللغوي هو ما تعلق بالقلب وأخذ بمجامع الوجدان إلى درجة الإنقياد له والخضوع، والراجح فعلا ما تبين أن "أله" من وله، ومنه جاء الاسم العلم "الله" لدلالته على المعنى المراد منه لكونه الاسم الدال على جميع صفات الذات الإلهية.

وقيل: "التأله الشك والتعبد، والتأليه: التعبيد".⁽²⁾

وخلاصة القول، أن الإلوهية لفظ منسوب إلى الإله يطلق على الله بمعنيين:

- الأول: المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى؛
- والثاني على المتعبد به من سائر المخلوقات ويبين هذا المعنى الأخير قراءة ابن عباس وغيره بكسر الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف: 127] حكاية عن فرعون، ومعناه وعبادتك وعلى هذه القراءة كان يُعبد ولا يَعْبُد، أي ويترك عبادته لك، وقيل بمعنى ويتركك وعبادة الناس لك، وقراءة العامة ﴿وَأَلِهَتَكَ﴾⁽³⁾.

أما شرعاً: فالألوهية: يرتبط معناها بالمعنى اللغوي. وذلك أن مدار المادتين "أله ووله" ألفاظ وجدانية تطلق على أحوال القلب، كالحب، والشوق، والبغض، والفرح، والخوف والجزع، وغير ذلك من المعاني المتعلقة بأحوال القلب، ومن هنا جاء المعنى الشرعي للألوهية حيث أن "الإله هو الذي يأله العباد حبا وذلا وخوفا، ورجاء وتعظيما، وطاعة له بمعنى مألوه، وهو الذي تأله القلوب، أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد"،⁽⁴⁾ أي المستحق للألوهية.

(1) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 21.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 198/ 1.

(3) أبو عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 262.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 2 / 232.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكونه يستحق الألوهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد. كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 22].⁽¹⁾ هذا هو معنى الإله لغة وشرعاً، ومن هذين التعريفين كان التأصيل لمفهوم الألوهية أنها العبادة، وأصل العبادة محبة الله وانفراده بالمحبة، قال ابن قيم الجوزية "فأصل العبادة محبة الله وافراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله فلا يجب معه سواه وإنما يجب لأجله وفيه، كما يجب أنبياءه ورسله وملائكته وأوليائه، فمحبتهم لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه"⁽²⁾.

فحقيقة العبودية هي المحبة، ولتحققها لا بد من توفر شرطين:

الشرط الأول: "فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهييه فعند اتباع الأمر، واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة"⁽³⁾. فليس عبداً ولا عابداً لله من رفض الاستسلام لأمره وأبي الانقياد لشرعه، واتباع منهجه، وإن أقر بأن الله خالقه ورازقه، وأن بيده مقاليد السماوات والأرض فإن ذلك لا يكفي فلا بد من خضوع التعبد، والانقياد والاتباع الذي هو حق الألوهية.

الشرط الثاني: اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 31] "فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحقيقه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذا ثبتت محبتهم لله، وثبتت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله"⁽⁴⁾.

(1) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، 415/2.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 76/1.

(3) المصدر نفسه، 76/1.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 76/1، 77، بتصرف.

إذا فالتابعة هي شرط من شروط تحقيق المحبة، ولازمة من لوازمها، بل دليل عليها ولا يكفي ذلك في العبودية إلا بعد تفريغ القلب من كل محبة سوى محبة الله ورسوله بوجوب تقديم طاعتها على طاعة غيرهما من الخلق. والعمل على مرضاتهما بأن لا يدخل أو يشرك معهما أحد في الطاعة أو أن يسوى بينهما في المحبة وإلا كان عمله هذا من الشرك الذي لا يغفره الله. قال ابن قيم الجوزية: "ودل على أن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: هي حب الله ورسوله، وطاعة أمره ولا يكفي ذلك في العبودية، حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة، ولا يهديه الله. فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم. ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله: فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه، وأخبار بخلاف ما هو عليه، وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله، فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله"⁽¹⁾.

مما سبق يتبين أن العبادة الحقة تعني تمام المحبة مع تمام الخضوع، والتذلل لله عز وجل الذي يعني طاعته والانقياد لأمره، ومحبة ما يجب وبغض ما يكره، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيما أمر ونهى، وشرع وسن من غير زيادة ولا نقصان، وإلا فما قيمة محبة وخضوع لا يثمران طاعة واتباعاً، وقبولاً والتزاماً؟
قال ابن قيم الجوزية في نونيته:

"وعبادة الرحمن غاية حبه	مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى دارت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان ⁽²⁾

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 77/1.

(2) ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية، 48.

فلننظر كيف شبه العلاقة بين المحبة والذل للمحبوب وهو الله جل جلاله لدوران الفلك على قطبيه، وذكر أن دوران فلك العبادة بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما شرعه لا بالهوى وما تأمر به النفس والشيطان.

وبالجملة فإن العبودية لله لا تكون إلا بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبته، ومنها بني ابن قيم الجوزية قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على أربع قواعد: "التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان، والقلب وعمل الجوارح.

فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب إياك نعبد حقاً هم أصحابها. فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسوله.

وقول اللسان الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره، وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه والموالاتة فيه، والمعاداتة فيه، والذل والخضوع والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك: فإياك نعبد التزام هذه الأربعة وإقرار بها وإياك نستعين طلب للإعانة عليها والتوفيق لها⁽¹⁾.

وهذه هي دعوة جميع الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليهما وسلم. فكلهم دعوا إلى مجموع هذه الأمور من عمل القلب وقول اللسان، وعمل الجوارح قال ابن قيم الجوزية: "وجميع الرسل إنما دعوا إلى إياك نعبد، وإياك نستعين فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم فقال نوح لقومه: "اعبدوا الله مالكم من اله

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 78/1..

غيره" وكذلك قال هود وصالح وشعيب إبراهيم عليهم السلام- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ﴾ [سورة النحل: 36].

فكل رسول دعا قوله إلى توحيد الخالق في العبادة وهو ما يعرف بتوحيد الألوهية وقد عرفه الإمام الجنيدي⁽¹⁾ تعريفاً جامعاً مانعاً في عبارة سادة مسددة كما نقل ذلك عنه ابن قيم الجوزية فقال: "والنوع الثاني من الإفراد إفراد القديم عن المحدث بالعبادة من التأله والخوف والرجاء، والتعظيم، والإنابة والتوكل، والاستعانة وابتغاء الوسيلة إليه بهذا الإفراد وذلك الإفراد بهما بعثت الرسل وأنزلت الكتب وشرعت الشرائع ولأجل ذلك خلقت السموات والأرض والجنة والنار، وقام سوق الثواب والعقاب⁽²⁾.
ثانياً- أقسامه:

إن توحيد الألوهية أو ما يعرف بتوحيد العبادة هو ذاك التوحيد الذي تدور عليه رحي العقيدة الصحيحة وبه يتميز المؤمن من الكافر، ولمعرفة مزيد من هذا التوحيد وأسراره ومقاصده. كان ينبغي الإشارة أولاً إلى أقسام العبودية من حيث العموم والخصوص، وصفة واختصاص كل قسم من القسمين. كما قال ابن قيم الجوزية: "العبودية نوعان: عامة، وخاصة، فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ﴾ ٨٨ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ ۗ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ﴾ [سورة مريم: 88-93]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۗ﴾ [سورة الزخرف: 68]،

(1) هو الجنيدي أبو القاسم بن محمد بن جنيد النهاوندي الاصلبي البغدادي، شيخ العارفين وقدوة السالفين وعلم الاولياء في زمانه ولد ببغداد سنة 229هـ، سمع من الحسن بن عرفة وغيره اتقن العلم ورزق من الذكاء وصواب الاجوبة ما لم يرزق مثله في زمانه، توفي 298هـ، ابن حجر الدرر اكامنة 157-155/11.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 2 / 557، 558..

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد آلهيته⁽¹⁾.
منشأ التقسيم:

إن التقسيم الوارد عند ابن قيم الجوزية للعبودية أساسه ومنشأه يقوم على عدد من القواعد كما يقول: "وهذه العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه"⁽²⁾. وقد راعني عن أن ابن قيم الجوزية قد توصل إلى هذا التقسيم من خلال استقرائه لنصوص الكتاب الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مبتدأ بذكر أعمال القلوب وأقسامها من المحبة، والخشية، والخوف، والرجاء، التوكل، والتوبة، والإنابة، والصبر، لما يرى لها من أهمية بالغة باعتبارها من أعظم أفعال العباد لتعلقها بالقلب منشأ الإيمان ومصدره، ومحل صدقه وكذبه، وربما بلغ المسلم أو المسلمة بأعمال قلبه ما لا يبلغه بأعمال جوارحه فيقوم في قلبه من حب الله وإجلاله ومهابته، وخشيته وخوفه رجائه والإنابة إليه والتوكل عليه وصبره على طاعته وعبادته، أفضل من صلاته وقيامه، وزكاته وحجه.

لذلك نجد أن ابن قيم الجوزية قد خص هذه الأعمال بالذكر، وأفرد لها أبواباً وفصولاً باسطة القول فيها مبينا أهميتها وآثارها على حياة المؤمن في الدنيا والآخرة وسلامة إيمانه وصحة اسلامه. فلو بطلت هذه المسائل أو تعطلت بطلت جميع مقامات الإيمان والإسلام والإحسان، وصدأت القلوب وتغشاها الران، وتعطلت الجوارح، وانقطعت بهم السبل الموصلة إلى جنته ورضوانه، فمن هذا المنطلق كان اهتمام ابن قيم الجوزية بهذا التقييم وإفراد مساحات واسعة له في أغلب تصانيفه ومؤلفاته، مبينا أن العبادة الحقيقية هي تلك العبادة المتعلقة بالقلوب، وأن الأجر والثواب على قدر تعلق القلب بها وأن العقاب والجزاء لمن صرف قلبه عنها وتعلق بغير الله بها.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 81/1.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، 83/1.

المبحث الثاني: مقاصد العبادات القلبية

أولاً- المحبة:

تعد محبة من اهم أعمال القلوب وأخصها عند الله تعالى باعتبار تعلقها بالمحبوب، فهي المترجم لكل قول أو عمل سواء قول اللسان أو عمل الجوارح وقول القلب واقاراره إيماناً وتصديقاً بكل ما جاء به الشرع وأمر به، وكل نهى نهى عنه وحذر منه يعبر عن محبة العبد لربه.

1- المحبة لغةً:

والمحبة هي غاية العبادة وغاية الذل، ومنتهى القرب من المحبوب، فالأصل في المحبة من حيث اللغة: "من (حب) والحب نقيض البغض، والحب الوداد والمحبة (...). وأحب فهو محب (...). والمحبة أيضاً اسم للحب، وتحبب إليه تودد، وامرأة محبة لزوجها ومحب أيضاً (...). والحب والحبيب مثل خدن وخدين، والحب المحبوب وكان زيد بن حارثة-رضي الله عنه - يدعى حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتحبب إظهار الحب"⁽¹⁾

هذا نص ابن منظور قد اقتصر على تعريف الحب بنقيضه أو مرادفه، في حين نجد أن الراغب الأصفهاني يفصل أكثر فيقول: "أحببت فلانا يقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه، نحو شغفته وكبدته وفأدته التي أصلها من الحب، والحبة يقال في الحنطة والشعير وجاءت حبة القلب تشبيهاً في الحبة بالهيئة.

وأحببت فلانا: جعلت قلبي معرضاً لحيه، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محب، واستعمل أيضاً في موضع أحببت"⁽²⁾.
فالحب كما تبين كلمة دائرة على السنة الناس، رمز لتعلق القلب وميله إلى ما يرضاه ويستحسنه.

2- المحبة اصطلاحاً:

فعند الراغب "المحبة إرادة ما تراه خيراً أو تظنه خيراً وهي على ثلاثة أوجه محبة

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2/283-284. باختصار.

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 103.

اللذة كمحبة الرجل المرأة ومنه ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان، 8] ومحبة النفع كمحبة شيء ينتفع به ومنه ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الصف: 13] ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض من أجل العلم،⁽¹⁾ فعلى هذا فصل الراغب المحبة بإرادة ما يحبه الناس.

أما الإمام الغزالي ففسر المحبة بميل الطبع إلى ما يلتذ به فقال: "فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو منغوص عند المدرك، وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف يكونه محبوباً أو مكروهاً فإذن كل لذيد محبوب عند الملتذ به، ومعنى كونا محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه، ومعنى كونا مبغوضاً إن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملتذ به".⁽²⁾

أما بن القيم يرى أن "المحبة منشؤها الإرادة" وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له،⁽³⁾ فهو يرى أن المحبة لا يكتفي فيها بميل القلب فقط وإنما زاد على ذلك طلب المحبوب بمراضيه، ومراض الله طاعته والوقوف عند حدود أوامره واجتناب نواهيه. وهناك تعريفات أخرى ذكرها ابن قيم الجوزية في وضع أقوام حداً للمحبة ووصفها، وإن كان يرى أن وضع الناس حدوداً للمحبة لا يزيدها إلا خفاءً، فالمحبة عنده لا توصف بوصف أظهر من المحبة.

وهذا وقد استعرض منها ثلاثين حداً، رد على بعض منها مبيناً علتها، وسوف أذكر منها على سبيل المثال ما يأتي "المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم، وهذا الحد لا تمييز فيه بين المحبة الخاصة والمشاركة، والصحيحة والمعلولة"⁽⁴⁾ وهذا تعريف فيه انطلاق غير مقيد لنوع أو صفة.

(1) الراغب، المفردات في غريب ألفاظ القرآن، 103، 104.

(2) أبو حامد الغزالي، علوم إحياء الدين، دار السلام، ج3، 2007، 1653/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 231/2.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 219/2.

ومنها "توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب"⁽¹⁾ وهو هنا يعلق المحبة على شرطين أساسيين هما:

الأول: أن يوجه همته وإرادته في اخلاص توحيده لله؛

والثاني: صدق محبته ومنها "سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب (...)
ومراده توحيد المحبوب بالمحبة"⁽²⁾ وهو بهذا يشير إلى تفرغ القلب من كل محبة سوى حبة الله تعالى.

أما القول الجامع والمانع في تعريف المحبة هو ما نقله ابن قيم الجوزية عن الإمام الجنيد عندما سأل عن المحبة فقال: "عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه، ناظرا إليه بقلبه، احترقت قلبه أنوار هيئته وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من استار عينيه فإن تكلم فبالله، وإن نطق عن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله".

فالمحبة كما تبين هي منتهى الغاية في مرضاة الله وطاعته، والتفرغ لعبادته وعدم الانشغال عنه بغيره بحيث يصير قلبه معلقا به ومفرعا له وحده مسخرا جوارحه لخدمته فلا يتكلم إلا به وعنه وفيه. وهذا لاشك من موجبات محبته كما يقول ابن قيم الجوزية "وهذا من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها، فإن قوى الحب متى انصرفت إلى جهة لم يبق فيها متسع لغيرها. ومن أمثال الناس: ليس في القلب حبان، ولا في السماء ربان، ومتى تقسمت قوى الحب بين عدة محال ضعفت لا محالة. وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [سورة الأحزاب: 1-3]. كيف أمره بتقواه المتضمنة لإفراده بامثال أمره، ونهيه محبة وخشية ورجاء، فإن التقوى لا تتم إلا بذلك، واتباع ما أوحى إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك واتباع المنزل خاصة، وبالتوكل عليه، وهو يتضمن اعتماد القلب عليه وحده وثقته به وسكونه إليه دون غيره، ثم اتبع ذلك بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 221/2.

(2) المصدر نفسه، 221/2.

مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ ﴿٤﴾ [سورة الأحزاب:4]. فأنت تجد تحت هذا اللفظ أن القلب ليس له إلا جهة واحدة إذا مال بها إلى جهة لم يمل إلى غيرها، وليس للعبد قلبان يطيع الله ويتبع أمره ويتوكل عليه بأحدهما والآخر لغيره، بل ليس إلا قلب واحد، فإن لم يفرده بالتوكل والمحبة والتقوى ربه وإلا انصرف ذلك إلى غيره⁽¹⁾ وكان ممن يناقض توحيده بإشراك غيره في محبته وصرف لوازم المحبة إلى غير جهتها المستحقة لها من العبيد والشركاء، فيكون في حقه ما يكون من البعد والمقت والجفاء المستوجب للعذاب. وقد مثله ابن قيم الجوزية بأحوال المحبين من الناس ممن يصرفون أو يشركون معهم غيرهم في محبتهم لهم فيكون من حالهم الأنفة والغيرة وعدم قبول الشركة في الحب فكيف بذلك في حق الله الذي لا تنبغي المحبة إلا له فقال: "وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك معه محبة غيره في محبته، ويمقتة لذلك، ويبعده ولا يحظيه بقربه، ويعده كاذباً في دعوى محبته، مع أنه ليس أهلاً لصرف كل قوة المحبة إليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال؟ ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"⁽²⁾ فالمراد من ذلك أن المحبة تقتضي إفراد الحبيب بالحب والفناء في حبه وعدم التشريك بينه وبين غيره في محبته.

فالمحبة هي أصل الدين وعموده الذي تقوم عليه سائر العلوم والمعارف التي تقود الخلق إلى توحيد الخالق وعبادته، يقول ابن قيم الجوزية: "محبة الله سبحانه والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضى به وعنه أصل الدين وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته، والعلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله أجل علوم الدين كلها فمعرفة أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنفية ملة إبراهيم، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: 123]

(1) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2006 م، 181 .
(2) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، لمن سأل عن الدواء الشافي تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط..، 1998، 224.

وذلك هو حقيقة شهادة أن لا اله إلا الله، وعليها قام دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وليس لله دين سواه، ولا يقبل من أحد ديناً غيره: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 85].

فالمحبة هي المحك الذي يفصل بين أهل التقوى والإيمان وأهل الشرك والكفران، قال ابن قيم الجوزية: "فهي: أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها ولا فلاح للعبد، ولا نجاة له من عذاب الله إلا بها، فليشتغل بها العبد أو ليعرض عنها، ومن لم يتحقق بها علماً وحالاً، وعملاً لم يتحقق شهادة أن لا اله إلا الله فإنها سرها وحقيقتها ومعناها"⁽¹⁾، فهي ركيزة من ركائز هذا الدين وأساس عموده الذي لا يقوم إلا بها.

"فمحبتته تعالى بل كونه أحب إلى العبد من كل ما سواه على الإطلاق من أعظم واجبات الدين وأكبر أصوله وأجل قواعده ومن أحب معه غيره مخلوقاً مثلما يحبه فهو من الشرك الذي لا يغفره لصاحبه ولا يقبل معه عمل"⁽²⁾.

3- مقاصد المحبة

والمحبة كغيرها من سائر أعمال القلوب تستحضر أسراراً وحكماً عظيمة ومقاصد جليلة تتمثل في الآتي:

أ- المحبة قوت القلوب وحياة الأرواح

والمعنى أن حياة القلوب قائمة على المحبة فمن أوتيتها فقد ظفر بنعيم الحياة ولذاتها ومن عُدّمها فقد كان من جملة الأموات.

قال ابن قيم الجوزية أن من منازل "إياك نعبد وإياك نستعين منزلة المحبة" وهي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون، وبروح نسميها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرّة العيون وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة الأموات، والنور من فقدته فهو بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي لم

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين، 393.

(2) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، 485/2.

يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه⁽¹⁾.

ب- نعيم النفوس وحياة الأرواح

إن محبة الله تعالى والشوق إلى لقاءه لا تقف عد حد، فالمؤمن في نعيم دائم لا ينقطع إلا بانقطاع أسبابه من محبته ومعرفته سبحانه، وهما أجل أسرار عبوديته لله تعالى وأعظم مقاصد توحيدِهِ، وها هو ابن قيم الجوزية يستطرد في ذكر المحبة واصفا إياها بقوله "فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب ونور العقول، وقرّة العيون، وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزكية أحلى ولا أذى، ولا أطيب ولا أسر، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقاءه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة"⁽²⁾ وقد تأسف بعض أهل العلم والتقوى على أهل الدنيا أنهم لم يتذوقوا طعم المحبة التي هي أذى وامتع شيء يجده الإنسان ويستشعر وجوده بين جوانحه فقال ابن قيم الجوزية ناقلا قول بعض العارفين فقال: "وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها فيقال له: وما هو؟ فيقول: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقاءه ومعرفة أسمائه وصفاته" وقال آخر: أطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الآخرة رؤيته وسماع كلامه بلا واسطة"⁽³⁾ وهذا من أجل ثمرات المحبة وأعظم مقاصدها.

ج- معرفة الله وعبادته

إن الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الجن والأنس. وهي عبادة الله التي هي أصل محبته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:65] فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاته هي معرفة

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 2/215.

(2) المصدر نفسه 2/485، 486.

(3) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، 105.

الله ومحبه وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو إلا بذلك وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة فصلت: 6-7]. أي لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد والإيمان، ولهذا فسرهما غير واحد من السلف بأن قالوا لا يأتون الزكاة لا يقولون لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن يكون الله أحب إلى العبد من كل ما سواه هو أعظم وصية جاء بها الرسل ودعوا إليها الأمم⁽¹⁾.

د- المحبة سبب الحياة الطيبة

لا شك أن للمحبة أثراً طيبة تنعكس إيجاباً على حياة الفرد ومسيرته اليومية في الحياة، وذلك لما تبعته في النفس من الأُنس والقرب من محبوبها الذي تعلقت به وآثرت محبته على محبة غيره من سائر خلقه بطاعته والإخلاص في عبادته والتفاني في إرضائه والبعد عن مساخطه واجتناب مغاضبه، فكان عيشها أسعد عيش وأطيبه.

يقول ابن قيم الجوزية: "وأطيب العيش وألذه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها"⁽²⁾ وهي الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ﴾ [سورة النحل: 97].

وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحاً أن يحياه حياة طيبة، وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده، وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت هماً واحداً في مرضاة الله؟ ولم يتشعب قلبه بل أقبل على الله واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله فصار ذكر محبوبه وحبه والشوق إلى لقائه، والأُنس بقربه هو المستولى عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بل خطرات قلبه"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة 473/2.

(2) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي، 226.

(3) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي، 227.

ه- المحبة تفلح القلوب وتصلح

إن فلاح القلوب وصلاحتها وما يحصل لها من لذة وسكون ونعيم لا يحدث إلا بعبادة ربها. وحبها وتعاطيها لكل أسباب المحبة الواجبة في حقه من التوكل والاستعانة والإنابة وغير ذلك.

"فالقلب لا يفلح لا ويتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها، ولم يسكن إليها، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقاً، حتى يظفر بما خلق له، وهنيء له: من كون الله وحده نهاية مراده، وغاية مطالبه فإن فيه فقراً ذاتياً إلى ربه وإلهه، من حيث هو معبوده ومحبوه وإلهه ومطلوبه، كما أن فيه فقراً ذاتياً إليه من حيث هو ربه وخالقه، ورازقه ومدبره، وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت منه تأله لما سواه وعبوديته له"⁽¹⁾.

و- المحبة أصل السعادة ورأسها

والمقصود بذلك المحبة المحمودة المستوجبة لثواب الله تعالى في الدور الثلاث في الدنيا والبرزخ أي في القبر، والجنة في الآخرة وهي "محبة الله وحده، ومحبة ما أحب، وهذه المحبة أصل السعادة ورأسها، التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها، والمحبة المذمومة الشركية هي أصل الشقاوة ورأسها، التي لا يبقى في العذاب إلا أهلها، وأهل المحبة الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار، ومن دخلها بذنوبه.

فإنه لا يبقى فيها منهم أحد، ومدار القرآن على الأمر بتلك المحبة ولوازمها، وضرب الأمثال والمقاييس للنوعيين، وذكر قصص النوعيين، وتفصيل أعمال النوعيين وأوليائهم ومعبود كليهما، واخباره عن فعله بالنوعيين، وعن حال النوعيين في الدور الثلاثة دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والقرآن جاء في شأن هذين النوعيين من المحبة فالأولى وهي الأصل الذي يقوم عليه مدار الأمر وقوامه، فبدونها ل تستقيم

(1) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، 486/2.

الحياة ولا الأحوال في الدنيا ولا الآخرة إلا بها ، ولذلك أمر الله بها عباده وحث عليها،
وحذر من محبة غيره وإيثارها عليه في جميع الأحوال من حيث القصد والتوجه"⁽¹⁾.
ز- كمال النفوس وصلاحتها:

إن من مقاصد المحبة، كمال النفوس وصلاحتها، ويرى ابن قيم الجوزية أنه "ولما
كانت سعادة النفس وكمالها لا يتحقق إلا بمعرفة مقصودها وهي: "معرفة الله ومحبته
وطاعته، والتقرب إليه، وابتغاء الوسيلة إليه أمر مقصود لذاته، وأن الله سبحانه يستحقه
لذاته، وهو سبحانه المحبوب لذاته الذي لا تصلح العبادة والمحبة والذل والخضوع والتأله
إلا له فهو يستحق ذلك لأنه أهل أن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا ناراً أما كنتُ أهلاً أن
أعبد فهو سبحانه يستحق غاية الحب والطاعة والثناء والمجد والتعظيم لذاته ولما له من
أوصاف الكمال ولغوت الجلال، وحبه والرضى به وعنه والذل له والخضوع والتعبد، وهو
غاية سعادة النفس وكمالها"⁽²⁾ وهذه ثمرة المحبة ومقصودها يجدها المحب في صدق
علاقته مع ربه وإخلاصه في عبوديته وذله وخضوعه ، ولا يجدها إلا من استوفى شروطها
وأركانها وأما من عطلها أو فقدتها فقد عطل أسباب سعادته وصلاح نفسه وقيامها.

والنفس إذا فقدت ذلك كانت بمنزلة الجسد الذي فقد روحه وحياته والعين التي
فقدت ضوءها ونورها بل أسوأ حالاً من ذلك من وجهين: أحدهما أن غاية الجسد إذا
فقد روحه أن يصير معطلاً ميتاً، كذلك العين تصير معطلة، وأما النفس إذا فقدت
كمالها المذكور، فإنها تبقى معذبة متألماً، وكلما اشتد حجابها اشتد عذابها وألمها. وشاهد
هذا ما يجده المحب الصادق في المحبة من العذاب والألم عند احتجاب محبوبه عنه ولا
سيما إذا يئس من قربيه، وحظى غيره بحبه ووصله هذا مع إمكان التعوض عنه محبوب
آخر نظيره أو خير منه، فكيف بروح فقدت محبوبها الحق الذي لم تخلق إلا لمحبهته ولا
كمال لها ولا صلاح أصلاً إلا بأن يكون أحب إليها من كل سواه وهو محبوبها الذي لا
تعوض منه سواه بوجه"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي 244-245.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 476/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 476/2.

ح- بالمحبة يكون كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب وابتهاج الروح

وهذا مقصد عظيم من مقاصد المحبة لتعلقه بالروح التي عليها تدور سعادة العبد وسر ابتهاجه. فتوطد العلاقة واستمرارها بين المحب ومحبوه، هي علاقة شرطية أساس قيامها محبة المحبوب والفناء في محبته، كعلاقة الروح بالجسد والأعضاء إذا فقد أحد أعضائه صار معطلا عن وظيفته ومهجته التي خلق من أجلها ولأجلها (...). ومن هنا نجد ابن قيم الجوزية يفسر العلاقة بين المحب ومحبوه بمثابة الجسد الذي فقد روحه وسر حياته ووجوده فقال: "وابتهاج الروح تابع لأمرين:

أحدهما: كمال المحبوب في نفسه وجماله، وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه.
والأمر الثاني: كمال محبته، واستفراغ الوسع في حبه، وإيثار قربه والوصول إليه بكل شيء.

وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته، فكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة المحبة أكمل وإذا عرف هذا، فاللذة والسرور والفرح أمر مطلوب في نفسه، بل هو مقصود كل حي وعاقل⁽¹⁾ فبكمال المحبة محبة المحبوب يصل المحب إلى غايته ومقصوده الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأثابهم عليها بلذة دائمة لا تنقطع نعيمها خالص. كما قال ابن قيم الجوزية: "والله سبحانه خلق الخلق لينيئهم هذه اللذة الدائمة في دار الخلد، وأما هذه الدار فمنقطعة، ولذاتها لا تصفو أبداً ولا تدوم بخلاف الآخرة، فإن لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر وألم"⁽²⁾.

وهذا من تمام رحمة الله تعالى بعباده وفضله أن يذيقهم اللذة الآخروية التي لا تنقطع، بل هي لذات متعددة من تقييم الجنة والنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى، قال تعالى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: 22-23]

وخلاصة القول:

فإن المحبة من أجل أعمال القلوب، وأعظمها عند الله تعالى وذلك لما يترتب عليها من الآثار الجليلة والمقاصد العظيمة في الدنيا والآخرة، فهي الضابط والمعيار في

(1) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، 284.

(2) المصدر نفسه، 284.

تبيين حقيقة علاقة العبد بربه وخالقه، وأثر هذه العلاقة في سائر معاملاته وتصرفاته مع الخلق.

ثانياً: الخوف

1- معناه لغةً:

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع. يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة⁽¹⁾. وفي اللسان: جاء الخوف على معان عدة منها "الخوف: الاحتراس والخوف: القتل، والخوف: القتال، والخوف: العلم، والخوف: النقص"⁽²⁾.

وجميع هذه المعاني تتفق في المعنى المراد من الخوف، فالذعر والفرع شعور داخلي يستشعره الخائف قبل وقوع الحدث أو عند وقوعه فيدفعه إلى الاحتراس . وأما مجيء الخوف بمعنى القتل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [سورة البقرة: 155] وذلك لما يتوقع أن يقع فيه من مكروه تخافه النفس وهو القتل.

وأما القتال فيعبر عنه بقوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} [سورة الأحزاب: 19] أي إذا انجلى القتال، والقتال أمر تخافه النفوس. وأما العلم فوجه العلاقة بينهما كما في قوله تعالى: {وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} [سورة النساء: 128]. إن الخوف الوارد في هذا النص معناه العلم، والعلم السابق بالأمر من النشوز أو الإعراض يدفعها إلى الخوف منه ثم الاحتراز من الوقوع في الخطأ، وكذلك النقص، قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ﴾ [سورة النحل: 47] أي تنقص فجميع هذه المعاني توحى بالخوف المصاحب لأحوال الخائفين.

2- أمّا اصطلاحاً:

فقد عرفه بعض العلماء، فقال الغزالي: "أعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب الاستقبال"⁽³⁾ وعرفه الراغب في المفردات فقال: "الخوف توقع مكروه عن إمارة

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 385/10.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 253/3، 254.

(3) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 1496/2.

مظنونة أو معلومة".⁽¹⁾ ونقل ابن قيم الجوزية جملة من التعريفات عن بعض العلماء ذكرها في كتابه مدارج السالكين فقال: "الخوف هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف. وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه".

وقيل: "الخوف" هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره والخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف "فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"⁽²⁾.

وفي مقام التفريق بين الخوف والمحبة، قال ابن قيم الجوزية:- "والخوف يتعلق بالأفعال والمحبة تتعلق بالذات والصفات، ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم، ولا يلحقهم منها خوف، ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم - الله عز وجل - فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

وقال الهروي "الخوف: هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخير" والمعنى أن يخرج من حالة الأمن والطمأنينية إلى حال آخر وهو استحضار وعد الله ووعيده للمؤمنين من الأجر والعذاب فيعمل بطاعته ويحذر معصيته.

وقال ابن قدامة المقدسي: "اعلم أن الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده على المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى".⁽³⁾

وفي هذا الوصف من الدلالات والمعاني ما يشير إلى أن الخوف هو أثر من آثار العلم والمعرفة لذات الله تعالى وصفاته العلية من الجلال والجمال والقدرة والكمال، ثم العمل بمقتضى معرفته لذاته وصفاته، وعلى قدر هذه المعرفة تستحضر الطاعة وتغيب المعصية.

وقال ابن قيم الجوزية: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: "الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله"⁽⁴⁾. ولذلك قال الراغب "والخوف من الله لا

(1) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 161.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 390/1، 392، باختصار.

(3) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، خرج أحاديثه وعلق عليها عبد الله الليثي الانصاري، 289.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 392/1.

يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يريد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ولذلك لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا⁽¹⁾، وهذا كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: 41] قال ابن قيم الجوزية: أقشعت الأرض وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلت الخيرات، وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة⁽²⁾. فلو خافوا الله واتقوه لأنزلهم منازل الأتقياء، وفتح عليهم بركات من السماء، وأنزل عليهم رحماته وأغدق عليهم جميع نعمه ظاهرها وباطنها جليها وخفيها، فبالخوف تنال المنى وتهجر المعاصي وتقمع الشهوات، قال ابن قدامة المقدسي "ومن ثمرات الخوف، أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهه، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيهِ إذا علم أن فيه سماً فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين ويفارقه الكبر والحسد، ويصير مستودع الهم لخوفه، والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة، والمجاهدة"⁽³⁾، ليدفع عن نفسه خطر العقوبة. قال صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما حلم بجنته أحد، ولم يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)).⁽⁴⁾ قال العز بن عبد السلام: "إعظام الخوف وازع عن المخالفات، وثمرته ملاحظة شدة العطش والنعمة وأنه لم عذب أهل السماوات والأرض لكان عدلاً".⁽⁵⁾

(1) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 161.

(2) ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث القاهرة، ط2، 1431هـ- 2010م، 66.

(3) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، 288.

(4) أخرجه البخاري، كتاب التوبة، باب: الرقاق من الخوف، حديث رقم 6469 مع اختلاف في اللفظ ومسلم، كتاب التوبة، باب صفة رحمة الله تعالى وأما سبقت غضبه حديث رقم 3542.

(5) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 925.

3- مقاصده.

أ- الخوف من الله يوجب الهروب إليه

الخوف يثمر لصاحبه الحلاوة والسكينة والطمأنينة لعلمه، ويقينه أن من لجأ إليه خوفاً أوجب له في حقه أن يُنزل عليه سكينته ورحمته فالخوف كما قيل: "سراج في القلب وبه يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل، فانك إذا خفت هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه"⁽¹⁾ يقينا منه وإيماناً بأنه لا ملاد ولا ملجأ منه إلا إليه فهو قادر وقدرته تستوجب رحمته ورأفته بعيده الخائف، وقال ابن قيم الجوزية: "وأما الخوف فإنه يوجب هروباً إلى الله وجمعية عليه وسكوناً إليه فهي مخافة مقرونة بحلاوة وطمأنينة وسكينة ومحبة بخلاف خوف المسيء الهارب من الله فإنه خوف مقرون بوحشة ونفرة فخوف إليه محشو بالحلاوة والسكينة والإنس لا وحشة معه وإنما يجد الوحشة من نفسه، فله نظران: نظر إلى نفسه، وجنايته فيوجب له وحشة، ونظره إلى ربه وقدرته عليه وعزه وجلاله فيوجب له خوفاً مقروناً بأنس وحلاوة وطمأنينة"⁽²⁾.

ب- الخوف يبعث على عمارة الوقت:

لقد خلق الله تعالى الخلق لعبادته فقال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:56]، فأعلم أيها المؤمن إذا علمت ذلك كنت من أحرص الناس على عبادته وحسن توحيده والإقبال عليه، فإن للعبادة محركات تقود العبد إلى الله عز وجل، وهي الخوف والرجاء والمحبة فهذه الثلاثة هي التي تبعث على حفظ حدوده وصيانة محارمه، فلا يصل العبد إلى درجة القرب من الله تعالى إلا بالخوف منه سبحانه فهو الباعث على عمارة الوقت واستثماره في طاعته وعبادته. قال ابن قيم الجوزية: "الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الأولى لصاحبه والأأنفع له، وهي أساس السلوك، والسير إلى الله، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 391/1.

(2) ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين، 352، 353.

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [سورة الإسراء: 57] وهذه الثلاثة هي قطب رحي العبودية⁽¹⁾ وعليها تدور جميع الأعمال التي بها تستقيم أحوال العبد في الدنيا والمطايا التي توصله إلى درجة القرب منه والرضا به سبحانه وتعالى، فبهذه ثلاثة ينصلح حال العالم العلوي والسفلي، وتتم به سعاده في الدارين.

ج- أهل الخوف أهل الثناء من الله تعالى

إن حقيقة الخوف من الله تعالى والخشية منه ليست مجرد دعوة عريضة مجردة عن السلوك والأخلاق الحميدة، فمعاملة الناس بحسن الخلق والبعد معاملة الخلق بما يسئ إليهم من الفحش في القول والعمل، ومراعاة ما أمر الله به والانتهاز عما نهى عنه، فذاك الخوف في أصل حقيقته ومعناه، فهو معرفة الله تعالى بجلاله وجماله، وبكمال علمه وقدرته. فالخوف صفة ملازمة تقوم بالخائف فتحمله على فعل ما أمر وترك ما نهى، فهو صفة صفوة البشر، ولهذا أثنى الله عليهم وذكرهم في محكم تنزيله، قال ابن قيم الجوزية: "وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [سورة الأنبياء: 90]، فالرغب: الرجاء والرغبة، والرهب: الخوف والخشية⁽²⁾ فالخوف هو صفة خاصته من عباده وقد استحقوا المدح والثناء من الله تعالى لعلمهم به سبحانه ومعرفتهم له، فمن عرف الله خافه وكلما ازداد به معرفة ازداد منه خوفاً وخشية ورهبة وهذا هو حال أهل خاصته من أنبيائه وأوليائه. فالخائفون هم الأبرز الذين وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٥٧﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الإنسان: 5-7].

تبين مما سبق أن أسباب الخوف تحققها ثلاثة أمور: إجلال الله تعالى وتعظيمه، والثاني خشية التفريط في الطاعات والمعاصي، والثالث الخوف من سوء الخاتمة. فمخافة الله رأس الأمر وشعار الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام- والصالحين من

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 314/2.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين، 350.

بعدهم، فالخوف بالتقوى باعث قوي على العبادة، عبادة الله بمفهومها العام والشمولي لجميع جوانب الحياة فهي لا تقتصر على الجوانب التعبدية والشعائرية كالصلاة والزكاة والصيام والحج (...). وإنما تتعداها إلى جميع مناحي الحياة ومجالاتها المتعددة شريطة أن تكون مصحوبة بالنية الصادقة في العمل والفكر والسلوك والمأكل والمشرب والنوم وسائر الأعمال، حتى تحقق الغاية والمقصد من هذا العمل.

ثالثاً: الخشية

1- معناها لغة:

الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر، ثم يحمل عليه المجاز فالخشية الخوف. والمجاز قولهم خشيت بمعنى علمت⁽¹⁾. وللخشية معان أخرى إلى جانب الخوف كما وردت في لسان العرب، فجاءت بمعنى الترك، خاشى: فاعل من الخشية، خاشيت فلانا: تاركته، وجاءت بمعنى العلم: ومنه قوله - عز وجل - ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [سورة الكهف: 80] أي فعلمنا، وقيل "وخشينا" بمعنى كرهنا وجاءت خشيت بمعنى رجوت.⁽²⁾

2- أما اصطلاحاً: فإن المعنى اللغوي للخشية وثيق العلاقة بمعنى الاصطلاح، وذلك أن أصل الخشية مبني على الترك، أي ترك المعاصي التي يخاف صاحبها أن تزج به إلى غضب الله. أما العلم: فلعلمه السابق بمآلات الأمور والأعمال، وكذلك الكراهة لما يكره من ترك الخشية وإتيان المعصية.

والرجاء: رجاء رحمة الله وعفوه بخوفه وخشيته.

فالمخشية اصطلاحاً، كما عرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "خوف يشوبه تعظيم وأكثر ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: 28].⁽³⁾

وعرفها الجرجاني فقال: "تألم القلب بسبب توقع مكروهه في المستقبل يكون تارة

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 361/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 106/3.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 149.

بكثرة الجنابة من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته".(1)

وقال ابن قيم الجوزية: "الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة وقال: فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية"(2)، وهذه الألفاظ والمعاني يؤكدتها قوله ﷺ: ((إني لا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية)) (3) فمن اجتمع لديه الخوف والخشية كان من خواص عباده الأتقياء الأتقياء المقربون. قال ابن عبد البر: "كلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه"(4). وعليه فالخشية هي شدة الخوف المبني على العلم بعظمة المخشى منه وهيبته.

3- مقاصدها

الخشية هي طريق الكمل من البشر وهي طريق العزة والنصرة في الدارين وقائد إلى الأمن من الفرع الأكبر يوم القيامة ففيها من المقاصد والأسرار ما يأتي:

أ- الهداية والصلاح:

إن الهداية والصلاح كلاهما أثر ونتيجة قد ترتب كل منهما على الخشية، كما ترتب الصلاح على الهداية "والهداية إما أن تكون هداية إلسبيل يؤدي لغاية، أي يهدينا الله للمنهج فإن عملنا به نصل إلى الجنة، لأن المنهج هو الطريق للجنة"(5).

ب- الفوز والفلاح:

إن الفوز والفلاح مقصدان جليان لا يصل إليهما المؤمن إلا بالخشية والتقوى قال الإمام القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة النور: 52]. "ويخشى الله" فيما مضى من عمره "ويتقه" فيما بقي من

(1) الجرجاني، التعريفات، 103.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 390/1، باختصار.

(3) أخرجه البخاري، كتاب النكاح باب التغريب في النكاح، حديث رقم 5063، ومسلم كتاب الحج باب، وجوه الإحرام، حديث رقم 1216.

(4) ابن عبد البر، فتح الباري، 313/ 11.

(5) متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، ت1418هـ، الناشر مطابع أخبار اليوم، 1979م، 4962/8.

عمره "فأولئك هم الفائزون" والفائز من نجا من النار ودخل الجنة(1).

ج- المغفرة والأجر الكبير

أثنى الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأن يخشونه بالغيب ووعدهم على هذه الخشية ما وعدهم من المغفرة والأجر الكريم والفضل العظيم في الدنيا والآخرة، والمغفرة والأجر الكبير ذلك جزاء الخشية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الملك:12].

د- دخول الجنة والنجاة من النار.

لكل شيء ثمرة وثمره الخشية الجنة والنجاة من النار. قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ق:33-35]. فكل من خاف الله في الغيب وراقب الله في نفسه استوجب رحمة ربه وجنته، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)) (2).

ه- الخشية مفتاح فهم القرآن وتقديره والاعتبار بما فيه

الخشية من الله هي باب التذكر النافع الذي يزداد به اليقين ويرتفع به الإيمان تزكوا به النفوس، ويتيسر به اتباع الهدى، بل بين الله تعالى أن مقصوده الأعظم من انزال كتابه هو تذكير أهل خشيته بوعدته ووعيده "فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه. ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به، وخافه ورجاه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [سورة هود:103]، وقال: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [سورة الأعلى:10] وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ [سورة النازعات:45] وأصرح من ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن

(1) أبو عبدالله الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 295/10.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم 1639. حديث صحيح، صححه الألباني في صحيح الجامع.

يَخَافُ وَعَبِيدِ ﴿٥٥﴾ [سورة ق:45] الوعد والوعيد وذكره: شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر يستحيل حصوله بدونها.(1)

فأهل الخشية هم أحق الناس بهذا الكتاب وأسعدهم به وحسبك بهذا شرفاً أن تشرّب إليه أعناق المؤمنين طمعا أن يكونوا من هؤلاء وينالوا ما أختصهم الله به من الفضل العظيم، فيدعوهم إلى التعرف على أسباب كرامتهم واختصاصهم بفضله وكرمه عليهم أن يكونوا من هؤلاء ويحشروا في زميرتهم.

و- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته

إن من لا يخشى الله ولا يتقه فإن الله تعالى يحجب عنه نور العلم والبصيرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر:28] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "نعني أنه لا يخشى إلا عالم، وكل خاش لله فهو عالم، وأن من عصى الله فهو جاهل وقد روى عن عبدالله بن مسعود قوله: "كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً"(2).

فلا تتحقق الخشية ولا تكتمل في قلب العبد المؤمن إلا بالعلم الموجب للخوف منه سبحانه، قال ابن قيم الجوزية: "كلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف"، قال ابن مسعود "كفى بالله خشية" ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحببه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفاً وحباً"(3).

ز- تعظيم محارم الله

إن الخوف من الله تعالى لا يكون إلا باتقاء محارم الله والتورع عن الوقوع في الآثام والمعاصي، كما يقول ابن قيم الجوزية: "الخوف المحمود ما حال بين صاحبه وبين محارم الله -عز وجل- فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. قال أبو عثمان: صدق

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 340/1، 341.

(2) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، تحقيق وإعداد عبدالله بدران، محمد عمر الحاجي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011م، باختصار يسير. 98.

(3) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين، 283.

الخوف: هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله".⁽¹⁾

اتضح مما سبق أن الخشية هي شدة الخوف المبني على العلم بعظمة المخشى منه وهيبته، فهي طريق الكمل من البشر وهي طريق الغرة والنصرة في الدارين وقائد إلى الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة فففيها من المقاصد والحكم ما يحقق للعبد السعادة في الدنيا والآخرة من الهداية والصلاح، والفوز والفلاح، ودخول الجنة والنجاة من النار.

رابعاً: الرجاء

1- معناه لغة

الرجاء لغة: رجي: الرأء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان يدل أحدهما على الأمل، والآخر على ناحية الشيء.

فالأول الرجاء، وهو الأمل، يقال رجوت الأمر أرجوه رجاء، ثم يتسع في ذلك فربما عبّر عن الخوف بالرجاء⁽²⁾.

والرجاء خلق ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة⁽³⁾.

وقال ابن منظور: "الرجاء من الأمل نقيض اليأس، والرجاء محدود رجاء يرجوه رجوا، ورجاء ورجاوة ومرجاة ورجاة، وقال: وقد تكرر في الحديث ذكر الرجاء بمعنى التوقع والأمل والرجاء بمعنى الخوف وفي التنزيل ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾⁽⁴⁾ وقال القرطبي "قيل الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي مالكم لا يخافون لله عظمة وقدرة على احذكم بالعقوبة...".⁽⁵⁾

وبناء على ما سبق أن الرجاء هو خوف بالعقوبة يصحبه أمل في رحمة الله تعالى وفضله.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ط 1/ 510.

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 1/ 515.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 195.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 4/ 92، 93.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 18/ 303.

2- أما اصطلاحاً: فقد أشار إليه ابن قيم الجوزية بعد نقل أقوال جماعة من السلف في حده، فقال "الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب" (1).

وعلق ابن قيم الجوزية بتحقيق الرجاء على ضرورة تعاطي الأسباب فمن زعم أن الرجاء وحده هو المؤمل لتحقيق رحمة الله وعفوه، فهو مفرط مظيع لحقوق الله ومعطلاً لأوامره.

فقال: "أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه ألا يكله إليها وأن يجعلها موصلة لما ينفعه، ويصرف عنها ما يعارضها ويبطل أثرها" (2). قال ابن قدامه "فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المتوقع لا بد له من سبب حاصل، فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء، سمي تمنياً (3) والفرق بينه وبين الرجاء "أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، و "الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل" (4) فتحقيق الرجاء يجب اقترانه بالأسباب وإلا "فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطرف إذا خاف، أسرع السير مخافة الفوات (5). وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خاف أدلج (6) ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية إلا أن

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 428/1.

(2) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 60.

(3) ابن قدامه: مختصر منهاج القاصدين، 282.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 428/1.

(5) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، 53.

(6) الدلج: سير الليل، ويقال ادلج القوم، إذا قطعوا الليل كله سيراً، معجم مقاييس اللغة، 416/1.

سلعة الله الجنة"⁽¹⁾. فالرجاء والخوف شيئان لا ينفصلان عن بعضهما، فكل منهما جزء من الآخر ومتمم له.

يقول الإمام الغزالي: "فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود"⁽²⁾. والمعنى كما تقدم من خلال التعريفات السابقة: إن الرجاء هو الأمل الممزوج بالخوف مع الأخذ بالأسباب المؤدية إلى النجاة وإلا كان من باب الأمانى.

3- مقاصده

أ-الرجاء من أجل منازل المرئدين.

يقول ابن قيم الجوزية رداً على صاحب المنازل حين قال: الرجاء أضعف منازل المرئدين. "بل هو من أجل منازل المرئدين وأعلها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، وقد مدح الله تعالى أهله وأئني عليهم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:21].

وفي الحديث الصحيح عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قال الله: يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي))⁽³⁾. قال العز بن عبد السلام: "إحسان الظن بالله من ثمرة إعظام سعة الله وعموم مغفرته.

وقال: "إعظام الرجاء وسيلة إلى حسن الظن، وإلى مجانبة القنوط"⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الترمذي، كتاب القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، حديث رقم 2450. حديث حسن صحيح.

(2) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 2/1480.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد جزء من حديث رقم 3540

(4) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، 133.

إشارة إلى ضرورة إعظام الرجاء وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ومغفرته.

ب- التخلص من غضب الله.

من تمام عبودية الله تعالى وكمالها سؤاله سؤال الراجي المحتاج إلى فضله ورحمته. كما قال ابن قيم الجوزية: أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه، ويسألوه من فضله لأنه الملك الحق الجواد وأوسع من أعطى وأحب ما إلى الجواد: أن يرجى، ويؤمل ويسأل وفي الحديث: "من لم يسأل الله يغضب عليه"⁽¹⁾ والسائل راج، فمن لم يرج الله يغضب عليه.⁽²⁾ ولا شك أن ذلك من تمام العبودية وكمالها.

ج- الرجاء ثمرته الحب:

الرجاء ثمرة الحب وعلامته الدالة عليه "فإن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة ويلقيه في دهليزها فإنه كلما اشتد رجاءه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضى به وعنه."⁽³⁾ فمن أراد الفوز بمحبة الله ورضاه عنه فليكن مستلقياً على عتبة الرجاء الممزوج بالخوف.

د- الرجاء يبعث العبد على مقام الشكر

الرجاء يحفز العبد للوصول إلى مقام الشكر للنعم. قال ابن قيم الجوزية: "يبعثه على أعلى المقامات وهو مقام الشكر، الذي هو خلاصة العبودية فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره."⁽⁴⁾

هـ- الرجاء يوجب له معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها

فالعبد كلما حقق الرجاء وسار في هذا الطريق أوجب له مزيداً " من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنی، متعبد بها داع بها،

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم 3373. حديث صحيح.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 439/2.

(3) المصدر نفسه، 440/2.

(4) المصدر نفسه، 440/.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:180]، فلا ينبغي أن يعطل دعاؤه بأسمائه الحسنی التي هي أعظم ما يدعو بها الداع.⁽¹⁾ فكل اسم من اسمائه دال على معناه، فالرحمن دال على الرحمة، واللطيف دال على اللطف، والكریم دال على الكرم، وهكذا في كل اسمائه وصفاته دون استثناء.

و- الفرح يوم القيامة

وهو نتيجة وأثر من نتائج وآثار الرجاء وذلك "أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه كان ذلك أطف موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يرجه، وهذا أحد الأسباب والحكم له في جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف في هذه الدار، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم في القيامة بحصول مرجوهم واندفاع مخوفهم"⁽²⁾.

ز- تكميل مراتب العبودية:

إن الله تعالى يحب عبده ويجب أن يدينه منه ويقربه إليه ولا سبيل إلى ذلك إلا بعد تكميل مراتب العبودية: "من الذل والانكسار والتوكل، والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضى والإنابة وغيرها. ولهذا قدر عليه الذنب، وابتلاه به لتكمل مراتب عبوديته بالتوبة التي هي من أحب عبوديات عبده إليه، فكذلك تكميلها بالرجاء والخوف"⁽³⁾. فلولا الذنب ما وقع انكسار ولا ذل ولا توبة يبتليهم الله بالذنوب، ليعالج ما في قلوبهم بالإنكسار وطلب التوبة فينكسر بين يدي الله فيتحقق معنى مهم من معاني العبودية وإلا كيف تتحقق العبودية إذا لم يكن هناك انكسار وذل وخضوع.

ح- حال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال.

من المعلوم أن الرجاء حالة مركبة من حسن الظن والتوكل مع الأخذ بالأسباب، فالعبد متى قطع في هذا الطريق أورثه ذلك المجاهدة والإقبال على الله.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 440/1.

(2) ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين، 440/1.

(3) المصدر نفسه، 440/1.

قال ابن قدامه المقدسي: "وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ومن أثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله، والتنعم بمناجاته والتلطف بالتملق له"⁽¹⁾.

تبيين مما سبق إن الرجاء هو الأمل الممزوج بالخوف مع الأخذ بالأسباب المؤدية إلى النجاة، وهو مظهر من مظاهر العبودية، والمحرك على الطاعة والمعرفة، وبه يصل العبد إلى أعلى المنازل وأشرفها بما يحققه من الآثار والمنافع في الدنيا والآخرة، فهو عتبة النجاة ومرقاة الوصول إلى رضا الرحمن ومحبتة، والفوز بجننته.

خامساً: التوكل

1- معناه لغة

من وكل: الواو والكاف واللام، أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك، من ذلك الوكلة، والوكل: الرجل الضعيف، يقولون: وكلة تكلته، والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك"⁽²⁾.

2- أما اصطلاحاً:

اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه، وتارة بدرجاته وتارة بلازمه، وتارة بثمراته، وغير ذلك من متعلقاته وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة أن تحد أو تحصر بلفظ، قال الغزالي: "والتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده"⁽³⁾.

وعند الراغب: "التوكل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، والوكيل فعيل بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [سورة النساء: 81] أي اکتف به أن يتولى أمرك ويتوكل لك" وعلى هذا حسبنا الله ونعم الوكيل.

(1) ابن قدامه المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، 284.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 643/2.

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1613/2.

وقال: والتوكل يقال على وجهين، يقال توكلت لفلان بمعنى توليت له، ويقال وكلته فتوكل لي: وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته، قال عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: 122] ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: 3].⁽¹⁾ وعرفه العز بن عبد السلام فقال: "التوكل هو الاعتماد على عطف الله ولطفه فيما يدفعه من ضر أو يجله من خير، إذ لا ينال خيراً إلا بنعمته، ولا يزال ضرّاً إلا برحمته، والاعتصام به نوع من التوكل، والاعتصام بكتابه هو الامتناع عن مخالفة ما يقتضيه كتابه من أمره، ونهيه ووعظه وزجره".⁽²⁾ وبناء على هذا القول فإن التوكل عنده عمل قبلي مع الأخذ بالأسباب.

وقال النووي⁽³⁾ التوكل "اعتماد الإنسان على ربه عز وجل في ظاهره وباطنه في جلب المنافع ودفع المضار".⁽⁴⁾ وقال الحافظ بن رجب "وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، ووكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطى ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه".⁽⁵⁾

وساق ابن قيم الجوزية تفسيرات عدة ذكر منها ما يأتي "فقال: "ومن الناس من يقول: هو علم القلب بكفاية العبد للرب ومنهم من يقول: التوكل هو انطراح بين يدي الرب كأنطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيفما يشاء، وهو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار.

وقيل: التعلق بالله في كل حال

وقيل: خلع الأرباب، وقطع الأسباب.

(1) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 569.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة العلوم والمعارف، 123.

(3) أبو زكرياء بن يحيى بن شرف الخزامي النووي الشافعي، محدث، وفقه لغوي، اشتهر بتصانيفه في الفقه والحديث واللغة كرياض الصالحين، ووالأربعين نووية، وغيرها، يوصف بأنه محرر المذهب الشافعي، ومهذب ومنقحه، ولد سنة 631هـ وتوفي سنة 676هـ بدمشق. ابن كثير، طبقات الشافعية، 825/2، 826.

(4) النووي، رياض الصالحين، 1، ص255.

(5) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 702.

وقيل: هو إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية⁽¹⁾ إلى غير ذلك من التفسيرات التي تحمل في مضمونها معنى التوكل على. أن التوكل هو حالة مركبة من عدة معانٍ وتفسيرات كل معنى فيها يشير إلى جزئية تبين حقيقة التوكل وشروطه بحيث لا يصح التوكل إلا بها. كما قال ابن قيم الجوزية: "وحقيقة الأمر: أن التوكل حالة مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها. كل أشار إلى واحد من هذه الأمور أو اثنين أو أكثر.

وأول ذلك: معرفة الرب وصفاته: من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل⁽²⁾.

أما ابن قيم الجوزية فقال: "وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد والركون إليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء آخر"⁽³⁾.

وخلاصة القول أن التوكل عمل قلبي يترجمه عمل ظاهري في الأخذ بالأسباب وعدم الركون إليها وإلا كان تواكلاً، وهذا مما ينافي التوكل.

3- مقاصده

للتوكل عدة مقاصد وغايات منها تعبدية متعلقة بالعبادة وتجريد التوحيد لله وحده، وأخرى دنيوية متعلقة بحياة العبد في دنياه، مجلب المصالح وقضاء الحوائج ودفع المصائب. وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن التوكل نوعان: "أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، 1/489-490. باختصار.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 1/491.

(3) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 117.

والثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله. فمتى توكل العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه". فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة اتباعهم".⁽¹⁾

أ- المقاصد التعبدية:

- التوكل يحقق الإيمان بالله ويرسخ العقيدة :

إن توكل العبد على الله تعالى حق التوكل دليل على صدق إيمانه بربه، فمن لم يكن متوكلاً على ربه فلا إيمان له،⁽²⁾ قال سعيد بن جبير "التوكل جماع الإيمان".⁽³⁾

وقال الإمام الغزالي: "أعلم أن التوكل باب من الإيمان".⁽⁴⁾

والقرآن الكريم يخبرنا في كثير من نصوصه على تعلق شرط الإيمان على التوكل كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: 23] قال ابن قيم الجوزية: "فجعل التوكل شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل وفي الآية الأخرى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مِّنْكُمْ بِإِلَهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: 84].

فذكر اسم الإيمان هنا دون سائر اسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل وإن قوة التوكل وضعفه، بحسب قوة الإيمان وضعفه وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد".⁽⁵⁾

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 114.

(2) هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي، أبو عبد الله تابعي كان. ولد سنة (45هـ) أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل أخذ العلم عن ابن عباس، وابن عمر، قتل على يد الصحاح سنة (95هـ)، الزركلي، الأعلام، 93/3.

(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 702.

(4) الغزالي، علوم إحياء الدين، 1597/2.

(5) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين، 318.

- التوكل شرط في صحة التوحيد

فالتوحيد في أصله يقوم على الإخلاص وعدم الإشراف، وإذا أدخل العبد معه غيره في التوكل اعتماداً على الأسباب وترك عمل القلب أو أن يدخل معه غيره أو يشركه في التوكل كان هذا العمل معلولاً ومدخولاً منافياً لصحة التوحيد قال ابن قيم الجوزية: "فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيد، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك. فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد: تكون صحة التوكل فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب. وهذا حق، ولكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها. فيكون منقطعاً منها متصلاً بها" (1).

- الفوز بمحبة الله :

من أراد أن ينال محبة الله تعالى والفوز بقربه فليكن متوكلاً على الله معتمداً عليه في كل أمر يريد فعله، يقول الإمام الغزالي: "فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يجب"، (2) ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: 159].

- الفوز بالجنة:

من حقق التوكل إيماناً وتوحيداً وهذا من أعظم مقاصد التوكل وأجل ثمراته، كان من السبعين الذين خصهم الله تعالى بدخول الجنة من غير حساب كما جاء في الصحيحين "هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون" (3)، حيث جمل من شروط دخول الجنة التوكل على الله.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 493/1.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1595/ 2.

(3) أخرجه البخاري في كتاب، الطب، باب من أكتوى أو كوى غيره، وفضل ما لم يكتو، حديث رقم 5705. ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب. حديث رقم 218.

- يورث ثقة الله

التوكل على الله يورث الثقة بالله في طلب المصالح ودفع المفاسد شريطة أن يكون ذلك قائم على العلم والمعرفة، يقول ابن قيم الجوزية: "التوكل محض الاعتماد والثقة والسكون إلى من له الأمر كله وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون، من أقوى أسباب توكله وأعظم دواعيه فإذا تحقق ذلك علما ومعرفة، وباشر قلبه حالا، ولم يجد بدا في اعتماد قلبه على الحق وحده، وثقته به وسكونه إليه وحده وطمأنته تتيه به وحده، لعلمه أن حاجاته وضروراته، وجميع مصالحه كلها بيده وحده، لا بيد غيره فأين يجد قلبه مناصا من التوكل بعد هذا؟"،⁽¹⁾ إلا عليه والتوجه بالسؤال إليه.

- يبعث في النفس الحماس والعزيمة للعمل

عندما يدرك العبد حقيقة التوكل ويفهم معناه فهما صحيحا ينطلق إلى الأخذ بالأسباب، ويجتهد في الاعتماد عليه مع العمل بمقتضاه ظاهرا وباطنا يكون له ما أراد من تحصيل المنافع وجلب المصالح يقول ابن قيم الجوزية: "ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل من مكانة كان مأمورا بإزالته لازاله".⁽²⁾

- التوكل على الله يحقق الرضا بأقدار الله

من أجل ثمرات الرضا بإقدار الله تعالى التوكل عليه سبحانه. قال ابن قيم الجوزية: "إن الرضا ثمرة التوكل ومن فسر التوكل به فإنه فسر به بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضى بما يفعله وكيله".⁽³⁾

ب- المقاصد الدنيوية المتعلقة بحياة العبد في الدنيا

إن للتوكل مقاصد دنيوية عظيمة يجنيها المؤمن من توكله على ربه أهمها ما يأتي:

- التوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو

(1) ابن قيم : مدارج السالكين، 499/1.

(2) المصدر نفسه، 63/1.

(3) المصدر نفسه، 495/1.

من توكل على الله حق التوكل كان الله حسبه وكافيه من كل سوء ومن كل عدو يريد ضره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: 3].

"فالتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد، من لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه"⁽¹⁾، فهو الترس المانع من ضربات العدو وكيده. يقول ابن الجوزي "ومن لم بترس التوكل أصابه كل رام"⁽²⁾.

- التوكل على الله سبب في كفاية العبد ونصرته

التوكل هو ركن الله الشديد فمن أوى إليه كفاه ونصره. قال ابن قيم الجوزية: "لو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره"⁽³⁾ وفي المقابل "من لم يقيم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفضلاً إليه برياً من الحول والقوة إلا به فله من الخذلان وضعف النصره بحسب ما قام به من ذلك"⁽⁴⁾. وهذا دليل على أن التوكل من الإيمان الصادق وعلى قدره وقوته يكون نصره وكفايته.

جاء في سنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال يعني إذا خرج من بيته -بسم الله- توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هديت ووقيت، وكفيت. فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى؟))⁽⁵⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 585.

(2) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ، ص 40.

(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 585.

(4) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 176/2.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث رقم 3426. حديث صحيح صححه

الألباني في السلسلة

-التوكل يورث سعة الرزق

التوكل سبب في جلب الرزق كما دل عليه الحديث المرفوع عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - قال: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً))⁽¹⁾.

وهذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال تعالى عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ﴾ [سورة الطلاق: 2].

وقد قرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية على أبي ذر وقال له: ((لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم" يعني لو حققوا التقوى والتوكل لا كتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم))⁽²⁾. فالتوكل في طلب مصلحة دنيوية في أصل معناه هو عبادة، وقد تبين هذا المعنى وزاده وضوحا ابن قيم الجوزية حين قال: "إن التوكل على الله نوعان أحدهما توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرها، والثاني توكل عليه في تحصيل مرضاته، فأما النوع الأول فغاياته المطلوبة وإن لم تكن عبادة لأنها محظ العبد، فالتوكل على الله في حصوله عبادة فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه وأما النوع الثاني فغاياته عبادة، وهو في نفسه عبدة، فلا علة فيه يوجهه، فإنه استعانة بالله على ما يرضيه فصاحبه متحقق بآياك نعبد وياك نستعين"⁽³⁾.

-يورث فرح القلب وسروره

اعلم أن التوكل الحق الذي يورث فرح القلب وسروره، ويطرده الهموم والغموم وهو الذي يفوض العبد فيه جميع أموره إلى الله، والثقة بحسن اختيار الله فيما أمر به، والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار الدينية والدنيوية. يقول ابن قيم الجوزية "من ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة أو خوف أو نقصان أو طلب صحة أو فرار من سقم، واعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وإن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها

(1) أخرجه، الترمذي في كتاب الزهد، باب التوكل على الله، حديث رقم 2344. حديث حسن صحيح.

(2) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، 107.

(3) ابن قيم الجوزية، طريق المجرتين، 326.

منه، وانصح للعبد منه لنفسه، وارحم به منه لنفسه، وأبر به منه بنفسه (...). وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تديره خطوة واحدة (...). وانطرح بين يديه انطرح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قوى قاهر له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف بوجه من الوجوه فاستراج حينئذ من الهموم والغموم، والأنكاد والحسرات، وإلا تكاد وحمل كله وحوائج ومصالحه من لا يبالي بحملها، ولا يثقله ولا يكثرث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبره وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب، ولا اهتمام منه لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بجوائجه ومصالح دنياه، وفتح قلبه منها فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه".⁽¹⁾

وخلاصة القول:

إن التوكل عبادة قلبية من أجل العبادات ومن أعظم القربات وهو أجمع أنواع العبادات، ومن أعلى مقامات التوحيد وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة فإن العبد إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون ما سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى، بل أن التوكل على الله تعالى مطلوب في كل شؤون الحياة، لذلك جعله الله سبحانه شرطاً في صحة الإيمان، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به أنبياءه المرسلين وعباده المؤمنين، ولما له من أثر على العبد بما يحققه من المقاصد والآثار المتعلقة به في الدارين من جلب المصالح ودفع المضار والفوز بتقييم الدنيا والآخرة.

سادساً- التوبة

1- معناها لغة واصطلاحاً

أولاً: التوبة لغة: من (توب): التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع. يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه. فهو تائب، والله تواب يتوب على عبده⁽²⁾. وقال ابن

(1) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 147، 148.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 184/1،

منظور: "وتاب إلى الله يتوب توبا، وتوبة، ومتابا: أناب، ورجع عن المعصية إلى الطاعة".⁽¹⁾

ثانياً- معناها اصطلاحاً: عرفت التوبة بعدة تعريفات والمدلول الاصطلاحي للتوبة قريب من المدلول اللغوي، فعند الغزالي التوبة هي: "أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ"،⁽²⁾ ثم علق على هذا الحد فقال: "فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل: هو نار في القلب تلتهب، وصدع في القلب لا ينشعب".⁽³⁾ فالتوبة بهذا المدلول هي شعور داخلي يعتري القلب بعد الأوبة والرجوع إلى الله بعد المعصية.

وقال باعتبار معنى الترك: "ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال"،⁽⁴⁾ وعلى هذا أجد أن الإمام الغزالي فسر التوبة تفسيرين، الأول يعبر عن صدق التوبة وذلك بما يعتري القلب من مشاعر الألم والحزن على تفريط العبد وتقصيره تجاه خالقه. والآخر كيفية التوبة ولا يكون إلا بترك الذنب حالاً مع العزم على الترك، والتزود بصالح الأعمال.

أما الراغب فقد عرفها فقال: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإنه على ثلاث أوجه: إما أن يقول المعتذر لم افعل، أو يقول فعلت لأجل كذا أو فعلت وأساءت ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحة والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شروط التوبة".⁽⁵⁾ إذا التوبة عند الراغب مشروطة بترك الذنب مع الندم والعزيمة على المعاودة، والتزود من الأعمال.

وعند ابن قدامة أن التوبة "عبارة عن ندم يورث عزيمة وقصداً وذلك الندم يورث العلم بأن تكون المعاصي صائلاً بين الإنسان وبين محبوبه".⁽⁶⁾ والندم عنده علامته

(1) وابن منظور، لسان العرب 636/1.

(2) الغزالي، احياء علوم الدين، 1329/3.

(3) المصدر نفسه، 1329/3.

(4) الغزالي، احياء علوم الدين، 1331/3.

(5) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ غريب القرآن، 72.

(6) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، 246.

بالقلب لما يجده الثائب من توجع وألم. لذا قال: "هو توجع القلب عند شعوره بفراق المحبوب وعلامته حلول الحزن والبكاء".⁽¹⁾

وعند النووي التوبة هي: "الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته".⁽²⁾
وأما عند ابن قيم الجوزية: فقال: "التوبة هي رجوع العبد إلى الله ومفارقتة لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم.
وقال: التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال والعزم على ألا يعاوده في المستقبل.

وقال أيضاً: هي الرجوع مما يكره الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً ويدخل في مسماها الإسلام، والإيمان، والإحسان، وتتناول جميع المقامات⁽³⁾.
فمن خلال هذه التعريفات أتبين أن حقيقة التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى بترك الذنوب والمعاصي، والاجتهاد في التزود بصلاح الأعمال والأقوال بعد توفيق الله تعالى وهدايته لعبده، على أن لا بد لها من توفر ثلاثة شروط وهي:- الندم عما سلف منه، والإقلاع عن الذنب، والعزم على ألا يعود إلى الذنب مرة أخرى. "فحينئذ يرجع إلى حقيقة العبودية وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة"⁽⁴⁾.

2- مقاصدها

للتوبة عدة مقاصد وحكم تتعلق بحياة العبد في الدارين من حيث علاقته بربه ودينه، وآثار هذه العلاقة على حياته الدنيوية والأخروية، كما يقول ابن قيم الجوزية في وصف حاجة العبد إليها وضرورتها له.

أ- التوبة حاجة ماسة وضرورة ملحة لكل عبد مؤمن:

إن حاجة العبد للتوبة حاجة ماسة وضرورة ملحة، فهي زاده في حله وترحاله في دينه ودنياه، في حياته وآخرته، فلا يهنأ العبد المؤمن ولا يسعد في معاشه ومعاذه إلا

(1) المصدر نفسه، 246.

(2) النووي، رياض الصالحين، 40/1.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 137/1، 139، 235.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 139/1.

بالتوبة الصادقة بترك الذنوب والمعاصي والرجوع إلى الله تعالى من جديد والإقبال عليه وهو ذليل خاضع منكسر القلب والجوارح، لذلك جعل ابن قيم الجوزية منزلة التوبة من أعظم المنازل فقال: "ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية. كما حاجته إليها في البداية كذلك. قال تعالى (1):

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: 31].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "لهذا قيل عن التوبة: مقام يستصحبه العبد من أول ما يدخل فيه إلى آخر عمره وجميع الخلق عليهم أن يتوبوا وأن يستديموا التوبة". (2)

ب- تعليق الفلاح بالتوبة

بمعنى أن فلاح العبد في الدنيا وصلاحه متعلق بتوبته ورجوعه إلى الله فالعلاقة بين الفلاح والتوبة علاقة المسبب بالسبب كما ذكر ابن قيم الجوزية في تفسير الآية السابقة فقال: "ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه واتى بأداة لعل المشعر بالترجي إيماناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجي الفلاح إلا التائبون" (3).

ج- التوبة توجب للعبد أثارا عجيبة من المقامات

تحدث التوبة أثارا عجيبة في حياة التائبين العبوديات التي ترتب عليها آثارها من النعم والمنح" كما قال ابن قيم الجوزية: "أن التوبة توجب آثار عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدونها فتوجب له من المحبة والرقّة واللفظ وشكر الله وحمده، والرضا عنه عبوديات أخر فإذا تاب إلى الله تقبل الله توبته فرتب له على ذلك القبول أنواعا من النعم

(1) المصدر نفسه، 1/136.

(2) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، 110.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 136.

لا يهتدي العبد لتفاصيلها بل لا يزال يتقلب في بركتها وأثارها ما لم ينقضها ويفسدها⁽¹⁾.

د- التوبة ثمر التقوى

وجماع التقوى في الخوف والخشية والقيام بالأوامر، واجتناب النواهي مع رجاء الثواب والخوف من العقاب. قال ابن قيم الجوزية: "قال صاحب المنازل وأسرار حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز التقية من العزة، ذكر هنا ما يميز التقية من العزة: ومعناها: أن يكون المقصود من التوبة تقوى الله وهو حوفه وخشيته، والقيام بأمره واجتناب نهيه، فيعمل بطاعة الله على نور من الله، يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله، يخاف عقاب الله.

لا يريد بذلك عز الطاعة، فإن للطاعة وللتوبة عزاً ظاهراً وباطناً، فلا يكون مقصوده العزة وإن علم أنها تحصل له بالطاعة والتوبة. فمن تاب لأجل العزة فتوبته مدخوله⁽²⁾ والمعنى المقصود أن يكون مقصود العبد من التوبة تقوى الله لا عز الطاعة.

هـ- التوبة من أحب الطاعات إلى الله:

أحب الطاعات إلى الله التوبة، وذلك لكونها الطريق الموصل إلى عبوديته سبحانه وتعالى، والدخول تحت لوائه ليستوجب بذلك محبته ورضاه "فإن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله وإذا كانت بهذه المثابة فالأتي بها آت بما هو أفضل القربات وأجل الطاعات، فإذا حصل له بالمعصية انحطاط ونزول مرتبة فبالتوبة يحصل له مزيد تقدم وعلو درجة⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة 1/334.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين. 1/155.

(3) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، 290.

و- الوصول إلى منزلة الصديقية:

وهذه المنزلة من أعلى المنازل، ورتبة من أعلى الرتب قل من يصل إليها إلا فئة معدودة من خواص البشر، ممن اشتغلوا بجهاد العدو وهو الشيطان ومراغمته بكل الطرق والوسائل ودفعه وصدّه عن كل طريق وباب يقف فيه. ليدفعهم عن الطاعات والقربات إلى المعاصي والمنكرات، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وطرق الشيطان وعقباته كثيرة. من تزيين المعاصي وتهوينها والاستهانة بها، والإعراض عن الطاعات. واستدراجه إلى ترك الواجبات وفضائل الأعمال إلى ما هو دونها في الأجر والثواب، حتى إذا لم يظفر به في كل عقبة من العقبات السابقة، وانتصر عليه تسلط عليه من باب آخر وهو أشد الأبواب وأخطرها كما قال ابن قيم الجوزية: "لونجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبيائه وهي عقبة تسليط جند الله عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته في الخير فكلما علت مرتبته، أجلب عليه العدو بخيله ورجله، فمظاهر عليه بجنده وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فانه كلما جد في الاستقامة، والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره جدّ العدو في إغراء السفهاء به. فهو في هذه العقبة، قد لبس لأمة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين، وتسمى عبودية المراغمة، ولا ينتبه لها إلا أولوا البصائر التامة ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه. فمن تعبد لله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر على قدر محبة العبد لربه. وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة⁽¹⁾.

ز- التوبة ثمر للعبد محبة من الله خاصة:

وذلك أنّ الله يحب عبده التائب إليه ويفرح بتوبته أشد الفرح. وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه- من أحدكم كان علي راحلة بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فيما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها. ثم قال: من شدة

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 174/1، 175، باختصار.

الفرح-اللَّهُمَّ أنت عبدي وأنا ربك.أخطأ من شدة الفرح))⁽¹⁾. "فإذا أثمرت له التوبة هذه المحبة ورجع بها إلى طاعته التي كان عليها أولاً انضم أثرها إلى أثر تلك الطاعات فقوى الأثران فحصل له المزيد من القرب والوسيلة"⁽²⁾.

وكلاهما علامة المحبة الخاصة له. "فإن العبد ينال بالتوبة درجة المحبوبة فيصير حبيباً لله"⁽³⁾، فإن الله يحب التوابين ويجب العبد المتقي التواب.
ح- التوبة تثمر مزيداً من القرب وحسن المآب عند الله.

وذلك أنّ العبد التائب إلى الله يكون في أحسن أحواله ودرجاته بعد المعصية "لأن الذنب يحدث من الخوف والخشية والانكسار والتذلل لله والتضرع بين يديه والبكاء على خطيئته والندم عليها والأسف والإشقاء ما هو أفضل أحوال العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته ولم تكن هذه الأمور لتحصل بدون أسبابها إذ حصول الملزوم بدون لازمه محال، والله يحب من عبده كسرتة وتضرعه وذلك بين يديه واستعطافه وسؤاله أن يعفو عنه ويغفر له عن جرمه وخطيئته قال ابن قيم الجوزية: قال غير واحد من السلف: كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، قالوا: ولهذا قال سبحانه: ﴿فَعَفَّرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَ لُزْفَىٰ وَحُسْنَ مَكَابٍ﴾ [سورة ص: 25].

فزاده على المغفرة أمرين: الزلفى وهي درجة القرب منه، والثاني حسن المآب وهو حسن المنقلب وطيب المأوى عند الله"⁽⁴⁾.
ط- امتلاء القلب بمحبة الله:

ومن النعم القلبية التي تستجلب بالتوبة ويرفل التائب في نعيمها محبة التائب لمحبوته وعكوف القلب على محبته وهو مقصد عظيم: إن يهيج القلب حباً لخالقه. بعد أنّ خلص من ذنوبه ومعاصيه واقبل عليه تائباً من آثامه ومعاصيه فرح الله بتوبته "وهو

(1) أخرجه البخاري. كتاب الدعوات، باب. التوبة. حديث رقم . 6309 ومسلم كتاب التوبة باب، الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم 2747.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين. 292 .

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 228/1.

(4) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين، باختصار. 93 .

أثر من آثار محبته له فإنه سبحانه يجب التوايين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح وأكمله، فكلما طالع العبد ممن ربه سبحانه قبل الذنب وفي حال مواعته، وبعده، وبره به، وحلمه عنه، وإحسانه إليه هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق إلى لقائه فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وأي إحسان أعظم من إحسان من يبارزه العبد بالمعاصي، وهو يمدّه بنعمه، ويعامله بالطفاه، ويسبل عليه ستره، ويحفظه من خطفات أعدائه المترقبين له أدنى عثره ينالون منه بها بغيتهم، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه؟ وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه" (1).

ي- انشراح الصدر وطيب العيش:

من الآثار التي تعقب التوبة النصوح، الشعور بالفرح والانبساط للتائب وهو شعور دائم لا ينقطع يقول ابن قيم الجوزية: "إنّ الله يحبّه ويفرح بتوبته أعظم فرح، وقد تقرر أن الجزء من جنس العمل، فلا ينسى الفرحة التي يظفر بها عند التوبة النصوح وتأمل كيف تجد القلب يرقص فرحاً وأنت لا تدري سبب ذلك ما هو وهذا أمر لا يحس به إلا حي القلب، وأما ميت القلب فإنما يجد الفرحة عند الظفر بالذنب ولا يعرف فرحاً غيره، فوازن إذا بين هذين الفرحين، وانظر ما يعقبه فرح الظفر بالذنب من أنواع الأحزان والهموم والغموم والمصائب فمن يشتري فرحة ساعة بغم الأبد؟ وانظر ما يعقبه فرح الظفر بالطاعة والتوبة النصوح من الانشراح الدائم، والنعيم وطيب العيش" (2).

وقال شيخ الإسلام بن تميم: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يتلذذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا لعبادة ربه، وحبه والإنابة إليه، ولو جعل له كل ما يتلذذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ومن حيث هو معبوده، ومحبوه، ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرحة والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة" (3).

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 1328.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 34/1.

(3) ابن تميم، مجموع الفتاوى، 194/10.

ك- تكميل مقام الذل لله:

إن الله تعالى يحب عبده ويجب منه أن يكمل مقام الذل والانكسار له سبحانه وهو اشرف المقامات وأعلاها منزلة عنده سبحانه. وهو روح العبودية ومحها، فإن حقيقة العبودية ومحها يقوم على الذل والانكسار والخضوع لله تعالى، وهو واجب إلى الله من الأعمال الظاهرة وإن زادت في القدر والقيمة على عبودية التوبة.

قال ابن قيم الجوزية: "والذل أنواع: أكملها ذل المحب لمحبه، الثاني ذل المملوك للملك، الثالث ذل الجاني بين يدي المنعم عليه المحسن إليه المالك له، الرابع ذل العاجز عن جميع مصالحه، وحاجاته بين القادر عليها التي هي في يده وبأمره. وتحت هذا قسمان: أحدهما ذل له في أن يجلب له ما ينفعه، والثاني ذل له في أن يدفع عنه ما يضره على الدوام، ويدخل في هذا ذل المصائب كال فقر والمرض وأنواع البلاء والمحن فهذه خمسة أنواع من الذل إذا وفاها العبد حقها وشهداها كما ينبغي وعرف ما يراد به منه، وقام بين يدي ربه مستصحبا لها شاهداً لذل له من كل وجه ولعزة ربه وعظمته وجلاله كان قليل أعماله قائماً مقام الكثير من أعمال غيره"⁽¹⁾.

ل- بالتوبة تبدل السيئات بالحسنات

من ثمار التوبة ومقاصدها أن الله جل وعلا من واسع منته، وعظيم فضله وجزيل عطائه بشر التائبين من عباده توبة نصوحة مقترنة بصدق الإيمان، وصحة العمل بتبديل سيئاتهم حسنات كما أخبر سبحانه بذلك فقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان: 70].

قال ابن قيم الجوزية: "واختلفوا في صفة التبديله هو في الدنيا أو في الآخرة؟ هل هي في الدنيا أو في الآخرة، على قولين:

فقال ابن عباس وأصحابه: هو تبديلهم بقبائح أعمالهم محاسنها، فبدلهم بالشرك إيماناً. وبالزنا عفة وإحصاناً، وبالكذب صدقاً، وبالخيانة أمانة فعلى هذا معنى الآية: أن صفاتهم القبيحة، وأعمالهم السيئة، بدلوا عوضها صفات جميلة، وأعمالاً صالحة، كما يبدل المريض بالمرض صحة والمبتلى ببلائه عافية.

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين، 293.

وقال سعيد بن المسيب⁽¹⁾، وغيره من التابعين: هو تبديل الله سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة. فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة⁽²⁾.

ثم قال ابن قيم الجوزية: "بعد أن تكلم على القولين السابقين علم هذا فزوال موجب الذنب وأثره تارة يكون بالتوبة النصوح، وهي أقوى الأسباب، وتارة يكون باستيفاء الحق منه وتطهيره في النار.

فإذا تطهر بالنار. وزال أثر الوسخ والخبث عنه، أعطى مكان كل سيئة حسنة فإذا تطهر بالتوبة النصوح وزال عنه بها أثر وسخ الذنوب وخبثها، كان أولى بان يعطي مكان كل سيئة حسنة، لأن إزالة التوبة لهذا الوسخ والخبث أعظم من إزالة النار، وأحب إلى الله، وإزالة النار بدل منها وهي الأصل.

فهي أول بالتبديل مما بعد الدخول، وقال: "التائب قد بدل كل سيئة بندمه عليها حسنة إذ هو توبة تلك السيئة، والندم توبة، والتوبة من كل ذنب حسنة، وصار له مكان كل سيئة حسنة بهذا الاعتبار فتأمله فإنه من أطف الوجوه وبناءً على هذا فقد تكون هذه الحسنة مساوية في القدر لتلك السيئة وهذا من أسرار التوبة ولطائفها"⁽³⁾ وعلى هذا الرأي نرى أن ابن قيم الجوزية لا يحصر التبديل في الرأيين السابقين بل هو مجموع عدة أمور مشتركة منها التوبة النصوحة المصحوبة بالندم واستيفاء الحق بما يصيب الإنسان في الدنيا من ابتلاءات وتصفية حسابات إلى غيرها وكلها عوامل مشتركة.

م- بالتوبة ينال العبد المغفرة من الله سبحانه

ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه: 82]. جعل الله تعالى مغفرته مشروطة بالتوبة والإيمان والعمل الصالح والهداية،

(1) سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب المخزومي القرشي من كبار التابعين وعالم أهل المدينة في زمانه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب، وكان من أروع الناس وأزهدهم، توفي سنة أربع وتسعين للهجرة، ابن كثير، البداية والنهاية، 99/10، 100.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 231/1، 232.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 232/1، 23. بتصرف يسير.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان: 70].

قال ابن قيم الجوزية في هذه الآية "وهذا من أعظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح وهي حقيقة التوبة.

ن- التوبة النصوح تكفر الذنوب

التوبة النصوح تكفر الذنوب وتمحو الخطايا، وتقل العثرات، وترفع الدرجات وتدخل الجنات. "وهذا يتبين بذكر التوبة النصوح وحقيقتها قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة التحريم: 8] فتجعل وقاية شر السيئات وهو تكفير-بزوال ما يكره العبد. ودخول الجنات-وهو حصول ما يجب العبد-منوطاً بحصول التوبة النصوح" (1).

س- بالتوبة ينال التائب نصر الله وحفظه

إذا اشتغل العبد بعيوبه وتولى إصلاح نفسه بالتوبة منها "يتولى الله نصرته وحفظه، والدفع عنه ولا بد فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحس أثرها عليه" (2).

اتضح لي أن التوبة من أهم العبوديات القلبية لتعلقها بالقلب محل الرجوع إلى الله تعالى وسؤال القرب منه والأنس به، فهي كما يصفها ابن قيم الجوزية أول المنازل وأوسطها وهي طريق الكمل من البشر فحاجة العبد إليها أمس من أي شيء آخر، فالعبد محتاج إلى ما يصقل قلبه ويقويه من رين الذنوب، كما أن في القلب شعناً لا يلمه ولا يسد حاجته وخلته إلا عبادة ربه وحده ومحبه، والأولى والأجدر بمن يريد الإقبال

(1) المصدر نفسه، 236/1، 237.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 588.

على الله أن يتوب إليه ويملاً قلبه به ففي ذلك سروره وبهجته ونصره وكفايته، وتكفير ذنوبه، والفوز بمغفرته.

سابعاً- الإنابة

1- الإنابة لغة:

"النون والواو والباء كلمة واحدة تدل على اعتبار مكان ورجوع إليه، وناب ينوب، وانتاب ينتاب".⁽¹⁾ وقال ابن منظور "الإنابة" أقبل وتاب، ورجع إلى الطاعة، وقيل: ناب لزم الطاعة، وأناب، تاب ورجع"⁽²⁾. وعند الراغب "النوب الرجوع، رجوع الشيء مرة بعد أخرى، يقال: ناب نوبا ونوبة وسمى النحل نوبا ونوبة كرجوعها إلى مقارها".⁽³⁾

2- أما اصطلاحاً: عند الراغب "الإنابة إلى الله تعالى الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل"،⁽⁴⁾ المنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت المتقدم، إلى محابه⁽⁵⁾. وهي أيضاً "عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته، بالإخلاص له والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم"⁽⁶⁾. قال ابن قيم الجوزية: "إذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها فقال: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [سورة الزمر:54]، وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [سورة هود:75]."⁽⁷⁾

وكلامه هذا يشعر بأن هناك فرقا دقيقاً بين التوبة والإنابة فالتوبة أصلها الرجوع إلى الحق، والإنابة، الرجوع إلى الطاعة ولزومها ويفهم من هذا أيضا أن الإنابة توبة وزيادة ففي معنى الإنابة اللزوم للطاعة بعد الرجوع والتوبة ولهذا قال ابن قيم الجوزية. نزل

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 531/2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 732/8.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 529.

(4) المصدر نفسه، 529.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 331/1.

(6) الفوائد، 241.

(7) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 329، 330.

بعدها منزل الإنابة. وقال: "والإنابة الثانية إنابة أوليائه. وهي (إنابة الإلهية)، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والاعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربعة".⁽¹⁾

3- مقاصدها.

للإنابة مقاصد وأسرار عظيمة تتجلى فيما يأتي:

أ- الرجوع إلى الله بالاجتهاد والنصح في الطاعة

وهو أثر من آثار الرجوع وثمره من ثمراته "لما كان التائب قد رجع إلى الله بالاعتذار والإقلاع عن معصيته كان من تنمة ذلك رجوعه إليه بالاجتهاد والنصح في طاعته كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [سورة هود: 75]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة مريم: 60].

فلا تنفع توبة وبطالة فلا بد من توبة وعمل صالح⁽²⁾.

ب- الوفاء بالعهد في الطاعة له سبحانه:

جعل الله تعالى الوفاء بالعهد في إخلاص الطاعة شرطاً في صحة الإنابة فمن لم يوف بعهده فما حقق الإنابة. لذا قال: "فعليك بالرجوع بالوفاء بما عاهدته عليه ثانياً والدين كله عهد ووفاء، فإن الله أخذ عهده على أنبيائه ورسله على لسان ملائكته، أو منه إلى الرسول بلا واسطة كما كلم موسى. وأخذ عهده على الأمم بواسطة الرسل. وأخذ عهده على الجهال بواسطة العلماء ومدح الموفيين بهذه وأخبر بما لهم عنده من الأجر. وهذا يتناول عهودهم مع الله بالوفاء له بالإخلاص والإيمان والطاعة وعهودهم مع الخلق⁽³⁾.

ج- الرجوع إلى الله حالاً

والمعنى المراد أن الرجوع إلى الله لا يتحقق إلا بالعمل، فلا قيمة للمقال ما لم يصحبه عمل يصدق مقاله فالله سبحانه "قد دعاك فأجبتة بلبيك وسعديك قولاً، فلا بد

(1) المصدر نفسه، 330/1.

(2) المصدر نفسه، 331/1.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 331/1، باختصار.

من الإجابة حالاً تصدق به المقال. فإن الأحوال تصدق الأقوال أو تكذبها وكل قول فلصدقه وكذبه شاهد من حال قائله فكما رجعت إلى الله إجابة بالمقال. فارجع إليه إجابة بالحال⁽¹⁾. ومن مقاصد الإنابة التي يحصلها العبد في الدنيا والآخرة ما يأتي:

د- الاعتبار بآيات الله:

من صفات عباد الله المؤمنين الاعتبار بالآيات الدالة على عظمة الله تعالى وعزة وسلطانه كما "أخبر سبحانه إنما يتبصر بها ويتذكر أهل الإنابة"⁽²⁾. فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ نَيَّئْنَا وَزَيَّنَّهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة ق: 6-8] هذه الآية وغيرها كثير في القرآن، وهي تدعو عباد الله المنيبين إليه أن يتبصروا في آياته وينظروا في دلائل خلقه وبديع صفته سبحانه وتعالى ليزدادوا إيماناً على إيمانهم وقوة في حبهم لربهم وخالقهم.

هـ- الإنابة مانعة من العذاب:

من تاب وأناب. تاب الله عليه وأمنه من العذاب في الآخرة، ومن مات قبل أن يتوب عاجله الله بالعذاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الزمر: 54] قال ابن كثير: "أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النعمة"⁽³⁾.

و- الإنابة مفتاح دار السعادة:

الإنابة هي القنطرة التي يعبر بها المنيب إلى رضوان الله وجنته قال تعالى: ﴿وَأَزَلِمَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة ق: 31-33] قال ابن قيم الجوزية: "وأخبر أن ثوابه لأهل الخشية والإنابة"⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، 331/1، 332.

(2) المصدر نفسه، 330/1.

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 104/6.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 330/1.

ز- البشرى لأهل الإنابة:

بشر الله تعالى عباده الذين رجعوا إلى عبادته وطاعته في الحياة الدنيا بالجنة في العقبي وخصهم بها. قال ابن قيم الجوزية: "أن البشرى منه إنما هي لأهل الإنابة"⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾^(١٧) [سورة الزمر: 17].

تبين لي مما سبق أن الإنابة هي روح التوبة ولبها، فهي أخص من التوبة باعتبار أنها مثل الرجوع إلى الله تعالى، وقد يعاود التائب الذنب مرة أخرى وأخرى، بينما الإنابة هي لزوم الطاعة وعدم مفارقتها وزيادة في الاجتهاد في الطاعة لذلك أثنى الله تعالى على النبيين وخصهم بذكرهم وبشرهم بجنته.

ثامناً- الصبر

1- الصبر لغة:

الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة.

فالأول: الصبر، وهو الحبس، يقال صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها، والصبر نقيض الجزع صبر يصبر صبراً، فهو صابر وصبار، وصبير وصبور"⁽²⁾. قال الجوهري: "صبر النفس عند الجزع"⁽³⁾، والصبر في اللغة له معان عدة ذكر الراغب منها "الإمساك في صيق ومنها الحبس، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، ومن معانيه الجرأة وقوله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ وَبَشِّرْ﴾^(١٨) [سورة يوسف: 18]، ومنه الانتظار "فاصبر لحكم ربك - أي انتظر"⁽⁴⁾.

وجل هذه المعاني لا يخرج عن المراد من الصبر بمعناه الإصطلاحي من الحبس والتحمل والانتظار. قال الغزالي: "الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة

(1) المصدر نفسه، 330/1.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 31/2، وابن منظور، لسان العرب، 267/5.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 281. بتصرف يسير.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 267/5.

الشهوة"،⁽¹⁾ وقال النووي: "الصبر حبس النفس على ثلاثة أمور: طاعة الله، والثاني: عن محارم الله، والثالث: على أقدار الله المؤلمة".⁽²⁾

2- أما اصطلاحاً:

قال ابن قيم الجوزية: فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"⁽³⁾.
وقال في موضع آخر، "حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب وبتف الشعر ونحوه فما مقدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام به العبد كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه، محبوباً"⁽⁴⁾ ولا شك أن هذا من ثمرات الصبر وفضائله التي يعطاها الصابر على الأنواع الثلاثة. لما فيها من التعب والمشقة والمعاناة وكف النفس عن الهوى. والصبر على الطاعة أكمل درجات الصبر مراعاة لمصلحة الشارع قال ابن قيم الجوزية كان شيخ الإسلام بن تيمية يقول: "الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات، وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة: أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. ومفسدة عدم الطاعة: ابغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية"⁽⁵⁾.

وفي العموم أن الصبر مداره على ثلاثة أنواع

"صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله".

فالأول: الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة النحل: 127] يعني أن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه،

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1394/2.

(2) النووي، شرح رياض الصالحين، 62/11.

(3) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين 12.

(4) ابن قيم الجوزية: الكلم الطيب من الوابل الصيب من الكلم الطيب، 5.

(5) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 521/1، 522.

والتقرب إليه، لإظهار قوة النفس، والاستحمام إلى الخلق، وغير ذلك من الأغراض.

والثالث: الصبر مع الله، هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا كونه صابراً مع الله أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره، ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين⁽¹⁾.

وبين الصبر الأول والثاني من التفاوت ما بين الغايات والوسائل، والمعنى "أن الصبر لله أكمل من الصبر به فإن الصبر له متعلق بألوهيته ومحبه، والصبر به متعلق بربوبيته ومشيئته، وما هو له أكمل مما هو به فإن ما هو له الغاية وما هو به الوسيلة فالصبر به وسيلة والصبر له غاية"⁽²⁾.

3- مقاصده

للصبر مقاصد عظيمة وحكم جليلة تتبين من خلال اهتمام القرآن به، وذكره وارتباطه بموضوعات العقيدة الإسلامية المتعلقة بإيمان المسلم وتوحيده وآثاره المترتبة عليه في الدارين، فالصبر رأس الأمر وعموده وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في كثير من المواضع لاقتترانه بمقامات الإيمان والإسلام والإحسان. قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - "خير عيش إدراكناه بالصبر، فالصبر هو مفتاح الإيمان وقاعدة الإحسان"⁽³⁾، لذلك هناك مقصدان للصبر أحدهما دنيوي، وآخر أخروي، كما سيأتي:

أ- المقاصد الدنيوية:

فمن مقاصد الدنيوية المتعلقة بالعقيدة ما يأتي:

- الصبر طريق العبودية إلى الله:

ما حقق العبودية من بث شكواه لغير الله، فمن العبودية بث الشكوى إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، "فالشكوى لا تنافي الصبر الجميل، بل إعراض عبده عن الشكوى إلى غيره

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 522/1.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين، 334.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 520/1.

جملة وجعل الشكوى إليه هو الصبر، والله تعالى يبتلى عبده يسمع شكواه وتضرعه ودعائه، وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ويستكن إليه وقت البلاء. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:76].

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه، والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه بل أراد منه أن يستكين له، ويتضرع إليه، وهو تعالى بمقت من يشكوه إلى خلقه ويجب أن يشكو ما به إليه⁽¹⁾.

لذلك نجد أن الأنبياء -عليهم السلام- حققوا هذه العبودية لله تعالى من خلال بث شكواهم إليه سبحانه وتعالى: فهذا نبي الله يعقوب يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة يوسف:86].
- الصبر يوجب معية الله.

إذا صبر العباد على محاب الله تعالى مما افترضه عليهم من الفرائض والطاعات، وترك المحرمات والمنكرات، والصبر على المحن والبلاء من غير جزع ولا شكوى أوجب لهم ذلك كله معية الله "وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم"⁽²⁾. وكفى بهذا فوزاً ينال به الصابرون عز الدارين قال أبو علي الدقاق⁽³⁾: فاز الصابرون بعز الدين لأنهم نالوا من الله معيته قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:46]⁽⁴⁾.
- الصبر مفتاح التقوى:

إن سر التقوى وأساسها مرجعه في الأصل إلى حقيقة العبودية لله وحده بالانقياد له بفعل أوامره، وترك مناهيه والتسليم بأقداره وأقضيته والثلاثة منشؤها وقيامها على الصبر قال ابن قيم الجوزية: الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(1) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 31.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 519/1.

(3) أبو علي الحسن بن الدقاق النيسابوري كان يعظ الناس ويتكلم في الاحوال والمعرفة، فمن كلامه: من تواضع لأحد من أجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنه خضع له بلسانه وأركانه، توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة للهجرة، ابن كثير: البداية والنهاية 13/2.

(4) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، 41.

صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأفضية حتى لا يتسخطها، وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ ﴿٢٢﴾ [سورة الرعد: 19-22] (1).

جمعت هذه الآيات الكريمة جميع خصال أهل الإسلام والإيمان ومقاماتهم من الخوف والخشية والرجاء والمحبة والإنابة والتوكل وغيره وأصل كل ذلك وقاعدته التي يدور عليها هو الصبر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة آل عمران: 200]، "فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الأمور الثلاثة، فإن حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور" (2).

- محبة الله تعالى للصابرين

من صبر على البلاء وعلى أقدار الله حبا له لأمره ورضى بقضائه وقدره استوفى شروط محبة الله له قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكْبَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ [سورة آل عمران: 146] قال ابن قيم الجوزية: "الصبر والمحبة لا يتناقضان: بل يتواخيان ويتصاحبان، والمحبة صبور" (3).

ب- المقاصد الأخروية:

لذلك جعل الله سبحانه وتعالى أهل الصبر أهل محبته وخصهم بخصال أهل الخير. فهذه بعض المقاصد إلى جانب مقاصد أخرى تتعلق بحياة العبد وعلاقته بربه في الدنيا وآثارها عليه في الآخرة ومنها:-

(1) ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين ، 24 باختصار.

(2) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 26، وما بعدها الامام النووي شرح رياض الصالحين، 64/1.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 527/1.

- الصبر عون وعدة على الطاعات:

جعل الله تعالى: "الصبر عوناً وعدة وأمر بالاستعانة به فقال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة:45]، فمن لا صبر له لا عون له فجعل شرط العون الصبر "لأن الإنسان إذا صبر⁽¹⁾ وانتظر الفرج من الله سهلت عليه الأمور"⁽²⁾.

-الصبر جنة عظيمة:

من نعم الله ومننه على عبده المؤمن أن جعل له في الصبر والتقوى جنة أي وقاية وحارساً يرد عنه كيد العدو ومكره فالصابر في خفارة الله وحراسته "فما استجن العبد جنة أعظم منها"⁽³⁾ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا

﴿١٢٠﴾ [سورة آل عمران:120].

- نيل الإمامة في الدين:

من أراد شرف الدنيا والآخرة فعليه بالصبر واليقين فبهما تنال الإمامة في الدين قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة:24] قال ابن قيم الجوزية: "فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين"⁽⁴⁾ وقال في موضع آخر. "ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر واليقين وجعلهم أئمة في الدين"⁽⁵⁾. وقال سفيان⁽⁶⁾ بن عيينة في معنى الآية السابقة "لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء"⁽⁷⁾ فالصبر كما يفهم هو رأس الأمر وعدته.

(1) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين 61، 62.

(2) النووي، شرح رياض الصالحين، 67/1.

(3) ابن قيم الجوزية عدة الصابرين، 62.

(4) المصدر نفسه، 61.

(5) ابن قيم الجوزية الداء والدواء، 59.

(6) هو سفيان بن عيينة ابن عمران ميمون، الامام المجتهد الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي، محدث الحرم ولد سنة 107هـ، طلب العلم في صغره، كان إماماً، وحجة، حافظاً واسع العلم كبير القدر، وكان من اعلم الناس بحديث اهل الحجاز وقيل عنه، عنده من المعرفة والتفسير ما لم يكن عند الثوري، توفي 198هـ. الداوودي. طبقات المفسرين 196/1-198.

(7) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 525/1.

- بالصبر يكمن النصر على العدو وتكون العزة والتمكين في الأرض

بالصبر يكمن الظفر ولا أدل على ذلك من قصص الأنبياء مع أقوامهم كما ورد ذكرهم في القرآن وفي الحديث أن الله تعالى مكن لهم في الأرض لما صبروا على الدعوة إليه سبحانه وصبروا على أذى قومهم لهم. كان من حالهم ما كان. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم "لما صبر على أذى قومه وامتلأ لأمر ربه فقال: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا أَلْعَزْمَ مِنَ الرَّسْلِ﴾ [سورة الأحقاف:35]، فدخل مكة دخولاً ما دخله أحد قبله ولا بعده حوله المهاجرون والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق والصحابة على مراتبهم والملائكة فوق رؤوسهم وجبريل يتردد بينه وبين ربه وقد أباح له حرمه الذي لم يحله لأحد سواه"⁽¹⁾ وقال وهب⁽²⁾ "مكتوب في الحكمة: قصر السفه الغضب، وقصر الحلم الراحة وقصر الصبر الظفر" قصر الشيء وقصاراه: غايته وثمرته"⁽³⁾ والمعنى من أراد الغاية من كل شيء فعليه بالصبر فليلزمه.

- الصبر والاحتساب عند المصيبة يخلف صاحبه خيراً

ما من مصيبة تصيب العبد فيرجع فيها إلى الله ويحتسبها عنده إلا عوضه الله خير منها. "عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها إلا اخلف الله له خيراً منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم إني قلتها، فأخلف الله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأرسل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور، فقال: أما بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة))⁽⁴⁾ فتزوجت رسول الله صلى

(1) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 83، وما بعدها عدة الصابرين، 29.

(2) وهب بن منبه أبو عبد الله الأبتاوي. تابعي جليل ولد في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين وله معرفة بكتب الاوائل، وله صلاح وعبادة، ويروي عنه أقوال حسنة، وحكم ومواعظ، توفي بصنعاء سنة عشر ومائة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 545/4، 546، ابن كثير، البداية والنهاية، 276/9.

(3) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، 86.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، حديث رقم 918.

الله عليه وسلم.(1) فهذه عاقبة الصبر وتمرثه وأي عاقبة أعظم من هذه العاقبة وهي ظفرها بسيد الخلق وخاتم الرسل - صلى الله عليه وسلم - نالت به عز الدنيا وشرف الآخرة.

- البشرى لأهل الصبر:

بشر الله تعالى الصابرين الذين أصابتهم البلياء والرزايا في الدنيا في الأنفس والأولاد والأموال بأن جمع لهم "ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم ورحمته لهم، وهدايته إياهم. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة البقرة: 155-157]، نقل ابن قيم الجوزية قول بعض السلف-وقد عزي على مصيبة نالته- فقال: "ما لي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خيرٌ من الدنيا وما عليها"(2).

- الجزاء الأوفى للصابرين:

أفاض الله تعالى على الصابرين من عباده من الأجر والثواب فيضاً بغير حدود وذلك لعظم هذه الفضيلة وهذا الخلق، وإنما يتحلى به إلا من كان على قدر كبير من العبادة والخوف ولهذا أجزل الله العطاء وضاعف لهم الأجر والثواب،(3) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الزمر: 10]، قال النووي: "وفي هذه الآية من الترغيب في الصبر ما هو ظاهر"(4).

- جزاء الصبر على البلياء تكفير الخطايا:

ما من عبد يصبر على ما أصابه من البلاء إيماناً منه وتصديقاً لأمر ربه أن ما أصابه كان بقضاء الله وقدره، قدره له وكتبه عليه لحكمة هو يعلمها سبحانه من غير

(1) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 90.

(2) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 61، وما بعدها أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 1392/2.

(3) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 61. بتصرف

(4) النووي، شرح رياض الصالحين، 66/1.

سخط ولا تدمر. إلا كفر الله بها عنه خطاياها في الصحيحين عن عائشة-رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مصيبة تصيب العبد المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها))⁽¹⁾.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً تلك التي تذكر أجر الصبر على البلاء في تكفير الخطايا، وتحث على الصبر والتصبر في حق جميع الناس حتى الأنبياء يصابون ويبتلون، وقد ساق ابن قيم الجوزية عدداً منها اذكر منها على سبيل المثال كما "جاء في الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه⁽²⁾ قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد بلاؤه- وإن كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة))⁽³⁾.

وهذا فضل ونعمة من الله تعالى على عبده يبتليه بالمصائب ليكفر عنه بعد ذلك ذنوبه بها ويحط عنه خطاياها فالصبر كله خير ورحمة.

- الصبر على الأذى سبب في جلب العفو

من مقاصد الصبر الصبر على الأذى والصبر، في هذا المجال خير عظيم لا يعطاه إلا خواص الناس ممن يعمر قلوبهم حب الله والخوف منه في الصحيحين من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه- كأني انظر إلى النبي-صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ((اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))⁽⁴⁾ قال ابن قيم الجوزية: "فتضمنت هذه الدعوة العفو عنهم، والدعاء لهم، والاعتذار عنهم والاستعطاف بقوله لقومه"⁽⁵⁾.

(1) اخرج البخاري، كتاب المرضي، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم 5640، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، حديث رقم 2572.

(2) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين، 69.

(3) اخرج البخاري، كتاب المرضي، باب أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل، حديث رقم 5324.

(4) اخرج البخاري كتاب أحاديث الانبياء، باب حديث الفار، حديث رقم 3477 ومسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد، حديث رقم 1792.

(5) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين 69.

فالصبر على أذى الناس أفضل عطاء يعطاه المؤمن. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((ما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر))⁽¹⁾.

- جزاء الصبر وثوابه الجنة:

إن خير جزاء يعطاه العبد في الآخرة وغاية كل مؤمن سائر إلى الله هو الجنة، والصبر طريق الجنة وقد ذكر ابن قيم الجوزية في هذا السياق عدداً من الأحاديث تتحدث عن أجر الصابر وجزاؤه، إذا صبر على ما ابتلاه الله به في الدنيا⁽²⁾ فقال في شأن من أخذ الله عينيه، وفي صحيح البخاري من حديث أنس أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال: "إذا ابتليت عبدي في حبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة"⁽³⁾.

وفي صحيح "البخاري" من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله جل جلاله ما لعبدي المؤمن جزاءً إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"⁽⁴⁾.

وفي صحيحه أيضاً: عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى: قال هذه المرأة السوداء أتت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله إني أصرع، وإني أتكشف، فأدعو الله لي. قال: ((إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك"، فقالت: أصبر))⁽⁵⁾ فهذه جملة من الأحاديث تتكلم عن أجر الصبر والحث عليه.

- تسليم الملائكة على الصابرين في الجنة

خص الله تعالى الصابرين بهذه الفضيلة تمييزاً لهم على غيرهم بتسليم الملائكة عليهم في الجنة، قال ابن قيم الجوزية "أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في

(1) اخرج به البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، جزء من حديث رقم 1469 ومسلم، كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر، جزء من حديث رقم 1053.

(2) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين، 67، 68.

(3) اخرج به البخاري، كتاب: المرضى، باب: فضل المصيبة إذا احتسب، حديث رقم 1021.

(4) اخرج به البخاري، كتاب: الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله، حديث رقم 6424.

(5) اخرج به البخاري، كتاب: المرض، باب: فضل من يصرع من الريح، حديث رقم 5652.

الجنة، كما قال⁽¹⁾: ﴿والملائكة عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [آل عمران، 120] وكفى بهذا شرف وفضيلة.
الخلاصة:

إن الصبر عمل من أعمال القلوب لا يعطاه إلا من جاهد نفسه وقصرها وخالف شهاداتها وحثها على السير نحو مرضاة ربه وخالقه باجتناح معاصيه وترك مناهيه بقوة المعرفة والإيمان التي تقمع الشهوات وتحث على الطاعات وتربي النفوس وتهذب الأخلاق.

فالصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله عليها في كتابه العظيم وأمر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في سننه المطهرة، فسيرته صلى الله عليه وسلم تعد نموذجا يحتذى به في التخلق بخلق الصبر بشتى أنواعه وأعلى درجاته، فمن قرأها سيجد أن للصبر شأنًا عظيمًا في حياته -صلى الله عليه وسلم- ودينه في دعوته إلى الله تعالى، ومنهجه الذي ربي عليه أصحابه حتى ضربوا بذلك أروع الأمثلة في الصبر، الصبر على الطاعة والصبر على المعصية، والصبر على أقدار الله فكان لهم، ما كان من المنزلة العالية والرفعة الكبيرة عند الله في الدنيا والآخرة.

وظهرت آثاره وثمراته عليهم في دينهم ودنياهم، من حب الله وتقواه، والنصر في الأرض، وكثرة الخيرات، وفي الآخرة تكفير الخطايا والجزاء الأوفى لهم من الحسنات والفوز في الجنة بأعلى الدرجات.

(1) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، 62.

المبحث الثاني: مقاصد عبادات اللسان

أولاً- النطق بالشهادتين

اشتمل هذا المبحث على أهم العبادات التي لا تصح العبادة إلا بها ولا تستقيم العقيدة إلا عليها فهي بمثابة الرأس من الجسد وأهم هذه العبادات النطق بالشهادتين وذكره ودعائه واستغفاره التي هي أصل الدين وأساس قيامه، فالنطق بالشهادتين أول عبادات اللسان وهي "أشهد ألا لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله"، أفضل الكلام وأحسن البيان وأجمله وأثقل الأعمال في الميزان فله ما أحسنها من كلمة وما أجملها من عبارة، يحبها كل مؤمن ويبغضها كل متكبر، فكم من إنسان صرف هذه الكلمة عن قلبه ولسانه وعمله فأبعده الله وكم من محروم مفرط مخذول فرط فيها فخذله الله، وكم من متكبر متعال عنها قصمه الله فهي كلمة الحق ومفتاح الإسلام، وأول ركن من أركان الدين، وقاعدة الإيمان التي ورد ذكرها في القرآن قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم: 24].

1- معناها لغة:

"شهد: الشين والهاء والdal أصل يدل على حضور إعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه ومن ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: محضر الناس" (1). وقال الراغب "والشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة أما بالبصر أو البصيرة وقد يعبر عن الشهادة بالحكم وعن الإقرار" (2).

ومن معانيها: العلم والبيان، ذكره ابن منظور فقال "كقول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله. وقول أشهد ان محمدا رسول الله، وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة آل عمران: 18]، فمعنى شهد هنا قضى أنه لا إله إلا هو علم وبين لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه. وشهد فلان عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 628/1.

(2) الراغب الأصفهاني، غريب ألفاظ مفردات القرآن، 274، 275.

معانيها

ومن معناها الإخبار: نقول شهد بكذا إذا به أخبر وأدى ما علم بالمعانيه والسماع فصار من معاني الشهادة الإخبار، ومن معانيها اليمين قال تعالى: ﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ [سورة النور:6] معناها اليمين ها هنا⁽¹⁾. فكل هذه المعاني تدور في فلك واحد وحول حقيقة واحدة وهي الشهادة بالحق حكما وعلما مع حضور معناها في القلب والاخبار بها باللسان على وجه الحقيقة، مع بيان حقائق معانيها.

2- أما اصطلاحاً:

معنى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يقول ابن قيم الجوزية فجواب الأولى بتحقيق لا اله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة⁽²⁾.

فتحقيق الأولى وهي "لا اله إلا الله" وهو إلا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [سورة المعارج:33]، فيكون قائماً بشهادته في ظاهرة وباطنه في قلبه وقاله⁽³⁾ وقال في موضع آخر في بيان تحقيق هذه الكلمة وبيان مراد الشارع صلى الله عليه وسلم "لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بالسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب وقول اللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية من غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب، علماً ومعرفة ويقيناً⁽⁴⁾.

وأما تحقيق الثانية: وهي شهادة أن محمداً رسول الله فالإيمان به صلى الله عليه وسلم وأنه عبدالله ورسوله، أرسله إلى الناس كافة إلى الجن والإنس يدعوهم إلى توحيد

(1) ابن منظور، لسان العرب، 214/5، 217. بتصرف.

(2) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، 7/1، 8.

(3) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، 241.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 253/1.

الله والإيمان به واتباع ما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، والإيمان بجميع شرائع الله التي شرعها لعباده والأخذ بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك. فمن أنكر ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يكون مسلماً حتى يشهد ويقر ويصدق بما افترضه الله تعالى على رسوله وعلى عباده من الشرائع والعبادات، ويعمل بمقتضاها حبا لله وطاعة له ولسوله -صلى الله عليه وسلم-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا كله تفصيل الشهادتين، اللتين هما أصل الدين شهادة ألا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله⁽¹⁾ شهادة تقوم على إقرار التوحيد له علماً ومعرفة واعتقاداً وبراءة من الشرك وأصنافه كما شهد سبحانه لنفسه بذلك وشهدت له الملائكة وأولوا العلم وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران: 18].

قال ابن قيم الجوزية: فتضمنت هذه الآية أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به ولهذا الشهادة أربع مراتب. فأول: مراتبها علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوتها وثانيهما: تكلمه بذلك ونطقه وأن لم يعلم به غيره بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها. وثالثها أن يعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له. ورابعها أن يلزمه بمضمونها⁽²⁾.

فهذه حقيقة الشهادة على الوجه الأكمل مع العلم والمعرفة وصحة الاعتقاد بالمشهود له والإعلام عنها والإخبار بها، ثم قال: "أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم، وحكم وقضى: أن ما سواه ليس بالله، وأن الهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره. وذلك يستلزم

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 101/1.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 561/1. بتصرف يسير.

الأمر باتخاذ وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات(1).

3- مقاصدها:

لهذه الكلمة العظيمة مقاصد جليلة وحكم عظيمة، منها ما يلي:-

أ- فهي حقيقة الإسلام:

أن أساس هذا الدين وجوهره قائم على هذه الكلمة المتضمنة لجميع أنواع التوحيد فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، لذا كانت هذه الكلمة "هي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزولا قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟(2).

ب- تكفر الخطايا:

لا إله إلا الله تكفر الخطايا وتمحي السيئات قال ابن قيم الجوزية "وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"(3)(4).

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر)).(5)

(1) المصدر نفسه، 564/1.

(2) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد 1 / 7.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل العيب من الكلم الطيب، 105.

(4) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب ما يستحب من الذكر بعد الصلاة، حديث رقم 597.

(5) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التسييح والتهليل والتكبير والتحميد، حديث رقم 3460. حديث

حسن حسنه الألباني غي السلسلة.

والمعنى المشار إليه في هذا الحديث لو كانت هذه الذنوب قد بلغت من الكثرة حدا لا يوصف فإن فضل الله واسع ورحمته كبيرة بعبده المذنب إذا ما وحد الله وقده وحمده وكبره خالصا من قلبه. قال الشوكاني: ((وفي الحديث دليل على أن التكلم بهذا الذكر مرة واحدة يمحو الذنوب وإن كان في الكثرة إلى غاية تساوي زبد البحر وفضله واسع وعطاؤه جم وهو واسع الرحمة)).(1)

ج- تذهب الكرب والغم والحزن:

لكلمة لا اله إلا الله أثر عظيم وسر خطير في ذهاب الكرب والغم وكافة الهموم والأحزان فما استغاث بها عبد مؤمن إلا لقي من أثرها الخير الكثير فهذا النبي صلى الله عليه كان إذا حزبه أمر ذكر الله بهذه الكلمات قال ابن قيم الجوزية: في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: ((عند الكرب لا اله إلا الله العظيم الحليم، لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم)) (2)(3).

د- تضاعف الحسنات وتمحو السيئات:

لا إله إلا الله تضاعف الحسنات، وتمحو السيئات وترفع الدرجات كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: ((من دخل السوق فقال: لا اله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وبيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة)) (4).

كما أن لهذه الكلمة تأثير عجيب في تكفير الخطايا عند من حضرته الموت. يقول ابن قيم الجوزية مبينا الحكمة من ذلك: "الشهادة أن لا إله إلا الله تأثير عجيب في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها أجل شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها قد ماتت منه

(1) الشوكاني، تحفة الذاكرين، 449.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب الدعاء عند الكرب. حديث رقم 6346 ومسلم في الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب. حديث رقم 2730.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل العيب من الكلم الطيب، 108.

(4) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات باب حديث رقم 3424.

الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إباطها واستعصائها وأقبلت بعد إعراضها، وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها. واستحذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أول ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة، بها واجتمع همها على اليقين بالقدوم عليه وخمدت نيران شهوته وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه وصارت الدنيا وراء ظهره فكانت تلك الشهادة الخالصة طاعة عمله فطهرته من ذنوبه".(1)

هـ - بها تفتح أبواب الجنة الثمانية:

من فضل لا إله إلا الله يدخل بها الذاكر من أي أبواب الجنة الثمانية، كما ذكر ذلك ابن قيم الجوزية: "في الذكر بعد الوضوء" عن عمر بن الخطاب-رضي الله عليه-عن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: ((ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ-أو فيسبغ-الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)) (2).

و- من أحب الكلام إلى الله

لا إله إلا الله. قال ابن قيم الجوزية "ومن أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن (3) أربع كلمات تتضمن إفراده وتوحيده وحمده وتنزيهه، أجمله صلى الله عليه وسلم في قوله، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه عن النبي-صلى الله عليه وسلم وقال: ((لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس)) (4)، فهي بهذا المعنى أعظم كلمة وأجل كلمة، وأحب كلمة لقائلها.

(1) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 75، 76.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عند الوضوء، حديث رقم 234. وابن ماجه كتاب الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء، حديث رقم 470.

(3) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، 133.

(4) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء: حديث رقم 2695 والترمذي، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، حديث رقم 3597.

وقال الإمام الشوكاني: "وينبغي لكل مسلم أن تكون هذه الكلمات أحب إليه مما طلعت عليه الشمس، كما كانت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحب إليه مما طلعت عليه شمس، ومن لازم المحبة إكثار الذكر بها، فإن المحب لا يغيب عن محبوبه مع ذكره، والمراد بما طلعت عليه الشمس الدنيا بأسرها، فإن الشمس تطلع عليها وتغيب عنها".⁽¹⁾

وخلاصة القول: إن أصدق كلمة وأعظمها وأجلها عند الله تعالى هي شهادة الحق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهي مفتاح الإسلام، وأساس قاعدة الإيمان ولا يحقق العبد الإيمان إلا بالإقرار بهما علما ومعرفة وطاعة وانقيادا، ونفى ما سواه من المعبودات الباطلة والمعتقدات الفاسدة فلا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي هي أحب الكلام إلى الله تعالى، والتي بها تكفر الخطايا وتمحى السيئات، وتضاعف بها الحسنات وتفتح بها أبواب الجنة الثمانية.

ثانياً-الذكر

الذكر لغة: له معان عدة منها:

قال ابن فارس: ذكرت الشيء خلاف نسيته ثم حمل إليه الذكر باللسان، ويقولون: اجعله منك على ذكر بضم الذال، أي لا تنسه، والذكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل، ويقال: رجل ذكُر، وذكر أي جيد الذكر".⁽²⁾

وعند الراغب: "الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا باحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك مثل الذكر ذكران، ذكر القلب وذكر اللسان وكل واحد منهما ضربان".⁽³⁾

وهنا توسع في المعنى، ولا شك أن المعنى في الاعتبار الأول ليس هو المراد من الذكر وإنما المراد ما أشار إليه في الاعتبار الثاني وهو ذكر القلب وذكر اللسان.

(1) الشوكاني، تحفة الذاكرين، 465.

(2) ابن قيم الجوزية، معجم مقاييس اللغة، 446/1.

(3) الراغب، غريب مفردات ألفاظ القرآن، 328.

وقال ابن منظور: الشيء يجرى على اللسان، وقيل: الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته والذكر بالقلب، ومنها الذكر الصلاة، والذكر قراءة القرآن، والذكر التسبيح، والذكر الدعاء، والذكر الشكر، والذكر الطاعة، ومنها: تمجيد الله وتقديسه، وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده⁽¹⁾، والمعنى أن كل ما جرى به اللسان واستحضره القلب هو من الذكر.

2- أما اصطلاحاً :

يشق معناه من المعنى اللغوي للذكر. وهو ما يجريه العبد على لسانه وقلبه من الثناء على الله بجميل أوصافه وأسمائه يقول ابن قيم الجوزية: "الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد صاحبه فأين هذا من هذا؟⁽²⁾. ويقول ابن تيمية: "ملازمة الذكر وأفضله لا اله إلا الله" ثم يعلم أن كل ما تلکم به اللسان، وتصوره القلب مما يقرب إلى الله ومن تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، فهو من ذكر الله"⁽³⁾ وأضاف ابن قيم الجوزية أنواعاً أخرى من الذكر فقال: "ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه، وآياديه ومواقع فضله على عبده"⁽⁴⁾. وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أنواع الذكر ودرجاته فكان سيد أهل الذكر جميعاً "وأكمل الخلق ذكراً لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكر منه لله وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدته وعبده ذكراً منه له، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكراً منه له وسؤاله، ودعاؤه إياه، ورغبته ورهبته ذكراً منه له، وسكوته وصمته ذكراً منه له بقلبه فكان ذاكراً لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله مع أنفاسه، قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وطمعنه وإقامته"⁽⁵⁾ فيفهم من هذا الكلام أن الذكر واجب في حق الذاكر في جميع الأحوال وكل الأحيان سواء كان ذكر

(1) ابن منظور، لسان العرب، 512/3- 514.

(2) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب: 88.

(3) ابن تيمية. مجموع الفتاوى، 319/10، 320.

(4) ابن قيم الجوزية الوابل الصيب من الكلم الطيب 88.

(5) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، 177/2.

القلب أو ذكر اللسان أو الجمع بينهما كما كان يجمع بينهما - صلى الله عليه وسلم في ذكره لربه وهو أفضل الذكر، قال ابن قيم الجوزية "أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع⁽¹⁾ عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات"⁽²⁾. ويرتقى بأهله في منازل العلياء. يقول ابن الجوزي: "الذكر لله له شرطان حضور القلب في تحريره وبذل الجهد في تكثيره فإن احببت أن تكون في الراسخين في الأقدام في هذا المقام فحرر الذكر على الإحسان وكثره بقدر الإمكان"⁽³⁾.

فالذكر معناه الثناء المحض لله تعالى بكل ما اختص به نفسه من صفات الكمال والجلال والجمال ونطق بها اللسان وسكنت الجنان وترجمتها الجوارح والأركان بالعمل في ما يرضى الرحمن.

3- مقاصده

للذكر أسرار عدة ومقاصد جمّة لا تنتهي أسراره، ولا تنقطع فوائده وفضائله العظيمة لهذا حث الله تعالى عباده عليه وأمرهم به واثني على أهله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ﴾ [سورة الأحزاب: 41-42]، وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۗ﴾ [سورة الأحزاب: 35]، قال النووي: "هذا دليل على أن الذاكرين الله كثيراً لهم السبق على غيرهم لأنهم عملوا أكثر من غيرهم فكانوا اسبق إلى الخير"⁽⁴⁾ فذكر الله من أجل الطاعات، ومنزله من أعظم المنازل.

وقال ابن قيم الجوزية: "منزلة الذكر هي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون إليها دائماً يتذكرون، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، التي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة

(1) يكف. ابن فارس، معجم مفاريس اللغة، 2/ 630 .

(2) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 88، وما بعده، الفوائد، 237.

(3) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ، 58.

(4) النووي، شرح رياض الصالحين، 4/ 69.

ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق⁽¹⁾.

وقال في فضل الذكر وأهله: "والذاكرون هم أهل السبق، كما روى في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له (حمدان) فقال: سيروا هذا حمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات.."⁽²⁾.

وذكر الله المثمر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وقال العز بن عبد السلام في بيان أقسام الذكر وأفضليته "الذكر ذكران، ذكر الجنان، وذكر اللسان، وأفضلهما ذكر الجنان لأنه المثمر للأحوال والمهابة والجلال وإذا بهر الجلال والجمال القلب خرس اللسان وصمتت الجنان ولم يبق إلا ملاحظة الديان، وقد أمرنا بذكر اللسان كما أمرنا بذكر الجنان"⁽³⁾.

هذا وقد ذكر ابن قيم الجوزية من أسرار الذكر وفوائده نحو مائة فائدة نذكر منها ما

يلي:-

1. أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
2. أنه يرضى الرحمن عز وجل.
3. أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
4. أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:28]
5. أنه يقوي القلب والبدن. قال ابن الجوزي: "كل العافية في الذكر والطاعة وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة"⁽⁴⁾.
6. أنه ينور الوجه.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 138/2.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله، حديث رقم 2676.

(3) العز بن عبد السلام، شجرة العلوم والمعارف، 402.

(4) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ، 53.

7. أنه يجلب الرزق.

8. أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

9. أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة. ثم قال: من أراد أن ينال محبة الله فليهج بذكره⁽¹⁾ ولا شك أن غاية مراد العبد ومقصوده الفوز بمحبة الله ونيل رضاه الذي هو مفتاح كل خير لذا قال: "وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً: ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقاً"⁽²⁾ قال ابن الجوزي وهو بحث على الإكثار من الذكر

10. "يا سائلي عن رتبة الحب الذي

من حلها فهو الإمام البارع

الزم طريق الذكر عمره دائبا

فالذكر في القلب المحبة زارع"⁽³⁾

11. أنه يورث الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله، عز وجل مفرغه وملجأه وملاذه ومعاده، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

12. أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره الله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه.

13. أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة وكلما أكثر الذاكر من الذكر ازداد من المعرفة. معرفة الله ومعرفة الكون وعلومه وأسراره فيشير له من حاله ما لم يكن من قبل ويحصل له من الأمور الصالحة والأعمال الطيبة الشيء الكثير.⁽⁴⁾

14. أنه يورث الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق قلبه.

(1) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، 41، 42..

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 138/2.

(3) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ، 58.

(4) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 42.

15. أنه يورث ذكر الله تعالى له. كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة:152] قال ابن رجب: "وذكر الله لعبده هو ثناؤه عليه في الملاء الأعلى بين ملائكته ومباهاته به وتنويهه بذكره".⁽¹⁾ وقال صلى الله عليه وسلم ((فيما يرويه عن ربه من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه)).⁽²⁾ لهذا حث تعالى على أن يتصل الإنسان بربه ليحي ضميره، وتزكو نفسه ويتطهر قلبه ويستمد منه العون والتوفيق.

16. أنه يورث حياة القلب⁽³⁾ وهي الحياة الحقيقية التي تحيا بها الأجساد، ومتى فارقتها الأجساد فإنها صارت الأجساد لها قبورا. قال ابن الجوزي "كما أن الله سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب، فحياة القلب بدوام الذكر، بل به تجلي الكروب، وتزول الهموم"⁽⁴⁾.

17. جلاء القلوب وصقالها دواؤها إذا غشيها اعتلالها⁽⁵⁾ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:28].

18. وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته⁽⁶⁾.

19. أنه يحط الخطايا ويذهبها، فانه أعظم الحسنات، والحسنات يذهب السيئات

20. أنه يزيل الوحشة بينه وبين ربه تبارك وتعالى فإن الغافل بينه وبين الله -عز وجل- وحشة لا تزول إلا بالذكر.

21. أنه قوت القلب والروح فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته⁽⁷⁾ جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-

(1) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 567.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" حديث رقم 7405.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 42.

(4) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ في الارشاد، 130.

(5) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 138/2.

(6) المصدر نفسه: 138/2.

(7) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، 42.

((مثل الذي يذكر الله ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))⁽¹⁾ قال الشوكاني: " وفي هذا التمثيل منقبة للذاكر جليلة وفضلة له نبيلة وانه بما يقع منه من ذكر الله - عز وجل - في حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار، ويصل إليه من الأجور كما أن التارك للذكر، وإن كان في حياة ذاتية، فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالموات الذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض على الأحياء المشغولين بالطاعة لله - عز وجل -"⁽²⁾.

22. فالذكر بمنزلة الروح من الجسد، والذي لا يذكره يكون كالجسد الخالي من الروح فحياة القلب بذكر الله وموت القلب بترك ذكر الله.

23. أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفة في الشدة.

24. أنه ينجي من عذاب الله تعالى.

25. أنه سبب تنزيل الملائكة السكنية، وغشيان الرحمة، وصفوف الملائكة بالذاكر كم اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ ((لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكنية وذكروهم الله فيمن عنده))⁽⁴⁾. قال الشوكاني: " وفي الحديث ترغيب عظيم للاجتماع على الذكر، فإن هذه الأربع الخصائص في كل واحدة منها على انفرادها ما يثير رغبة الراغبين، ويقوى عزم الصالحين على ذكر رب العالمين"⁽⁵⁾.

26. "أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

27. أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللهو والغفلة مجالس الشياطين.

28. "أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جلسه، وهذا هو المبارك أين ما كان.

(1) اخرج البخاري كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، حديث رقم 6407.

(2) الشوكاني: تحفة الذاكرين، 46.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل، الصيب من الكلم الطيب، 43.

(4) اخرج مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم: 2700.

(5) الشوكاني: تحفة الذاكرين، 48.

29. أنه يُؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة ، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى، كان عليه حسرة وترة⁽¹⁾ يوم القيامة⁽²⁾. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال " ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"،⁽³⁾ قال الشوكاني: "أي سبب تفريطهم في ذكر الله سبحانه وتعالى وذلك لما يظهر لهم في موقف الحساب من أجور العامرين لمجالسهم، فينبغي لمن حضر مجالس الغفلة أن لا يجليها عن شيء من ذكر الله، وأن يأتي عند القيام بكفارة المجلس التي ارست عنها"⁴ كما في حديث عائشة - رضي الله عنها- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله استغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان من مجلسه ذلك".⁵

30. أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإضلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر، في ظل عرشه، والناس في حر الشمس، قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن. قال صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاباً نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان اجتماعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة، ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".⁽⁶⁾

(1) - أي نقصاً، ابن منظور، لسان العرب، 208/9.

(2) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 44.

(3) - أخرجه أبو داوود في السنن، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، حديث رقم 4853، والترمذي كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، حديث رقم 3380. حديث حسن صحيح صححه الألباني في السلسلة.

4 الشوكاني، تحفة الذاكرين، 44.

5 أخرجه أبو داوود في السنن، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس حديث رقم 4858.

(6) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم 106.

31. أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطي السائلين"⁽¹⁾.

32. أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

33. أنه غراس الجنة، بن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقيت ليلة اسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها"⁽²⁾: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر"⁽³⁾.

34. أنه الفضل والعطاء الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال كعتق الرقاب وحط الخطايا، والعتق من النار، ورضا الرحمن.

35. دوام ذكر الله يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب يوجب نسيان نفسه ومصالحهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الحشر: 19].

36. وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه: 124]

"فذكره كلامه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم والإعراض عنه ترك تدبره والعمل به والمعيشة الضنك فأكثر ما جاء في التفسير، أنها عذاب القبر.

(1) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كان قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم 926. وقال حديث حسن غريب.

(2) أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة لا خرونة فيها ولا ارتفاع وانحباط تنفرع عنها الجبال والأحمام ولا حصى فيها ولا تنبت الشجر. ابن منظور، لسان العرب، 537/7.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، حديث رقم 3462. حديث حسن حسنه الألباني في السلسلة.

وأصل الضنك في اللغة الضيق والشدة، وكل ما ضاق فهو ضنك يقال: منزل ضنك وعيش ضنك فهذه المعيشة، الضنك في مقابلة التوسيع على النفس والبدن وبالشهوات واللذات والراحة" (1).

37. "الذكر نور في الدنيا، وفي القبر وفي المعاد، أي أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط".

38. به يدفع العدو في ساحات الوغى.

39. الذكر خير سلاح يدفع به العدو في ساحة الوغى. يقول ابن قيم الجوزية: "الذكر

عند ملاقاته العدو ومن يخاف سلطانا وغيره". (2) في سنن أبي داود عن ابن موسى

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند لقاء العدو "اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي

نَحْوِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ". (3) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال:

"حسبنا الله ونعم الوكيل"، قالها ابراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد -صلى

الله عليه وسلم- حين قال له: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَأَخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [سورة آل

عمران: 173] (4). (5)

40. فالذكر عبادة عظيمة، ومنقبة جلييلة يدفع به العدو عند ملاقاته، فينبغي لكل

مؤمن أن يتدرع به في جميع أموره وأحواله، فهو خير ما يتسلح به المسلم عدوه.

قال ابن الجوزي:

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 211.

(2) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 109.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب : ما يقول الرجل إذا خاف قوما، حديث رقم 1537.

(4) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 110.

(5) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب : إن الناس قد جمعوا لكم، حديث رقم 4536. وآل عمران 173

فتبتلوا للذكر وانتدبوا له فالذكر درع في الكريهة مانع
ومتى غفلتم فاعلموا وتحققوا إن العدو على حماكم طالع⁽¹⁾

41. الذكر يوقظ القلب من سنته أي ينبه القلب من نومه، ويوقظه من غفلته.
42. الذكر شجرة تثمر المعارف.
43. أن الذكر قريب من المذكور، ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة.
44. أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره.
45. أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى: "فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى".
46. أنه ما استجلبت نعم الله -عزل وجل- واستدفعت نقمة يمثل ذكر الله تعالى فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم.
47. أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [سورة الأحزاب: 41-43].
48. أن الله عز وجل يباهي ملائكته بأهله⁽²⁾ كما في صحيح مسلم عن معاوية -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خرج على حلقة من أصحابه فقال (ما أجلسكم) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا على الإسلام، ومن به علينا، قال: (الله ما أجلسكم إلا ذلك) قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذلك قال: أما أني لم استحلفكم تهمة ولكن أتاني جبريل فأخبرني: أن الله يباهي بكم الملائكة))⁽³⁾.
49. أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك.

(1) ابن الجوزي، التذكرة، 58.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 142/2.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم 2701.

50. أن أفضل أهل كل عمل أكثر فيه ذكر لله -عزل وجل- وهكذا سائر الأحوال.

51. أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية، أو مالية أو بدنية مالية كحج التطوع، وغيره من سائر الأعمال التعبدية ففي الصحيحين عن أبي صالح عن أبي هريرة - رضي الله عنه- ((أن فقراء المهاجرين أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال "وما ذاك؟" قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتهم"، قالوا: بلي يا رسول الله، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة)). قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: سمع أخواننا أهل الأموال بما فضلنا ففعلوا مثله، فقال صلى الله عليه وسلم: ((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)).(1)

قال ابن رجب: "ومعنى هذا أن الفقراء ظنوا ألا صدقة إلا بالمال وهم عاجزون عن ذلك فأخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن جميع أنواع المعروف والإحسان صدقة".(2)

52. أن ذكر الله من أكبر العون على طاعته فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له، ويجعل قرّة عينه فيها ونعيمه وسروره بها.

53. أن ذكر الله يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت فذكر الله هو الفرج بعد الشدة، والفرج بعد الغم

(1) أخرجه البخاري، كتاب: الآذان، باب: الذكر بعد الصلاة، حديث رقم 843، ومسلم

كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحسان الذكر بعد الصلاة، حديث رقم 595.

(2) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 386.

والهم.⁽¹⁾ وقد ورد في ذلك أذكار كثيرة منها ما جاء في سنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب: ((يا حي يا قيوم برحمتك استغيث))⁽²⁾ وفي السنن أيضا عن سعد ابن أبي وقاص قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له)).⁽³⁾

54. أن ذكر الله يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.
55. أن الذكر يعطي الذاكر، قوة، حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه.
56. أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كما له ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين.

57. أن دور الجنة تبني بالذكر، فإن أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

58. أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب⁽⁴⁾.
بعد التتبع والاستقراء لمعاني الذكر وأسراره، وجدت أن الذكر من أجل العبادات، وأعظمها عند الله تعالى، وذلك بما فيه من الشاء عليه سبحانه وتعالى بحمیل أوصافه وآلائه وأسمائه، وأن هذا الذكر أنواع: ذكر القلب، وذكر اللسان، وذكر القلب باتقاء مواقع معاصيه، والعمل على ما يقرب منه من علم وعمل، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ومن ذكره بلسانه، ذكر آلائه وأنعامه، وإحسانه، ومواقع فضله، وأفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وقد جمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جميع أنواع الذكر

(1) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 73، 75.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: عقد التسبيح باليد، حديث رقم 3524. قال الحافظ ابن حجر حديث حسن غريب.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب عقد التسبيح باليد، حديث رقم 3505. حديث صحيح حسنه الألباني في السلسلة

(4) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 73-79، باختصار.

وأركانها، فكان سيد أهل الذكر جميعاً وأكمل الخلق ذكراً لله وقدوة الخلق كلهم، ولهذا
حث الله تعالى على ذكره وأثنى عليهم في القرآن الكريم وجعلهم من المقربين وأنزلهم
منازل الصديقين وأثابهم بالجنة عليه.

ثالثاً- الدعاء

1- الدعاء لغة: "مصدر من قولك: دعوت الشيء ادعوه، دعاءً، أقاموا المصدر مقام
الاسم تقول سمعت دعاءً كما تقول سمعت صوتاً"⁽¹⁾ وقال ابن فارس: "والدعاء هو أن
تميل بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً"⁽²⁾
وقال ابن منظور: "الدعاء واحد الأدعية وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو
لما جاءت بعد الألف همزة، وقال: ودعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه والاسم: الدعوة، ودعوت
فلانا أي صحت به واستدعيته"⁽³⁾.

وللدعاء معان أخرى ذكرها الراغب منها "النداء، والتسمية: قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا
دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [سورة النور: 63]⁽⁴⁾، حثاً على تفضيله،
ومنها السؤال: ودعوته: إذا سألته، وإذا استغثته قال تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سورة
البقرة: 61] أي سله، والدعاء إلى الشيء الحث على قصده ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [سورة يوسف: 33]⁽⁵⁾. فجميع هذه المعاني تفيد معنى السؤال والطلب
مع رجاء تحقق المطلوب.

2- معناه اصطلاحاً: فالدعاء ورد بعدة معان جميعها تدور حول المعنى اللغوي المتقدم
ذكره فأذكر من جملة معانيه.

الدعاء معناه "استدعاء العبد ربه- عز وجل- العناية واستمداده إياه المعونة،
وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية، واستشعار

(1) الخطابي: شأن الدعاء: 3.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 409/1.

(3) ابن فارس. معجم مقاييس اللغة 409/1.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 367/3. النور 63.

(5) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 171، 172.

الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل - وإضافة الجود والكرم إليه" (1).
ومن معانيه الطلب والثناء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "إن الدعاء هو
ذكر للمدعو - سبحانه وتعالى - متضمن الطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكر
وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -
: ((أفضل الدعاء الحمد لله)) (2). (3)

فإذا سئلت كيف الثناء على الله وهو الحمد أفضل الدعاء ؟
الجواب ما قاله ابن قيم الجوزية: "فسمى الحمد لله" دعاء فهو ثناء محض، لأن الحمد
يتضمن الحب والثناء والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو
أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب من ربه حاجة ما" (4).
فإذا الحمد دعاء على الحقيقة لأنه يتضمن أعلى المطالب وهو العبادة سؤال المحب
لمحبوبه، ويذكر محامده والثناء عليه بمحاسنه وكمال صفاته وأوصافه، ولهذا سمي الحمد
أفضل الدعاء، وقال ابن قيم الجوزية: الدعاء "هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما
يضره أو دفعه" (5).

ومن معانيه العبادة، قال ابن قيم الجوزية: "وهو قسمان، دعاء عبادة ودعاء مسألة،
وهما متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة مستلزم لدعاء
العبادة" (6) لقوله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة غافر: 14]، قال ابن
تيمية هو دعاء العبادة، والمعنى اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته ولا تعبدوا معه غيره (7).
ومن معانيه النداء، قال الإمام النووي في كتاب الدعوات، الدعوات جمع دعوة، وهي

(1) الخطابي. شأن الدعاء، 4.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم 3383. وقال حديث
حسن غريب

(3) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، 170.

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 642.

(5) المصدر نفسه، 630.

(6) المصدر نفسه، 630، 631 بتصرف يسير.

(7) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، 168.

دعوة الإنسان ربه - عز وجل - يقول: "يا رب وما أشبه ذلك يسأل الله تعالى أن يعطيه ما يريد، وأن يكشف عنه ما يريده"،⁽¹⁾ مما حل به ونزل عليه من مصائب وابتلاءات ومحن، فالدعاء بمثابة الدواء المعالج للداء والكاشف عن البلاء كما وصفه ابن قيم الجوزية فقال: "والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن".⁽²⁾ فلا أجدى ولا أنفع منه في دفعه، قال ابن تيمية "فالدعاء ونحوه يدفع البلاء النازل من السماء".⁽³⁾

فكل التعريفات تدل على أن الدعاء في أصل معناه الذي وضع له، هو طلب الغوث من الله تعالى مسبقاً بالثناء عليه بجميل أوصافه وكمال صفاته، لجلب منفعة أو دفع ضرر وقع أو سيقع فهو بمثابة العلاج الناجح والدواء الشافي والسلاح النافع. وهذا السلاح له آداب وأسرار يجب على المؤمن التأدب والتحلي بها حتى يكون الدعاء مستجاباً، كما وعد الله سبحانه وتعالى عباده، فقال عز من قائل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: 60] ومن هذه الواجبة المستلزمة للإجابة ما يلي:

1- التوسل إليه - سبحانه وتعالى - بأسمائه الحسنی وصفاته العلی

من الواجب في حقه سبحانه وتعالى - أن نسأله بما يليق بعظمته وجلاله وبما يستحقه من الثناء عليه من حقوق التوحيد ومكملاته قال ابن قيم الجوزية: "علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء"⁽⁴⁾ وفي هذا المعنى ما يفيد الندب من الالتزام والتقيد بآداب الدعاء لما يوقعه من أثر على الداعي، كما قال ابن قيم الجوزية: "فالداعي مندوب أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم"⁽⁵⁾ من حديث انس رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعو:

(1) النووي، شرح رياض الصالحين، 91/4.

(2) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، 16.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 86/25.

(4) ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين. 20/1.

(5) ابن قيم الجوزية. جلاء الأفهام في الصلاة على خير الانام. 75. صححه ابن حبان والذهبي والألباني في السلسلة.

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ))⁽¹⁾ فهذا التوسل الوارد على القلب هو دليل على صدق الإيمان بألوهية وصحة عقيدته، وإلا لما توسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلىا، ولهذا قال ابن قيم الجوزية: "فهذا توسل بأسمائه وصفاته"⁽²⁾ ومن هذا أمثلة كثيرة في التوسل إليه بما يستحقه من الحمد والثناء عليه بأسمائه وصفاته. دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يصلى يدعو به ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَلَكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَأَغْفِرْ لِي مَا قَدَمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْهَيَّا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"⁽³⁾. قال ابن قيم الجوزية: "فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه بعبوديته له ثم سأله المغفرة"⁽⁴⁾.

وهذا توجيه لافت منه صلى الله عليه وسلم في كيفية تعليم أمته الدعاء والتوجه إليه بالسؤال في أدب مشعر بالذل والانكسار مع الافتقار التام إليه في أرقى صور العبودية له سبحانه وتعالى.

2- من أسرار آداب الدعاء عدم الاعتداء في الدعاء

لقد نهينا عن الاعتداء في الدعاء لما فيه من مناقضة حكم الله ومخالفة شرعه وأمره ونهيه، وما جرى به حكمه وقضائه في خلقه، وللتعدي في الدعاء صور، وألوان، وهيئات من أعظمها:

أ. صرف الدعاء لغير الله أو دعاء غيره معه، ولاشك أن هذا من أعظم صور الاعتداء في الدعاء وذلك لما فيه من الشرك بالله تعالى بصرف سؤال الله إلى غيره والتوجه

(1) أخرجه الترمذي. كتاب: الدعوات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باب خلق الله مائة رحمة حديث رقم 3544 وابن ماجه كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم. حديث رقم 3558.

(2) ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين 20/1.

(3) أخرجه البخاري. كتاب التهجد. باب التهجد بالليل. حديث رقم 1120 ومسلم كتاب: الذكر والدعاء. باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. حديث رقم 2717.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 121/1.

إليه في الطلب بقضاء حوائجه والاستغاثة به من دونه إلى من لا يملك ذلك ولا يقدر عليه غيره سبحانه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [سورة فاطر: 14].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: 190].
قال ابن قيم الجوزية: "وعلى هذا يكون قد أمر بدعائه وعبادته، وأخبر أنه لا يجب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره، فهؤلاء أعظم المعتدين عدواناً".⁽¹⁾

ب. "السؤال بما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك. وقد روى أبو داود في سننه (...). أن عبد الله بن مغفل⁽²⁾ سمع ابنه يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنِ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتَهَا فَقَالَ: يَا بَنِي سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهْوَرِ وَالِدَعَاءِ"⁽³⁾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الاعتداء مجاوزة الحد، فهذا مجاوز للحد للعبادة المشروعة (...). فالاعتداء في العبادات وفي الورع كالذين تخرجوا من أشياء ترخص فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي الزهد كالذين تخرجوا الطيبات"⁽⁴⁾ فهذه المخالفات الشرعية في العبادات هي التي أوقعت الكثيرين في الحرج لذلك حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته منها، قال الخطابي: "فإياك أن تكون منهم، فإنك إذا سألتها فأعطيتها أعطيتها وما فيها، وإذا تعوذت من النار فأعدت منها. أعدت منها ومما فيها من الشر"⁽⁵⁾.

ج. أن يسأل ما لا يجوز سؤاله من الإعانة على المحرمات.

د. وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة.

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 465.

(2) هو عبدالله بن مغفل ابن عبد نهم بن عفيف المزني صحابي جليل من أهل بيعة الرضوان سكن المدينة ثم البصرة، وله عدة أحاديث. كان أبوه من الصحابة توفي سنة ستين هـ. محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق مجموعة من المحققين باشراف شعيب الارناؤوط. دار الرسالة للنشر. ط 3. 1405 هـ. 1985 م. ج/483، 484.

(3) أخرجه أبو داود. كتاب الطهارة باب الاسراف في الوضوء. حديث رقم 96 وابن ماجه. كتاب: الدعاء. باب كراهية الاعتداء في الدعاء، حديث رقم 3864. صححه الألباني

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 209/14.

(5) الخطابي. شأن الدعاء. 5.

هـ. أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب.

و. أو أن يسأله أن يطلعه على غيبه.

ز. أو يسأله أن يجعله من المعصومين.

ح. أو يسأله أن يهب له ولداً من غير زوجة أو أمة، ونحو ذلك مما سألته اعتداء، فكل

سؤال يناقض حكمه أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر

به فهو اعتداء لا يحبه الله، ولا يجب سائله وفسر الاعتداء، برفع الصوت أيضاً في

الدعاء قال ابن جريح⁽¹⁾ من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء، والنداء في الدعاء

والصياح⁽²⁾.

ومن صور الاعتداء في الدعاء:

- عدم التضرع في الدعاء

ينبغي للعبد المؤمن إذا دعا الله أن يدعوه دعاء المخبت لربه المشعر بالذل والحاجة

والفقر إلى الله الخالق الغني الواسع الغنى. قال ابن قيم الجوزية: "من العدوان أن يدعوه

دعاء غير متضرع بل دعاء مدل كالمستغنى بما عنده المدل على ربه به. وهذا من أعظم

الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، ممن

لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد"⁽³⁾. فالتضرع وإظهار الذل والمسكنة

من المأمور بها في الدعاء، وذلك لما فيه من معاني العبودية لله تعالى وحده، ولا أحد غيره

يستحق ذلك.

- عبادته بما لم يشرع:

من صور الاعتداء في الدعاء، الابتداء فيه باستعمال الفاظ وعبارات لم يأت بها

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أدعيته، "فمن الاعتداء أن تعبده بما لم يشرعه

وتثنى عليه بما لم يثن على نفسه ولا أذن فيه فإن هذا اعتداء في دعاء الشناء والعبادة،

(1) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو الوليد القرشي الأموي المكي صاحب

التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، حدث عن جمع غفير من العلماء امثال عطاء بن رباح، وابن مليكة وغيرهم

كثير. الذهبي، سير أعلام النبلاء. 325/6، 326.

(2) ابن قيم الجوزية. بدائع الفوائد. 644، 645.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد. 645.

وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب، وعلى هذا تكون الآية دالة على شيئين احدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى، مرض له، وهو الدعاء تضرعاً وخفية. والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير، وهو أنه لا يجب فاعله، ومن لم يحبه الله فأى خير يناله؟! وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف: 55]. عقب قوله: "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية" دليل على أن من لم يدعه تضرعاً وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم⁽¹⁾ الله ففي الآية أمر صريح بالدعاء تضرعاً وخفية، وفي إخفاء الدعاء حكماً وأسرار كثيرة وعظيمة، عدّ منها ابن قيم الجوزية عشر فوائد منها.

"أحدها: أنه أعظم إيماناً لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي.

ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله تعالى في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض صوته كان أبلغ في صمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

سادسها: أنه دال على قرب صاحبه من الله لاقترابه منه وشدة حضوره، يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد ولهذا اثني سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [سورة مريم: 3].

فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى بعينه بقوله لما رفع الصحابة أصواتهم وهم معه في السفر فقال: ((اربعوا⁽²⁾) على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد. 645، 646، ابن القيم، التفسير القيم. 198.

(2) أي كف وأرقق، ابن منظور، لسان العرب، 50/4.

غائباً، إنكم تدعون سمعياً قريباً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة:186].. "وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء لا النداء الذي هو رفع الصوت"⁽²⁾، وهذا هو المقصود بعينه من الآية الكريمة.

سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه⁽³⁾، والله تعالى أرف بالعبد من نفسه، فلم يكلفه من الأمور ما لا يطيقه وهو أعلم به وبجأله من نفسه. ثامنها: "إن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمنغصات فإن الداعي إذا اخفي دعاءه لم يدربه أحد فلا يحصل هناك تشوش ولا غيره.

تاسعها: إن أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتل إليه ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد وأن لا يقصد إظهارها له.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وصفاته"⁽⁴⁾.

فهذه الفوائد العشرة قد اجتمعت فيها جميع معاني العبودية لله تعالى وعبادته وحده والتقرب إليه وتوحيده في ألوهيته وربوبيته وصفاته.

3- من أسباب موانع إجابة الدعاء:

من المعلوم أن الدعاء من أقوى الأسباب في حصول المطلوب، ودفع المكروه ولكن قد يتخلف أثره ولا يحصل به المطلوب لعدة أسباب أهمها:

(1) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من رفع الصوت من التكبير، حديث رقم 2992 وسلم كتاب

الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم 2704.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 638.

(3) المصدر نفسه، ص 639.

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 640.

أ- أكل الحرام، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها فأكل الحرام من الأسباب الموجبة بعدم حصول الإجابة لأنه "يبطل قوة القلب ويضعفها كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً فإني بما تعملون عليم، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأني يستجاب له"⁽¹⁾

قال ابن رجب تعليقا على هذا الحديث: "فأني يستجاب له" كيف يستجاب له؟ فهو استفهام رقع على وجه الاستبعاد والتعجب، وليس صريحا في استحالة الاستجابة ومنعها بالكلية فيؤخذ من هذا الحديث أن التوسع في الحرام والتغذي به جملة من جملة موانع الإجابة، وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الإجابة أيضا وكذلك ترك الواجبات"⁽²⁾ وبالتالي يفهم من هذه الأقوال أن شرط إجابة الدعاء متعلق بشرط طهارة الوعاء من أكل الحرام واستمرائه، والجمع بين قول اللسان وعمل القلب مع الصدق والإخلاص في القول والعمل.

يقول ابن قيم الجوزية: "السلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح تاماً لا آفة به والساعد قوي، والمانع مفقود، حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاث تخلف التأثير، فإذا كان الداع في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر"⁽³⁾.

ب- الاستعجال في استجابة الدعاء:

من الأسباب المانعة في حصول أثر الدعاء، استعجال الإجابة وهو أن يجتهد الداعي في الدعاء فإذا ما استبطأ الإجابة تركه مستحسراً وقد مثل له ابن قيم الجوزية "بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً، فجعل يتعهده ويسقيه فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه

(1) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الحلال، حديث رقم 1015.

(2) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 175.

(3) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي، ص 24، بتصرف يسير.

وأهمله" (1) وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله قال: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقول دعوت فلم يستجب لي)) (2) فمن آداب الدعاء الصبر على الدعاء في انتظار الإجابة وعدم الاستعجال فالاستعجال لا يأتي بخير في هذا المقام وهذا حال كثير من الناس اليوم يستعجلون الإجابة ولا ينظرون في الأسباب أو الموانع التي أخرت إجابة الدعاء.

4- المقاصد العامة للدعاء:

أن من أهم مقاصد الدعاء سواء منها ما تعلق بعقيدة المسلم في الدنيا والآخرة بحيث تنعكس آثارها إيجاباً على دينه وعقيدته بربه إيماناً به صدقاً وإخلاصاً، أو ما تعلق منها بشؤون دنياه في استجابة مطالبه الدنيوية، من تيسير احواله وأموره بما يحقق سعادته، وهناءته في دنياه ويشيع البهجة والسرور في نفسه وحياته اذكر منها ما يلي:-
أ- الدعاء عبادة:

الدعاء أعظم أنواع العبادة لما فيه من القرب قرب الداعي من داعيه بسؤاله والتضرع إليه، وإظهار الذل والمسكنة إليه، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما-عن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: "الدعاء عبادة" (3). فهو أكرم شيء وأعظمه لما فيه من معاني العبودية والتقرب إليه سبحانه بسؤال أصحابه وكرامته ومعاضبه، قال ابن رجب: "ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء" (4) وذلك لما فيه من القرب منه سبحانه وتعالى والفوز بكرامته.

قال ابن الجوزي: "الدعاء باب من الأبواب المدخلة على العزيز الوهاب وطريق من طرق الموصلة إلى ذلك الجناب، وسيلة من انجح الوسائل ورسالة من العبد إلى حضرة الرب من ابلغ الرسائل، فإن كان مدادها الدمع السائل فهو الدعاء الواصل" (5).

(1) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، 18.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل حديث 5981.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب: "الدعوات"، باب: ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم 3372. حديث حسن صحيح.

(4) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 48.

(5) ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ والإرشاد، 134.

وقال الشوكاني في بيان معنى هذا القول: قوله: الدعاء هو العبادة، هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه، ومن جهة تعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وارفعتها وأشرفها⁽¹⁾ لما فيه من معاني الذل والافتقار إلى الله تعالى فالداعي فقير إلى الله ذليل في سؤاله منكسر في دعائه إيماناً منه أن من يملك إجابة الدعاء وكشف الضر هو الله "وكل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود حقاً"⁽²⁾. المستحق للسؤال يقول: ابن رجب الحنبلي: واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والأفتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودرك المضار، ولا يصلح الذل والاقتصار إلا الله وحده، لأنه حقيقة العبادة⁽³⁾.

ب- الدعاء طاعة لله وامتنال لأمره

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: 60]، فالداعي مطيع لله مستجيب لأمره "فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه"⁽⁴⁾ تحقيقاً للعبودية رغبة ورهبة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية "كل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضاً راغب راهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد"⁽⁵⁾.

ج- السلامة من الكبر

أن من أهم دواعي السلامة من الكبر هو عدم ترك الدعاء وسؤال المولى -عز وجل- قضاء الحوائج، فإنه من الضرورة بمكان اللجأ إليه سبحانه في كل وقت وحين، وسؤاله فمن لم يسأله ويضرع إليه في قضاء حوائجه فقد عصى واستكبر بدلالة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [سورة غافر: 60].

(1) الشوكاني، تحفة الذاكرين، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، 61.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 630.

(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 48.

(4) الشوكاني، تحفة الذاكرين، 61.

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 126/10.

أفاد "أن ترك دعاء الرب سبحانه استكباراً ولا أقبح من هذا الاستكبار"⁽¹⁾ وبالجملة فإن الدعاء واجب في حق جميع المسلمين ولا ينبغي لهم تركه بأي وجه كان فهو شرط في صحة العقيدة ودلالة على سلامتها.

د- الدعاء سبب في دفع غضب الله:

إن ترك الدعاء دليل على قسوة القلب والإعراض عن الله تعالى، فإن ترك الدعاء هو ترك العبادة المأمور بها والمنصوص عليها في القرآن والسنة، وأن رضاه في طاعته عن أبي هريرة رضي الله عنها قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((من لم يسأل الله يغضب عليه))⁽²⁾، قال ابن قيم الجوزية: "وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته⁽³⁾ وقال الشوكاني: دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات وأعظم المفروضات لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه⁽⁴⁾.

ه- الدعاء سبب في دفع البلاء:

الدعاء من أقوى الأدوية الناجحة والشافية لعدة أدواء من أهمها الكرب والهم والغم، فإذا نزل بالعبد فلا سبيل لدفعه إلا بالسؤال والدعاء، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرًا ونزل به هم أو غم دعا ربه بأدعية لكشف الهم والكرب كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يدعو بها فما دعا بها مؤمن إلا اذهب الله ما به.

جاء في مسند احمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: ((اللَّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسالك بكل من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك

(1) الشوكاني، تحفة الذاكرين، 61.

(2) أخرجه بن ماجه، كتاب الدعاء، باب: فضل الدعاء، حديث رقم 3827، والترمذي كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم 3373. قال الحاكم حديث حسن الإسناد.

(3) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي، 26.

(4) الشوكاني، تحفة الذاكرين، 61.

أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا إذا ذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً⁽¹⁾.

قال ابن قيم الجوزية: في أهمية هذا الدعاء للمكروب إذا دعا به "فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويعقبه شفاء تاماً وصحة وعافية⁽²⁾" والصدق في استعماله لا يكون إلا بعلم القلب ومعرفته الموجبة لمحبتة وإجلاله وتوحيده فيحصل له من السرور والبهجة ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والحزن.
و- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائدها.

ومعنى ذلك أن العبد قد يقوم لمناجاة ربه، وإنزال حاجته ببابه "فينفتح على قلبه - حال السؤال- من معرفة الله ومحبتة، والذل والخضوع، والتعلق بين يديه ما ينسيه حاجته ويكون ما فتح له من ذلك أحب إليه من حاجته، بحيث يجب أن تدوم به تلك الحال وتكون أثراً عنده من حاجته، وفرحه بها أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له".
وقال بعض العارفين: "إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها فينفتح على من مناجاته ومعرفته، والتذلل، والتعلق بين يديه، أما أحب معه أن يؤخر عني قضاء، وتدوم لي تلك الحال"⁽³⁾.

ز- الدعاء سبب في حصول الهداية:

أن مدار سعادة العبد في الدنيا والآخرة قائم على مرضاته سبحانه وتعالى بطلب الهداية التي تعم جميع وجوه الخير والبر في الدارين فإذا هدى العبد في الدنيا هدى إلى الآخرة بطريق الهداية في الدنيا.

(1) أخرجه احمد ، مسند أحمد ابن حنبل ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1421 هـ / 2002 م ، 394/1 . حديث صحيح

(2) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، 4/109.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 1/585.

قال ابن قيم الجوزية: طلب الهداية "هو رأس الأدعية وأهم المطالب وانجح الرغائب"،⁽¹⁾ فإن العبد إذا سأل الهداية أعين على طاعة الله ومرضاته في جميع أحواله وحصل له من الدعاء الخير الوفير، والنفع الكثير، "فانفع الدعاء هو طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضره وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها"⁽²⁾ فجميع معاني الخير والبر قيامها على هذا الطلب.

لذلك قال: شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا كان انفع الدعاء وأعظمه واحكمه: "دعاء الفاتحة، أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"،⁽³⁾ فإنه إذا هداه هذا الصراط: أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر لا في الدنيا ولا في الآخرة"⁽⁴⁾ وبه يتم المراد ويحصل المقصود، وهو غاية ما يدعو إليه الرب تعالى من عبادته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته.

خلاصة:

اتضح لي أن الدعاء من أجل العبادات التي تجمع بين عبادة اللسان وعبادة القلب، عبادة اللسان بسؤاله سبحانه والاستعانة به في حصول المطلوب، لاعتقاده الجازم وإيمانه الصادق به أنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، فهو وحده بيده مقاليد الأمور يقلبها كيف يشاء، ومتى شاء لا ينازعه أحد في ملكه إلا هو فإن أراد بعبد خيرا هداه إلى سبيله وهياً له أسباب الخير من السؤتال والدعاء والتوجه إليه في قضاء حوائجه.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 21/1.

(2) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، 55.

(3) الفاتحة، 6، 7.

(4) ابن تيمية، الحسنة والسيئة، تحقيق، عادل أبو شوشة، مكتبة، فياض المنصورة، ط، 2007م، 114، 115.

رابعاً- الاستغفار

1- الاستغفار لغة:

الاستغفار مصدر قولهم: استغفر يستغفر وهو مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على الستر في الغالب الأعم. فالغفر الستر والغفر والغفران بمعنى واحد. يقال: غفر الله ذنبهم غفرا ومغفرة غفرانا.(1)

وعند الراغب: غفر: إلباس ما يصونه عن الدس، ومنه قيل اغفر ثوبك في الدعاء وأصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب".(2)

وعند ابن منظور الاستغفار من الغفر "قيل: الغفر التغطية والستر، غفر الله ذنوبه، أي سترها، والغفر: الغفران (...) وكل شيء يغطي به شيء فهو غفارة، ومنه: واغفره، والغفر والمغفرة: التغطية على الذنوب والعضو عنها، وقد غفر ذنبه يغفره غفرا وغفرة حسنه".(3) إذا فجميع أقوال اللغة تشير إلى أن معنى الاستغفار هو طلب الستر.

2- أما اصطلاحاً:

الاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة تتضمن شيئين ستر الذنوب، والتجاوز عنها لأنها مأخوذة من المغفر: وهو ما يوضع على الرأس عند القتال. والذي يحصل به الستر والوقاية، فإذا قلت: ((اللَّهُمَّ اغفر لي فأنت تسأل الله شيئين: أن يستر ذنوبك عن الناس، وأن يعفو عنك)) (4) ومنها قال ابن قيم الجوزية: في التفسير "وتفسير المغفرة بالستر فهو جزء من مسمى المغفرة" (5). وللاستغفار عدة معان أخرى غير طلب المغفرة، فيأتي الاستغفار بمعنى "الإسلام" عند فريق من المفسرين واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى:

(1) ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. 299/2. ابن منظور: لسان العرب 646/6.

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 374.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 646/6.

(4) ابن عثيمين، شرح صحيح البخاري، 228/9.

(5) ابن قيم الجوزية: التفسير القيم. 234.

﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ ﴾ ٣٣ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿

[سورة الأنفال: 33]. أي يسلمون (1).

ويأتي بمعنى الدعاء فكل دعاء فيه سؤال الغفران فهو استغفار، لأن بين الدعاء والاستغفار عموماً وخصوصاً من وجه فيجتمعان في طلب المغفرة وينفرد الاستغفار إن كان بالفعل لا بالقول، كما ينفرد الدعاء إذا كان بطلب غير المغفرة ولا أدل على ذلك دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم المتضمن طلب المغفرة. قال ابن قيم الجوزية: "ولذلك كان سيد الاستغفار (2) : ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُو لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوهُ بِذَنْبِي. فَاغْفِرْ لِي. أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ)) (3) ثم قال فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار (4) فتضمن هذا الدعاء الاستغفار.

قال الراغب: "الاستغفار طلب ذلك بالمقال والأفعال وقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [سورة نوح: 10]. لم يؤمر بأن يسأله ذلك باللسان فقط، بل باللسان والأفعال، فقد قيل الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعل فعل الكذابين، وهذا معنى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: 60]. ويأتي الاستغفار بمعنى التوبة:

يلتبس الأمر على كثير من الناس فيظنون أن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار في حين أن الأمر لا كما يظنون، فبتتبع النصوص الواردة في هذا الخصوص يظهر أن بين التوبة والاستغفار عموماً وخصوصاً من حيث الاقتران والإطلاق، فعند الإطلاق يدخل كل منهما في مسمى الآخر.

وعند اقترانهما يكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله قال ابن قيم الجوزية: وأما "الاستغفار" فهو نوعان: مفرد ومقرون بالتوبة. فالمفرد: كقول نوح عليه السلام

(1) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 399/7.

(2) ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين. 170/1.

(3) أخرجه البخاري. كتاب الدعوات. باب: أفضل الدعاء الاستغفار حديث رقم 6306.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 171/1.

لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾
[سورة نوح: 10-11].

وَقَوْلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة النمل: 46] والمقرون كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة هود: 3] فالاستغفار المفرد كالتوبة لهو التوبة بعينها. مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب. وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر. فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له. ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه فدالاتها عليه إما بالتضمن أو باللزوم.

وحقيقتها وقاية شر الذنب. ومنه المغفر لما يقي الرأس من الأذى والستر لازم لهذا المعنى وإلا فالعمامة لا تسمى مغفراً ولا القبع ونحوه فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية. والاستغفار هنا بمعنى الوقاية، والوقاية تمنع من الوقوع في الذنب المستوجب للعذاب، ولهذا قال "هذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأنفال: 33]، فإن الله لا يعذب مستغفراً⁽¹⁾.

قاله شيخ الإسلام بن تيمية: "فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والاستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي العذاب فيندفع العذاب"⁽²⁾، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولا هذا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار. وكل منهما يدخل في مسمى الآخر. عند الإطلاق⁽³⁾. فالمستغفر وتائب والتائب مستغفر، أما عند الاقتران فالأمر خلاف الإطلاق، فالمستغفر قيد استغفاره بالتوبة، فلا استغفار من غير توبة ولا توبة من غير استغفار.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 235/1.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 21/15.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 235/1.

"وأما عند اقتران إحداهما بالآخرى. فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى. والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله فهنا ذنبان: ذنب قد مضى. فالاستغفار منه: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله"،⁽¹⁾ وهذا هو حقيقة الاستغفار والتوبة معا في الرجوع إلى الله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقية شر ما مضى، ورجوع إليه ليقية شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله. فهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء. والرجوع إلى غيره فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة. وعند أفراد أحدهما يتناول الأمرين. ولهذا جاء -والله اعلم- الأمر بهما مرتبا بقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [سورة هود:3]، فإن الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل. وأيضا "الاستغفار" من باب إزالة الضرر. و"التوبة" طلب جلب المنفعة. فالمغفرة أن يقيه شر الذنب. والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند أفراد. والله اعلم"⁽²⁾.

ومن هنا يتبين الفرق بين الاستغفار وبين التوبة وحقيقة كل منهما.

3- مقاصده

من أهم مقاصده وأسراره.

أ- الجمع بين التوحيد والاستغفار.

كثيرا ما يقرب بين التوحيد والاستغفار في القرآن لما فيهما من الاعتراف والإقرار بوحداية الله تعالى وتنزيهه عن النقائص والعيوب، ثم الاعتراف بظلم العبد لنفسه بالخطايا والذنوب. كما ورد على لسان يونس عليه السلام. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:87]، والاستغفار طلب، وإنما يحصل الطلب بين يدي الثناء والمدح، وأعظم مطلوب هو الله عز وجل وأعظم ما يمدح به هو التوحيد الخالص وذكر وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد:19]، فبدأ قوله بالعلم ثم التوحيد ثم

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، 1 / 235.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين. 1/235-236 باختصار يسير.

الاستغفار ومن هنا تتبين أهمية الاستغفار واقتترانه بالتوحيد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت في دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقتترانها بشهادة أن لا اله إلا الله من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى وشمول دائرة التوحيد الاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم فشهادة لا اله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك دقه وجله، خطأ وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من ثمراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول لا اله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول استغفر الله، فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه المؤمنين⁽¹⁾.

ويحقق هذا المعنى قوله -صلى الله عليه وسلم- في الإسلام خاتمة المجلس: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله استغفرك وأتوب إليك)).⁽²⁾ قال شيخ الإسلام "إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له".⁽³⁾

قال ابن قيم الجوزية: "وقال إبليس: "أهلكت بني ادم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله"⁽⁴⁾.

ب- به يستنزل الزرق وتستجلب به البركات

من أسراره أنه يجلب الخيرات والبركات، وتستنزل به الأرزاق من السموات قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ وَيَجْزِكُمْ مَتَاعًا ﴿١٢﴾ مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة نوح: 10-14]، فليُنظر إلى عظمة رحمته تعالى

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى 325/11.

(2) سبق تخرجه. 228 .

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 138/10.

(4) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. 177.

من خلال هذه الآية ومزيد فضله علينا أن رتب على الاستغفار عظيم الجزاء وسابغ الفضل والعطاء.

قال القرطبي: "في هذه الآية والتي في "هود" دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار"⁽¹⁾، وقال ابن قيم الجوزية: "أربعة تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخره"⁽²⁾ شريطة الصدق والإخلاص. فالاستغفار الذي يثمر وينتج ويستنزل به الرزق والمطر والنصر هو الذي يصدر من النفوس الزكية والقلوب الصافية النقية. الذي يوافق فيه القلب اللسان، وبصحبه ندم وعزم على عدم العودة إلى الذنوب والآثام. قال ابن قيم الجوزية: "قلت لشيخ الإسلام-ابن تيمية-رحمه الله تعالى يوماً: مثل بعض أهل العمل أيما انفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد انفع له، وإن كان دنساً فالصابون والماء الحار انفع له فقال لي رحمه الله تعالى: (فكيف والشياب لا تزال دنسه)⁽³⁾، فالاستغفار الحق هو استغفار اللسان المقرون باستغفار القلب والمصحوب بالندم على ما مضى والعزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى. قال القرطبي-رحمة الله- "قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: استغفر الله وقلبه مصر على معصيته، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروى الحسن البصري⁽⁴⁾ أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. قلت: هذا يقول في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكباً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع، والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف"⁽⁵⁾ ومن صور الاستخفاف وتعلق

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. 302/18.

(2) ابن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدى خير العباد4/216.

(3) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب. 91.

(4) الحسن البصري، هو الحسن ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد ثابت ولد في المدينة لستين بقيتا من خلافة عمر. نشأ في وادي القرى، فكان احد التابعين الكبار علماً وعملاً وإخلاصاً، وكان اسم أمه خيرة فكانت تجلسه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب. اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. توفي سنة عشرة ومائة للهجرة. ابن كثير، البداية والنهاية 268/9.

(5) القرطبي، الجامع لحكام القرآن. 210/4.

بعض الناس بنصوص الرجاء قال ابن قيم الجوزية: "وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ثم قال: استغفر الله" زال الذنب، وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين إلى الفقه: أنا افعل ما افعل ثم أقول: سبحان الله وبجمده مائة مرة، وقد غفر ذلك اجمعه، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من قال في يوم: سبحان الله وبجمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر))⁽¹⁾ وقال لي آخر من أهل مكة: نحن إذا فعل أحدنا ما فعل، اغتسل وطاف بالبيت أسبوعاً وقد محى عنه ذلك وقال لي آخر: قد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((أذنب عبدي ذنباً، فقال: أي رب أصبت ذنباً فأغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به. غفرت لعبدي، فليصنع ما شاء))⁽²⁾ قال: وأنا لا اشك أن لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس فقد تعلق بنصوص من الرجاء، واتكل عليها، وتعلق بها بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله، ومغفرته ونصوص الرجاء، وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم:

وكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم علي كريم

وقول آخر: التنزه عن الذنوب جهل بسعة عفو الله. وقول الآخر: ترك الذنوب جرأة على مغفرة الله واستصغار لها⁽³⁾ فالله تعالى من عدله وحكمته لا يغفر لمثل هؤلاء الجهال المغرورين "والله تعالى إنما يغفر إذا كان وقوع الذنب منه على وجه غلبة الشهوة، وقوة الطبيعة فيواقع الذنب مع كراهته له من غير إصرار في نفسه، فلهذا ترجي له مغفرة الله وصفحه وعفوه لعلمه تعالى بضعفه وغلبة شهوته، وأنه يرى كل وقت ما لا صبر له فإذا واقع الذنب واقعة مواقعه ذليل خاضع لربه خائف مختلج في صدره شهوة النفس الذنب

(1) أخرجه البخاري. كتاب: الدعوات. باب: فضل التسييح، حديث رقم. 6405 ومسلم. كتاب: الذكر. باب: فضل التهليل والتسييح والدعاء، حديث رقم 2692.

(2) أخرجه البخاري: كتاب: التوحيد. باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ حديث رقم 7507. ومسلم: كتاب: التوبة. باب: قبول التوبة من الذنوب. حديث رقم 2758.

(3) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. 29، 30.

وكراهة الإيمان له فهو يجيب داعي النفس تارة، وداعي الإيمان تارات، وهذه صورة من صور مغفرة الذنوب بعد موافقتها على وجه الكراهة وعدم الإصرار عليها، أما الصورة الأخرى وهي الأخطر والأشد على العبد على نفسه، وحضرات قلبه أن بني أمره على عدم تركها، موافقتها عند ظهورها وهذا ما وضحه ابن قيم الجوزية فقال: "فأما من بني أمره على أن لا يقف عن ذنب، ولا يقدم خوفاً ولا يدع الله شهوة، وهو فرح مسرور يضحك ظهراً لبطن إذا ظفر بالذنب فهذا الذي يخاف عليه أن يحال بينه وبين التوبة، ولا يوفق لها. فإنه من معاصيه وقبائحها على نقد عاجل يتقاضاه سلفاً وتعجيلاً، ومن توبته وإيابه ورجوعه إلى الله على دين مؤجل إلى انقضاء الأجل، وإنما كان هذا الضرب من الناس يحال بينهم وبين التوبة غالباً، لأن النزوع عن اللذات والشهوات، إلى مخالفة الطبع والنفس والاستمرار على ذلك شديد على النفس صعب عليها أثقل من الجبال، ولا سيما إذا أنضاف إلى ذلك ضعف البصيرة، وقلة النصيب من الإيمان، فنفسه لا تطوع له أن يبيع نقداً بنسيئة، ولا عاجلاً بآجل"⁽¹⁾.

فيفهم من كلام ابن قيم الجوزية. أن مناط الأمر كله ورحاه يرجع إلى النية والعزم على ترك المعاصي. وبغضها، ومجاهدة النفس لاجتنابها والتوقي منها، يترك جميع أسبابها، والعمل على سد فجاجها. صابراً محتسباً ولو عرضت له المعاصي جاهد نفسها على تركها، ولكنه ضعف بسبب طبيعته لا حباً فيها ففارقها وهو كاره لها ثم ندم واستغفر مع عزمه على عدم العودة إليها. فهذا بإذن الله يوفق للتوبة، خلافاً لمن جعل في نيته أنه سيدنب وسيغفر من دون الأخذ بأسباب الهجر وترك المعاصي، معللاً ذلك بضعف النفس، وحكم الطبيعة البشرية، وأن الله سيغفر له إذا استغفر وأنه كلما أذنب ذنباً استغفر ربه، فهذا ليس عزمًا على الترك، بل هو دفع للنفس على ارتكاب المعصية والذنب بحجة المغفرة المستمرة فهذا من تزيين الشيطان لعمل السوء فيظنه حسناً فهذا قد يحال بينه وبين التوبة والمغفرة كما قال ابن قيم الجوزية: "والإصرار عقد القلب على ارتكاب الذنب متى ظفر به فهذا الذي يمنع مغفرته"⁽²⁾ لأنه فعل يضاد عمل القلب ما يضاد

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة. 323/1.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 216/1.

عمل القلب على الوجه الصحيح فلا قيمة له على وجه الحقيقة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين، فهذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة أو يدعى أن استغفاره توبة وأنه تائب بهذا الاستغفار، فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون نائبا، فإن التوبة والإصرار يضاد التوبة ولكن لا يضاد الاستغفار بدون التوبة".(1)

ج- الاستغفار حاجة العبد إليه ضرورة

العبد محتاج إلى الاستغفار فهما علت درجته وارتفع مقامه ولضعفه البشري. لا بد أن يقع في الخطأ والتقصير، ومخالفة أمر الله تعالى يقول ابن تيمية -رحمه الله- "فالعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر وذنب منه يحتاج إلى الاستغفار، وكل من هذين: من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه دائماً ينقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد -صلى الله عليه وسلم- يستغفر في جميع الأحوال"(2).

فالاستغفار من أعظم الأدوية الربانية المعينة للعبد على دفع ما يقع عليه من المكروه، وما يقع في صدره من ضيق وحر وشدّة وقسوة، يقول ابن تيمية: "الاستغفار من أكبر الحسنات وبابه واسع فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه، أو تصلب قلبه فعليه بالتوحيد والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كان بصدق وإخلاص"(3) فحاجة العبد إلى الاستغفار والتوبة أشد الحاجات له في الدنيا والآخرة، بل الآخرة أهم فمهما بلغ العبد في مقام العبودية فلا بد له من توبة واستغفار فإن كل ما يرفل فيه العبد من نعم وخير لا يكافئ فضله وعطائه وإحسانه.

يقول ابن قيم الجوزية: "وهو يبين حاجة العبد إلى التوبة والاستغفار" وانسب أعمالك، وأحوالك وتلك المنازل التي نزلتها والمقامات التي قمت فيها لله وبالله إلى عظيم جلاله وما يستحقه، وما هو له أهل فإن رأيته وافية بذلك مكافئة له فلا حاجة

(1) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، 113.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوي 50/10.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوي 326/11.

حينئذ إلى التوبة. والرجوع إليها عن المقامات العلية، وانحطاط من علو إلى أسفل، ورجوع من غاية إلى بداية وما ذلك ببعيد من كثير من المنتسبين إلى هذا الشأن، المغرورين بأحوالهم، ومعارفهم وإشاراتهم، وإن رأيت أن أضعاف أضعاف ما قمت به من صدق وإخلاص، وإنابة وتوكل، وزهد وعبادة لا يفي بأيسر حق عليك، ولا يكافئ نعمة من نعمه عندك، وأن ما يستحقه - لجلاله وعظمته - أعظم وأجل وأكبر ما يقوم به الخلق فاعلم: أن التوبة نهاية كل عارف، وغاية كل سالك، وكما أنها بداية فهي نهاية. والحاجة إليها في النهاية أشد من الحاجة إليها في البداية. بل هي في النهاية في محل الضرورة،⁽¹⁾ لذلك أكد عليها وجعلها من أجل الغايات وأنبأ السبل والمقامات.

د- الثناء من الله للمستغفرين

مدح الله تعالى أهل الاستغفار واثني عليهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران: 17]، قال القرطبي: "وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين في هذه الآية وغيرها⁽²⁾"، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: 18]، قال "مدح ثان أي يستغفرون من ذنوبهم"⁽³⁾، وإنما ذكر ما ذكر من وقت السحر لما يرجى فيه من إجابة الدعاء فالله تعالى يتجلى على عباده وقت السحر بالغفران والعطاء والإحسان وتحقيق الرجاء وهو وقت لا يرد فيه سائل ولا يخيب فيه رجاء فاحرص أيها المؤمن أن استطعت أن تكون من أهل الاستغفار بالأسحار فما استجلبت نعم الله استدفعت نقمه بمثل الاستغفار.

هـ- الاستغفار يدفع الهم والغم والضيق.

الاستغفار له تأثير عجيب في زوال الهموم والغموم وتفريج الكروب يقول ابن قيم الجوزية مبيناً ذلك: "أن المعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف، والحزن وضيق الصدر، وأمراض القلب حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم، وسئمتها نفوسهم ارتكبوها دفعا لما يجدونه في صدورهم من الضيق، والهم والغم، كما قال شيخ الفسوق:

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 248/2.

(2) القرطبي، الجامع لحكام القرآن 39/4.

(3) المصدر نفسه، 37/17.

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار⁽¹⁾.

ورد في سنن أبي داود من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب)).⁽²⁾ قال ابن رجب: "ففي الحديث فضيلة عظيمة وهي أن الاستكثار من الاستغفار فيه المخرج من كل ضيق والفرج من كل هم وحصول الأرزاق من حيث لا يحتسب ولا يكتسب فمن حصل له ذلك عاش في نعمة سالمة من كل نقمة".⁽³⁾

و- بالاستغفار تكشف المصائب وتحل المصاعب:

الاستغفار ملجأ كل فقير ومأوى كل محتاج إلى عون الله ورحمته وفضله فهذا ابن قيم الجوزية يقول عن شيخه ابن تيمية كان إذا صعبت عليه بعض المسائل والأمور لجأ إلى الله بالاستغفار والتوبة فيفتح عليه ويعطي من الفضل الخير الكثير" وشهدت شيخ الإسلام قدس الله روحه إذا أعيته المسائل، واستصعبت عليه فرّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستعانة بالله واللجأ إليه، واستزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدّاً وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علماً وحالاً وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد فقد أعطى حظه من التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتى أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد. 109/4، الطب النبوي: 325.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، حديث رقم 1518. حديث صحيح.

(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 386.

(4) ابن قيم الجوزية: اعلام الموقعين عن رب العالمين. 158/4.

ز- المتاع الحسن في الدنيا والآخرة

من مقاصد الاستغفار الفوز بنعيم الدنيا والآخرة، وطيب العيش في الدارين كما أخبر بذلك عز وجل وعداً منه لعباده المستغفرين التائبين، فقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ مَنَعَاهُمْ إِنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ﴾ [سورة هود: 3].

فقال ابن قيم الجوزية: "فهاز المتقون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين، فإن طيب العيش وسرور القلب، وفرحه ولذته، وابتهاجه وطمانينته وانشراحه ونوره، وسعته وعافيته في ترك الشهوات والمحرمات والشبهات الباطلة وهو النعيم على الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه"⁽¹⁾ وهذا النعيم لا يحصل إلا للمتقين المستغفرين التائبين لربهم من جميع الذنوب والمعاصي.

ثامنا: مغفرة الذنوب

من مقاصد التوبة مغفرة الذنوب فإذا كان الاستغفار بمعنى التوبة من الذنوب مع توافر شروطها فإنه يرجى أن يكفر به الذنوب. لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [سورة النساء: 110]، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف))⁽²⁾ قال ابن قيم الجوزية: نقلاً عن سعيد ابن جبير قال: "سئل رجل ابن عباس عن الكبائر أسبع هن؟ قال: هن للسبعمئة أقر، إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار"⁽³⁾ التي لا تغفر الذنوب وتمحو الخطايا هي تلك التوبة المقترنة بالاستغفار في كبيرة الرجوع إلى الله والإقلاع عن الذنب وطلب ممن يملك المغفرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [سورة آل عمران: 135].

(1) ابن قيم الجوزية الجواب الكافي ، 140.

(2) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم 1519. صححه الألباني في السلسلة.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 246/1، 308.

قال ابن رجب في هذه الآية: "فإن فيها إشارة إلى أن المذنبين ليس لهم من يلجئون إليه ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره".⁽¹⁾

فينبغي على كل عبد مؤمن أذنب في حق نفسه يلزم الاستغفار ويلوذ به في كل وقت وحين.

الخلاصة

إن توحيد الألوهية في أصل معناه اللغوي والشرعي هو توحيد العبادة. والعبادة هي اسم جامع لما يحببه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فحب الله ورسوله، وخشية الله، والخوف من عذابه ورجاء عفوه ورحمته، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، والإنابة إليه والصبر لحكمه والرضا بقضائه عبادة قلبية، والنطق بالشهادتين، وذكر الله والدعاء والتوجه إليه بالسؤال، وكثرة الاستغفار من عبادات اللسان، فكل ما يحبه الله ويرضاه مما سبق ذكره، داخل في مسمى العبادة، فالعبادة تجمع أعمال القلب وأقواله مثل اقراره وتصديقه، وأقوال اللسان، وعمل الجوارح مع التصديق والإقرار.

فالمعنى أن العبادة تشمل كل ما جاء به الشرع وأمر به سواء كان قولاً أو فعلاً سواء كان من أعمال القلوب، أو أقوال اللسان، وأعمال الجوارح، فكل ذلك عبادة مثل ما شرعه الله، وأمر به، فيه حكم ومقاصد جلية وأسرار عظيمة، تتجلى بوضوح في كل منها، سواء كان تعبدياً، يتعبد بها المرء ويتقرب بها إلى الله تعالى كإفراجه بالتوحيد وإخلاص العبادة له، وطاعته والامتثال لأمره، والتسليم والانقياد لشرعه وأمره ونهيه، وإظهار الذل والخضوع له والفوز بمحبته، والقرب منه سواء كانت دنيوية وأخروية، ومن أمثال الدنيوية، أنها سبب في سعادة القلب وانسراح الصدر وفلاحه ونجاته وسبب لكل لذة وسرور، وهدايته وصلاحه، وكفاية العبد ونصرته، والتمكين له في الأرض وجلب الرزق وسعته، ودفع البلاء والشقاء عنه، وتحقيق الراحة والطمأنينة له، وأما الأخروية فالوز برحمته وعفوه من أجل المقاصد وأعظمها، والنجاة من عذابه والفوز بجنته.

(1) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 376.

الفصل الثاني: المقاصد الكلية من توحيد الألوهية

المبحث الأول: مقاصد تعبدية.

المبحث الثاني: مقاصد دنيوية.

المبحث الأول: المقاصد التبعديّة

إن التوحيد من أعظم الطاعات وأجلها عند الله تعالى، وأهله هم أهل الله وخاصته، فهو عمود الإسلام ورايته، وهو لب الرسالات جميعها وشعار كل الأنبياء والرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام. والتوحيد هو أساس هذا الدين وعموده الذي لا يقوم إلا به، ولما كان التوحيد بهذا القدر من الأهمية والمكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة كان من الواجب معرفة مقاصده الكلية، والتعرف على فضائله وثمراته، وآثاره وانعكاساته على حياة الناس في الدارين، أذكر منها بعض ما أورده ابن قيم الجوزية في أسفاره ورسائله على سبيل التمثيل لا الحصر وهي كما يلي:

أولاً: حاجة العبد إلى التوحيد

من المعلوم بالضرورة أن حياة الأبدان لا تقوم إلا بحياة الأرواح والقلوب في الأجساد ولا قيام ولا صلاح لهذه الحياة إلا بعد صلاح القلوب، والأرواح، اللذين هما حقيقة العبد ومنشأهما على إخلاص العبودية والتوحيد، ولذا قال ابن قيم الجوزية "فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا شريك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل به، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلاها الذي لا اله إلا هو"⁽¹⁾.

ثانياً: التوحيد دعوة الأنبياء والرسل، وهو أول الأمر وآخره.

إن شعار جميع الرسل والأنبياء واحد ودعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ونبذ الشرك وأهله.. وكان التوحيد أول مهامهم وظائفهم. لذا قال ابن قيم الجوزية: "التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ [سورة المؤمنون: 23]، وقال هود لقومه:

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المحترتين وباب السعادتين. 82.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَظِيمًا ﴿٥٩﴾ [سورة الأعراف: 59].

وقال شعيب لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة المؤمنون: 23] ،
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل: 36]، فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه. وقد بعثه الله إلى اليمن: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أو لما تدعوهم إليه عبادة الله وحده فإذا شهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة"⁽¹⁾ وذكر الحديث وقال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ))⁽²⁾.

ثالثاً: التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله
قال ابن قيم الجوزية "فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))"⁽³⁾ فهو أول الأمر وآخر واجب فالتوحيد أول الأمر وآخره"⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أنداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة البقرة: 165].

وأصح القولين أن المعنى يحبونهم كما يحبون الله بين الله وبين أندادهم في الحب ثم نفى ذلك عن المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة البقرة: 165]، فإن الذين آمنوا واخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره، وأما المشركون فلم يخلصوا لله والمقصود من الخلق والأمر إنما هو هذه المحبة، وهي أول دعوة الرسل وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب تعالى بها،

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فحلوا سيئهم.

حديث رقم 25. ومسلم كتاب: الإيمان. باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله "حديث رقم 20"

(2) ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين 552/2.

(3) أخرجه أبو داود في السنن. كتاب الجنائز. باب: اليقين. حديث رقم 3116. حسنه الألباني في إرواء الغليل.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 556/2.

فهو أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحسينها من الشوائب والعلل" (1).

رابعاً: التوحيد مفتاح الجنة

لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة كلمة التوحيد "وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والأموال، والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر، وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس، شقى وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة (2) : ((ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)) (3).

"ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به" (4).

خامساً: التوحيد سبب في انشراح الصدر

بالتوحيد تنفتح الصدور وتنشراح، وبالشرك والضلال تضيق وتنحرج: "فأعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٢٢) [سورة

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المجرتين، وباب السعادتين. 366.

(2) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. 240.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز. باب: في التلقين. حديث رقم 3116.

(4) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب. 20.

الزمر: 22]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة الأنعام: 125].

فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه⁽¹⁾.

سادساً: القرآن كله في التوحيد

إن المستقرئ للقرآن يجد أنه دعوة إلى التوحيد من أوله إلى آخره "فكل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيدِهِ، وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدِهِ، وأما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"⁽²⁾.

سابعاً: التوحيد سبب كل صلاح في العالم

إن كل ما يجري في الكون من حوادث سارة، فمرجعه إلى توحيد الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن قيم الجوزية: "ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد لله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله، ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي حق غيره عموماً وخصوصاً ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد. 5/2.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. 560/2.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد. 647.

ثامناً: التوحيد يثمر كلاماً طيباً وعملاً صالحاً

إن من امتلأ قلبه بحب الله صدقا ويقينا، ورسخت بين جوانحه كلمة الحق والتوحيد، وشهد بها لسانه، وانقادت لها جوارحه بالعمل والتأييد، لا بد لها من أن تثمر كلاماً طيباً وعملاً صالحاً صاعداً إلى الله مستمراً لا ينقطع عطاؤها، قال ابن قيم الجوزية: "ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة بحسب ثباتها، ومحبة القلب لها وإخلاصها فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هاذ النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائفة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لاتزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلاماً كثيراً طيباً يقارنه عمل صالح"⁽¹⁾.

تاسعاً: التوحيد رأس العدل وقوامه

اعلم بها المؤمن من أن من أهم الغايات والمقاصد التي خلق من أجلها العباد هو توحيد عبادته سبحانه اللذين هما أعدل العدل، وخلافهما أظلم الظلم وهو الشرك والكفر. فمن أوجب الواجبات التي افترضها الله على عباده هو عبادته وطاعته وهما مراده من خلقه الذي اخبرنا به عن طريق رسله وكتبه "فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: 25].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن أعظم القسط التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، وأن الشرك أظلم الظلم،

(1) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين. 187/1.

والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات، وأفرض الطاعات، فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، فيما فرضه على عباده، وحرّمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي"⁽¹⁾.

الخلاصة

إن من المقاصد التعبديّة التي يجنيها المؤمن من توحيده أن حاجة العبد إليه أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، فإنه لا صلاح له ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بتوحيد الله وإخلاصه.

فالتوحيد هو دعوة جميع الأنبياء والرسل - عليهم أفضل الصلاة والسلام - ومفتاح دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الإسلام، وهو مفتاح الجنة، وسبب في كل خير، كصلاح العالم، وأن كل شر وفتنة فسببه الشرك بالله. ومن خيراته وآثاره أنه سبب في انشراح الصدر، وأنه يثمر كلاماً طيباً وعملاً صالحاً وأنه رأس العدل وقوامه.

(1) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. 158.

المبحث الثاني: المقاصد الدنيوية

للتوحيد آثار عجيبة، وثمرات عظيمة ومقاصد جليلة في الدنيا والآخرة، حيث يضع أهله في أعلى الرتب، ويزلهم أرفع المنازل وأشرفها، لمن أخلص التوحيد لله تعالى وصرف همته في عبادته وتوحيده، وتجرد قلبه من كل علائق الدنيا ومشوشاتها التي تحول دون الإخلاص في تحقيق التوحيد، كان ممن اجتباهم الله بفضله وخصهم برحمته، وأغدق عليهم مننه ونعمه الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة.

وأبرز هذه المقاصد والأسرار، ما يأتي:

أولاً: التوحيد نعيم الدنيا والآخرة

من أراد سعادة الدارين ونديمهما وطيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة فعليه بالتوحيد. قال ابن قيم الجوزية: "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخر. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف والهلم والغم، وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم"⁽¹⁾.

ثانياً: التوحيد مفتاح الخير والسرور

إذا وقع العبد في الآثام والشرور أثمر ذلك عنده وحشة في القلب وضيق في الصدر وغربة في الحياة لا يزيلها إلا توحيده لخالقه وتأليه لبارئه.

"فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج"⁽²⁾ ويدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

ثالثاً: التوحيد مكفر للذنوب عند الموت.

من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصاً يطلب بها وجه الله، ومرضاته، وقد تخلص قلبه من كل العلائق والشوائب وشهد بها ظاهراً وباطناً موقناً بها وعارفاً بمضمونها خرج من

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد. 207.

(2) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد. 106/2.

قلبه حينها كل هوى وحب وتعلق بالدنيا وزخارفها وملذاتها، وصار همه ملاقاته ربه وهو راضٍ عنه، حتى إذا شارف اللقاء وأنست روحه بقرب هذا اللقاء كان لهذه الكلمة كلمة الحق والتوحيد أثراً كبيراً وسراً عظيماً في الإقبال على الله وقد كفرت عنه سيئاته، وطرحت عنه ذنوبه، يقول ابن قيم الجوزية "لشهادة أن لا اله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إباتها واستعصائها وأقبلت بعد إعراضها وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخدمت (1) بين يدي ربها فاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، وذلك لما طهرت نفسه وروحه من الأدران التي كانت به، التي كانت عالقة به وصفت روحه ونفسه، فحينها وجه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سره وعلانيته. (2)

وذلك لما طهرت نفسه وروحه من الأدران التي كانت عالقة به وصفت تلك النفس والروح، صار ذلك العبد مستعداً للقاء ربه والإقبال عليه بكليته مستسلماً ظاهراً وباطناً، فقال: "لا اله إلا الله" مخلصاً من قلبه، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره، والالتفاف إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلاً قلبه من الآخرة، فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيته، فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفر إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة

(1) خضعت ابن منظور ، لسان العرب ، 47/3.

(2) ابن قيم الجوزية: الفوائد. 75.

وأسابيها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفاف إلى غير الله. فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي والله المستعان⁽¹⁾.

رابعاً: التوحيد سر صحة القلب ونعيمه

بالتوحيد يحقق العبد طمأنينته وسكينته اللتين هما سر صحة القلب ونعيمه وحياته، يقول ابن قيم الجوزية "واجتماع القلب على الله وطمأنينة به وسكونه إليه بلا منازع وجاذب ومعارض هو صحته وحياته ونعيمه"⁽²⁾.

خامساً: التوحيد مفرج الكرب

التوحيد مفرج الكرب كما يقول ابن قيم الجوزية: "مفرج أعدائه وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، فإذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فرغ إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفرغ إليه اتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فرغ إليه فرعون عند معاينة الهلاك، وإدراك الفرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل. هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، فلا يلقي في الكرب العظام إلا لشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفرج الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق⁽³⁾.

سادساً: حسن الظن بالله

من التوحيد حسن الظن بالله كثير من الناس يقع له في الحياة حوادث كثيرة، وابتلاءات عظيمة من موت ومرض، وفقر وغيرها من حوادث الدنيا وكربها، فيظن بالله ظن السوء، أن الله لا يغير ما به من حال، وأن لا يفرج ما به من كرب وشدائد وهذا لا شك أنه من الأمور التي تقدر في توحيد، يقول ابن قيم الجوزية: "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم فقل من سلم من ذلك إلا من عرف

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 75.

(2) ابن قيم الجوزية: طريق المحترين وباب السعادتين، 287.

(3) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 71.

الله بأسمائه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء"⁽¹⁾. فعلى اللبيب الناصح أن ينتبه لذلك ويتب إلى الله تعالى ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

سابعاً: التوحيد مصدر القوة والمنعة.

قوة المؤمن ومنعته من شرور الدنيا والآخرة تكمن في قوة إيمانه وإخلاصه في توحيده. وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الغاية أي الحزم والجد والقوة فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم- : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو إني فعلت كذا وكذا. ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان))⁽²⁾

قال ابن قيم الجوزية: "للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية، وقوة عملية إرادية، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والإرادية، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها، فهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها واستكمال القوة العملية الإرادية، لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه، وتقصيره وهو في أداء حقه (...). فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور"⁽³⁾.

ثامناً: التوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف:

كلما كان العبد أشد إيماناً بالله وأشد توحيداً له كان أشدّ أمناً واستقراراً وأبعد عن الخوف. يقول ابن قيم الجوزية: "فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئاً غير الله سلط عليه، وكان

(1) ابن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدى خير العباد. 104/3.

(2) أخرجه مسلم، كتاب: القدر. باب: في الأمر بالقوة وترك العجز. حديث رقم 2664.

(3) ابن قيم الجوزية، الفوائد. 30.

خوفه منه هو سبب تسليطه عليه ولو خاف الله دونه، ولم يخفه، لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله أعظم أسباب نجاته منه، وكذلك من رجا شيئاً غير الله، حرم ما رجاه منه، وكان رجاؤه غير الله من أقوى أسباب حرمانه، فإذا رجا الله وحده، كان توحيداً أقوى أسباب الفوز بما رجاه، أو بنظيره أو بما هو أنفع له منه"⁽¹⁾.

وقال في موضع آخر: "وليس لها أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وأن لا يخاف منه غيره، بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه وحده بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه، ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته، وحرّم خيره هذه سنة الله في خلقه"⁽²⁾.

خلاصة

للتوحيد آثاره ومقاصده الدنيوية تتبين من خلال الآتي: أنه نعيم الدنيا والآخرة، وأنه مفتاح كل خير فهو المكفر للذنوب، وسر صحة القلب ونعيمه، ومفرج كربه وباعث على حسن الظن به، وأنه مصدر القوة والمنعة، وباعث على الأمن من المخاوف.

(1) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة. 634/2.

(2) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد. 592.

الباب الرابع: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول: المقاصد الكلية لتوحيد الأسماء والصفات

الفصل الثاني: المقاصد التفصيلية للأسماء والصفات

الفصل الأول: المقاصد الكلية لتوحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول: من مقاصد الأسماء والصفات معرفة الله تعالى والعلم به.

المبحث الثاني: مقاصد الأسماء والصفات في الخلق والأمر.

المبحث الثالث: مقاصد الأسماء والصفات في العبودية.

المبحث الأول: من مقاصد الأسماء والصفات معرفة الله تعالى والعلم به.
توطئة

الفرق بين الاسم والصفة لغة واصطلاحاً

أ- الاسم لغة: أصله من العلو لأنه تنويه ودلالة على المعنى، واسم الشيء وسمه وسماءه: علامته وقيل هو مشتق من السمو وهو الرفعة، وقيل: هو اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لتفصيل بعضه من بعض، كقولك مبتدأ اسم هذا كذا، وإن شئت قلت اسم هذا كذا وكذلك سمي وسمه والجمع أسماء⁽¹⁾.

ب- الصفة لغة: وصف، الواو والصاد والفاء أصل واحد، "هو تحلية الشيء، ووصفته اصفه ووصفاً: والصفة الأمانة اللازمة للشيء"⁽²⁾.

ج- الاسم اصطلاحاً: هو "ما دل على الذات الإلهية التي لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال كالعلم والقدرة والحياة، والإرادة والكلام، والسمع والبصر، والبقاء والقدم، وسائر الكمال الذي يستحقه الله لذاته"⁽³⁾.

د- الصفة اصطلاحاً: "هي الأمور اللازمة للذات، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢٣) [سورة الحشر: 23:22]. ونظائر ذلك"⁽⁴⁾.

مما يميزها عن غيرها من معان ذاتية كالعلم والقدرة، أو فعلية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

والسؤال الذي ينبغي طرحه ما الفرق بين أسماء الله وصفاته الجواب:- أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وما قام بها من العلم والحكمة

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 269/1، وابن منظور، لسان العرب 98/4، 699، باختصار.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 634/2.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 492/2 بتصرف يسير.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 479/2.

والسمع والبصر ويقال: الاسم متضمن للصفة ، والصفة مستلزمة للإسم قال ابن عثيمين: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 260].
 الفوائد: "ومنها: اثبات اسمين من أسماء الله وهما " العزيز " " الحكيم " واثبات ما تضمنناه من الصفة ؛ وهي العزة والحكمة ؛ لأن كل اسم من أسماء الله فهو متضمن لصفة ولا عكس ؛ يعني ليس كل صفة يؤخذ منها اسم؛ لكن كل اسم يؤخذ منه صفة لأن أسماء الله عز وجل أعلام و أوصاف فكل اسم من أسمائه متضمن للصفة التي دل عليها اشتقاقه أو لوازمهما (1)".

قال الشيخ في القواعد المثلى بيانا أن أسماء الله تعالى أعلام و أوصاف "أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني ؛ وهي بالإعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد ، وهو الله عز جلّ وبالإعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص؛ فا " الحي ، والعليم ، والقدير، والسميع ، والبصير، والرحمن ، والرحيم ، والعزیز، والحكيم " كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن معنى الحي غير معنى العليم ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا(2).

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يونس: 107]، وقوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [سورة الكهف: 58].

فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة ؛ ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم ؛ ولا سميع إلا لمن له سمع ؛ ولا بصير إلا لمن له بصر؛ وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل "

ولا يعرف خلاف ذلك قال ابن قيم الجوزية: " أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفاتكماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى

(1) ابن عثيمين ، تفسير ابن عثيمين (الفاتح والبقرة) دار ابن الجوزي ، السعودية ط 1/ 1423هـ، ج 3 ص 307

(2) ابن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، دار النشر الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة 1421هـ/ 2001م ، ص 8 .

ووصفه فلا تنافي اسميَّته وصفيَّته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ؛ بل ورود الإسمي العلم⁽¹⁾.
خلاصة تعريف الاسم والوصف .

الاسم مادّل على الذات والوصف معا ، فيشترط فيه الدلالة على الذات أو العلمية على الذات ، قال ابن قيم الجوزية " وجميع أسماء الله هي أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم"⁽²⁾.

مثال ذلك فقد يسمى الإنسان جواد وهو بخيل ، قد يسمى سعيد وهو شقي بخلاف أسماء الله تعالى فإنها أعلام وصفات .

إن من أجل المقاصد وأنفع العلوم العلم بمعاني أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا، فإن التعرف على الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح بخالق السموات والأرض ومن فيهن، والعلم بأسمائه تعالى وصفاته يستلزم عبادته، ومحبته وخشيته، وتعظيمه وإجلاله، ومعرفة أسماء الله تعالى، وصفاته العلا تقوم على قاعدة الإيمان به، فهي ركن من أركان التوحيد وذروة سنام العبودية، والإيمان بها يقتضي معرفته سبحانه وتعالى بصفاته الواردة في القرآن والسنة وإثبات ما أثبتته الله لنفسه من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف.

يقول ابن قيم الجوزية في تحقيق هذه القاعدة الإيمانية: "ولا يستقر للعبد في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله- ويعرفها معرفة تخرج عن حد الجهل بربه فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام-وقاعدة الإيمان وثمره شجرة الإحسان فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمره شجرة الإحسان فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان"⁽³⁾.

فمعرفته سبحانه والعلم بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها، ومدحه وتمجيده من أجّل المقاصد الإيمانية والتوحيدية، التي أرسل جميع الرسل بها ودعوا إليها وارتكزت

(1) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد 35.

(2) المصدر السابق 212.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، 481/2.

دعوتهم عليها، من أولهم إلى خاتمهم محمد- صلى الله عليه وسلم- فجميعهم أرسلوا بالدعوة إلى الله مع بيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعويين بعد وصولهم إليه. فهذه الأمور الثلاثة هي القواعد الضرورية التي تقوم عليها دعوة كل رسول.

وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: "أن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور:-

الأصل الأول: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه، وصفاته وأفعاله.

الأصل الثاني: معرفة الطريقة الموصلة إليه، وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع

كمال حبه وكمال الذل له.

الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم، وتجليه لهم ورؤيتهم وجهه الأعلى وسلامه عليهم وتكليمه إياهم، ومحاضرتهم في مجالسهم"⁽¹⁾ وقال في شأن بيان خاتم الرسل لهذا المطلب العظيم: "فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناههم قواهم من المعرفة وأبداء، وأعاد واختصر، وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب كما ينجاب السحاب ليلة القمر إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله، ولا إلى من بعده، بل كفاهم وسقاهم وأغناهم من كل من تكلم في هذا الباب، ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 51]⁽²⁾ كيف لا وهو القائل- صلى الله عليه وسلم- ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم"⁽³⁾ ومما لا شك فيه أن معرفة الله تحقق للعبد أسمى الغايات وأعظم المقاصد، ومن المقاصد المنشودة.

(1) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلية على الجهمية والمعطلة، 4/1988.

(2) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في الصلاة على خير الانام، 92.

(3) اخرجته مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول حديث رقم 1894.

أولاً: الشوق إلى لقائه.

وبه يدرك المسلم شرف هذا العلم وفضله، وأنه من الأمور العظيمة التي تقوم عليها دعوة الرسل وأنه الطريق الوحيد لعزته ورفعته وصلاحه في دنياه وأخراه، وعليه فإن "من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه، وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، وأجلُّ غاياته وليست القلوب الصحيحة، والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء اشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه"⁽¹⁾.

ثانياً: تحقق جانب القرب منه.

إذا عرف الإنسان ربه، وأحبه قام بعبوديته من خلال امتثال أوامره واجتناب نواهيه ليتحقق له بذلك القرب الخاص منه سبحانه الذي هو غاية المطالب والمقاصد التي ينشدها العبد للوصول إلى هذه الدرجة من القرب، بل ليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبتة، وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا، إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب، وإليه أقرب وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره، ومنه أبعد، والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه" فمن كان لذكر اسمائه وصفاته مبغضاً وعنفاً نافرأً، فالله له أشد بغضاً، وعنه أعظم أعراضاً وله أكبر مقتاً"⁽²⁾ وكلما داوم على ذكرها بقلبه ولسانه أوجب له ذلك دوام مراقبته وشاهد ربه بعين بصيرته فاستحيا منه وانكسر له وخضع له وذلك حتى يصير يعبد الله على الحضور والمراقبة وهما أعلى مقامات الدين يقول ابن قيم الجوزية: "وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حد كأنه يطالع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال وأحست روحه بالقرب الخاص الذي ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه، وقلبه وبين ربه، فإن حجابة هو نفسه،

(1) ابن قيم الجوزية الصواعق المرسلية على الجهمية والمعطلة، 161/1.

(2) ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية "القصيدة النونية" ص 16.

وقد رفع الله سبحانه عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبده كأنه يراه⁽¹⁾.

ثالثاً: تقوية جانب الخوف والمراقبة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: 28]. "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر"⁽²⁾.
رابعاً: معرفة الله تحقق الحياة الطيبة:

إن معرفة الله هي الغاية التي تتوجه إليها القلوب، وتحيا بها النفوس، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة وهناءة العيش "فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ولا حياة لقلبه وروحه إلا بمعرفة فطره ومحبه، وعبادته وحده والإجابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض منها ما تعوض من الدنيا بل ليست الدنيا بأجمعها عوضاً من هذه الحياة فمن كل شيء يفوت عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة"⁽³⁾.

والعجب من حال أكثر الناس خرجوا من الحياة وغادروا الدنيا وهم محرمون من ملاذها وطيب عيشها، وطيب العيش إنما هو معرفة الله وتوحيده والأنس به، والشوق إلى لقائه.

يقول ابن قيم الجوزية متعجباً من حال هؤلاء: "كيف ينقضي الزمان، وينفذ العمر والقلب محبوب ما شم لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل فيها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً،

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 382/2.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، 6/482.

(3) ابن قيم الجوزية الجواب الكافي ص109.

وموته كمداً ومعاده حسرة وأسفاً⁽¹⁾.

فمن كان همّه وغاية مقصوده هو رضا ربه ومعبوده فقد نال المنوحاز السعادة والهناء إلا من بعد ونأى كما قال بعض السلف "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله ومحبته والأنس بقربه والشوق إلى لقائه"⁽²⁾.

خامساً: معرفة الله هي السبيل لتحقيق السعادة.

من فتح الله تعالى بصيرته في معرفة الأسماء والصفات كانت هذه المعرفة هي السبيل الأمانة لهم في الدنيا والأخرى "فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه"⁽³⁾.

سادساً: حب الله تعالى:

إن من حقائق المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته حب الله تعالى، الذي هو غاية العبودية ولا تصح الأعمال ولا تقوم إلا بها.

ويذكر ابن قيم الجوزية "أن أعرف الناس بأسماء الله وصفاته أشدهم حباًه فكل اسم من أسمائه وصفاته تستدعي محبة خاصة فإن أسمائه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما امر إذ ليس في أفعاله عبث، وليس في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل، والفضل، والرحمة بكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه، ولا يتصور نشر هذا المقام حق تصويره فضلاً عن أن يوفاه حقه، فاعرف خلقه به واحبهم له-صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المحرتين وباب السعادتين، ص266.

(2) ابن قيم الجوزية، اغائة اللهفان من مصايد الشيطان، 68/1.

(3) ابن قيم الجوزية، طريق المحرتين وباب السعادتين 271.

نفسك))⁽¹⁾. ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليه"⁽²⁾.

سابعاً: تورث اليقين والطمأنينة:

إن العبد ليهم في أودية القلق، وتعصف به رياح الاضطراب حتى يخالط الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته خلجات قلبه، ويلامس بشاشته، فحينئذ يبتهج قلبه ويأنس بقربه من معبوده، ويأتيه من روح اللذة والنعيم والسرور، ما يعجز التعبير عن ذكره، يقول ابن قيم الجوزية: "وحيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في معرفة باب أسمائه، وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به رسله، فتلقاه بالقبول والتسليم، والإذعان وانشراح الصدر له، وفرح القلب به، فإنه معرف من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزل القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب، حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه، وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه"⁽³⁾، فيكون لذلك الإيمان أثر عظيم على قلبه وروحه، "فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش، فيطمئن إليه ويفرح به، ويلين له قلبه ومفاصله حتى كأنه شاهد الأمر، كما أخبرت به الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم، وقال إذا استوحش من الغربية: قد كان الصديق الأكبر مطمئناً بالإيمان وحده، وجميع أهل الأرض يخالفه، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئاً.

فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل من أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه"⁽⁴⁾ ومن عبدالله بأسمائه وصفاته، وحقق معرفة خالقه جلا وعلا وعظمه حق

(1) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، جزء من حديث رقم 486.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، 127.

(3) ابن قيم الجوزية، الروح تحقيق عزيز حمادة فرحات دار اليقين، ط1، 2009م، 340.

(4) المصدر نفسه، 341.

التعظيم فإنه لا شك يصل إلى درجة اليقين "فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته، ونعوت كما له، وتوحيده وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر والله أعلم⁽¹⁾.

ثامنا: سعى العبد إلى الاتصاف والتحلي بها على ما يليق به.

فالله تعالى كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، رفيق يحب الرفق، لطيف يحب اللطف فإذا علم العبد بذلك سعى إلى التحلي بصفات الكرم، والجود والرفق واللطف والرحمة وهكذا في سائر الصفات، يقول ابن قيم الجوزية: " واحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات صفاته، فهو جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب اهل الجود، ستير يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو ويحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافئها⁽²⁾".

ومن هنا ينبغي أن نعلم أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: معرفة إقرار وهي يشترك فيها الناس، البر والفجر والمطيع والعاصي.

النوع الثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى

لقاءه، وخشيته والإنابة إليه والأنس به، والفرار من الخلق إليه⁽³⁾.

وهذه هي المعرفة الحقيقية التي يحتاجها كل إنسان لتفضي به إلى كل الخير وتنجيه من كل شر لذلك فقد عرّف الله سبحانه وتعالى عباده بكل صفاته، ما يدعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له وترك الأنداد والشركاء. "ويذكر لهم من أوصاف كماله ونعوت جلاله ما يجلب قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته والمشاركة إلى طاعته، والتنافس في القرب منه، ولزوم ذكره، وشكره وحسن عبادته، وبذكره صفاته أيضاً عند ترغيبه لهم، وترهيبه وتخويفه ليعرّف القلوب من تخافه وترجوه، وترغب إليه وترهب منه. ويذكر صفاته أيضاً

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 124/2.

(2) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 265، بتصرف يسير.

(3) ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق حامد احمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ط2، 2010م، 213.

عند أحكامه وأوامره نواهيه، ليعظّم العباد أمره ويلزموا شرعه. فقل أن تجد أية فيها حكم من أحكام المكلفين إلا وهي مختمة بصفة من صفاته، أو صفتين، وقد يذكر الصفة في أول الآية ووسطها وآخرها كقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة: 1]. ويذكر صفاته عند سؤال عباده لرسوله عنه، ويذكرها عند سؤالهم له عن أحكامه وأحكامه كلها قائمة لذكر أسماء الرب وصفاته حتى إن الصلاة لا تنعقد إلا بذكر أسمائه وصفاته روحها وسرها يصحبها من أولها إلى آخرها، وإنما أمر بإقامتها ليذكر بأسمائه وصفاته⁽¹⁾. وهي أحب الذكر إليه والدعاء والسؤال بها والقيام بمقتضياتها. قال ابن قيم الجوزية: "لما كان الله يحب أسمائه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يجبها، وأبعضهم إليه من اتصف بالصفات التي يجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، وإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت، لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لمنافاتها لصفة العبيد، وخروج من اتصف بها من رتبة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته وتعدّيه طوره وحدّه"⁽²⁾ وفي هذا المقام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن من أسماء الله تعالى وصفاته ما يحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف بها كالإلهية والتجبر والتكبر وللعبد من الصفات التي يحمد عليها ويؤمر بها ما يمنع اتصاف الرب به كالعبودية والافتقار والحاجة والذل والسؤال ونحو ذلك"⁽³⁾.

ومما ينبغي تقريره هنا أن هناك تلازماً وثيقاً بين إثبات الأسماء والصفات لله تعالى وتوحيد الله تعالى بأفعال العباد فكلما حقق العبد أسماء الله وصفاته علماً وعملاً كلما كان أعظم وأكمل توحيداً، وفي المقابل، فإن هناك تلازماً وطيداً بين إنكار الأسماء والصفات وبين الشرك ومن الأمثلة في بيان هذا التلازم والصلة بين توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات.

(1) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، 910/3-911.

(2) طريق الهجرتين وباب السعادتين، 168.

(3) ابن تيمية، الرسالة الصفديّة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2004م، 361.

1- التوكل: والتوكل على الله وحده شرط في الإيمان وأجل العبادات القلبية ولا يتحقق التوكل إلا بمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وقد بين ذلك ابن قيم الجوزية بقوله: "ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الرب وصفاته، ومن قدرته وكفايته، وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، قال شيخنا ابن تيمية:- رحمة الله- ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأن يكون في ملكة ما لا يشاء ولا يستقيم أيضاً من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات فأبي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلوية، ولا هو فاعل باختياره فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف كان توكله أصح وأقوى والله سبحانه وتعالى أعلم"⁽¹⁾.

2- حسن الظن: وحسن الظن عبادة جليلة تقوم على فقه الأسماء الحسنی وصفاته العلا وهو أثر من أثار إنكار الله وصفاته.

يقول ابن قيم الجوزية "فأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعل به غيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده ممن قنط من رحمته، وآيس من روحه فقد ظن به ظن السوء"⁽²⁾ وقال: "ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعباً على القدر وملامة له واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقلّ ومستكثر وفتّش نفسك هل أنت سالم من ذلك"⁽³⁾.

الخلاصة

إن من أجل المقاصد الإيمانية هي معرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته، والثناء عليه بها ومدحه وتمجيده، والشوق إلى صفاته، وتحقيق القرب منه، وتقوية جانب الخوف والمراقبة، فمن راقب نفسه فيه، أثمر لديه الحياة الطيبة والسعادة الكاملة،

(1) مدارج السالكين، 491/10.

(2) زاد المعاد في هدى خير العباد، 104/3.

(3) المصدر نفسه، 107/3.

فكان أشد الناس حبا لله تعالى، كما أن معرفة الله تورث اليقين والطمأنينة التي هي غاية كل عبد مؤمن في الدنيا والآخرة.

كما أنه مما ينبغي معرفته أن مقاصد معرفة أسماء الله وصفاته، وجوب سعي العبد إلى الاتصاف بها والتحلي بها على ما يليق به، كاتصافه بصفة الرحمة والرفق واللطف والكرم والإحسان إلى الخلق ومحبتهم.

فإلى جانب ذلك كله من مقاصد معرفة الله بأسمائه وصفاته يجدر الإشارة إلى أهمية هذه المعرفة الحقيقية التي توجب الحياء منه والمحبة له وتعليق القلب به والشوق إلى لقائه، وخشيته والإنابة إليه والأنس به، والفرار من الخلق إليه، والتوكل عليه، وحسن الظن به، فمن قام بقلبه ذلك عرف الله ووحده وأخلص في عبوديته.

المبحث الثاني: مقاصد الأسماء والصفات في الخلق والأمر

إن من أجل المقامات وأعلاها منزلة وأرفعها قدراً التي توجب للعبد المنزلة والرفعة، وتعينه على حسن المعرفة بالله، وتحقيق محبته، ولزوم الثناء عليه النظر والتأمل في اقتضاء الأسماء الحسنى والصفات العلا لآثارها من الخلق والأمر، وأن كل ما يوجد في الكون هو من بعض آثارها ومقتضياتها. "فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى، وحقائها، تنادى عليها، وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل.

تأمل سطور الكائنات فإنها
من الملاء الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها
صامتة يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كماله، وحقائق أسمائه" ، فكل ما في الكون من آثار هو دليل قاطع على ثبوت صفات
خالقها سبحانه وتعالى (1).

بل كما قال: "ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقرأ آثارها في الخلق والأمر رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل نظام، ورأى سريان آثارها فيهما" (2).
وقال في البدائع: ما يشير إلى أن كل ما يصدر في هذا الكون من الخلق والأمر هو أثر من آثار الأسماء الحسنى "إن العلم بالأسماء الحسنى أصل للعمل بكل معلوم فإن المعلومات سواه: إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً، إما علم بما كونه أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان ارتباطاً المقتضي بمقتضيه" (3).

وقد نظم هذه المعاني في النونية فقال:
أسماءه دلت على أوصافه
مشقة منها اشتقاق معان
وصفاته دلت على أسمائه
والفعل مرتبط به الأمان

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ر2/487.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المحترين، وباب السعادتين 169.

(3) ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد 213-214.

والحكم نسبتها إلى متعلقها ت تقتضي آثارها ببيان⁽¹⁾.

ومن أثر هذه الأسماء في الخلق والأمر نجد أن ابن قيم الجوزية يقول: "وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً فمن يرزق الرزاق سبحانه؟ وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية من العالم فلمن يغفر؟ وعمن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات كلها سدت، والعبيد أغنياء معافون، فأين السؤال والتضرع والابتهاج؟ والإجابة وشهود الفضل والمنة والتخصيص بالإنعام والإكرام⁽²⁾. ويزيد هذه المسألة بيانا وتوضيحاً في ارتباط المسائل بمتعلقاتها قائلاً: "فلو لم يكن في عباده من يخطئ" ويذنب ليتوب عليه ويغفر له ويعفو عنه لن يظهر أثر أسمائه الغفور، والعفو، والحليم والتواب، وما جرى مجراها، وظهور أثر هذه الأسماء ومتعلقاتها في الخليقة، كظهور آثار سائر الأسماء الحسنى، ومتعلقاتها فكما أن اسمه الخالق يقتضي مخلوقاً، والبارئ يقتضي مبروءاً، والمصور يقتضي مصوراً ولا بد، فأسمائه، الغفار التواب يقتضي مغفوراً له وما يغفره له، وكذلك من يتوب عليه، وأموراً يتوب عليه من أجلها ومن يحمل عنه، يعفو عنه، ويكون متعلق بالحليم والعفو، فإن هذه الأمور ومتعلقة بالغير ومعانيها مستلزمة لمتعلقاتها"⁽³⁾. وكل ذلك من مقتضى أسمائه وصفاته سبحانه وإلا فما معنى أن يكون خالقا، ولم يكن هناك مخلوقا، ولا راحما ولم يكن هناك مرحوماً أو رازقا أو كريماً إلى غير ذلك من الأسماء والصفات، فالحكمة تقتضي وجود هذه الصفات وتعلقها بمسمياتها. فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم كما قال ابن قيم الجوزية :-

" أن اسمه الحميد المجيد يمنع ترك الإنسان سدى مهماً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهي ولا يثاب ولا يعاقب وكذلك اسمه الحكيم يأبى ذلك، كذلك اسمه الملك واسمه الحي يمنع أن يكون معطلاً عن الفعل بل حقيقة الحياة الفعل فكل حي فعال، وكونه سبحانه خالقاً

(1) ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) ، 252.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 160/10.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 261/2، 262.

قيوماً من موجبات حياته ومقتضياتها، واسمه السميع البصير يوجب مسموعاً مرثياً⁽¹⁾ وهكذا الشأن في جميع أسمائه الحسنى.

"فمن تأمل سريان أثار الأسماء الحسنى والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال، وغاياتها أيضاً مقتضى حمده ومجده كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته فله في كل ما قضاة وقدّره الحكمة البالغة والآيات الباهرة، والتّعرفات إلى عبادته بأسمائه، وصفاته، واستدعائه محبتهم له، وذكرهم وشكرهم له، وتعبدتهم له بأسمائه الحسنى"⁽²⁾ وهذه مقاصد هامة من مقاصد توحيد أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

خلاصة القول إن النظر والتأمل في اقتضاء الأسماء الحسنى والصفات العلا لآثارها من الخلق والأمر يجد أنها من أجل المقامات التي توجب للعبد المنزلة والرحمة، وتعينه على حسن المعرفة بالله تعالى، وتحقيق محبته ولزوم الثناء عليه، واستدعاء وذكره وتعبدته بأسمائه الحسنى.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 319/1.

(2) المصدر نفسه 321/1-322.

المبحث الثالث: مقاصد الأسماء والصفات في العبودية

إن لكل صفة من صفات الله تعالى عبودية خاصة بها، فمتى علمها العبد وأتى بموجباتها من العمل تحقق له مراده "وأثمرت له أنواعاً من العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه"⁽¹⁾.

قال ابن قيم الجوزية: "والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضيه لأثارها من العبودية والأمر، اقتضاؤها لأثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها- أعنى من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها- وهذا مَطْرَد في جميع أنواع العبودية التي تقع على القلب والجوارح:

1- فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والخلق والرزق، والأحياء والإماتة، تثمر له عبودية التوكل عليه باطنا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

2- علمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور. يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح ومعرفة غناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه، توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية بحسب معرفته وعلمه.⁽²⁾

3- النوع الثاني من أنواع العبودية، معرفته بجلاله وعظمته، وعزته فإن هذه المعرفة تثمر للعبد من الأحوال الباطنية وآثارها الظاهرة ما لا تثمره سائر المعارف الأخرى وذلك لتعلقها بالجانب التعبدى وأخص أنواعها يقول ابن قيم الجوزية: "معرفته بجلال الله وعظمته وعزته، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها.⁽³⁾

4- وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى، يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 242/2.

(2) المصدر نفسه، 242/2.

(3) المصدر نفسه، 242/2.

العبودية فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها.

فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العلم وأثارها ومقتضاها، لأنه لا يزيد من عباده بطاعتهم، ولا تشينه معصيتهم، وتأمل قوله في الحديث الصحيح الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" ذكر هذا عقب قوله: ((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني اغفر لكم))⁽¹⁾ فتضمن ذلك أن ما يفعله الله تعالى بهم في غفران ذلالتهم وإجابة دعواتهم، وتفريج كرباتهم ليس لجلب منفعة منهم ولا لدفع مضرة يتوقعها منهم، كما هو عادة المخلوق الذي ينفع غيره ليكافئه بنفع مثله أو ليدفع عنه ضرراً، فالرب تعالى لم يحسن إلى عباده ليكافئوه، ولا ليدفعوا عنه ضرراً فقال: "لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني" إني لست إذا هُديت مستهديكم، وأطعمت مستطعمكم، وكسوت مستكسيكم وأرويت مستسقيكم، وكفيت مستكفيكم، وغفرت لمستغفركم بالذي أطلب منكم أن تنفعوني، أو تدفعوا عني ضرراً فأنكم لن تبلغوا ذلك وأنا الغني الحميد، كيف والخلق عاجزون عما يقدرون عليه فكيف يبلغون نفع الغني الصمد الذي يمتنع في حقه أن يستجلب من غيره نفعاً أو يستدفع منه ضرراً، بل ذلك مستحيل في حقه؟!⁽²⁾

وهذه حقيقة يجب بيانها ومعرفتها يقرها المولى عز وجل، وهي أنه المستغنى عن عبادة خلقه جميعهم، وأن ذلك لا يزيد في ملكه شيئاً، كما أن معصيتهم لا تنقص من ملكه شيء فهو الغني الكريم الرحمن الرحيم الرؤوف البر المحسن اللطيف إلى غير ذلك من صفات الرحمة واللفظ والعطاء، فهذه الصفات هي من مقتضى خلقه وأمره فمن عرفها عرف خالقه وعبده وحده وتقرب إليه بموجب أسمائه وصفاته.

ثم ذكر بعد ذلك قوله: ((يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وأخركم

(1) أخرجه مسلم. كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2577، وهو جزء من حديث أبي ذر.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 443/2.

وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً⁽¹⁾. الملاحظ أن الخطاب في هذه النصوص كان بصيغة "يا عبادي" والعبودية صفة العبيد، تقتضي من العبد أن يكون دائماً محتاجاً إلى سيده ومولاه ولا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، وفي أي وقت ومكان، فهي صفة عجز ونقص، والعاجز الفقير لا يحتاج إليه الغني فكيف بالله الغني المستغنى؟ من يملك جميع صفات الكمال والجمال، ولكن حكمة الله في خلقه اقتضت أن يكون ذلك من تمام ربوبيته وملكه وأنه يكون في ملكه ما لا يكون في ملك غيره من استيلائه على الخلق وقهرهم له سبحانه بربوبيته وألوهيته، يقول ابن قيم الجوزية: "فبين سبحانه أن ما أمرهم به من الطاعات وما نهاهم عنه من السيئات لا يتضمن استجلاب نفعهم، ولا استدفاع ضررهم كأمر السيد عبده والوالد ولده، والإمام رعيته بما ينفع الأمر والمأمور ونهيهم عما يضر الناهي والمنهي، فبين تعالى أنه المتزه عن حقوق نفعهم وضررهم به في إحسانه إليهم بما يفعلهم بهم ويأمرهم به، ولهذا لما ذكر الأصليين بعد هذا وأن تقواهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم، لا يزيد في ملكه شيئاً ولا ينقصه، وأن نسبة ما سألونه كلهم إياه فيعطيههم إلى ما عنده كلاً نسبة فتضمن ذلك أنه لم يأمرهم ولم يحسن إليهم بإجابة الدعوات وغفران الزلات، وتفريج الكربات لاستجلاب منفعة ولا لاستدفاع مضرة، وانهم لو أطاعوه كلهم لم يزيدوا في ملكه شيئاً، ولو عصوه كلهم لم ينقصوا من ملكه شيئاً، وأنه الغني الحميد، ومن كان هكذا فإنه لا يتزين بطاعة عباده ولا تشينه معاصيهم"⁽²⁾ فبعد هذا التوضيح والبيان لمسألتي الأمر والنهي وأثرهما في الطاعة والمعصية من عدمهما في زيادة ملك الله أو نقصانه، ليعلل بعد ذلك ابن قيم الجوزية الغاية والمقصد من وراء ذلك كله فيقول: "ولكن له من الحكم البوالغ في تكليف عباده وأمرهم ونهيهم، ما يقتضيه ملكه التام وحمده وحكمته، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يستوجب من عباده شكر نعمه التي لا تحصى بحسب قواهم وطاقتهم، لا بحسب ما ينبغي له، فإنه أعظم وأجل من أن يقدر خلقه عليه. ولكنه سبحانه يرضى من عباده بما

(1) سبق تحريجه. أخرجه مسلم كتاب البر والصله، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2577.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 444/2.

تسمح به طبائعهم قواهم فلا شيء أحسن في العقول والفطر من شكر المنعم، ولا انفع للعبد منه⁽¹⁾.

ويضرب ابن قيم الجوزية مثلاً على المقاصد والأثار المترتبة على عبودية الله تعالى باسمي الأول والآخر قائلاً:

"فعبوديته باسمه الأول تقتضي التجرد عن مطالعة الأسباب أو الوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، إنما هو عدم محض وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله، وجوده لم تكن بوسائل أخرى فمن نزل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة، وعبوديته باسمه الآخر تقتضي أيضاً عدم ركونه ووقوفه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخريّة، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالتعلق به حقيقي ألا يزول ولا ينقطع بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يغني به كذا نظر العارف إليه بسبق الأوليّة، حيث كان قبل الأسباب كلها، فكان الله ولم يكن شيء غيره، وكل شيء هالك إلا وجهه"⁽²⁾ فمن عرف ذلك حقاً وأيقن به أقر بفقره وحاجته إليه سبحانه وغنى ربه، فأنزل نفسه منزلة العبودية الحقّة لله تعالى فهو الأول والآخر ليس قبله شيء وليس بعده شيء يقصد ويعبد.

فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل، حيث لا سبب ولا وسيلة وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنه ربّ كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو الحق وغايته التي لا صلاح ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده فهو الأول الذي ابتدأت

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة 444/2.

(2) المصدر نفسه، 38.

منه المخلوقات، والأخر الذي انتهت إليه عبودياتها، وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ⁽¹⁾. وللتعبد بهذين الاسمين "الأول والأخر" يرى الإمام ابن قيم الجوزية أن لهما رتبتين:

الرتبة الأولى: أن تشهد الأولية منه تعالى في كل شيء والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه، فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

والرتبة الثانية من التعبّد: أن يعامل كل اسم بمقتضاه، فيعامل سبقه تعالى بأوليته لكل شيء، وسبقه بفضلته وإحسانه، الأسباب كلها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره، والثوق بسواه والتوكل على غيره، فمن ذا الذي شفع لك في حين لم تكن شيئاً مذكوراً، حتى سماك باسم الإسلام، ورسمك بسيمة الإيمان، وجعلك من أهل قبضة اليمين، وأقطعك في ذلك الغيب عمالات المؤمنين، فعصمك عن العبادة للعبيد، وأعتقك من التزام الرق من له شكل ونديد، ثم وجه وجهة قلبك إليه سبحانه دونما سواه⁽²⁾. وهذا هو سر العبودية وحكمتها كما قال ابن قيم الجوزية "وإنما يطلع عليها من عرف صفات الرب عز وجل - ولم يعطها، وعرف معنى الإلهية وحقيقتها، ومعنى كونه إلهاً، بل هو الإله الحق وكل إله سواه فباطل، بل أبطل الباطل، وأن حقيقة الإلهية لا تنبغي إلا له، وأن العبادة موجب إلهيته، وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والعطاء بالجود"⁽³⁾ وأخيراً فإن الناظر في هذين الفصلين تتضح له عدة أمور أوردها ابن قيم الجوزية وهي كالآتي:-

أولاً: أن الأسماء والصفات مقتضية لأثارها من العبودية اقتضاءها لأثارها من الخلق والتكوين، فكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها تعني من

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين 37، 38.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، 43، 44.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 75/1.

واجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها⁽¹⁾."

ثانياً: "قال ابن قيم الجوزية: اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها (...) أعنى فهم أصل المعنى لأفهم الكنه والكيفية (...) "⁽²⁾.

ثالثاً: "تعلق الوجود خلقاً وأمراً بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وارتباطه بها بما فيه -من بعض أثارها ومقتضياتها، إذ عرف هذا فمن أسمائه الغفار والتّواب والعفو لا بد لهذه الأسماء من متعلقات ولا بد من جنابة تغفر، وتوبة تقبل، وجرائم يعفى عنها ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه، إذا اقتضاء هذه الأسماء لأثارها كإقتضاء اسم الخالق، الرازق، المعطى، المانع للمخلوق والمرزوق، والمعطى والممنوع، وهذه الأسماء كلها حسنى "⁽³⁾.

رابعاً: "أن ظهور أحكامها وأثارها لا بد منه إذ هو من مقتضى الكمال المقدس والملك التام، وإذا أعطيت اسم الملك حقه- ولن تستطيع- علمت أن الخلق والأمر والثواب والعقاب، والعطاء، والحرمان، أمر لازم لصفة الملك وأن صفة الملك تقتضي ذلك ولا بد، وأن تعطيل هذه الصفة أمر ممتنع فالملك الحق مقتضى الرسل وانزال الكتب وأمر العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم "⁽⁴⁾.

خامساً: "إن لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، ومن عرفها أثمرت له أنواعاً من العبودية الظاهرة والباطنة، بحسب معرفته وعلمه "⁽⁵⁾.

سادساً: "من مقتضيات العبودية لله بأسمائه الحسنى التجرد عن مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله، وأنه هو المبتدئ بالإحسان والإنعام عليه من غير وسيلة من العبد "⁽⁶⁾.

سابعاً "أن العبادة موجب ألهيته، وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط متعلق

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 442/2.

(2) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، 210/1.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 318/1، 319.

(4) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، عالم الكتب، بيروت، 47.

(5) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 442/2.

(6) ابن قيم الجوزية، طريق المحرّتين وباب السعادتين، 37.

الصفات بالصفات"⁽¹⁾، وأعظم الناس سعادة أعظمهم عبودية لله".
اتضح مما سبق إن لكل صفة من صفات الله تعالى عبودية خاصة بها فمن عرفها بها وأتى بموجباتها أثمرت له أنواعا من العبودية الظاهرة والباطنة، فعلم العبد بتفرد الرب بالضر والنفع والعطاء والخلق بتمر له عبودية التوكل، ومعرفته بجلاله وعظمته يثمر له الخضوع والاستكانة، والمحبة، وعلمه بكماله وجماله يثمر له محبة خاصة.
فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العلم وأثارها، فإن الأسماء والصفات مقتضية لآثارها من العبودية اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فإن كل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، وإن ظهور أحكامها وآثارها لا بد منه إذ هو من مقتضى الكمال المقدس، ومن آثارها التجرد عن مطالعة الأسباب وتجريد النظر إلى سابق فضله، وأخيرا أن العبادة موجب إليته وأثرها ومقتضاها.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 75/1.

الفصل الثاني: المقاصد التفصيلية المتعلقة بالأسماء والصفات

المبحث الأول: مقاصد الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية والعظمة والجلال

المبحث الثاني: مقاصد الأسماء الدالة على الإحاطة والمراقبة

المبحث الثالث: مقاصد الأسماء الدالة على البر والإحسان والحسن والجمال

المبحث الأول: مقاصد الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية والعظمة والجلال
أولاً: الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية:

لقد تقدم في الفصول السابقة شيء من المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات، ومقتضيات أثارها من الخلق والعبودية بصورة إجمالية بينت فيها ومن خلالها أهمية معرفة هذا الركن العظيم من أركان التوحيد الثلاث.
وسأشرع بشيء من التفصيل اليسير في بيان أثر ومقصد كل اسم من الأسماء والصفات الدالة على ربوبيته وألوهيته وأول هذه الأسماء لفظ الجلالة .
1. "الله"

معناه لغة

اختلف أهل اللغة هل هو اسم علم موضوع؟ أو مشتق؟ فذكر الخطابي لهم روايتان: "أحدهما أنه اسم علم ليس بمشتق ولا يجوز حذف الألف واللام منه، كما يجوز من الرحمن، والرحيم، والثاني مشتق وكان في الأصل إله، مثال فعال: فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة.

وقال غيره: أله في الكلام "إله" وهو مشتق من "أله" إذا أم الناس فائتموا به، ثم أنه لما كان اسما لعظيم (ليس كمثلته شيء أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام، لأنهم أفردوا لهذا الاسم دون غيره، فقالوا: الإلاه، واستثقلوا الهمزة (...). فحذفوها فصار الاسم كما نزل به القرآن. وقال بعضهم: أصله ولاه فانبذت الواو همزة فقييل: إلاه، واشتق من الوله، لأن قلوب العباد توله نحوه، كما قيل: معبود إلا أنهم خالفوا البناء ليكون اسما علما فقالوا إلاه وقال بعضهم: أصله من أله الرجل إذا تحير في عظمة الله، وحكى بعض أهل اللغة: أله يألله، إلاه بمعنى عبد بعيدعبادة".⁽¹⁾

معنى الاسم: لغة. وقال ابن فارس "أله: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمى بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل، إذا تعبد"⁽²⁾.

يقول ابن قيم الجوزية: أن الله أصله الإلاه: "فهو الجامع لجميع صفات الكمال

(1) الخطابي، شأن الدعاء، 31، 33 باختصار.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 69/1.

ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله إله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم⁽¹⁾.

وبناء على ما سبق، ذكره عند أهل اللغة من أوجه الاختلاف حول اسم الله من حيث الاستقاف أو العلمية، فالراجح بالنقل والعقل الأصل فيه الاشتقاق، لاعتبارات لغوية عدة منها الفزع واللجوء إلى من يملك الأمانة والإجارة ولا يملك ذلك إلا له، ومنها التحير باعتبار أن قلوب العباد تعجز عن بلوغ كنه جلاله، ومنها العبادة، ومنها التعبد، وكل ذلك لا يكون إلا في الاسم المشتق "إله".

أما شرعاً: فإن "الإله هو الذي تأله العباد حباً وذللاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً، وطاعة له، بمعنى "مألوه" وهو الذي تأله القلوب أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد"⁽²⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم (الله):

عندما يدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بهذا الاسم العظيم "الله" فلا ريب أن يقوم بحقه من العبادة التي هي كمال الحب مع كمال الذل مع كمال التعظيم ومن كان كذلك فقد حصل غناه بالله، وصار أغني الخلق وأسعدهم.

يقول ابن قيم الجوزية: في خصائص هذا الاسم الشريف الجامع لكل معاني الجلال والكمال والخير والجود والإحسان. "فما ذكر الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عندهم غم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزة ولا فقيراً إلا أصاره غنياً، ولا مستوحش إلا آانسه، ولا مغلوب إلا أيدته ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا أواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 596.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 230/2.

والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين⁽¹⁾.

فمن اتسم بهذه الخصائص جميعاً واجتمعت فيه كل الصفات كان "ينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم (الله) التأله واعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه. ولا يعبد سواه ولا يخشع إلا له، ولا يتوكل إلا عليه (...). وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه سبحانه المعبود بحق وكل ما سواه فهو معبود باطل؟"⁽²⁾.

2. الرب

وهو اسم عظيم لله جل جلاله تكرر ذكره في القرآن الكريم والسنة الصحيحة في مقامات عديدة وسياقات متنوعة، منها قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:2]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:162].

ومعنى الرب لغة: هو المالك، والخالق، والصاحب، والرب المصلح للشيء والله جل ثناؤه الرب، لأنه مصلح أحوال خلقه⁽³⁾.

وقال الراغب: "الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه ورباه، ورببه، وقال: فالرب مصدر مستعار للفاعل ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات"⁽⁴⁾.

أما اصطلاحاً: يقول ابن قيم الجوزية: "إن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور، الحي القيوم، العليم السميع، البصير المحسن المنعم، الجواد المعطي المانع، الضار النافع،

(1) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. "نقله في الفتح المجيد" راجع حواشيه وصححّه وعلق عليه عبد العزيز بن باز. مؤسسة الريان. ط6. 2011م. 11، 12.

(2) ابن قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنى محمد احمد عيسى، دار الغد الجديد، ط1، 2010م، 68، 69.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة10، 458.

(4) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 189.

المقدم، المؤخر، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنی. (1).

فالرب هو المالك لجميع صفات الكمال من الخلق والإنشاء والإبداع على غير وجه سابق.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الرب).

أ- إن العبد إذا استحضر في قلبه معنى الربوبية، وإن العالم بأسره تحت قبضة ربه ومولاه وأن كل شيء تحت حكمه وتصرفه وأن ما في الكون جميعاً لا يتحرك إلا بمشيئته وإرادته، وأن الخلق جميعهم مقهورون تحت سلطانه وعظمته. "فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الألوهية، فإنه إذا تيقن ذلك، لم يتخذ سواه إلهاً معبوداً، فأول ما يتعلق القلب بتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقى إلى توحيد الإلهية (2).

ب- أن يحسن تربية من جعلت تربيته إليه فيقوم بأمره ومصالحه كما قام الحق به. (3)

ج- أن يدعو ربه بهذا الاسم العظيم فيقول مثلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص: 16]، وكثيراً من الدعوات في القرآن افتتحت بهذا الاسم (4).

3. الملك

اسم من الأسماء الثابتة بالكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [سورة الحشر: 23].

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 596.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، باختصار 313/1.

(3) ابن قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنی، 70.

(4) ابن قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنی، 70.

معنى الاسم لغة: الملك يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عجينه: قوى عجينه وشده⁽¹⁾. قال الزجاج⁽²⁾: "وإملاك المرأة من هذا إنما هو ربطها بالزوج".⁽³⁾

وفي اللسان: الملك- بفتح فكسر- هو الله تعالى وتقدس ملك الملموم له الملك وهو مالك يوم الدين، وهو عليك الخلق، أي ربهم ومالكهم⁽⁴⁾.

أما في الشرع فقد عرفه الراغب، هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك بسياسة الناطقين، ولهذا يقال ملك الناس، ولا يقال ملك الأشياء، وقوله ملك يوم الدين، فتقديره الملك في يوم الدين، وذلك لقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر: 16]، وقال الملك ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة، وقال الملك الحق الدائم لله، فذلك قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [سورة التغابن: 1].

الله هو الملك المالك لكل شيء صغيره وكبيره، فلا تخرج ذرة عن ملكه ولا حكمه، فهو الملك المالك على الحقيقة مخلوق وإن كان مالكا مملوكا لله تعالى⁽⁵⁾. وعرفه ابن قيم الجوزية تعريفاً جامعاً مانعاً فيقول فيه: "فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبده ومماليكه، وهو المتصرف لهم، المدبر لهم كما يشاء والنافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم"⁽⁶⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم.

أ- أن المؤمن عندما يدرك حقيقة هذا الاسم وصفته وأن الله هو المالك الحقيقي لا يشاركه ولا ينازعه أحد من خلقه في ملكه وله القدرة التامة والسيطرة الكاملة فلا ريب أنه يزداد إيماناً إلى إيمانه بمالكة ومليكه، معاذه ومفرزه، ومستغاثه قال ابن قيم الجوزية: "كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح فمنها أن يعيد وينصر، ويغيث، فكما يجب أن يلوذ به اللائذون وكمال الملوك أن يلوذ بهم

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 523/2.

(2) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنة، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، 1974، 30.

(3) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 485.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 362/8.

(5) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 485.

(6) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 594.

أولياءهم، ويعوذوا بهم"⁽¹⁾ فإن عرفنا الله بهذه الصفات أيقنا أنه "فلا مفرع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى، ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه، ولا يذل لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه، لأن من ترجوه وتخافه، وتدعوه وتتوكل عليه، إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك، ومتولى شأنك، وهو ربك فلا رب سواه، أو تكون مملوكه وعبدك الحق، فهو ملك الناس حقاً، وكلهم عبيده ومماليكه أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغنى عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك وهو الإله الحق، إله الناس الذي لا إله لهم سواه، فمن كان ربهم، وملكهم وإلههم فهم جديرون ألا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ولا يلجأوا إلى غير حماه فهو كافيتهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليهم ومتولى أمورهم جميعاً بربوبيته، وملكه وإلهيته، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل، ونزول عدوه به إلى ربه ومالكة وإلهه؟⁽²⁾.

وهذا من تمام النعمة وكمال المنة التي أجراها سبحانه لعبيده المماليك، لما استحقوه من الخضوع والاعتراف له سبحانه بالربوبية التامة التي من صفاتها تمام الملك له سبحانه.

ب- يفيد هذا الاسم لنا "الملك" أنه هو الملك والمالك الحقيقي المدبر والمسير للأكوان وشؤون الخلائق والعباد، فإذا تولى شؤون مملكته من الناس فلا يجوز في حكمه ولا يظلم ممالكه، ويحكم بينهم بما أمر الله من الحق والعدل والإنصاف.

قال العز عبد السلام في تخلق الملوك بعد معرفة صفة الملك المستوجبة للعدل والإحسان، أن ثمرة معرفته: "خوف ورجاء، وإجلال وطاعة، وإدغان، والتخلق لمن يأتي به: التقيد باتباع الحق في موارده، ومصادره، يمنع من يستحق المنع ورفع من يستحق الرفع، وقهر من يستحق القهر وجبر من يستحق الجبر، وضرب من يستحق الضر، وإكرام من يستحق الإكرام، والانتقام ممن يستوجب الانتقام وإطعام الجوعان، وكسوة العريان،

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 697.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 595.

وسقي الظمآن، وإغاثة اللفهان، وقمع أهل الظلم والعدوان، وأخذ الأموال بحقها وصرفها إلى مستحقها".(1)

ج- التعظيم والإجلال والتطهير من كل حرام، ومكروه، وشبهة، وفضل مباح شاغل عن مولاك(2).

د- تطهير الروح والبدن عن الالتفات إلى اللذات الجسمانية، وتحصيل العلوم النافعة والأخلاق الحميدة ومجامعتها في شيئين أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به(3).

4. السلام

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَلْسَلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ﴾ [سورة الحشر: 23].

جاء السلام في اللغة بعدة معان، منها كما قيل "هو الذي سلم الخلق من خلقه وقيل السلام هو التحية، معناه، السلامة، وقيل دار السلام الجنة لأن الصائر إليها يسلم من الموت، والأوصاب والأحزان، وقالوا: إذا سلم المسلم على المسلم، فكأنه يعلمه بالسلامة من ناحية، ويؤمنه من شره وغائلته، كأنه يقول له أنا سلم لك غير حرب، وولى غير عدو، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه، وقيل: إن الإسلام الذي هو التحية إنما هو اسم من أسماء الله - جل جلاله - فإذا قال المؤمن لأخيه السلام عليكم "فإنما يعوده بالله ويبرك عليه باسمه".(4)

والسلام في اللغة: قال أهل العلم: "الله جل ثناؤه هو السلام، لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء"(5). وقال الزجاج: "ويقال السلام هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه".(6) فلو تأملنا هذه المعاني لوجدنا أن كلمة السلام تطلق في

(1) العز بن عبد السلام، شجرة العلوم والمعارف، 80.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، تحقيق إباد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 2000م، 81.

(3) ابن قيم الجوزية شرح أسماء الله الحسنى، 169.

(4) الخطابي، شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف، دار الثقافة العربية، ط1، 1404 هـ، جزء 99/1 باختصار.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 564/2.

(6) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 31.

اللغة ويراد بها الإخبار بالسلامة من العيوب والنقائص، والأمان بها في الدنيا والآخرة والدعاء بها، والإجارة من العدو، وهي اسم الله وصفته الدالة على الكمال المطلق في ذاته وصفاته.

وفي الشرع: ما ينبىء عن موافقته المعنى الشرعي "فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام ابلغ في ذلك من وصفه بالسالم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم. ومن إرادة الظلم والشر ومن التسمية به، ومن فعله، ومن نسبته إليه فهو السلام من صفات النقص، وأسماء النقص، وأفعال النقص، المسلم لخلقه من الظلم"⁽¹⁾.

وقال في النونية موضحاً سلامته من كل عيب ونقص

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان⁽²⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

عندما يستشعر المؤمن حقيقة هذا الاسم ومعناه، واتصاف معبوده به، يدرك حينها أنه لا محالة أن لهذا الاسم دلالات عظيمة لها أثر كبير على حياته، من الشعور بالأمن، والأمان والطمأنينة والسلام يقول ابن قيم الجوزية "والله أولى باسم السلام من كل مسمى لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص وهم، وسلام في صفاته، من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص، وشر وظلم، وفعل واقع على غير وجه الحكمة (.....) وهذا هو حقيقته التنزيه الذي نزه به نفسه ونزهه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-، فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكفاء، والسعى والمماثل، والسلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله، وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها"⁽³⁾. من صفات الحياة والقيومية والقدرة والإرادة والكلام وسائر الصفات، قال "فحياته سلام من الموت، ومن السنة والنوم،

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 559.

(2) ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية، 178.

(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 455، باختصار.

وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب، واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلام من خرجها عن الحكمة والمصلحة وكلامه سلامه من الكذب والظلم وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وملكه سلام، وإلهيته سلام، وحلمه وعفوه، وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام، وكذلك عذابه وانتقامه، وشدة بطشه وسر عقابه سلام وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف، والاضطراب، وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم، وخلاف حكمته⁽¹⁾ بل يمتد السلام إلى ما شرعه لعباده وافترضه عليهم وأمرهم به، وما نهاهم عنهم وحذرهم وأنذرهم منه، فكل ما فيه مصلحة وحكمة فهو سلام، يقول ابن قيم الجوزية: "بل شرعه كله حكمة، ورحمة، ومصلحة وعدل وكذلك عطاؤه سلام، ومنعه سلام من البخل والخوف والأخلاق واستواؤه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى من يحمله أو يستوي عليه بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه"⁽²⁾ والسلام الذي هو أخص صفاته تعالى يتضمن كل شيء في هذا الكون، فكل مخلوق فيه، خلقه لحكمة وغاية افتضت منه السلام "ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا سلام، وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه، وغناه وسمعه وبصره سلام، ومولاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق بل هي مولاة رحمة، وخير وإحسان وبر، وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق كونها محبة حاجة إليه أو تملق له وسلام مما يتقوله المعطلون، فتأمل كيف تضمن اسمه السلام كل ما نزه عنه تبارك وتعالى، وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني"⁽³⁾.

ثمرة معرفة هذا الاسم.

إذا أدرك المؤمن أسرار ومعاني هذا الاسم فينبغي عليه أن يجتنى من ثماره ومن ثمار معرفته.

(1) المصدر نفسه، 456.

(2) المصدر نفسه، 457.

(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 458.

1. "إنشاء السلام بين عباد الله فانه من أفضل خصال الإسلام.
2. أن يسلم المسلمون من ظلمه وغشمه وضره وشره(1).
3. سلامة الدين من البدع والشبهات، والأعمال عن متابعة الهوى والشهوات"(2).

5. المؤمن

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز: لقوله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [سورة الحشر: 23] من الأمانة قال الزجاج: "ويقال إنه في وصف الله تعالى يفيد أنه الذي أمن من عذابه من لا يستحقه"، (3) وفي اللسان "الأمانة ضد الخيانة والإيمان ضد الكفر".(4)

وفي الشرع: قال ابن قيم الجوزية: "ومن أسمائه تعالى "المؤمن" وهو في احد التفسيرين- المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبيائه فيما بلغوا عنه وشهد لهم بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاء وخلقاً"(5).

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (المؤمن).

إذا علم المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة العظيمة من الأمان الذي أعطاه لعباده وتصديق أنبياءه فلا ريب أنه يشعر بالثقة والأمان بوعده الله له، فلا يدخل الخوف إلى قلبه ذلك أن الله منجز وعده لعباده المؤمنين في الدنيا بالنصر، والظفر على العدو، والتمكين لهم في الأرض والجزاء والثواب الحسن في الآخرة والهزيمة والخذلان لعدوهم في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: 55].

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، 81.

(2) ابن قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنى، 127.

(3) الزجاج، تفسير الأسماء الحسنى، 32.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 1/236.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 2/573.

ثمرة معرفة هذا الاسم:

لهذا الاسم ثمرات جليلة ومقاصد عظيمة منها:

1. "التصديق لله تعالى والإيمان بكل ما انزله.
2. إظهار برك وخيرك ما يؤمن الناس من شرك وخيرك.
3. السعي في توفير الأمن لكل عباد الله"⁽¹⁾.

6- البارئ:

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة في الكتاب قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [سورة الحشر: 24].

والبرء في اللغة يحمل على معنيين الأول: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً. والثاني: التباعد من الشيء ومزاييلته: من ذلك البرء، وهو السلامة من السقم ومن ذلك البرءة من العيب والمكروه⁽²⁾. وبهذا قال: "الراغب أصل البر والبراء والتبري التغضي مما يكره مجاورته ولذلك قيل برأت من المرض، وبرأت من فلان"⁽³⁾.

أما شرعاً: فهو "المنشيء للأعيان من العدم إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه، وإيجاده سوى الله عز وجل وهذا الاسم يحتل معنيين: أحدهما: الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْقَبَلٍ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾ [سورة الحديد: 22]، والآخر أن المراد بالبارئ القلب للأعيان، أي أبداع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء ثم خلق منها الأجسام المختلفة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 30].⁽⁴⁾

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، والأحوال، 81.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 124/1.

(3) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 38.

(4) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 78.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم البارئ

إن اتصاف الله تعالى بهذه الصفة وهي إيجاد الخلق من عدم على غير مثال سابق لاشك أنه يبعث في نفس المؤمن إيماناً و يقيناً في قدرة الله سبحانه على براءة خلقه من العيوب حين خلقهم وأنه ليس هناك خلل أو عيب في الخلق خلقهم على قدر واحد في التركيب والشكل ما يدل على كماله وعدم تعطيله.

يقول ابن قيم الجوزية: "فصل المعطل الجاحد ما تقول في دولا ب دائر على نهر قد أحكمت آله وأحكم ترتيبه، وقدرت إدارته أحسن تقدير، وابلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته، وقد جعل على طريقة عظيمة، فيها من كل أنواع الثمار والزرور يسقيها حاجتها، وفي تلك الحديقة من يلثم شعنها ويحسن مراعاتها وتعهدها، والقيام بجميع مصالحها، فلا يختل منها شيء، ولا يتلف ثمارها، يقسم قيمتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجتهم وضرورتهم فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به ويقسمه هكذا على الدوام أترى هذا اتفاقاً بلا صانع، ولا مختار ولا مدبر، أفترى ما يقول لك عقلك لو كان كذلك وما الذي به وما الذي يرشد إليه؟ ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوب عمياء لا بصائر لها، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، وهي لا تراها فما ذنبها أن أنكرتها وجحدتها، فهي تقول في ضوء النهار: هذا الليل ولكن أصحاب الأعين لا يعرفون شيئاً"⁽¹⁾.

فاسم البارئ هو ما اختص الله به نفسه، كما قال القيم: "وأما البارئ فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه فإنه الذي يرى الخلفية وأوجدها من عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدورة، التعرف في صفات ما أوجده الرب وبرأه وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته"⁽²⁾.

7- المصور

اسم من أسماء الله الحسنى الثابت بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 251/1.

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 31.

أَلْمُصَوِّرُ لَهُ ﴿٢٤﴾ [سورة الحشر: 24].

وفي اللغة: قال ابن فارس: "الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته"⁽¹⁾. وقال الراغب: "صور: الصورة ما تنتفش به الأعيان ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعينة، والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والرؤية والمعاني التي خص بها شيء بشيء وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة غافر: 64]، الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا على سبيل البعضية"⁽²⁾. فكلا المعنيين المحسوس والمعقول مرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى الشرعي لصفته تعالى المصور على وجه الكمال والتمام.

أما شرعاً: قال الخطابي: "المصور هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها"⁽³⁾، فهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره للآية السابقة "أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصور التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [سورة الانفطار: 8]، ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد إيجاداً على الصفة التي يريدتها"⁽⁴⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم "المصور":

تستشف هذه المقاصد من خلال المعنى اللغوي للاسم المصور فعندما يدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة العظيمة من الخلق في أحسن صورته يستيقن عظمة الخالق وإبداعه، في تشكيل صور الخلائق من الإنسان والحيوان والجمادات وسائر

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 25/1.

(2) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 297.

(3) الخطابي، شأن الدعاء، 51.

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 617/6.

المخلوقات، وكيف رتبها في أكمل وأبهى صورة وأجملها بحيث إذا أبصرها الناظر انبهر بعظمة وجلال خالقها ومصورها، وتميز خالقها وانفراده بالخلق والتصوير سبحانه وتعالى فلا يجعل معه شريكاً ولا نداً، ولا كفواً فهو وحده الرب والإله المستحق للإفراد والتوحيد.

8- الفتح

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة سبأ: 26].

معناه في اللغة فتح أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً فالفتح والفتاحة: الحكم، والله تعالى الفاتح، أي الحاكم⁽¹⁾.

وعند الراغب: الفتح له معنيان: "الفتح إزالة الأغلاق والأشكال، وهو ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والمتاع. والثاني: يدرك بالبصيرة، كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك ضروب، أحدها: في الأمور الدنوية كهم يفرج وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه، فلما نسوا ما ذكروا به فنحننا عليهم أبواب كل شيء"، والثاني: فتح المستغلق من العلوم نحو قولك، فلان فتح من العلم بابا مغلقا، وقوله: بل عنى ما فتح على النبي من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التي صارت سببا لغفران ذنوبه"⁽²⁾.

وبهذا يصير هذا التعريف تعريفا جامعاً مانعاً لمعنى الفتح بشقيه الحسنى والمعنوي والناظر في هذا التعريف يجد أن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الشرع علاقة توافقية، فالمعنى اللغوي يوافق المعنى الشرعي ويشير إليه.

أما في الشرع: فقد أشار إليه ابن قيم الجوزية في النونية بقوله:

وكذلك الفتح من أسمائه

والفتح في أوصافه أمان

فتح بحكم وهو شرع إلهنا

والفتح بالأقدار فتح ثان

فالفتح: هو الحكم المحسن الجواد، وفتحه تعالى نوعان:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/338، 339.

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 383، 384.

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: فتحه بحكمه القدري، فالرب تعالى هو الفتح العليم الذي يفتح بعنايته كل منغلق، وبهدايته يكشف كل مشكل، ومفاتيح الغيب والرزق كلها بيده، وهو الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلكها بفضلته وعدله⁽¹⁾ كما يفتح "قلوبهم وعيون بصائرهم ليصروا الحق"⁽²⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

إن الله تعالى هو الفتح الذي يفتح على عباده من أسباب الرزق والحياة، وهو الذي يغني الفقير، ويفرج كرب المسكين، ويفتح على المتحاكمين فاذا أدرك المؤمن معنى هذا الاسم أيقن أن الرزق والفتح والنصر لا يكون إلا منه، لذا وجب عليه أن يطلب الغني منه وأن يطلب النصر على عدوه منه، فهو الكفيل بالإغناء والرزق والنصر والفتح، لذا "يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا فاتح ولا حاكم على الإطلاق إلا الله تعالى، وإذ لا فاعل إلا الله، ولا حاكم إلا الله، فلا ينبغي لمسلم أن يعتقد أن الحكم لغير الله تعالى ولا ينبغي حكماً غير الله، ثم يجب عليه أن ينقاد إلى حكم الله، وإلى من حكم به عليه تعالى، ثم يجب عليه أن يعلم أن الله سبحانه هو المفتاح لكل مستغلق، وأنه الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، وأسبابهم ويفتح قلوبهم، وعيونهم وبصائرهم ليصروا الحق، ويشرح صدورهم بعد الضيق ويفتح عليهم كل مشكل غلق"⁽³⁾ كما ينبغي على العبد "رجاء ما يفتحه وما يمنحه من الأرزاق في العاجل والآجل، والتخلق به ببذل ما تقدر عليه من الأرزاق في رضا الخلاق"⁽⁴⁾.

9- الحكيم:

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: "وهو الحكيم الخبير"⁽⁵⁾.

(1) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، المسماة الكافية الشافية، لابن قيم الجوزية، دار الإمام أحمد طبعة 1-2008م، 488/2، 489.

(2) الخطابي، شأن الدعاء 56/1.

(3) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 161، 162.

(4) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 87.

(5) الأنفال، 67.

معناه لغة: "الحكيم بمعنى محكم والله تعالى محكم للأشياء متقن لها كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٨٨) (1) سورة النمل، الحكيم من الحكم وهو المنع من الظلم (2).

أما شرعاً: قال ابن قيم الجوزية "الذي إذا أمر بأمر كان حسناً في نفسه وإذا نهى عن شيء كان قبيحاً في نفسه، وإذا أخبر بنجر كان صدقاً، وإذا فعل فعلاً كان صواباً (3).
مقاصد الإيمان بهذا الاسم: الحكيم.

عندما يدرك العبد إتصاف المولى جل جلاله بصفة الحكمة والحكم. يمتلئ قلبه ثقة وطمأنينة وأمناً وأماناً. بما قدره الله له وقضى به عليه. فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فكل ما يقضى به سبحانه بين عبادته هو من مقتضى علمه وحكمته فهو "سبحانه حكيم في شرعه وأمره: وأنه شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا. وأي فضل أكرم وأعظم من هذا. وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علماً و يقيناً وإيماناً وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب، ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد، وأوامره ونواهيته مشتملة على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا" (4).

10- الخالق

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الحشر: 24].

معناه لغة: قال الراغب: "أصل الخلق التقدير، المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اهتداء"، وقال "وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى". (5)

(1) الزجاج، شرح أسماء الله الحسنى، 52.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 311/1.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 568/2.

(4) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 101.

(5) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 157، وابن منظور، لسان العرب، 195/3.

وأما شرعاً: "فهو سبحانه خالق كل شيء: خالق الأنس والجن. وخالق السموات، وما فيهن.... فهو الخالق الموحد للأشياء بقضائه وقدره وبالأَسباب التي يهيئها لا إله غيره ولا رب سواه"⁽¹⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:-العظيم الخالق.

إذا علم المؤمن أن الله متصف بهذا الاسم من الإبداع والتقدير والإنشاء على غير مثال سابق، أدرك عجز الخلائق عن الخلق، وأنه رب مستحق للعبادة والإفراد وأن ما سواه هو خلق مربوب له قدر لهم أقواتهم وأرزاقهم وآجالهم. وأنهم عاجزون مقهورون بتقديره ومشيتته لا يخرجون عن طوره وأمره قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام:102]

قال ابن قيم الجوزية في تفسير هذه الآية: "وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم، أعيانه وأفعاله، وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته داخله في مسمى اسمه، فإنه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال"⁽²⁾.

وإذا تأمل الإنسان مظاهر قدرة الله في الخلق لوجد من الدلائل والآيات ما يغني مما يستدل به ويستشهد به على عجائب خلقه سبحانه، كقوله تعالى موجه الأَبصار إلى التأمل في أصل خلق الإنسان فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [سورة الطارق:5]، وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، ومن أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه"⁽³⁾.

11- العلي

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

(1) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 11.

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 215.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 223/1.

[سورة البقرة: 255].

والعلو في اللغة: يقول الخطابي: "الذي علا وجل أن تلحقه صفات الخلق أو تكيفه أو هامهم"،⁽¹⁾ يدل على السمو والارتفاع، والرفعة ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو،⁽²⁾ ويقول الراغب: "فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين".⁽³⁾ أما شرعاً: يقول ابن قيم الجوزية: "من لوازم اسم العلي المطلق، بكل اعتبار فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي"⁽⁴⁾.

وهو العلي فكل أنواع العلو وله فثابتة بلا نكران⁽⁵⁾.

والمعنى صفة مبالغة وكمال تجمع كل معاني القدرة والقهر والذات.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (العلي)

عندما يدرك المؤمن إتصاف الله تعالى بالعلو، فإن ذلك يثمر لديه التنزيه والتعظيم من علوه بذاته وصفاته "فإنه سبحانه لو لم يتصف بفوقيه الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضدها، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، وهو مذموم على الإطلاق"⁽⁶⁾.

"ففوقيته وعلوه من لوازم ذاته"⁽⁷⁾. "فمن شهد علو الله على خلقه، وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر به أعرف الخلق، وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه حمد يعرج إليه القلب مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه

(1) الخطابي، شأن الدعاء، 66.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 161/2.

(3) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب الفاظ القرآن، 358.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 26/1.

(5) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية، 173.

(6) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسله، 387.

(7) المصدر نفسه، 396.

ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والمصرف من الإمانة والإحياء، والتولية والعزل، والخفض والرفع، والعطاء والمنع وكشف البلاء، وإرساله وتقلب الدول، ومداولة الايام بين الناس- إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسمه نافذة فيها كما يشاء⁽¹⁾.

12- الواسع

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:115].

والواسع في اللغة: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، يقال وسع الشيء واتسع، والوسع: الغنى والله الواسع أي الغنى والوسع أي الجدة والطاقة، وهو ينفق على قدر وسعه⁽²⁾.

أما شرعاً: فالواسع له معنيان الأول دلالة على الغنى وسعة الرزق، والثاني دلالة على سعة الملك واحاطته بكل شيء. وإلى المعنى الأول أشار إليه الخطابي فقال "الواسع هو الغني الذي وسع غناه مفارق عباده ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب الغنى، ويقال الله يعطي عن سعة، أي عن غنى"⁽³⁾، والثاني هو ما أشار إليه ابن قيم الجوزية، من خلال بيانه لمعنى قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:115]، حيث يقول: وذلك أن الآية لا تعرض فيها القبلة ولا لحكم الاستقبال بل سياقها لمعنى آخر، وهو بيان عظمة الرب تعالى وصفته وأنه أكبر من كل شيء وأعظم، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي⁽⁴⁾. والمعنى شمولية الواسع الدالة على الكبر والعظمة والإحاطة بكل شيء.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الواسع):

عندما يدرك المؤمن حقيقة ما يتصف به ربه ومولاه من صفة الواسع الشاملة في جميع الأمور من الحكمة، والفضل، والمن، والإحسان، والرحمة، والمغفرة، وسائر مقتضيات

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المجرتين، 66.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 631/2.

(3) الخطابي، شأن الدعاء، 72.

(4) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسله، 365.

أسمائه وصفاته، لا ريب أن ذلك يثمر لديه التزود من الطاعات وفضائل الأعمال تقرباً إليه وطمعاً في جنته ورحمته كما أنه من مقتضى الإيمان بهذا الاسم التعبد بمقتضاه قال ابن قيم الجوزية: "وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [سورة البروج: 20]، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أنه الظاهر، وأنه لا شئ فوقه، واسم العظمة الدالة على الإحاطة وأنه لا شئ دونه" (1).

13- الحي

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سورة البقرة: 255].

والحياة في اللغة: لها معنيان أحدهما خلاف الموت، والأخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة" (2) والمعنى الأول هو المراد بالذكر.

أما شرعاً: فهو "الحي يفيد دوام الوجود والله تعالى لم يزل موجوداً ولا يزال موجوداً" (3) وقيل هو "الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يلحقها موت، ولا فناء لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية، فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها، فالحي والقيوم متضمنان لصفات الكمال كلها" (4).

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: (الحي):

لا ريب أن من اتصف بهذه الصفة العظيمة الجامعة لكل المعاني الكاملة، من السمع والبصر والقدرة والعزة والعظمة يثمر كل ذلك لدى المؤمن، التسليم والتوكل عليه

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المحررين.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 328/1.

(3) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، 56.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 492/2.

سبحانه وتعالى، واللجأ إليه والرغبة فيه لأنه الحي الباقي الذي لا يموت ولا يطرأ عليه
العدم فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم، طيب الحياة الذي تحيا به القلوب والأبدان، كما
قال ابن قيم الجوزية: "فذكر الله سبحانه، ومحبه وطاعته، والإقبال عليه، ضامن لأطيب
الحياة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنه والغفلة ومعصيته كفيل بالحياة المنغصة،
والمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة"⁽¹⁾.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية شديد اللهج بهذا الاسم وذلك لما له من تأثير عظيم
على حياة القلب ونعيمه فكان يقول: "من واظب علي يا حي يا قيوم لا اله إلا أنت" كل يوم
بين سنة الفجر وصلاة الفجر - أربعين مرة - أحي الله بها قلبه"⁽²⁾.

14- القيوم

اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة
البقرة: 255].

وفي اللغة: قام قياماً إذا انتصب، والقومة المرة الواحدة إذا انتصب، ويكون قام بمعنى
العزيمة⁽³⁾ والقيوم: "هو القائم بلا زوال، ووزنه فيقول من القيام وهو نعت للمبالغة في
القيام على الشيء ويقال: هو القيم على كل شيء بالرعاية له ويقال قمت بالشيء إذا وليته
بالرعاية والمصلحة"⁽⁴⁾.

أما شرعاً: فنجد ابن قيم الجوزية يخبر عن هذا الاسم بشيء من التفصيل فيقول:
"القيوم هو القائم بنفسه الذي قيام كل شيء به، أي هو المقيم لغيره فلا قيام لغيره بدون
إقامته له وقيامه هو بنفسه لا بغيره"⁽⁵⁾. وربما اشتمل الاسم الوصفين معا وهو قيامه
بنفسه لا بغيره والقيم على غيره وكلاهما من صفات كماله سبحانه.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 411/2-412.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 415/2.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 379/2.

(4) الخطابي، شأن الدعاء، 81/1.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 369/2.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم "القيوم"

إن المؤمن عندما يدرك إتصاف الرب تعالى بهذه الصفة ويشاهدها بقلبه فقد شاهد ربوبيته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقيامه عليهم وتدبير أمورهم وشئونهم، يقول ابن قيم الجوزية: "وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية، وأعلى منه مشهد الإلهية وأن إلهية ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلي له ويسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده، وله الحكم وحده، فكل عبودية لغيره باطلة وعناد وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى لغيره فقر وضلال، وكل عز لغيره ذل وصغار، وكل تكبر لغيره ذل وفاقة. فكما استحال للخلق رب غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت إليه الطلبات⁽¹⁾.

ومن مقتضيات الإيمان بهذا الاسم (القيوم) الدعاء به والتعبد لله بمقتضاه "فمن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها، وسرارتباطها بالخلق والأمر وبمطالب العبد وحاجاته: عرف ذلك وتحققه. فإن كل مطلوب يسأل بالمناسب له، فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك⁽²⁾ ومثالاً على ذلك دعاء المكروب الذي يتوسل به إليه ومن الأدعية الماثورة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((والتوسل إليه باسمين الحي القيوم ما أوصى به نبيه فاطمة رضي الله عنها "يا حي يا قيوم برحمتك استغيث"))⁽³⁾ يعد هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تتضمن تحقيق العبودية لله رب العالمين، وتتضمن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته فهو سبحانه الحي القيوم الرحمن الرحيم والعبد يستمد العون والتأييد من قيوميته **عَزَّوَجَلَّ**، كما يستغيث برحمته التي وسعت كل شيء.

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المحترين، 67.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 341/10.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسيح باليد. حديث رقم 3524. حيث صحيح صححه الألباني في السلسلة.

يقول ابن قيم الجوزية معللاً تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم التوسل بهذين الاسمين الحي والقيوم، دون غيره من سائر الأسماء والصفات تعليلاً قيماً ينبىء عن قوة فهم وسعة إدراك فيقول في تأثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو اسم الله الحي القيوم، والحياء التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية فكمال القيومية بكمال الحياة فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن فالتوسل بصفة الحياة القيومية له تأثير في إزالة ما يصاد الحياة، ويضر الحياة ويضر الأفعال⁽¹⁾.

15- الصمد

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص: 1-2].

والصمد في اللغة: له معنيان أحدهما القصد، والآخر الصلابة في الشيء، فالأول الصمد القصد يقال: صمده صمداً وفلان مصمد إذا كان سيدياً يقصد إليه في الأمور، ومنه قال الزجاج: "أنه السيد المصمود إليه في الحوائج"⁽²⁾. والثاني: الصمد وهو كل مكان صلب⁽³⁾ الذي يقصده العباد ويتوجهون إليه.

أما شرعاً: الصمد: هو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات عديدة والسيد الذي كمل في سؤده، ولهذا كانت العرب تسمى أشرفها بهذا الاسم لكثرة الأوصاف المحمود للمسمى به"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 107/4.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 20/2.

(3) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، 58.

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد 210، ومختصر الصواعق المرسله، 144/1.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم "الصمد"

عندما يدرك المؤمن اتصاف ربه وخالقه بصفة الصمدية وأن جميع ما في الكون محتاج إليه يفزع إليه عند الشدائد، وقضاء الحوائج ويدرك ربا عظيماً قائماً بذاته يعبده رباً صمداً فلا يلجأ إلى غيره "كما يفعل القبوريون اللجوء إلى القبور لينالوا المطالب والمبتغيات، فتجدهم خاشعين أمام القبر كما يخشون الله بل أشد خشية"⁽¹⁾ كما أن ثمرات الإيمان بهذا الاسم الرجوع إلى الله تعالى في الأحكام إلى الشريعة ورد كل ما نزل ووقع من الحوادث إليها، والرجوع إلى الكتاب والسنة أنزلهما الله تعالى الصمد الذي تمت صفاته كما له وجلاله"⁽²⁾.

16- الظاهر والباطن

اسمان من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد:3].
والظاهر في اللغة ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز وظهر الإنسان خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة"⁽³⁾.
والباطن خلاف الظاهر، وباطن الأمر خلاف ظاهره، وتقول بطنت هذا الأمر عرفت باطنه"⁽⁴⁾.

أما شرعاً: فالظاهر من الظهور بالحجج والبراهين، ومن معانيه الظهور بالقدرة، والعلو والغلبة، وهذا ما أورد الخطاب في تعريف اسم الله الظاهر فقال: "الظاهر: هو الظاهر بحججه الباصرة وبراهينه النيرة وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته، وصحة وحدانيته، ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته، وقد يكون الظهور بمعنى الغلبة"، في حين "نجد أن ابن قيم الجوزية تناول المعنى المراد عند إيراد لوازم هذين الاسمين "الظاهر والباطن" فقال: "بل هو سبحانه فوق كل شيء فمن جحد قوميته فقد

(1) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 143.

(2) المصدر نفسه، 143.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 100/2.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 135/1، 136.

جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط⁽¹⁾.
أما الباطن فقال: "هو الذي ليس دونه شيء، كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء
بالآخر" الذي ليس بعده شيء⁽²⁾.

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين "الظاهر والباطن":

قال ابن قيم الجوزية: "إذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته، وأنه ليس
فوقه شيء البتة، وأنه قاهر فوق عباده، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَمَكْرُأُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [سورة فاطر: 10]. صار لقلبه أما يقصده، وربما يعبد
والله يتوجه إليه بخلاف من لا يدري أين ربه، فانه ضائع مشئت القلب ليس لقلبه قبلة
يتوجه نحو ولا معبود، يتوجه إليه قصده⁽³⁾.

كما أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعل له رباً يقصده وصمداً
يصمد إليه في حوائجه وملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه
الظاهر استقامت له عبوديته، وصار معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب ويفر كل وقت إليه
وأما تعبد باسمه: الباطن، فيقول ابن قيم الجوزية "فأمر يضيق التعبير عن حقيقته
ويكُلُّ اللسان عن وصفه، وتصطم الإشارة إليه، وتجفو العبارة عنه، فإنه يستلزم
معرفة بريئة من شوائب التعطيل مخلص من فرث التشبيه، منزهة عن رجس الحلول
والاتحاد وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقاً صحيحاً سليماً من أذواق أهل
الانحراف فمن رزق هذا فهم معنى اسمه الباطن، وصح له التعبد به وباب هذه المعرفة
هو إحاطة الرب سبحانه وعظمته وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السموات السبع
والأرض في يده كخردلة في يد العبد⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 27/1.

(2) المصدر نفسه، 27/1.

(3) ابن قيم الجوزية، طريق المحرّتين 38-40.

(4) ابن قيم الجوزية، طريق المحرّتين، 39، 40.

ثانياً- الأسماء الدالة على العظمة والجلال:

وهي الأسماء التي تبعث على الإجلال والتعظيم والتقدير كما تبعث العلم واليقين على كمال قدرته سبحانه وتعالى وكمال عظمته ، وكمال علمه وقوته ، وكبريائه وجلاله ، ومن ثم الإنقياد له وحده وامتلاء القلوب هيبة له سبحانه وخشية منه وتعظيما له وهي:-

1- الرحمن الرحيم

وهما اسمان جليلان كثر ورودهما في القرآن الكريم، ولهما شأن كبير ومكانة عظيمة فهما الاسمان اللذان افتتح الله تعالى بهما أم القرآن. وجعلهما عنوان ما انزله من الهدى والبيان، وقد ورد هذان الاسمان مقترنين في عدة مواضع من القرآن، وكل منهما دال على ثبوت صفة الرحمة لله عز وجل، ودليل على "أن رحمة الله أوسع المواضيع التي تضمنها القرآن وكلمة (الرحمن) التي تستفتح بها كل سورة من سور القرآن تدل على (إله) رحيم، إنما تعبر تعبيراً عميقاً عن ذلك الحب الذي يكنه خالق السماوات والأرض لعباده"،⁽¹⁾ والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. والرحمن أشد مبالغة من الرحيم".

وهما اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها⁽²⁾.

وأصل الرحمة في اللغة:- الرقة والعطف والرأفة، يقال: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه⁽³⁾.

قال الراغب: "الرحمة وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وأفضال من الأدميين رقة

(1) سيد أمير علي، روح الإسلام، دار الملايين للعلم، بيروت، ط 1، 1961م، 175.

(2) ابن قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنى، 116.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 516/10.

وتلطف".⁽¹⁾ والرقّة والتعطف لا تضاهي الذي هو مصدر الرحمة لأنها متعلقة بالفعل ووصفه سبحانه بالفعل أبلغ من أي وصف غيره.

وفي الشرع: يقول ابن قيم الجوزية: أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ثم يقول: وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 43]. و﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 117].

ولم يجئ قط: رحمن بهم، تعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته⁽²⁾ فالرحمن هي الصفة الدالة على الذات والرحيم الصفة الدالة على الفعل. مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

من تأمل بنور بصيرته في هذا الكون أدرك أن لهذا الكون رباً رحيماً رحمته وسعت كل شيء قال ابن قيم الجوزية: "برحمته أرسل إلينا رسوله، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودياننا، وبرحمته اطلع الشمس والقمر وكفانا وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً، وفراشاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته انشأ السحاب وأمطر المطر، واطلع الفواكه والأقوات والمراعي ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذلك منقادة للركوب والحمل والأكل والدر"⁽³⁾ فانظر وتأمل إلى سعة رحمته سبحانه أن جعل الكون وما فيه مسخراً لخدمته فضلاً منه وإحساناً، ولم تقف حدود رحمته سبحانه عند تسخير نعمه وتذليلها له، بل امتدت أيادي رحمته وإحسانه الخلق فيما بينهم. "وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته، ونعمته واشتق

(1) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 196.

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد 36.

(3) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلّة، 326.

لنفسه اسم (الرحمن الرحيم) وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته وبصرهم ويمكن لهم أسباب مصالحهم برحمته (....). ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتاباً فهو عنده وضعه على عرشه "إن رحمته سبقت غضبه" وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم والصفح عنهم والمغفرة، والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة".⁽¹⁾

ومن فضائل منه وإحسانه إلى خلقه ليتم عليهم نعمته، ويظهر صفة رحمته "خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه"⁽²⁾ ثم أرشد بعد ذلك إلى حظ المسلم ونصيبه من هذين الاسمين، فقال: "وحظ المسلم من هذين الاسمين الكريمين: الرحمن الرحيم. أن يتخلق بهما. فيرحم المؤمنين. إنما يرحم الله من عباده الرحماء، ويرحم الحيوان الأعجم وكل ذي روح، والشاة أن رحمتها رحمك الله، وأن تصل الرحم، وأن تحذر البغي، فإن البغي معاملة الخلق بضد الرحمة"⁽³⁾.

2- المعز المذل

اسمان من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: 26].

والعز في اللغة: خلاف الذل، والعز في الأصل، القوة والشدة والغلبة⁽⁴⁾.

والذل نقيض العز، ذل يذل ذلاً، وذلة، وذلالة، ومذلة⁽⁵⁾.

أما شرعاً: "وهو سبحانه المعز المذل، يعز أهل طاعته بالعز الحقيقي الذي لا يبطله

(1) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة اختصره محمد بن الموصلي، تحقيق: مصطفى أبو المعطي، دار الغد الجديد، القاهرة، 326، 327.

(2) ابن قيم الجوزية، 326، 327.

(3) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 119.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 228/6.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 519/3.

شيء فإن المطيع لله عزيز، وأن تحالفت عليه كل أسباب الذل والشقاء، ويذل أهل معصيته ذل شقاء وحرمان، وذل خزي وحرمان، فإن العاصي لله، وإن ظهر بمظهر العز فحشو قلبه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه فيما هو فيه من الشهوات، فالعز في طاعة الله، والذل كل الذل في معصيته"⁽¹⁾.

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين: "المعز المذل":

عندما يدرك المؤمن أن الله تعالى هو المعز وهو المذل فلا عزيز إلا من أعزه الله، ولا ذليل إلا من أذله الله يبعث ذلك في نفسه الثقة واليقين في قوة الله ونصره وتثبيتته لأوليائه ونصرة دينه وإعلاء كلمته، وإذلال عدوه، "قال ابن قيم الجوزية في معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [سورة المائدة: 54]، لما كان الذل منهم رحمة وعطف وشفقة واخبات عداه بأداة "على" تضميناً لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول⁽²⁾ ثم قال مبيناً صفات بعض من يعشقهم الذل "أربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب، والنمام، والبخيل والجبار وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ [سورة المائدة: 54]. هو من عزة القوة والمنحة والغلبة"⁽³⁾.

3- الخافض الرافع

اسمان من أسماء الله الحسنى ورد ثبوتهما بالسنة قال صلى الله عليه وسلم "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار"⁽⁴⁾.

(1) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 493/2.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 68/2.

(3) المصدر نفسه، 68/2.

(4) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب إن الله لا ينام، حديث رقم 179.

والانخفاض في اللغة: والرفع خلاف الوضع، تقول رفعت الشيء رفعا، وهو خلاف الحفض⁽¹⁾. الانحطاط بعد العلو⁽²⁾.

أما شرعاً: "الخافض والرافع: يخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، ويرفع أوليائه بالتقرب والإسعاد، ويداول الأيام بين عباده، فيخفض أقواماً، ويحمل شأنهم، ويذهب عزهم ويرفع آخرين، فيورثهم ملكهم وديارهم⁽³⁾."

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين: "الخافض الرافع"

إذا أدرك المؤمن معنى إتصافه سبحانه بهذين الوصفين العظيمين من الحفض والرفع يرفع أناساً بالطاعة ويخفض أناس بالمعصية، عرف أن الله ذا سلطان يقرب إليه أهل طاعته ويبعد عنه أهل معصيته، فكم من أقوام رفعهم الله وأعلى قدرهم وأحسن ذكرهم، ونصرهم على أعدائهم بعد أن وفقهم إلى طاعته وامتنال أمره، واجتناب نهيه وكم "أذل من أعداء دينه، وخفضهم، ومنعهم أسباب النصر"⁽⁴⁾ فالؤمن من وفقه الله إلى طاعته ورفعه بالدرجات العلاء، والعاصي من خذله الله وأذله.

فمن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين: "أن يوصل في الذكر أحدهما بالآخر، لأن الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد، الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض فهي، وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة⁽⁵⁾."

ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين، الحرص على أن يكون العبد من أهل الطاعة للفوز بالرفعة وعلو المنزلة عند الله تعالى، والبعد عن المعصية حتى لا يكون ممن خفضهم بمعاصيهم وأنزل عليهم غضبه.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 479/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 156/3.

(3) محمد خليل هراس، شرح قصيدة ابن قيم الجوزية، 493/2.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 497/1.

(5) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 220.

4- العظیم

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الواقعة: 74].

والعظیم لغة: يدل على كبر وقوة، فالعظم مصدر الشيء العظیم⁽¹⁾.
قال الراغب: "وعظم الشيء أصله كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير فأجرى مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنى"، ومنه اشتق المعنى الشرعي للعظیم⁽²⁾.
أما شرعاً فقولہ:

وهو العظیم بكل معنى یوجب الت- عظیم لا یحصیه من إنسان.
فهو دال على وصف العظمة التي هي الكبر والاتساع فهو الموصوف بصفات الكمال من العلم المحيط، والقدرة التامة والإرادة الشاملة، والحكمة البالغة⁽³⁾.
مقاصد الإيمان بهذا الاسم "العظیم":

إن المؤمن يدرك يقيناً أن الله تعالى متصف بكل كمال منزه عن كل نقص عظیم في أسمائه وصفاته، وعظیم في أقواله وأفعاله وهذا التعظیم یوجب له المدح والثناء بالطاعة وعدم المعصية، والقيام بشكره بعبوديته له وخضوعه وذله والانقياد له في الأمر والنهي وتعظیم ما عظمه وأمر به ونهى عنه، وإثبات ما أثبتته لنفسه ونفى ما نفاه عن نفسه من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف.

قال ابن قيم الجوزية من منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة التعظیم "هذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة، یكون تعظیم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به، أشدهم له تعظيماً وإجلالاً وقد ذم الله تعالى من لم یعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور على هذا. فقال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [سورة نوح: 13]

ومن مقتضى تعظیم الله تعالى تعظیم رسوله صلى الله، فقال في كتابه العزيز: ﴿ لَا

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 284/2.

(2) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 353.

(3) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 453/2، 454، بتصرف يسير.

تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿١٢﴾ [سورة النور: 63]. فأمر سبحانه
ألا يُدعى رسوله بما يدعوا الناس بعضهم بعضاً، بل يقال يا رسول الله ولا يقال: يا محمد
وهذا من تمام التوقير والتعظيم⁽¹⁾.

5- الحميد

اسم من أسماء الله الحسنی الثابتة بالكتاب قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [سورة فاطر: 15].

والحمد في اللغة: خلاف الذم يقال حمدت فلانا أحمده ورجل محمود ومحمد إذا
كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة⁽²⁾.

أما شرعاً: ما يدل على معناه في اللغة، قال الزجاج: "الله تعالى هو المحمود بكل
لسان وعلى كل حال كما يقال في الدعاء الحمد لله الذي لا يحمد على الأحوال كلها
سواه"⁽³⁾. "فالحميد الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً وإن
لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين"⁽⁴⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم "الحميد":

إذا عرف العبد المؤمن اتصاف ربه وخالقه بصفة الحمد حمده في جميع أحواله من
كل طريق، وبكل وسيلة فيما يقع عليه من خير وشر، فحمده في الضراء كحمده في
السراء، فهو الحميد في ذاته وأفعاله وصفاته، وأهل لكل المحامد قال ابن قيم الجوزية:
"وبالجمللة فكل صفة عليا واسم حسن، وثناء جميل وكل حمد، ومدح وتسبيح وتقديس،
فسبحانه وبحمده لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما

(1) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، 83.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 316/10.

(3) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنی، 55.

(4) ابن قيم الجوزية، جلاء الافهام، 174.

يثني به عليه خلقه، فله الحمد أولاً وآخراً حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جده"⁽¹⁾.

6- التقدير

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: 20].

وفي اللغة: القدر يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء والقدر قضاء الله الأشياء على مبالغها ونهاياتها لها، ويقولون: رجل ذو قدرة، وذو مقدرة أي يسار"⁽²⁾.

أما شرعاً: "فهو ذو القوة، وقوته سبحانه لا يطرأ عليها ما يطرأ على القوى المخلوقة من وهن وفتور، أو تلاشي وزوال، فهو لا يعياً بخلق شيء، ولا يمسه من ذلك نصب ولا لغوب، وجميع القوى المخلوقات هي له سبحانه فهو الذي أودع المخلوقات وما فيها من قوة ولو شاء سلبها"⁽³⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (التقدير):

إن من مقتضى الإيمان بهذا الاسم ينبغي على المؤمن أن يدرك كمال قدرة الله تعالى وأحاطتها بالأشياء جميعها صغيرها وكبيرها، من أكبر شيء فيها وهو خلق السموات والأرض إلى أصغر جزء فيها من الذرة وأشباه الذرة، وأن كل شيء في قبضته وأمره بيده، قدر الأمور والأشياء وفق مشيئته وقدرته فهو القوي الكامل القدرة "ولكمال غناه استحال إضافة الصاحبة والشريك والشفيع بدون إذنه إليه، ولكمال عظمته وعلوه وسع كرسيه السموات والأرض، ولم تسعه أرضه ولا سمواته، ولم تحط به مخلوقاته، بل هو العالي على كل شيء، وهو بكل شيء محيط"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المحرّتين، 171، 172.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 288/2.

(3) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية 462/2.

(4) ابن قيم الجوزية: طريق المحرّتين، 168.

ومن كمال قدرته "أنه سبحانه لا يعاقب أحد بغير فعله، ولا يعاقبه على فعل غيره، ولا يعاقبه بترك ما لا يقدر على فعله، ولا على فعل ما لا قدرة على تركه، وأنه حكيم كريم جواد ما جد محسن، ودود صبور شكور، يطاع فيشكر ويعصي فيغفر"⁽¹⁾.
 فمن عرف ذلك كله أثمره لديه الإجلال والمهابة، كما قال العز بن عبد السلام:
 "ومن ثمرة معرفة هذا الاسم (القدير) "الإجلال والمهابة، ورجاء الإنعام، وخوف الانتقام
 لشمول قدرته لأنواع ما نفع وضرر، وساء وسر"⁽²⁾.

7- المهيمن

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة في كتابه العزيز لقوله: ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ﴾ [سورة الحشر: 23].

وقوله في اللغة عدة معان قيل: الهيمنة هي القيام على الشيء والرعاية له وقيل: معناه الأمين، وهو أمنٌ غيره من الخوف، وقيل المهيمن الشهيد، وقيل: الرقيب والحافظ"⁽³⁾.
 وأما في الشرع: فهو مرتبط بالمعنى اللغوي فلا يخرج معنى الاسم عما ورد عند أهل اللغة كما ذكر ذلك القرطبي عن قول جماعة من أهل العلم، في معنى الاسم فقال: المهيمن معناه الشاهد، وقيل الحافظ، وقيل المصدق، وقال ابن عباس: ومهيماً عليه أي مؤتمناً عليه وقيل: القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، أي مهيمناً على جميع الكتب السابقة"⁽⁴⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم:

إذا علم المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة أدرك لا محالة أن الله شاهد ورقيب عليه، لا تخفى عليه خافية يعلم سره وعلا نيته، كما أنه القائم على أحوال خلقه من الأعمال والأرزاق والآجال بإحاطة تامة وعلم كامل وحكمة بالغة، أثمر ذلك لديه مراقبة لنفسه لعلمه أن الله تعالى مطلع عليه تحت هيمنته وسيطرته، كما أن من هيمنة

(1) المصدر نفسه، 168.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 73.

(3) الزجاج، أسماء الله الحسنى، 33، وابن منظور، 141/9، 142.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، يسير 210/6.

الله على الأشياء كلها، يثمر لديه الإيمان بأن كتابه الذي أنزله على نبيه هو المهيمن على كل الكتب السابقة، كما أن نبيه هو خاتم الأنبياء والرسل.

8- العزيز:

اسم من أسماء الله تعالى العزيز بالكتاب قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة الزمر: 1].

والعزيز في اللغة معناه: قال الزجاج، العزيز: أصل عزز في الكلام القلبة والشدة، ويقال عزني على الأمر إذا غلبني عليه⁽¹⁾. وقال ابن فارس: "يدل على شدة، وقوة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر. قيل: العز لله جل ثناؤه، وهو من العزيز، ويقال: عز الشيء حتى لا يكاد يوجد"⁽²⁾.

أما في الشرع: فالعزيز هو القوي الذي لا يغلب ولا يقهر، ومنه جاء المعنى الشرعي للعزيز، قال ابن قيم الجوزية: "وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء، وإنه لكامل عزته حكم على العبد وقضى عليه، بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء حال بين العبد وقلبه، وجعله مريداً شائياً كما شاء منه العزيز الحكيم وهذا من كمال العزة إذ لا يقدر على ذلك إلا الله، وغاية المخلوق: أن يتصرف في بدنك وظاهره، وأما جعلك شائياً لما يشاءه ويريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة"⁽³⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (العزيز)

أن من أثبت العزة لنفسه سبحانه في كتابه وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم وأن سلطانه وقهره صفته التي أقام بها ملكه وأنه لا أحد يتصرف في ملكه إلا بعزته وسلطانه فإن عرف المؤمن كل ذلك علم يقيناً أن القوة والغلبة لا تكون إلا له سبحانه، وأنه يمتنع على أعدائه أن يصلوا إليه، بكيدهم ومكرهم، فالعزة لا تكون إلا له ولرسوله ولأنصاره من عباده المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: 8]، وحظ المؤمن ونصيبه من هذا الاسم على قدر مرتبته ودرجته في العبادة

(1)الزجاج، تفسير الأسماء الحسنى، 33.

(2)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 122/2.

(3)ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 158/1.

فكلما قويت فيه هذه الصفة وعزت امتلك القوة والمنفعة، وكان العدو أهون في عينه منه، وهذا مقصد من مقاصد الإيمان بهذا الاسم، وأضاف ابن قيم الجوزية جملة من الآثار والشمار فقال:

أ- فإذا عرف العبد سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له، لأنه يصير مع الله لا مع نفسه.

ب- ومن معرفة عزته في قضائه: أن يعرف أنه مدبر مقهور، ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليل حقير، وفي قبضة عزيز حميد.

ج- ومن شهود عزته أيضا في قضائه: أن يشهد أن الكمال، والحمد والغناء التام، والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم، والعيب والظلم والحاجة وكلما ازداد شهوده لذله ونفسه، وعيبيه وفقره، ازداد شهوده لعزة الله، وكماله، وحمده وغناه وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة.

د- ومنها أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية، فإذا شهد جريان الحكم وجعله فاعلاً لما هو مختار له، مرید بإرادته ومشيتته واختياره، فكأنه مختار غير مختار، مرید غير مرید، شاء غير شاء، فهذا يشهد عزة الله وعظمته، وكمال قدرته⁽¹⁾.

هـ- فهذه بعض الثمرات إلى جانب تحقيق ثمرات آخر يجنيها العبد من خلال معرفته لهذا الاسم. قال العز بن عبد السلام: "العزیز، إن أخذ من الغلبة فهو كالقهار، وثمره معرفته الخوف وإن أخذ من الامتناع من الضيم، فلا تخلق به إلا بعض الغيوم، كغيم الكفار والفجار وإن أخذ من الذي يعز ويجود مثله فهو سالب للنظير، فلا تخلق به إلا في التوحد بالطاعة والعرفان، على حسب الإمكان، بالنسبة لأبناء الزمان"⁽²⁾.

9- الجبار

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب: قال تعالى ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾⁽³⁾

[سورة الحشر: 23].

والجبار في اللغة له ثلاثة معان: -

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 58/1.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، 82.

أولها: العظمة والعلو والاستقامة، فالجبار: الذي طال وفات اليد، يقال فرس جبارٌ، ونخلة جبارة.

ثانيهما: والجبر أن تغني الرجل من الفقر، أو تجبر عظمه من الكسر.

ثالثهما: من الإجبار وهو القهر والإكراه⁽¹⁾.

أما شرعاً: نرى ابن قيم الجوزية يربط بين المعنيين اللغوي والشرعي فهو منه وداخل فيه ثم يحدد له ثلاثة معان:

أحدهما: أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده، ويجبر كسر القلوب المنكسرة من أجله الخاضعة لعظمته وجلاله.

ثانيهما: أنه القهار خضع، كل شيء لعظمته، وخضع كل مخلوق لجبروته وعزته فهو يجبر عباده مما أراد مما اقتضته حكمته ومشيئته، فلا يستطيعون الفكك منه.

والثالث: أن العلي بذاته فوق جميع خلقه فلا يستطيع أحد أن يدنو منه⁽²⁾.

فهو الاسم الجامع لكل معاني القهر من القوة والعزة والعلو والجبر المتصف بكل معاني الخير.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: الجبار

عندما يدرك العبد اتصافه سبحانه بهذه الصفة العظيمة والكريمة من جبر القلوب الكسيرة، والنفوس المريضة، والجيوب الفقيرة، فسبحانه كم أغنى من فقير، وعز من ذليل، ونصر من مظلوم، وأزال من شدة فإنه يلتجئ إليه لا محالة عند الحاجة لإيمانه بقدرته على قضاء حاجته وتفريج كربته.

كذلك من الإيمان بمقتضيات هذا الاسم أن المؤمن ينبغي أن يدرك أمراً هاماً وهو أن الجبار الذي خضع له ما في كون جميعاً وفق مشيئته وإرادته لا يستطيعون الخروج عن مراده أمراً ونهياً وكل شيء خاضع له بأمره وقهره ولا يخرج شيء عن مشيئته "بل إذا شاء من عبده أن يفعل فعلاً جعله قادراً عليه مريداً له محباً مختاراً لإيقاعه، وهو أيضاً قادر

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 256/10، ابن منظور، لسان العرب، 14/2، 15. الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 86.

(2) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية، 484/2.

على أن جعله فاعلاً له باختياره مع كراهيته له، وبغضه ونفرته عنه فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشئاتهم فهو سبحانه الذي جعلهم فاعلين له، سواء أحبوه أو أبغضوه، وكرهوه" (1).

كما ينبغي على المخلوق ألا يتصف بصفة الجبار لما فيها من العبث النقص والذم، كما قال ابن قيم الجوزية: "وأما المخلوق فاتصافه بالجبار ذم له ونقص" (2).

10- المتكبر

اسم من أسماء الله الحسنى الثابت بالكتاب قال تعالى ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [سورة الحشر: 23]. قال الراغب: "التكبر يقال على وجهين، أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر قال: "العزیز الجبار المتكبر".

والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشعباً وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [سورة غافر: 35]. من وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود، ومن وصف به على الوجه الثاني فمذموم (...) وقال: "على كل قلب متكبر جبار" بإضافة القلب إلى المتكبر، ومن قرأ بالتنوين جعل المتكبر صفة للقلب، والكبرياء الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه غير الله" (3).

إذا التكبر كما يفهم من معاني اللغة صفة مدح تطلق على وجه الخصوص في حق الله تعالى لما فيها من الحسن والمدح الزائدين الدالة على الكمال المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما غيره فهي صفة ذم فلا ينبغي على العبد الاتصاف بها لأنها صفة نقص في حقه.

والكبر لغة: قال ابن منظور: "نقيض الصغر. وأكبرت الشيء أي استعظمته، ومنه الاستكبار أي الامتناع من قبول الحق والمتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء" (4).

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 436.

(2) المصدر نفسه، 419.

(3) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 422.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 577/5.

وأما اصطلاحاً: فهو ما نقله ابن قيم الجوزية عن غيره من العلماء، فقليل: المتكبر من "تكبر عن السؤ والسيئات، فلا يصدر منه إلا الخيرات، والخيرات كلها منه، فهو الذي يأتي بالحسنات، ويذهب السيئات، ويصلح الفاسد، ولا يفسد الصالح". بل ما أفسد إلا فاسداً، وإن كان الظاهر الذي يبدو للناس صالحاً فهو يعلم منه ما لا يعلم عباده"⁽¹⁾

مقاصد الإيمان بهذا الاسم المتكبر.

عندما يدرك المؤمن أن الله متصف بصفة الكبر والعظمة والجبروت فلا شك أن ذلك يحدث في نفسه التواضع لله تعالى والذل له، فالكبر صفة مذمومة في حق العبد. فأول ذنب عصى به إبليس ربه هو الكبر، استوجب به الخلود في النار وسخط الرحمن ومن ناله نصيب من الكبر فقد ناله نصيب من الشيطان، ولا سبيل للخلاص إلا بالتوبة والاستغفار، فالكبر شرك عظيم بل هو أشد من الشرك، قال ابن قيم الجوزية: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: التكبر شر من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره.

قلت: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين كما قال تعالى في سورة الزمر وفي سورة غافر وفي سورة التنزيل: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة الزمر:60]

أخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذي طبع الله على قلوبهم فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَظْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [سورة غافر:35]، وقال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر))⁽²⁾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة النساء:48].

تنبيهاً على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن من ((تواضع لله رفعه))⁽³⁾ فكذلك من تكبر على الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصغره، وحقره"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسله، 228.

(2) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم 910.

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم 2588.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 72/2.

11- القدوس

اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة لقوله تعالى: هو ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [سورة الحشر: 23].

معنى الاسم لغة: (قدوس) لهذا الاسم معنيان في اللغة: أحدهما القدوس فعول من القدس وهو الطهارة، ومن هذه قيل السطل القدس لأنه يتقدس منه أي يتطهر، والقدس بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه. ثانيهما: أن القدس البركة، والأرض المقدسة أي المباركة⁽¹⁾.

أما في الشرع: فالقدوس المنزه عن كل شر ونقص وعيب⁽²⁾.

وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى تسمية الله تعالى بهذا الاسم في نونيته.

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه: بالتعظيم للرحمن⁽³⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم.

وهو أن ينزه الله تعالى عن كل نقص وعيب، ويوصف بكل كمال في الأسماء والصفات فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله- صلى الله عليه وسلم- فهو منزه في ذاته، منزه في أقواله وأفعاله. قال ابن قيم الجوزية: عند كلامه على قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق: 2]، والشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول لا إلى الخالق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه فإنه لا شر فيه بوجه ما، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى فإن ذاته لها الكمال المطلق والجلال التام، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً، ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ولعاد إليه منه حكم، تعالى الله وتقدس عن ذلك⁽⁴⁾ ويؤكد الإمام ابن قيم الجوزية على هذا المعنى قائلاً: "أن ما يفعله الله تعالى من العدل بعباده وعقوبة

(1) ابن منظور، لسان العرب، 267/7، 268.

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 558.

(3) ابن قيم الجوزية، الشافية الكافية، 179.

(4) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، 428، 429.

من يستحق العقوبة منهم خير محض، حيث يقول: إنه خير محض إذ هو محض العدل والحكمة، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى، ونحن لا ننكر أن الشر يكون في مفعولاته المنفصلة، فإنه خالق الخير والشر، ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال. أحدهما: أن ما هو شر، أو متضمن للشر، فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً له، ولا فعلاً من أفعاله.

الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبتته إلى من هو شر في حقه⁽¹⁾.

12- القهار

اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [سورة الرعد: 16].

والقهر في اللغة: له معنيان، الأول: "الرياضة والتذليل يقال قهر فلان الناقة إذا راصها وذلها"⁽²⁾، والثانية الغلبة والعلو يقال: قهره يقهره قهراً، والقاهر: الغالب⁽³⁾.

أما شرعاً: فهو سبحانه الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن وجميع الخلق فقراء إليه عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً وقهره تعالى لجميع خلقه مستلزم لكمال حياته وعزته واقتداره، إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان⁽⁴⁾. قال الخطابي⁽¹⁾ (القهار: هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت)⁽²⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، 29.

(2) الزجاج، تفسير أسماء الحسنى، 38.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 375/2.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 483/2.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: (القهار)

إن إدراك المؤمن لهذه الصفة صفة الغلبة والقهر، وإن ما في الكون جميعاً مقهورون بصفته فإن ما يصيبهم في هذه الحياة من بلايا ورزايا تحط عليهم ولا يستطيعون دفعها عنهم، فإن ما أصابهم كان قد كتبه الله عليهم وقدره لهم، فلا ملجأ ولا مهرب منه إلا إليه، وهذا ما يشعروهم بضعفهم وعجزهم أمام سلطانه وقوته فماذا فعل الجبابرة والملوك أما عظمة سلطانه وقهره. فلا ينبغي لنا إلا "الخوف الشامل والوجل الكامل، والتخلق به أن تقهر نفسك وعدوك، وكل قاطع يقطعك عن إصلاح أخراك"(3).

13- المجيد

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ [سورة هود: 73]، قال الزجاج "المجيد أصل المجد في الكلام الكثرة والسعة، وهو مأخوذ من قولهم أمجدت الدابة إذا أكثرت علفها. فالماجد في اللغة الكثير الشرف والله تعالى ذكره أمجد الأمجدين وأكرم الأكرمين"(4).
وأصل المجد في اللغة: اسم يدل على بلوغه النهاية في الكرم(5).

أما شرعاً: فإنه هناك توافق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي كما أشار بذلك ابن قيم الجوزية، فقال: "وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال كما يدل عليه موضوعه في اللغة دال على صفات العظمة والجلال"(6).

(1) الخطابي البستي أبو سليمان أحمد بن إبراهيم الحافظ اللغوي صاحب التصانيف ولد 310هـ- حدث عنه جماعة كثير ألف في فنون العلم وصنف وفي شيوخه كثرة من تصانيفه شرح السنن، وشرح الاسماء الحسنى وغيرها ت. 388هـ، الذهبي سير اعلام النبلاء 27-23/17.

(2) الخطابي، شأن الدعاء ، 53/1.

(3) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 84.

(4) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، 53.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 499/2.

(6) ابن قيم الجوزية، جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام، 174.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم: "المجيد"

إذا أدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة من الجلال والعظمة أقبل على تعظيمه وتمجيده من كل طريق يقربه إليه منه. كأداء الفرائض، والسنن وسائر الأعمال والقرب لاستحقاقه سبحانه لكل مدح وثناء، وتكريم وتمجيد "فالله سبحانه ذو الجلال والإكرام وهذا معنى قول العبد " لا اله إلا الله والله أكبر" فلا إله إلا الله دال على ألوهيته، وتفرده فيها فألوهيته تستلزم محبته التامة والله أكبر دال على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده، وتعظيمه وتكبيره⁽¹⁾.

كما أن من اتصف بهذه الصفات كان من مقتضى الإيمان بها "التخلق بها، ولا يحصل التخلق بالصفات إلا لمن واطب على التحديق إليها، والإقبال عليها، ولذلك أمرنا الله تعالى بإكثار ذكره لنلابس ما يثمره ذكره من الأحوال والأقوال والأعمال"⁽²⁾.

14- القوي

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [سورة الشورى: 19].

والقوة في اللغة: يدل على شدة وخلاف ضعف"⁽³⁾.

وأما شرعاً: "فهو ذو القوة، وقوته سبحانه لا يطرأ عليها ما يطرأ على القوى المخلوقة من وهن وفطور، أو تلاشى وزوال، فهو لا يعبأ بخلق شيء، ولا يمسه من ذلك نصب ولا لغوب وجميع القوى المخلوقة هي له سبحانه، فهو الذي أودع المخلوقات ما فيها من قوة، ولو شاء لسلبها"⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، 174، 175.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 93.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 376/2.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 462/2.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم "القوى":

متى علم العبد اتصاف الرب بالقوة المطلقة والقدرة المطلقة أوزعه ذلك إلى طاعته وامتثال أوامره، واجتناب مناهيه وترك معاصيه، بالاستعانة بحوله وقوته لإعانتة ومؤازرته والوقوف معه في شدته ومحنته وتفريج كربته قال ابن قيم الجوزية: "ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة، العرش، ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبتها إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر. وكذلك علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كمنقرة عصفور من البحر"⁽¹⁾ فإذا عرف المسلم هذه الصفة "تخلق بها بأن يكون قوياً في دينه، متيناً في يقينه، ملياً بطاعة مولاه"⁽²⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 372.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 90.

المبحث الثاني: مقاصد الأسماء الدالة على الإحاطة والمراقبة

وهي أسماء تبعث في النفس مراقبة الله في الحركات والسكنات، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة وهي:-

1- العليم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 97].

والعلم في اللغة: قال ابن فارس "نقيض الجهل، وقياسه العلم والعلامة"⁽¹⁾، فالعلم عنده يذكر بنقيضه وعلامته.

بينما نجد الراجب يتوسع في تعريف هذه الصفة ويحدد معانيها بدقة بحيث يشير إلى معناها الشمولي من جوانب عدة: فيقول: "العلم إدراك الشيء بحقيقته"، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه. والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات. ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي، وأعلمته، وعلمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في النفس".

وقيل: عنى به العلم الخاص الخفي على البشر يرونه ما لم يعرفهم لله منكرًا بدلالة ما رآه موسى منه لما تبعه فأنكر حتى عرفه سببه. وقال: العليم هو الله تبارك وتعالى".⁽²⁾

أما شرعاً: فقد ذكر ابن قيم الجوزية إحاطة علمه بجميع المعلومات من الواجبات والممتنعات والممكنات.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/159.

(2) الراجب، مفردات غريب ألفاظ القرآن، 356، 357. باختصار

وهو عليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان⁽¹⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (العليم):

عندما يدرك المؤمن اتصافه سبحانه بصفة العلم، وأن علمه أحاط بكل شيء، يعلم الأمور جميعها جليها وخفيها حالاً ومآلاً، وما كان فلا ريب أن ذلك يثمر لديه المراقبة، كما أن علمه أمام علم خالقه يضمحل ويتلاشى، لأن علم الله علم كمال وإحاطة والعاقل لا يدعى لنفسه كمال العلم والمعرفة قال تعالى في حق رسله حين يسألهم يوم القيامة: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة: 109].

قال ابن قيم الجوزية: "وهذا هو الأدب المطابق للخلق في نفس الأمر، فإن علومهم وعلوم الخلائق تتضمحل وتتلاشى في علمه سبحانه كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في ضوء عين الشمس فمن أظلم الظلم، وأبين الجهل، وأقبح القبيح، وأعظم القحة والجرأة أن يتعرض من لا نسبة لعلمه إلى علم رب العالمين عليه ويقدر في حكمته ويظن أن الصواب والأولى أن يكون غير ما جرى به قلمه، تنزيهاً لربوبيته وأهليته وعظمته وجلاله عما لا يليق به كل ما نسبه إليه الجاهلون الظالمون"⁽²⁾.

2- السميع

اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11].

والسمع لغة: هو إيناس الشيء بالإذن من الناس، وكل ذي أذن، تقول: سمعت⁽³⁾ الشيء سمعاً. وقال الراغب: "السمع قوة في الأذن به يدرك الأصوات وفعله يقال له السمع أيضاً، وقد سمع سمعاً، ويعبر تارة عن السمع بالأذن، وتارة عن فعله، وتارة عن الفهم، وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة، وقوله "لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون،

(1) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية ابن قيم الجوزية، 458/2.

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، 577.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 570/1.

يجوز أن يكون معناه، وهم لا يفهمون وأن يكون معناه فهمنا وهم لا يعملون بموجبه فهو حكم من لم يسمع".(1)

أما شرعاً: قال الراغب "فإذا وصفت الله بالسمع فالمراد به علمه بالمسموعات وتحريه بالمجازاة بها نحو قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ﴾ [سورة المجادلة:1].

"المدرک لجميع الأصوات، سرها وعلنها، فلا يخفى عليه شيء منها مهما خفت، بل جميع الأصوات بالنسبة إلى سمعه سواء، كما أن بعيدها والداني -أي القريب- سواء سمعه سبحانه حاضر، عند كل صوت منها لا تشبهه عليه ولا يختلط بعضها ببعض، ولا يتميز بعضها عن بعض بوضوح أو خفاء"(2).

مقاصد الإيمان بهذا الاسم

صفة السمع من الصفات التي تستوجب من المؤمن إثباتها له سبحانه على الوجه اللائق به تعالى، لما يتصف به من كمال هذه الصفة على أتم الوجوه، فهو يسمع السر وأخفى وعليه فمن مقتضى الإيمان بهذه الصفة أن يراقب المؤمن نفسه، فيحفظ عليه لسانه ولا يشنف آذانه بسماع الباطل من القول إلا بسماع ما يقربه إلى ربه من كلامه سبحانه وتعالى ليزداد هدى على هدى.

قال ابن قيم الجوزية: "وقد أمر الله به في كتابه، وأثنى على أهله، وأخبر أن البشر

لهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾ [سورة المائدة:108]، وقال: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [سورة

التغابن:16]، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ

هَدَيْنَاهُمْ لِلَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالُونَ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزمر: 17-18]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة الأعراف:204].

فالسمع أصل العقل، وأساس الإيمان الذي أنبنى عليه، وهو رائده وجليسه ووزيره، ولكن الشأن كل الشأن في المسموع، وفيه وقع خبط الناس واختلافهم وغلط

(1) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 255.

(2) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية ابن قيم الجوزية، 457/2.

منهم من غلط وحقيقة السماع تنبيه القلب على معالم المسموع وتحريكه عنها: طلبا وهرباً، وحباً وبغضاً فهو حاد بكل أحد إلى وطنه" (1).

3- البصير

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11].

وأصل بصير في اللغة: له معنيان الأول: العلم بالشيء، يقال هو بصير به والثاني من الرؤية وأبصرته إذا رأيته (2). وأضاف الراغب إلى ذلك "للقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر" (3)، وعلى هذا المعنى يكون للبصر معنيان حسي وعقلي يدرك بالقلب.

أما شرعاً: فـ "المقصود أن بصره محيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، خفيها ولطيفها، لا يستتر عنه شيء منها" (4).

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: البصير:

متى علم المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة على الوجه الأكمل والأتم وأنه مطلع على عباده لا شك أن ذلك يثمر له الخوف والمراقبة، فلا يقدم على معصية أو ذنب لعلمه أن الله يراه ويشاهده ومطلع عليه، "فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أنه يورث المؤمن ثمرتين من ثمار الإيمان: المراقبة والحياء من الله أن يراه في غير طاعة، وذلك أن الله تعالى "المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا يؤثر على رؤيته بعد المسافات والأقطار، ولا تحول دونها الحواجز والأستار فهو يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء" (5).

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 366/1، 367.

(2) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، 133/1.

(3) الراغب، غريب مفردات ألفاظ القرآن، 61.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية ابن قيم الجوزية، 357/2.

(5) المصدر نفسه، 57/2.

كذلك من مقاصد الإيمان بهذا الاسم أنه لا بد من توجيه البصيرة إلى "النظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسموات، فلا يكون نظر العبد إلا عبرة، فينظر في مصنوعات الله الدالة على كمال قدرته، وتمام حكمته وشمول علمه، ونفوذ إرادته"⁽¹⁾.

4- الحسيب

الحسيب اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء:6].

والحسب في اللغة: من العد، وحسن التدبير للأمر، والكفاية تقول شيء حساب أي كاف، ويقال: أحسبت فلانا إذا أعطيته ما يرضيه"⁽²⁾. وقال الراغب: "الحساب، استعمال العدد يقال: حسبت أحسب حسابا وحسابنا، قال تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَعَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [سورة يونس:5]، والحساب ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه. قال الراغب: "والحسيب والمحاسب من يحاسبك ثم يعير عن المكافئ بالحساب ويأتي الحساب بمعنى الجزاء، ويطلق على التوسعة في الرزق كما قال تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة:212].

والخلاصة أن أقوال أهل اللغة في بيان المراد من الحساب، تشير إلى أنه يرد بمعنى الكثرة في الشيء، والزيادة فيه والعدد والإحصاء والدقة في العدد دون زيادة ولا نقصان. أما شرعاً: نجد أن ابن قيم الجوزية قد تناول معنى هذا الاسم، عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال:64].

"أي والله وحده كإمنك وكافي اتباعك فلا تحتاجون معه إلى اخذ"⁽³⁾ ثم قال في النونية. وهو الحسيب كفاية وحماية والحسب كاف العبد كل أوان"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، شرح الأسماء الحسنى، 83.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 259/1، 296.

(3) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، 8/1.

(4) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية، 178.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

عندما يدرك المؤمن معنى اتصافه سبحانه وتعالى بهذا الاسم، يثمر له المراقبة والخوف والمحاسبة، فالمؤمن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره، لعلمه ويقينه أن الله تعالى هو الرقيب عليه والحسيب في كل ما يصدر عنه من الأقوال والأفعال. كما يثمر له كنتيجة مترتبة على الخوف والمراقبة والمحاسبة. الطمأنينة والثقة في أن الله كما يثيب عباده الطائعين بالخير فكذلك يجازى أهل الشر بالشر في الدارين، بحسب قرب العبد من ربه أو بعده عنه قال ابن قيم الجوزية: "إن الله تعالى حسيب كل احد بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية، والنصرة كما أن بحسب متابعتة تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعتة، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتة فلا يتباعه الهدى والأمن والفلاح، والعزة والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

5- الرقيب

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب العزيز قال تعالى: ﴿

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: 1].

وفي اللغة: هو الحارس الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء⁽²⁾. فعيل بمعنى فاعل، والرقيب الحفيظ، وارتقبه: انتظره ورصده، والترقب الانتظار، وكذلك الارتقاب، والترقب: تنظر وتوقع شيء، ورقيب الجيش طليعتهم وارتقب أشرف وعلا والمرقب والمرقبة: الموضع المشرف، يرتفع عليه الرقيب.

وقال الزجاج: "المراقبة الاستحياء والحياء ضرب من التحفظ أيضا"⁽³⁾، والمعنى أن من راقب نفسه استحيا أن يضعها في غير موضعها من المعصية وعدم الطاعة.

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، 9/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 208/4.

(3) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، 51.

أما شرعاً: نجد أن القيم قد جمع صفات المراقبة كلها في قوله: "والمراقبة هي التقيد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة"⁽¹⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: (الرقيب):

إذا أدرك العبد أن الله تعالى أحاط سمعه وبصره بجميع المسموعات والمبصرات جليلها ودقيقها، وما تخفى الصدور من وساوس وخطرات، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أثمر ذلك لديه مراقبة نفسه في جميع أحوالها وتصرفاتها، وحفظها من كل قول وعمل يسخطه ويبغضه ويبعده عن ربه سبحانه وتعالى قال ابن قيم الجوزية: "المراقبة" دوام علم الرب وتيقنه باطلاع الحق عز وجل على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين.⁽²⁾

أما ثمار هذه المراقبة فإنه "كلما ازداد قرباً من الحق، ازداد له تعظيماً، وذهولاً عن سواه وبعداً عن الخلق كما يورث له السرور والفرح واللذة، فإن سرور القلب بالله وفرحه به وقرّة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة، حتى قال بعض العارفين: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب، ولا ريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل، وبذل الجهد في طلبه، وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور ولا شيئاً منه، فليتهم إيمانه وأعماله فإن للإيمان حلاوة من لم يذوقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان"⁽³⁾.

قال صلى الله عليه وسلم: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً))⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 452/1.

(2) المصدر نفسه، 451/1.

(3) المصدر نفسه، 453-451/1.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً ومحمد رسولاً. حديث رقم

6- الشهيد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران: 18].

وشهد في اللغة: أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، وقيل بمعنى بَيَّن (1). "واليوم المشهود يوم القيامة لأنه معلوم كونه لا محالة فكان معنى الشهيد العالم". (2)
أما شرعاً: قال ابن قيم الجوزية "الشهيد" الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله... ومن كماله المقدس اطلاعه على كل شيء وشهادته عليه بحيث لا يغيب عنه وجه من وجوه تفاصيله، ولا ذرة من ذراته باطناً وظاهراً (3).

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم "الشهيد":

إذا استشعر المؤمن أن الله تعالى متصف بهذا الاسم وهذه الصفة أثمر لديه حالة من الخوف والمراقبة قال ابن قيم الجوزية: "ومن ثمار الإيمان بهذا الاسم شهادته تبارك وتعالى بما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت، والطمأنينة بكلامه ووحيه، فإن العادة تحيل حصول ذلك بما هو من أعظم الكذب والافتراء على رب العالمين، والأخبار عنه بخلاف ما هو عليه من أسمائه وصفاته بل ذلك يوقع أعظم الشك والريب، وتدفعه الفطر والعقول السليمة، كما تدفع الفطر التي عليها الحيوان الأغذية الخبيثة الضارة التي لا تغذى كالأبوال والانتان خلافاً للفطرة السليمة التي فطر الناس عليها" (4) فإن الله سبحانه فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل، والنفور عنه، والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت إلا إليه، ولا اطمأنت إلا به، ولا أحبت غيره، ولهذا ندب الله عباده إلى تدبر القرآن فإن كل

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 629/1.

(2) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، 53.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 573/2، 574.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 577/2.

من تدبره أوجب له تدبره علماً ضرورياً، وبقيناً جازماً أنه حق وصدق، بل أحق كل حق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً ومعرفة" (1).

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 577/2.

المبحث الثالث: مقاصد الأسماء الدالة على البر والإحسان والحسن والجمال أولاً- الأسماء الدالة على البر الإحسان

وهي أسماء تبعث في النفس محبة لله وخضوع له وافتقار اضطرار إليه في كل وقت وكل حال ، وهي صفات إذا آمن بها العبد أثمرت لديه قوة الرجاء رجاءه بالله وطمعه فيما عنده ، وإنزال حوائجه به واحتياجه له وهي:-

1-الصبور

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالسنة، قال صلى الله عليه وسلم "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له ولدأ وهو يعافهم ويرزقهم"(1).

والصبر في اللغة: وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على كذا حبستها(2).

أما شرعاً: فقد أشار إليه ابن قيم الجوزية موضحاً الفرق بين صفة الخالق والمخلوق فقال: "أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به، وتنزيها له بصيغة المبالغة وصبره يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة.

منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: لا يخاف الفوت، والعبد إنما يستعجل الخوف بالفوت، ومنها: أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن، ولا نقص بوجه ما(3).

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الصبور):

إذا علم العبد وأدرك معنى أتصافه سبحانه بهذه الصفة العظيمة الصبر على أذى أعدائه من خلقه يرزقهم ويكسوهم، ويعبدون غيره فلا يعالجهم بالعذاب والانتقام ويملي لهم ويمهلهم أثمر ذلك لديه الرجاء، وحثه على التوبة والإنابة.

قال ابن قيم الجوزية: "وأما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد، وشركهم، ومسبتهم له سبحانه وأنواع معاصيهم وفجورهم، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على كيدهم ويمهلهم، ويستصلحه ويرفق به، ويحمل عنه، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم، ولا ينيب إلى ربه ويدخل

(1) اخرج البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (أن الله هو الرزاق) ، حديث رقم 7378.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 31/2.

(3) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين 260.

عليه لا من باب الإحسان والنعمة، ولا من باب البلاء والنقم أخذه أخذ عزيز مقتدر، بعد غاية الأعدار إليه، وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب، وهذا كله من موجبات صفة حلمه، وهي صفة ذاتية له لا تزول⁽¹⁾. ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم: أن يتخلق المؤمن بالصبر فلا يجزن ولا يجزع فإذا أصابته مصيبة صبر وفوض أمره إلى الله تعالى فسبحانه قد أمر عباده بالصبر وتعهد الصابرين منهم على البلاء بالأجر والثواب الجزيل كما أنه سبحانه يحب الصابرين من عباده، وأنه معهم بنصره وتأييده لهم.

2- الرشيد

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [سورة الكهف: 17].

والرشد في اللغة: يدل على استقامة الطريق، والرشد خلاف الغي⁽²⁾.

أما اصطلاحاً: "الرشيد هو الذي قوله رشد، وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضال، فيهديه إلى الصراط المستقيم بيانا وتعليماً وتوفيقاً، فالرشد الدال عليه اسمه الرشيد وصفه تعالى، والإرشاد لعباده فعله"⁽³⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الرشيد):

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه سبحانه بصفة الرشد في الأقوال والأفعال وفي الأمر والنهي، فسبحان من ارشد الخلائق إلى تحصيل أرزاقها وأقواتها، والسعي إلى معاشها، وتسيير سبل حياتها، وتوجيهها إلى ما فيه فلاحها وصلاحها وأعظم فلاحها إرشادها إلى عبادة بارئها وطاعة رسله، وأنبيائه.

فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم "الرشيد" أن يحمل المؤمن على عاتقه أمانة الدعوة إلى الله بإرشاد الناس إلى المنهج الإلهي الصحيح، ومحاربة الضلال والبدع، لأن الرشد كل الرشد في طاعة الله، والغي كل الغي في معصية الله.

3- القريب

(1) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، 260، 261.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 467/1.

(3) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 485/2.

اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [سورة هود:61]

وفي اللغة: القرب خلاف البعد⁽¹⁾.

أما شرعاً: فالقرب المقصود خلاف ما يظن بعض أن القرب المقصود قرب على عمومه إنما هو قرب خاص من عابديه كما قال ابن قيم الجوزية "إن قرب الله تعالى إنما ورد خاصاً لا عاماً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإجابة، ولم يجيء القرب كما جاءت المحبة خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً كقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:186]، فهذا قربه من داعيه وسائله به⁽²⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم: (القريب)

إذا علم المؤمن أن الله تعالى قريب من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإجابة سعى في تكميل مراتب العبودية ليحظى بالقرب الخاص الأخص من قرب العبادة وقرب الإجابة، كما أخبر الصادق المصدوق: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))⁽³⁾. وهو أخص من قرب الإجابة وقرب الإجابة الذي لم يثبت أكثر المتكلمين سواه بل هو قرب خاص من الداعي والعابد⁽⁴⁾ "وهو قرب يقتضي المحبة والنصرة والتأييد في الحركات والسكنات والإجابة للداعين والقبول والإجابة للعابدين وإذا فهم القرب بهذا المعنى في العموم والخصوص لم يكن هناك تعارض أصلاً بينه وبين ما هو معلوم من وجوده تعالى فوق عرشه فسبحان من هو علي في دنوه، قريب في علوه"⁽⁵⁾.

ومن ثمرة معرفة هذا الاسم

التوجه إلى الله كلية في كل شيء بأن "لا يسأل أحد إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفوض الأمور إلا إليه، ولا يطلب الحوائج إلا منه، ولا يسأل دفع المكروه إلا منه

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 397/2.

(2) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسل، 424.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم 350.

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 638.

(5) ابن قيم الجوزية، شرح الاسماء الحسنى، 170.

سبحانه فلا يدعى ميت أو حي غائب أو عاجز لا يقدر، وهذان تمام التوحيد⁽¹⁾.

4- الجواد:

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالسنة، قال ﷺ: ((أن الله جواد يحب الجود))⁽²⁾.

والجواد في اللغة: السخاء. ورجل جواد سخي، والجمع أجواد، والجواد، وهو الفرس السابق الجيد وجاء المطر جوداً: وبل فهو جائد، والجود الكرم⁽³⁾.

وأما شرعاً: فنجد أن معناه في اللغة لا يخرج عن معناه في الشرع "فكلاهما يتفق في كثرة العطاء، وقد فصلَّ وبينَّ ابن قيم الجوزية هذا المعنى وجملاً بوضوح فقال: "فهو الجواد لذاته وجود كل جود خلقه الله، ويخلقه أبداً: أقل من ذرة بالقياس إلى جوده، فليس الجواد على الإطلاق إلا هو، وجود كل جواد فمن جوده، ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق أو يدور في أوهامهم"⁽⁴⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الجواد)

عندما يدرك المؤمن اتصاف المولى عز وجل بهذه الصفة من الجود والإغداق على عبيده من غير حساب، فهو أكرم الأكرمين وأجود الأجودين يجب جميع مواضع البر والإحسان قال ابن قيم الجوزية: "وفرحة بعطائه وجوده وأفضاله اشد من فرح الآخذ بما يعطاه، ويأخذه أحوج ما هو إليه ما كان قدراً، فإذا اجتمع شدة الحاجة، وعظم قدر العطية والنفعة بها فما الظن بفرح المعطي؟ وفرح المعطى بعطائه سبحانه أشد وأعظم من فرح هذا بما يأخذه ولله المثل الأعلى... فما الظن بمن تقدس وتنزه عن ذلك كله؟ ولو أن أهل سماوته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم وأنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما يسأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، وهو

(1) ابن قيم الجوزية، شرح الاسماء الحسنى ، 170.

(2) اخرج الترمذي، كتاب الادب، باب ما جاء في النظافة، حديث رقم 2799.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 255/2، 256.

(4) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 163/1.

الجواد لذاته والعمو أحب إليه من الانتقام والرحمة أحب إليه من العقوبة والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع"⁽¹⁾.

فهذا شأنه سبحانه وتعالى يفرح بالعطاء، والعطاء أحب إليه من البخل والإمساك ولذا كان من مقتضى الإيمان أن يكون جواداً كريماً يتحلى بهذا الوصف ويكون له منه نصيباً في جميع مواضع الجود، كالجود:-

أ- "الجود بالنفس وهو أعلى مراتبه.

ب- الجود بالرياسة، وهو ثاني مراتب الجود، ويحمل الجواد جوده على امتهان رياسته والجود بها الأثار في قضاء حاجات الملتمس.

ج- الجود براحته ورفاهيته واجمامه نفسه، فيجود بها تعباً وكداً في مصلحة غيره.

د- الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود والجود به أفضل من الجود بالمال.

هـ- الجود بالنفع بالجاء كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه.

الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه.

و- الجود بالعرض.

ح- الجود بالصبر والاحتمال والاعضاء وهذه مرتبة شريفة من مراتبه، وهي انفع لصاحبها من الجود بالمال.

ط- الجود بالخلق والبشر والبسطة، وهو فوق الجود بالصبر.

ي- الجود بتركه ما في أيدي الناس عليهم، فلا يلتفت إليه ولا يستشرف له قلبه"⁽²⁾.

5-المجيب

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁽³⁾

[سورة غافر: 60].

وفي اللغة: وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول والإجابة رجع الكلام

نقول أجابه عن سؤاله، والإجابة والاستجابة بمعنى، يقال: استجاب الله دعاءه"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، 1/163.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 44-41/2 مختصراً.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 2/249.

أما شرعاً: "المجيب اسم فاعل من الإجابة وإجابته سبحانه وتعالى: نوعان: إجابة عامة: لكل من دعاه دعاء عبادة، أو دعاء مسألة.

فدعاء العبادة: وهو الذي يقصد منه الثناء على الله بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا، من غير أن يقترن ذلك بطلب حاجة من الحاجات كسعة رزق أو نصر على عدو. أو هداية قلب.... وهو لا يقع إلا من العابدين.

وأما دعا المسألة فهو أن يقول العبد اعطني كذا أو دفع عني كذا، فهذا يقع من الناس كلهم برهم وفاجرهم والله يستجيب لمن يشاء⁽¹⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم "المجيب":

إذا أدرك العبد حقيقة هذا الوصف وهذه الصفة العظيمة، من إجابة الدعاء والسؤال بالعتاء، وإجابة المضطر إذا دعاه، وإغاثة المهلوف، وكشف السوء عمن ناداه أثمر ذلك زيادة في إيمانه وقوي يقينه بربه، وزاد تعلقه به طمعاً وخوفاً ورجاءً فلا أحد يستطيع أن يكشف عنه ضره، ولا يعطه من غير من إلا هو سبحانه فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم "التخلق به إجابة مولاك فيما دعاك إليه من قرباته، وبإجابة كل داع دعاك إلى ما يرضى مولاك من طاعاته وعباداته"⁽²⁾.

6- المنان

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: 164].

ومن في اللغة القطع: والمنين الحبل الضعيف، والمن الإحسان بغير اعتداء على المحسن إليه، والمنان المعطي ابتداءً، والله المنة على عباده، ولا منة لأحد عليهم والمن الأذى، أن تمن بما أعطيت وتعتد به كأنك إنما تقصد به الاعتداء⁽³⁾.

أما شرعاً: المنان "هو عظيم المواهب فانه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن وأنعم فأجزل وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، ومن أعظم النعم بل أصل

(1) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 476/2.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والاحوال، 93.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 377-374/8.

النعم التي أحسن الله بها عباده إلى الامتنان بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنقذهم الله به من الضلال وعصمهم به من الهلاك" (1).

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (المنان)

عندما يدرك المؤمن أن الله تعالى هو المعطي المتفرد بالعتاء بأنواعه ابتداء منه عطاء، بكثرة واستشعر مدى عظمة الله وسعة عطائه الذي لا حدود له، فاستوجب ذلك أن كون له حظ ونصيب من التخلق والتزين بهذه الصفة فيجزل العطاء والصنع ويحسن رد الجميل فيعطف على الفقير والمسكين.

قال ابن قيم الجوزية: "فإذا وصل إلى القلب نور صفة المنة، وشهد معنى اسمه المنان وتجلى سبحانه على قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه الأول، ذهل القلب والنفس وصار العبد فقيراً إلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأول، فصار مقطوعاً عن شهود أمر أو حال ينسبه إلى نفسه بحيث يكون بشهادته لحالة مفصوماً مقطوعاً عن رؤية منة خالقه وفضله ومشاهدة سبق الأولية للأسباب كلها، وغائب بمشاهدة عزة نفسه عن عزة مولاه، فينعكس هذا الأمر في حق هذا العبد الفقير وتشعله رؤية عزه ومولاه ومنته، ومشاهدة سبقه بالأولية عن حال يعتز بها العبد أو يشرف بها" (2).

7- التواب

التوبة اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37].

وفي اللغة: التوب تدل على الرجوع يقال تاب من ذنبه، أي رجع عنه (3).

أما شرعاً: "فهو الكثير التوب، بمعنى: الرجوع على عبده بالمغفرة وقبول التوبة" (4) على أن تكون التوبة مشروطة بما يلي " ما لم يغرغر، أو تطلع الشمس من مغربها فإذا ظهرت أمارات القيامة الصغرى بالغرغرة، أو الكبرى بطلوع الشمس من المغرب، أغلق

(1) ابن قيم الجوزية، شرح الاسماء الحسنى، 206، 207.

(2) ابن قيم الجوزية، طريق المحترتين، 45.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 184/1.

(4) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 481/28.

باب التوبة⁽¹⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

إذا أدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بهذه الصفة التوبة، المشتقة من اسمه التواب، صيغة المبالغة أي أنه يتوب على عبده كلما أذنب ذنباً أو أخطأ خطأ ورجع إلى ذنبه مرة أخرى ثم تاب إلى ربه، وكلما أخطأ تكررت التوبة تكرار القبول أدرك رحمة الله وروحه وأنه لا يأس من رحمته فيثمر كل ذلك لديه.

أ- رجاء توبته عليك، وأن تحث المسيء على التوبة، وتحرضه على الأوبة⁽²⁾.

ب- وإذا كان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده بعد اجترائهم عليه فحرى بالعبد أن يقبل معاذير المجرمين ممن أسأوا إليه وندموا من جرأتهم عليه ولو مرة بعد أخرى⁽³⁾.

8- البر

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور: 28].

والبر في اللغة: الصدق والطاعة، وقيل البر الصلاح والخير والتقوى، وقال بعضهم: كل ما تقرب به إلى الله عز وجل من عمل خير فهو اتفاق⁽⁴⁾.
أما شرعاً: فقال ابن قيم الجوزية: "ومن أسمائه البر، وهذا البر من سيده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم"⁽⁵⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (البر):

أن اتصافه سبحانه بهذه الصفة العظيمة من البر من الإحسان والمعروف إلى الخلائق وإمهال المسيء والعاصي، فلا يعاجله بالعقوبة والذنب قبل التوبة، ما يجعل المؤمن يدرك مدى كرم الله وعفوه ما يبعث في النفس الأمل بالرجوع إلى الله بالتوبة

(1) المصدر نفسه، 482/2.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 91.

(3) ابن قيم الجوزية، شرح الاسماء الحسنی، 85.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 380/1، 381.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 158/1.

والأوبة، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، يقول ابن قيم الجوزية: في لطائف أسرار توبة العبد: ومنها:

أ- أن يعرف-العبد- بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء بره لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بره ومن أسمائه "البر" وهذا البر من سيده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيستقل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكلام، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته، وشهود ذل معصيته، فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه: هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

ب- ومنها شهود حلم الله في راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل.

ج- ومنها معرفة العبد، كرم ربه في قبول العذر منه... فيوجب له ذلك اشتغالا بذكره وشكره.

د- ومنها أن يشهد فضله في مغفرته، فإن المغفرة فضل من الله⁽¹⁾.

9- القابض والباسط

اسمان من أسماء الله تعالى الثابت بالكتاب قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة: 245].

القبض والبسط لغة: (قبض)، قال ابن فارس: القاف، والباء والضاد أصل واحد صحيح يدل على شيء مأخوذ، وتجمع في شيء تقول قبضت الشيء من المال وقبضا والقبض بفتح الباء، ما جمع من الغنائم، وحصل (...). وأما القبض الذي هو الإسراع، فمن هذا إذا أسرع جمع نفسه وأطرافه⁽²⁾.

أما البسط من بسط، "الباء والسين والطاء أصل واحد وهو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض، فالبساط ما يبسط، والبساط الأرض، يقال: مكان بسيط وبساط، قال الشاعر:

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 158/1، 159.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 382/2.

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لا يدي الناعجات عريض
ويد فلان بسط: إذا كان منفاقا، والبسطة في كل شيء السعة وهو بسيط الجسم
والباع والعلم".(1)

فالرابط بين المعنى اللغوي والشرعي للقبض والبسط نجد أن العلاقة بين المعنيين
لا تخرج عن معناها الشرعي، فالقابض هو الذي يجمع الأشياء بعد تفرقها في سرعة، كما
يقبض الروح من الجسد.

والبسط تعبير عن سعة وانتشار وكرم، والله تعالى من صفاته القبض والبسط في
قوة وسرعة وجودا وكرما على وجه الكمال والجلال والرحمة والجمال.

أما شرعاً: قال الخطابي، "فالقابض الباسط هو الذي يوسع الرزق ويقتره ويبسطه بجوده
ورحمته، ويقبضه بحكمته على النظر لعبده كقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا
فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [سورة الشورى:27]، فإذا زاده لم يزده سرفا
وخرقا، وإذا نقصه لم ينقصه عدما ولا بخلا، وقيل: القابض هو الذي يقبض الأرواح
بالموت الذي كتبه على العباد".(2)

قال ابن قيم الجوزية:

هو قابض هو خافض وهو رافع بالعدل والإحسان
وفي الشرع "فهو سبحانه القابض الباسط: يقبض الأرواح عن الأشباح عند
المات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء
ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبضه عن من يشاء
حتى لا تبقى طاقة"(3).

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين (القابض الباسط)

إذا شهد العبد المؤمن اتصاف الله بالقبض والبسط، بقبض الأرواح والأرزاق من
الأغنياء وبسط الأرواح في الأجساد بعد المات، ويبسط الرزق لمن يشاء ويضيق الرزق

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، 130/1.

(2) الخطابي، شأن الدعاء آية، 58.

(3) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 492/2، 493.

عمن يشاء يدرك لا محالة أن هناك ربا يستحق أن يؤله ويعبد فهو وحده أهل لذلك لا إله غيره ولا رب سواه فمن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين ما قاله ابن قيم الجوزية: عن حالتي القبض والبسط وأثرهما في المؤمن حيث قال: "القبض والبسط حالتان تعرضان لكل سالك يتولدان من الوفاء فيقبضه الخوف تارة، والرجاء تارة، فيقبضه ويبسطه الرجاء، ويتولدان من الوفاء تارة، والجفاء تارة، فوفاءؤه، يورثه البسط، ورجاؤه يورثه القبض ويتولدان من التفرقة تارة، والجمعية تارة، فتفرقته تورثه القبض، وجمعيته تورثه البسط، ويتولدان من الأحكام الواردة تارة، فوارد يورث قبضاً، ووارد يورث بسطاً، وقد يهجم على قلب السالك قبض لا يدري ما سببه، وبسط لا يدري ما سببه وحكم صاحب هذا القبض أمران:- الأول: التوبة والاستغفار، لأن ذلك القبض نتيجة جناية، أو جفوة ولا يشعر بها والثاني: الاستسلام حتى يمضي عنه ذلك الوقت، ولا يتكلف دفعه، ولا يستقبل وقته مغالبة وقهراً⁽¹⁾.

وهذا حال غالب الناس حيث يعرض لهم القبض والبسط، ففي الحالة الأولى قد يكون كما قال ابن قيم الجوزية إما نتيجة جناية، والثاني استسلام حتى يمضي عنه ذلك الوقت على اعتقاد بعض منهم فظن أنهم أقرب الناس إلى الله، وربما ارتكبوا ذنوباً وخطايا ولكنهم كانوا مع الرجاء أقرب منه إلى الخوف.

أما البسط، فقد ينشأ عن سببين: الأول، الوفاء لله مع علم ومعرفة، والثاني قد يعرض لبعض الناس من غير علم ولا معرفة ولكن حالهم حال أهل الوفاء اقبلوا على الله بأعمالهم الخيرة والنيرة فكانوا من أهل البسط.

ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين ألا يفردا تأديباً مع الله فله الكمال المطلق في ذاته وأوصافه وأفعاله. يقول الخطابي "وإذا ذكرت القابض مفرداً عن الباسط كنت كأنك قد قصرت بالصفة عن المنع والحرمان، وإذا أوصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين منبئاً عن وجه الحكمة فيهما"⁽²⁾.

ومن ثمرة معرفة هذين الاسمين: التخلق بهما: الخوف من قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة، قال العز بن عبد السلام: "والتخلق

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 103/2.

(2) الخطابي، شأن الدعاء، 57، 28.

بالبسط بأن تبسط برك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذرة،
والتخلق بالقبض بأن تقبض عن كل أخذ ما ليس له أهلاً، من مال وولاية وعلم،
وحكمة فلا تؤتوا السفهاء أموالهم فيتلّفوها⁽¹⁾.

10- المعطي والمنع

اسمان من أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر: 1]

ومن السنة قوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت))⁽²⁾ وفي
اللغة العطو يدل على أخذ ومناولة، فالعطو: التناول باليد، والعطاء اسم لما يعطي
والمنع⁽³⁾، خلاف الإعطاء، ومنعته الشيء منعاً، وهو ومناع، ويقال مكان منيع وهو في
عز ومنعة⁽⁴⁾.

أما شرعاً فقد لخص ابن قيم الجوزية هذين المعنيين في نونيته

هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشاء بحكمة والله ذو سلطان⁽⁵⁾

يؤخذ من هذا القول عطاءه سبحانه لمن يستحق العطاء، والمنع لمن لا يستحق
العطاء وكلاهما من عدله سبحانه وتعالى، ومن معاني المنع "التأييد والكفاية والإحاطة
والعزة، والنصرة على الأعداء"⁽⁶⁾.

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين: (المعطي والمنع)

أنه عندما يدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بالعطاء والمنع، وإن عطاءه لا حدود
له وأنه القادر على أن يمنح ولا يعطي فوض الأمر إليه وطرح الأوساط بينه وبين ربه،
وجعل الله هو الذي بيده مقاليد الأمور ومفاتيحها يعطي بعدل ويمنع بعدل كما يدرك
أن التأييد والنصر على الأعداء "بحسب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون العزة

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 92.

(2) أخرجه البخاري كتاب الاذان، باب الدعاء بعد الصلاة، حديث رقم 844.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 2/284.

(4) المصدر نفسه، 2/490.

(5) ابن قيم الجوزية: القصيدة النونية، 179.

(6) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد 1/8، 9.

والكفاية والنصرة كما أنه بحسب متابعتها تكون الهداية والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعتها، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتها، فلا يتبعه الأمن والهدى والفلاح، والعز والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلالة، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

"ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين إلا يفرد أحدهما عن قرينه لأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين"⁽²⁾. وحظ العبد من اسم الله المعطي التخلق به بأن يهيب ويعطي فلا يبخل لعطاءه للناس أي كان هذا العطاء مادياً أو معنوياً.

11- الرفيق

اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في السنة قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح: ((إن الله رفيق يحب الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))⁽³⁾.
والرفق في اللغة: خلاف العنف⁽⁴⁾.

أما شرعاً: "فهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم، وتأنس إليها طباعهم"⁽⁵⁾.
من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الرفيق):

إذا أدرك العبد المؤمن معنى هذه الصفة، قوى أمله في الله، ورحمته به فلا ييأس ولا يقنط، كما ينبغي عليه العمل بمقتضى إيمانه بهذه الصفة، أن "يأتي الأمور برفق وسكينة اتباعاً لسنن الله في الكون واقتداءً بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، تيسر له الأمور، وتذلل الصعاب، ولا سيما إذا كان ممن يتصدى لدعوة الناس إلى الحق، فإنه مضطر إلى استشعار اللين والرفق"⁽⁶⁾.

12- الكريم

-
- (1) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد ، 9/1.
 - (2) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 492/2.
 - (3) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم 2593.
 - (4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 476/1.
 - (5) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 375/2.
 - (6) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية ، 375/2.

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [سورة الانفطار: 6].

والكريم في اللغة: شرف في الشيء نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق⁽¹⁾. وقال الراغب: "إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه، وإنعامه المتظاهر (...) وإذا وصف به الإنسان، فهو اسم للأخلاق والأفعال التي تظهر فيه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكثيرة كمن ينفق مالا في تجهيز جيش في سبيل الله وتحمل حمالة ترقى دماء قوم".⁽²⁾

أما في الشرع: فقد أجمل ابن قيم الجوزية القول فيه فقال "الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال ووصفاً، ومنه كل خير فعلاً فهو الأكرم في ذاته وأوصافه وأفعاله"⁽³⁾. فهو الأكثر كرماً والذي يفوق عطاؤه ما سواه فهو يعطي لا عن استحقاق وما من نعمة إلا تنتهي إليه سبحانه.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الكريم):

عندما يدرك المؤمن اتصاف خالقه بهذه الصفة من الجود والكرم فإن ذلك يدفعه إلى السؤال والإلحاح في الطلب والدعاء لإيمانه بعبء ربه الذي لا حدود لعطائه وجوده، وإحسانه فالعبد يرفع يديه إلى السماء ويسأل ربه المن والعطاء إيماناً منه وتصديقاً بأن الله لا يرد عبده خائباً صفر اليدين؛ فمن جوده وكرمه سبحانه الإحسان إلى عباده وإكرامهم والإغداق عليهم بأصناف النعم من الرزق والصحة والعافية.

فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم، أن يعلم المؤمن أن الله تعالى أكرم الأكرمين وهو أحق من تسمى بهذا الاسم فلا يسأل غيره ولا يتوجه إلا إليه بالدعاء والطلب طمعاً فيما عنده "والتخلق بهما لمن أراد الوصول إليه بأن يجود بكل ما يقدر عليه من مال وجاه، وعلم حكمة وبر ومساعدة"⁽⁴⁾. وهذه صفة الكريم الجواد وعين الكرم.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/440.

(2) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، 444.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 1/319.

(4) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 1/319.

13- اللطيف

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام: 103]

واللطف لغة: يدل على رفق ويدل على صغر في الشيء فاللطف الرفق في العمل⁽¹⁾. أما شرعاً: قال الزجاج: "اللطيف في وصف الله: "يفيد أنه المحسن إلى عباده في صفاء وستر من حيث لا يعلمون"⁽²⁾، وهذا المعنى يفيد منتهى اللطف والرحمة حين قرن الإحسان بالستر. فاللطف نوعان: أحدهما: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار وخفيات الأمور، ومكونات الصدور، وما لطف، ورق من كل شيء، فهو يعلم جميع الوجوه الممكنة له بحيث لا يشذ شيء منها عن علمه وخبرته.

وثانيهما: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يمن عليه ويشمله بلطفه وكرمه ويرفعه إلى المنازل العالية، ويسره لليسرى، ويجنبه العسرى، فهو يجري عليه من أصناف المحن والوان البلاء، ما علم أن قمة صلاحه وسعادته وحسن العاقبة له في الدنيا والآخرة"⁽³⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم اللطيف:

إذا علم العبد أن الله تعالى متصف بهذه الصفة وأنه على علم تام كامل بدقائق الأمور وتفصيلاتها لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض إلا وهو مطلع عليها عالم بها، أثمر لديه المراقبة والمحاسبة في حركاته وسكناته في كل وقت وحين، لعلمه أن الله سيحاسبه على أعماله ما دق منها وصغر.

لذلك وجب عليه أن من عرف الله بهذه الصفة أن يثمر لديه "الخوف والمهابة والحياء من معرفته بدقائق أحواله وخفايا أقواله وأعماله إذ لا يعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء"⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 477/2.

(2) الزجاج، شرح أسماء الله الحسنى، 44.

(3) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 474/2.

(4) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 87.

ومن عرف الله كذلك بهذه الصفة وجب عليه التخلق بها والتحلي بها في معاملته
للخلق فيحسن منه أن يكون لطيفا ساترا لأحوال الناس حين تعامله معهم فلا
يكشف لهم عيبا ولا يهتك لهم سرا.

14-الحليم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب - قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة
الفرقان:6].

والحلم في اللغة: بالكسر الأناة والعقل⁽¹⁾.

أما شرعاً: "فهو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل
جاهل، ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم إنما الحليم هو
الصفوح مع القدرة" المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة"⁽²⁾. "الذي له الحلم الكامل الذي وسع
أهل الكفر والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة، رجاء أن يتوبوا،
ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من
العقوبات العاجلة المتنوعة ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم⁽³⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم، الحليم.

إذا أدرك المؤمن معنى هذه الصفة الجليلة والعظيمة أدرك سعة حلمه وعفوه
سبحانه الذي شمل خلقه من المؤمنين والكافرين وأنه أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة
والعذاب في الدنيا كما قال ابن قيم الجوزية: "وإذا أردت معرفة صبر الرب تعالى وحلمه
والفرق بينهما فتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر:41].

فأخبر سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السماوات والأرض، فالحلم
وإمساكها أن تزولا هو الصبر، فيعلمه صبر على معاملة أعدائه، وفي الآية إشعار بأن
السماوات والأرض تهتم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد فيمسكها بحلمه

(1) ابن منظور، لسان العرب، 574/2.

(2) الخطابي، شأن الدعاء، 53.

(3) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 470/2.

ومغفرته، وذلك حبس عقوبته عنهم وهو حقيقة صبره تعالى فالذي عنه الإمساك هو صفة الحلم، والإمساك هو الصبر، وهو حبس العقوبة، ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها فتأمله" (1).

فسبحانه من حلمه الذي يسبق غضبه أن يكون للمؤمن ثمرة من إيمانه بهذه الصفة كما قال العز بن عبد السلام "فاحلم عن كل من أذاك وظلمك وسبك، وشتمك فإن مولاك صبور حلیم، بر كريم، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما يفعلون" (2).

15- الشكور

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التغابن: 17].

وأصل الشكر في اللغة: يأتي على معنيين الأول الثناء على الإنسان بمعروف يوليكمه، ويقال أن حقيقة الشكر الرضا باليسير والثاني: الإمتلاء الغزر في الشيء يقال حلوبة شكرة إذا أصابت حظاً من مرعى فغزرت" (3).

والشكر في اللغة يأتي على ضروب عدة تفيد في أصلها المعنى الحقيقي للشكر. قال الراغب: "الشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النصيحة، وشكر اللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه".

ولا يكتمل الشكر إلا بهذه الثلاثة مجتمعة، فالشاعر لأنعم الله من عبر عن شكره بقلبه، وأثنى عليه بلسانه، يذكر محامده وعبر له بطاعة جوارحه وسعى في مرضاته.

وأما شرعاً: قال الخطابي: "الشكور هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب ويعطي الجزيل من النعمة، فيرض باليسير من الشكر" (4) وقيل: "الذي يتقبل أعمال عباده ويرضاها، ويثيبهم عليها، ويضاعفها لهم أضعافاً كثيرة على

(1) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة، الشاكر بن 261.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والاحوال، 84.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 622/1، 623.

(4) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 259.

قدر إخلاصهم فيها وإتقانهم" (1).

ويشير ابن قيم الجوزية أن الشكر مبنى على خمس قواعد أولها: خضوع الشاكر للمشكور، وثانيها حبه له، وثالثها: اعترافه بنعمته، ورابعها: ثناؤه عليه بها، وخامسها أن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر، وثناؤه يدور عليها فمن عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور" (2).

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الشكور):

من أسماء سبحانه الشكور وصفته الشكر فإذا عرف العبد أن الله تعالى متصف بهذه الصفة العظيمة التي يثيب بها عباده على ما أنعم عليهم من النعم إذا قاموا بحقها من الشكر، شكر المخلوق للخالق. أثمر ذلك لديه مزيداً من الطاعة والتقرب إليه بفضائل الأعمال والقرب طمعاً في زيادة الأجر والثواب، قال العز بن عبد السلام في التخلق بالشكر أن أخذ من ثنائه على عباده "فثمره معرفته ورجاؤك الدخول في مدحته بطاعته ومعرفته والتخلق به شكر مولاك وشكر أبويك وشكر كل من أحسن إليك" (3) قال ابن قيم الجوزية: من منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزله (الشكر) وهي من أعلى المنازل وهي فوق منزلة الرضى "وزيادة فالرضى مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه وهو نصفان نصف شكر ونصف صبر، وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسم من أسمائه، فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يصير الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده. وأهله هم القليلون من عباده قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة: 152].
...وسمى نفسه شاكراً وشكوراً، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين فأعطاهم من وصفه

(1) الخطابي، شأن الدعاء، 65.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 4/2.

(3) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 88.

وسماهم باسمه (...) وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً⁽¹⁾. وفي الصحيحين عن النبي أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ((أفلا أحب أن كون عبداً شكوراً))⁽²⁾. وحظ هذا الاسم أن يثمر لديه شكر من أسدى إليه معروفاً من الخلق.

16- الحفيظ

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة هود: 57].

وأصل معناه لغة: "الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم وتارة لضبط في النفس، ويضاده النسيان، وقيل: الحفظ يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية والحفيظ الحافظ للأعمال نحو الله حفيظ عليهم"⁽³⁾، الحفظ يدل على مراعاة الشيء: يقال حفظت الشيء حفظاً والتحفظ قلة الغفلة، والحفاظ المحافظة على الأمور⁽⁴⁾.

أما شرعاً: "فهو الذي يحفظ على عباده ما عملوه من خير أو شر، وعرف ونكر، وطاعة ومعصية بحيث لا يفوته من ذلك مثقال ذرة، وحفظه لهذه الأعمال بمعنى ضبطه لها وإحصائه إياها قبل أن يخلق السموات والأرض، وهو الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه لجميع المخلوقات تيسيره لها ما يقيها ويحفظ بنيتها وإلهامها تدبير شئونها، والسعي فيما يصلحها كما يحفظ أوليائه عما يضر إيمانهم أو يزلزل يقينهم"⁽⁵⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الحفيظ)

من اتصف بهذه الصفة العظيمة من الحفظ لا ريب أنها تثمر لدى المؤمن شعور بالثقة والاطمئنان لخالقه الذي تعهد بحفظه وحفظ شئونه في دينه ودنياه، ما يزيده ركونا

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 3/2.

(2) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي حتى ترم قدماه حديث رقم 1130.

(3) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 137. بتصرف.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 309/1.

(5) محمد خليل هراس، شرح نونية بن القيم، 472/2، 473، باختصار.

إليه، وتوكلا عليه، فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم "التخلق به بحفظ ما أمرت به بحفظه من الطاعات والأمانات، فإن الله قد مدح المحافظين لحدوده وبشرهم بإنجاز وعوده"⁽¹⁾.

17- المغيث

اسم من أسماء الله الحسنی الثابتة بالسنة، قال صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ اغْنِنَا اللَّهُمَّ اغْنِنَا))⁽²⁾.

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجب إغاثة اللهفان⁽³⁾.

وفي اللغة: أصله من الإغاثة، وهي الإغاثة والنصرة عند الشدة⁽⁴⁾. "والمغيث المطر"⁽⁵⁾ الذي يغيث به الإنسان والحيوان.

أما شرعاً: "اسم فاعل من الغوث، وهو تفريج الكرب، وإزالة الشدة فهو سبحانه المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها، وتقع في الشدائد والكربات"⁽⁶⁾. مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

عندما يدرك المؤمن اتصاف الرب جل جلاله بهذه الصفة من الإغاثة والإغاثة في الشدة، وعند نزول المصائب يثمر لديه الفزع واللجوء إليه سبحانه فلا ملجأ له إلا إليه، ولا مهرب منه إلا إليه، يسأله سبحانه الرحمة والمغفرة ويدعوه راجياً مؤملاً إغاثة وإعانتته وتفريج كربته وإزالة شدته فمن إله غيره يدعوه يسأله ويرجوه، "فإنه سبحانه لا يخيب أمل أمل ولا يضيع عمل عامل"⁽⁷⁾، فعندما يدرك المؤمن مقتضى هذا الاسم فحينها ينبغي عليه أن يتحلى بصفة الإغاثة والرحمة فيغيث الملهوف، ويرحم الضعيف، وييسر على المعسر وينصر المظلوم.

18- الوهاب

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 88.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة، حديث رقم 1014.

(3) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية، 177.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 306/2.

(5) الراغب، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، 380.

(6) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 478/2.

(7) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 359/1.

اسم من أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [سورة آل عمران: 8].

وفي اللغة: قال الزجاج: "الوهاب هو فعال من قولك وهبت أهب هبة والهبة تحليل الشيء بلا مثل والمثل في الشرع على وجهين قيمة وثمان والله تعالى وهاب الهيئات كلها".⁽¹⁾ الوهاب العطاء، وهبت له هبة، وموهبة، ووهباً، ووهباً، إذا أعطيته⁽²⁾. والمعنى أن الوهاب صفة مبالغة لا متناهية من العطاء على الوجه الأكمل منه.

أما شرعاً: "الوهاب: مبالغة من واهب، وهو الكثير الهبات والعطايا التي يتقلب فيها أهل سماواته وأرضه، والتي لا تنفك عنهم طرفة عين منذ أن خلق السموات والأرض"⁽³⁾ من غير مقابل قال الخطابي "الوهاب هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة ومعنى الهبة "التمليك بغير عوض يأخذه الواهب من الموهوب له، فكل من وهب شيئاً من عرض الدنيا لصاحبه، فهو واهب، ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت والمخلوقون إنما حال ولا يملكون أو نوالاً في حال دون حال ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم ولا ولدًا لعقيم، ولا هدى لضلال، ولا عافية لذي بلاء والله الوهاب -سبحانه- يملك جميع ذلك وسع الخلق جوده، فدامت مواهبه، واتصلت مننه، عوائده".⁽⁴⁾

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:

من أدرك أن الله تعالى متصف بهذه الصفة أطمأنت نفسه وازدادت ثقة في أمره سبحانه وتعالى، فما عند الله لا ينفذ ولا يزول، يهب لمن يشاء من عباده الرزق والملك والخير، وينزع ممن يشاء الملك والرزق كل ذلك بحكمته وعدله.

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران: 26].

(1)الزجاج، تفسير الأسماء الحسنی، 38.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 416/9.

(3) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية ابن قيم الجوزية، 488/2.

(4)الخطابي، شأن الدعاء، 53/1.

قال ابن كثير: وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذه الأمة، لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأبي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقليين الأُنس والجن الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبيا من الأنبياء ولا رسولا من الرسل⁽¹⁾. وقال في موضع آخر "يخبر الله تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما وأنه ما شاء كان ومن لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء"⁽²⁾.

ثمرة معرفة هذا الاسم: رجاء أنواع هباته وصلاته، والتخلق به بكثرة الهبات والصلوات مقدماً للآباء والأمهات، والبنين والبنات"⁽³⁾.

19- الرزاق

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات: 58].

وقال الراغب: "الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيويا كان أم آخرويا وللنصيب تارة لما يصل إلى الجوف تارة، ويتغذى به تارة (...)، والرازق يقال لخالق الرزق، ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالى، ويقال ذلك للإنسان الذي يصير سببا في وصول الرزق، والرزاق لا يقال إلا لله تعالى"، باعتباره صفة مبالغة دالة على الكمال ولا يملك الكمال إلا الله تعالى⁽⁴⁾.

وقال ابن منظور: الأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم"⁽⁵⁾.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 24/2.

(2) المصدر نفسه، 198/7.

(3) العز بن عبد السلام، شجرة الأحوال والمعارف، 92.

(4) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 199، 200. باختصار يسير.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 132/4.

وهذا التعريف يعد تعريفاً جامعاً للأرزاق الدالة على الرزاق المتصف بهذه الصفة على وجه الكمال.

والرزق في اللغة، عطاء الله جل ثناؤه، ويقال رزقه الله رزقاً⁽¹⁾.

أما شرعاً، "فمعنى الرزاق الكثير الرزق لعباده، الذي لا ينقطع عنهم امداده، وفواضله طرفة عين، والرزق كالخلق، صفة من صفات الفعل، وهو شأن من شئون ربوبيته، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً، والرزق رزقان، عام، وخاص العام: إيصاله لجميع خلقه كل ما يحتاجون إليه في جميع معاشهم، والثاني: الرزق الخاص، وهو المستمر نفعه في الدارين على يد رسله، وهو نوعان: أحدهما رزق القلوب بالعلم والإيمان والثاني: رزق الأبدان بالرزق الحلال"⁽²⁾.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم: (الرزاق)

وصف الله تعالى نفسه بالرزاق وهي صفة مبالغة من كثرة الرزق، فهو يرزق خلقه جميعهم دون أن ينقص ذلك من عطائه من مؤنة ولا كلفة، فمن عرف مقتضى هذه الصفة اطمأنت نفسه إلى عطاء ربه فلا يخاف ضيقاً ولا قلة يد.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت: 60].

قال ابن كثير: "أي لا تطيق جمعه، ولا تحصيله، ولا تدخر شيئاً لغد" الله يرزقها أي يفيض لها رزقها على صفتها وييسره عليها، فيبعث إلى كل من مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء"⁽³⁾ فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أن العبد يجب عليه ألا يخاف قلة اليد وضيق العيش: "فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين فإذا قال مثلاً: "اللَّهُمَّ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/462..

(2) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 2/489، 490، مختصراً.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/336.

ارزقني" أراد ما يصلح به قلبه من العلم والهدى، والمعرفة والإيمان وما يصلح به بدنه من الرزق الحلال الهنيئ الذي لا صعوبة فيه، ولا تبعة تعترية⁽¹⁾.

وكذلك من مقتضى الإيمان بهذا الاسم أن يعلم العبد المؤمن أن الله يرزق خلقه من غير مؤنة ولا مشقة فهو "رازق بلا مؤنة"⁽²⁾. فيزداد إيمانه بربه وقربا منه ومحبة له، فيدعوه هذا الإيمان وهذه المحبة التخلق بصفة العطاء والإرزاق.

20-الغفور

اسم من أسماء الله الثابتة بنص الكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: 28].

في اللغة: الغفر. الستر، والغفران يقال: غفر الله ذنبهم غفراً ومغفرة وغفرانا⁽³⁾. أما في الشرع: "هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عبادته ويزيده عفوهم على مؤاخذته⁽⁴⁾. فكأنه تعالى يقول إذا كنت ظالماً فأنا غافر، وإذا كنت ظلوماً فأنا غفور، وإذا كنت ظالماً فأنا غفار، فكلما أتيت من الذنب على قدر أتيت بالمغفرة على قدر.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم العظيم الغفور

عندما يدرك المؤمن معنى صفة المغفرة وأن فضل الله ورحمته بعباده أكبر من أن تدركها العقول أو تلم بها الأبصار فالله واسع الرحمة والمغفرة يمح الذنوب ويغفر الزلات والخطايا فلا يدخل إلى قلبه اليأس والقنوط ويعزم على التوبة والرجوع إلى الله كلما أذنب ذنباً أو أخطأ في حق دينه وحق نفسه قال ابن قيم الجوزية: "إن مغفرة الله وتجاوزه عن الذنوب والسيئات، فضل منه ورحمة عظيمة للعباد وهو غني عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم، لأنه سبحانه لا يضره كفرهم أصلاً ولا يغفر لهم خوفاً منهم لا جهلاً ولا

(1) محمد خليل هراس، شرح نونية ابن قيم الجوزية، 490/2.

(2) العز بن عبد السلام، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد العزيز بن باز، صالح الفوزان، احمد محمد شاكر، دار العقيدة، ط 1، 2004م، 65.

(3) معجم مقاييس اللغة 299/2.

(4) ابن قيم الجوزية، اشرح الأسماء الحسنى. 157.

عجزاً لأنه قوي عزيز ومن هنا كان قول المسيح: ﴿إِنْ تُعَذِّبِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة: 118].

أحسن من يقول: وإن تغفر لهم فانك أنت الغفور الرحيم، أي إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجعل يجرم الجاني لا يكون قادراً حكيماً عليماً، بل لا يكون ذلك إلا عجزاً، فانت لا تغفر إلا عن قدرة تامة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء في مواضعها⁽¹⁾.

ثمرة معرفة هذا الاسم ينبغي على المؤمن "التخلق به بستر عيوب الناس، وغفر ذنوبهم وإياك إظهار عيوبك، وإعلان ذنوبك، فإن إعلان الذنوب مسخط لعلام الغيوب"⁽²⁾.

21- الودود

اسم من أسماء الله الحسنى الثانية بالكتاب قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [سورة البروج: 14].

والود في اللغة: تقول وددته إذا أحببته، والودود في أسماء الله عز وجل المحب⁽³⁾.
أما شرعاً: قال ابن قيم الجوزية وأما الودود ففيه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى فاعل وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأوليائه وعباده المؤمنين.
والثاني: أنه بمعنى الودود وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره ونفسه وجميع محبوباته⁽⁴⁾ وقد جمع المعنيين في نونيته:

وهو الودود مجبهم ومحبه
أحبابه والفضل للمنان⁽⁵⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 30/1.

(2) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف، 84.

(3) ابن منظور، لسان العرب: 251/9.

(4) ابن قيم الجوزية، جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام، 173.

(5) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية، 177.

مقاصد الإيمان بهذا الاسم:(الودود):

إذا أدرك العبد معاني هذا الاسم العظيم وما يحمله من أسرار وحكم ، علم لا يقيناً إن الله تعالى يحب عباده ، ويتودد إليهم بإحسانه ولطفه وحبه ، قال ابن قيم الجوزية: "فمن ظهر له اسم الودود-مثلاً- وكشف له عن معاني هذا الاسم ولطفه، وتعلقه بظاهر العبد وباطنه: كان الحال الحاصل له من صغره مناسباً له، فكان حال اشتغال حب وشوق ولذة مناجاة، لا أحلى منها، ولا أطيب بحسب استغراقه في شهود معنى هذا الاسم، وحظه من أثره. فإن الودود. وإن كان بمعنى -المودود- كما قال البخاري في صحيحه: "الودود" الحبيب-واستغرق العبد في مطالعة صفات الكمال التي تدعو إلى حب الموصوف بها: أثمر له صفاء علمه بها، وصفاء حاله في تعبه بمقتضاها فإنه إذا شاهد بقلبه غنياً كريماً جواداً، عزيزاً، قادراً، كل أحد محتاج إليه بالذات وهو غني بالذات عن كل ما سواه، وهو مع ذلك- يود عباده ويحبهم، ويتودد إليهم بإحسانه وتفضله عليهم، كان له من هذا الشهود حاله صافية خالصة من الشوائب، وكذلك سائر الأسماء والصفات، فصفاء الحال بحسب صفاء المعرفة بها وخلصها من ذم التعطيل، وفرث التمثيل، فتخرج المعرفة من بين ذلك فطرة خالصة، سائغة للعارفين، كما يخرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين"⁽¹⁾. فإذا تحققت للمؤمن هذه المعرفة لاسمه الودود وصفته من الود، اشتغل قلبه بمحبته سبحانه، واشتاق إليه لذة وقرباً، ومناجاة، وانشغل به عماه سواه حتى استولى عليه وغمره بالكلية وصارت حياته قائمة به لا تنفك عنه ولا تسعد إلا بقربه ولا تهنأ إلا بذلها وخضوعها لبارئها.

ثانياً- الاسماء الدالة على الحسن والجمال

وهي أسماء تبعث في النفس البهجة والسرور ، والشوق الدائم والنزوع المستمر إلى رؤية الله تعالى ، والفرع إليه يوم القيامة فالله هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته و أفعاله وهي:-

1-الحي السدير

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 2/326.

وهما اسمان من أسماء الله تعالى "الثابتة بالسنة، قال ﷺ: ((إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين))⁽¹⁾.

وفي اللغة: الحياء، والاستحياء الذي هو ضد الوقاحة⁽²⁾.

أما الستر: كلمة تدل على الغطاء، تقول سترت الشيء ستراً، والسترة ما استترت به كائناً ما كان⁽³⁾.

أما شرعاً: فهو ما أشار إليه ابن قيم الجوزية بقوله خلافاً لحياء البشر "وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال⁽⁴⁾، حياء جامع لجميع الصفات على وجه الكمال لذاته العلية سبحانه تعالى عن كل نقص وتنزه عن كل عيب.

من مقاصد الإيمان بهذين الاسمين "الحيي والستير".

إذا علم المؤمن أن المولى عز وجل متصف بالحياء والستر. كان حريصاً أن يكون لديه نصيب منهما، كما قال صاحب المنازل "الحياء: من أول مدارج أهل الخصوص، يتولد من تعظيم منوط بود يعني أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة، فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء فمن الحياء: حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل هذه المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويسكته عن الشكوى، يعني أن العبد متى علم أن الرب تعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياءً منه يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده فإنه يكون نشيطاً فيه، محتملاً لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه، ومحبتة لسيده بخلاف ما إذا كان غائباً عن سيده، والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده، ولكن يغيب نظر القلب والتفاتة إلى نظره سبحانه إلى العبيد، فإن القلب إذا غاب نظره وقل التفاتة إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه: تولد من ذلك قلة الحياء والقحة وكذلك يحمله على استقباح جنايته وهذا الاستقباح

(1) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، حديث رقم 4012، قال ابن حجر إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 328/1.

(3) المصدر نفسه، 586/1.

(4) ابن قيم الجوزية مدارج السالكين 17/2.

الحاصل بالحياء قدر زائد على استقباح ملاحظة الوعيد وهو فوقه، وأرفع منه درجة الاستقباح الحاصل عن المحبة فاستقباح المحب اتم من استقباح الخائف، ولذلك فإن هذا الحياء يكف العبد أن يشتكي لغير الله فيكون قد شكا الله إلى خلقه، ولا يمنع الشكوى إليه، فإن الشكوى إليه سبحانه فقر، وذل، وفاقة، وعبودية، فالحياء منه في ذلك لا ينافيها⁽¹⁾.

2- العفو

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء: 43).

والعفو في اللغة: الترك يعفو الإنسان عن الشيء بمعنى الترك، ويقال كل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه⁽²⁾.

أما شرعاً: قال ابن قيم الجوزية في النونية

وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان.

والمعنى "أما العفو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر عن عباده من الذنوب، ولاسيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو ويجب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفو من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه"⁽³⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (العفو)

عندما يدرك المؤمن سعة كرم الله وفضله بعفوه على كل مسيء وعاص، مهما بلغت ذنوبه ومعاصيه ثم أقبل على ربه تائباً منيباً مستغفراً زاده ذلك يقيناً وإيماناً بربه وخالقه، المتصف بالكمال المطلق ولولا اتصافه سبحانه بهذا الكمال لأخذ الناس بذنوبهم وما

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 19/2، 20 باختصار يسير.

(2) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، 132/2.

(3) محمد خليل هراس، شرح القصيدة النونية، 470/2.

ترك على ظهر الأرض من أحد، ولكن حلمه واسع وعفوه سبحانه يسبق غضبه، فمن مقتضى الإيمان بهذا الاسم.

"يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه العفو على الإطلاق قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء: 48].

يجب عليه أن يستعمل العفو ويتخلق به حتى يدخل في مدح الله للعافين وثنائه عليهم. وعليك بالعفو على كل من جنا عليك، أو أساء إليك، فإن الله يحب العافين⁽¹⁾.

3-النور

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النور: 35].

والنور في اللغة: الضياء، والنور ضد الظلمة، والجمع أنوار، والنور، الوضوح والبيان يقال: بأن الشيء، وأبان، وبين وتبين واستبان بمعنى واحد⁽²⁾.
أما شرعاً: "قال ابن قيم الجوزية: "النور من صفات ربنا سبحانه، ومنه اشتق اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى"⁽³⁾ والنور نوعان حسي، ومعنوي كما أوضح ذلك في نونيته:

والنور ذو نوعين مخلوق ووصف ف فهمما والله متحدان⁽⁴⁾.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (النور)

إذا أدرك العبد المؤمن أن ربه وخالقه منعم عليه بنور الإيمان المستمد من وصفه وتنزيله الموحى به إلى عبده صلى الله عليه وسلم الذي به تصفو النفوس، وتطهر القلوب بتلاوته وتدبر معانيه، علم معنى اتصافه سبحانه بهذه الصفة التي تفيض على قلوب عباده المؤمنين.

(1) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، 153.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 734/8، 735.

(3) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، 25.

(4) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية، 180.

ذكر ابن قيم الجوزية في معرض كلامه عن معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [سورة النور: 35].

حين ذكر هذا المثل والتشبيه لنور الله تعالى وما في هذا التشبيه والتمثيل من
الأسرار والحكم وما تلقيه بظلالها على قلوب عباده المؤمنين فقال: "وهذا التشبيه
العجيب الذي نظمته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن
بما أناله من نوره وما تقربه عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم... وكذلك قلب المؤمن فإن فيه
جميع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم ويحسن ويتحنن، ويشفق على الخلق برقته وبصفائه،
تتجلى فيه صور الحقائق، والعلوم على ما هي عليه ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب
ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى ويتصلب في ذات الله تعالى، ويغلظ
على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية كما قال
بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه أحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها"⁽¹⁾.

وهذا ولما كان النور من أسمائه سبحانه وصفاته كان دينه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه
نوراً، ودار كرامته لعباده نوراً يتلأأ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين، ويجرى على
ألسنتهم ويظهر على وجوههم، ويتم الله تعالى عليهم هذا النور يوم القيامة"⁽²⁾.

4-الجميل

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالسنة، قال ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال
الكبر بطر الحق وغمط الناس))⁽³⁾.

والجمال لغتاً: "هو ضد القبح، والجمال الحسن يكون في الفعل والخلق"⁽⁴⁾.
أما شرعاً: فقد أجمل ابن قيم الجوزية الوصف فيه قائلاً: "ويكفي في جماله أن كل
جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن أثارصنعتة، فما الظن بمن صدر عنه هذا
الجمال، ويكفي في جماله أن له العزة جميعاً، والقوة جميعاً والجود كله، والإحسان كله،

(1) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية، 28-29 باختصار يسير.

(2) عبد الرازق بن محسن البدر، فقه الاسماء الحسنى، دار بن حزم، القاهرة، ط1، 2012م، 308.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان-باب، تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم 91.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/246، وابن منظور، لسان العرب، 2/208.

والعلم كله والفضل كله ولنور وجهه أشرفت الظلمات... وجماله سبحانه على أربعة مراتب جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، وأسمائه كلها حسنى وصفاته كلها صفات كمال وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة⁽¹⁾ فوصفه سبحانه بالجمال وصفا كاملاً.

من مقاصد الإيمان بهذا الاسم (الجميل)

إذا أدرك العبد المؤمن أن ربه متصف بالجمال الذي بهر الألباب وسلب العقول فلا لاريب أنه بعد ذلك تعبد لربه بهذا الجمال جمال الظاهر وجمال الباطن، "فهو سبحانه كما يجب الجمال في الأقوال والأفعال، والهيئة يبغي القبيح من الأقوال، والأفعال، واللباس والهيئة، فيبغي القبيح وأهله، ويجب الجمال وأهله... فيجب من عبده أن يحمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص، والمحبة والإنابة، والتوكل وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأجناس والأحداث والأوساخ، والشعور المكروهة والختان وبقلم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه، ودينه"⁽²⁾.

خلاصة

إن لأسماء الله تعالى من الأسرار والمقاصد ما لا يعد ولا يحد، فكل اسم من أسمائه نصيب من صفاته، وحظ العبد المؤمن التخلق بكل صفة من صفاته، فمن صفاته ما يدل على التعظيم والتمجيد والتنزيه عن الند والشريك بأداء فرائضه، وسننه وسائر الأعمال من الطاعات والقربات كلفظ الجلالة (الله) والرب، الملك، والقدوس والمجيد، والقدير، والعزيز والقوي، والمهيمن، الخالق، والعلي فثمره التخلق بهم أن يكون العبد مستغرق الهمة بالله تعالى، فلا يرى غيره، وأن يكون هو المعبود بحق، فيعبده بمقتضى هذه الأسماء والصفات إجلالاً ورجاء خوفاً وتعظيماً.

ومنها ما يدل على الرحمة والرفق، كالرحمن الرحيم، والرفيق والحليم، واللطيف، المصور وثمره التخلق بهم معاملة الخلق بمنتهى الرحمة والرفق، والحذر من البغي

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 226.

(2) المصدر نفسه، 229، 226.

والعدوان.

ومن صفاته كذلك ما يبعث على الفزع واللجوء إليه سبحانه في الشدائد وسؤاله واستعاذته به، والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه كاسمه الملك، الجبار، المغيث، الحي، الصمد، الظاهر والباطن والجميل.

ومن الأسماء والصفات ما يبعث في النفس الثقة واليقين والمهابة والحياء فيكم، والحفيظ والرفيق، والمعز والمذل، وثمره التخلق بهم حفظ حدود الله واجتناب ما حرمه. ومن الصفات ما يبعث إلى الخوف والمراقبة كالعزيم والقهار والسميع والبر، واللطيف، والحسيب، والمغيث، الرقيب، الشهيد، الصمد، الجبار، والظاهر، والباطن، والعليم.

ومن الأسماء والصفات ما يعني على الجود والكرم والبذل والعطاء، كالكريم المعطي الفتاح الوهاب المنان الجواد ومن الأسماء والصفات ما يبعث على الأمن والأمان ونشر السلم، كاسمه المؤمن، السلام، الملك، وثمره التخلق بهم نشر السلم بين الناس وسلامتهم من ظلمه وغشمه، وسلامة دينه من البدع وإظهار بره للناس وسعيه في توفير الأمن لهم.

ومن الصفات ما يبعث على التواضع وعدم الكبر، كاسمه المتكبر وثمره التخلق به أن يكون متواضعا لله، متواضعا للبشر. ومن أسمائه وصفاته ما يبعث على المغفرة والستر، كاسمه الغفور والبر، والستير فمن تخلق بهم يستر عيوب الناس، وقبول العذر ممن أساء إلى الخلق.

الباب الخامس: المقاصد العقائدية من خلال الإيمان بالنبؤات والغيبيات

الفصل الأول: الإيمان بكتب الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام

الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر

الفصل الأول: الإيمان بكتب الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية وبيان مقاصدها.

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وبيان مقاصدها.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية وبيان مقاصدها. توطئة:

إن الإيمان بالنبوءات والغيبات هما من أصول الإيمان ، وقاعدة من قواعده الأساسية التي تبنى عليها عقيدة المؤمن الصحيحة، التي بعث الله بها الرسل - عليهم الصلاة والسلام- وأنزل بها الكتب، فالإيمان بالرسل والأنبياء أصل أكيد من أصول العقيدة الإسلامية، وكذا الإيمان بالغيب أصل من أصوله الأكيدة، يقول ابن قيم الجوزية: "إن الإيمان بالغيب من أجل مقامات الإيمان"⁽¹⁾، فمن اعتقد خلافهما خرج من دائرة الإيمان إلى الكفر، ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً على الوجه الذي دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رُسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ قَبْلُ ءَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ ءَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [سورة النساء: 136].

وحدیث جبریل -علیه السلام- لما سأل النبی -علیه الصلاة والسلام- عن الإيمان فقال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، خيره وشره، قال صدقت))⁽²⁾، قال ابن قيم الجوزية: "فالإيمان بهذه الأصول فرع معرفتها"⁽³⁾.

أولاً- التعريف بالكتب السماوية لغة واصطلاحاً

الكتب لغة: قال ابن فارس: "الكف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء. من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً، ويقولون كتبت البغلة إذا جمعت شفري رحمها بملقة"⁽⁴⁾، قال ابن منظور: "وتكتبت

(1) ابن قيم الجوزية، طريق المحررين ، 362.

(2) أخرجه مسلم، كتاب النكاح ، باب إجابة الداعي إلى الدعوى، حديث رقم 1431.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 187/1.

(4) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة 434/2

الخيل أي تجمعت ومن ذلك سُميت الكتيبة لأنها تكتبت فاجتمعت، ومنه قيل: كتبت الكتاب، لأنه يجمع حرفاً إلى حرف" (1).

فالأصل الذي أجمعت عليه أقوال أهل اللغة أن الكتاب هو الجمع، جمع الحروف إلى الحروف لتصير كلمات تحمل جملاً ومعاني معبرة عن مراد قائلها، تُجمع في صحف أو كتب.

تعريف الكتب اصطلاحاً: هي "كلام الله تعالى، فيه هدى ونور، يوحى الله به إلى رسول من رسله ليبلغه للناس ويطلق اسم الكتاب شرعاً: على ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي، التي ينزلها الله على أي رسول من رسله ليبلغها إلى الناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة أو كبيرة، مدونة أو غير مدونة، فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس، أو ليس فيها ذلك" (2).

ثانياً- **حكم الإيمان بها:**

إن الإيمان بالكتب السماوية هو الأصل الثالث من أصول الإيمان كما جاء في القرآن الكريم والسنة المتواترة "التي لا قوام للإيمان إلا بها" (3).

والإيمان بالكتب السماوية يتضمن الآتي:

1- الاعتقاد الجازم بان لله جل وعلا كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله وهو حقيقة الإيمان بهذه الكتب "الإلهية الذي هو جزء من عقيدة المؤمن التصديق الجازم بما أوصى الله تعالى من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام، فجمع ودون فكان صحفاً مطهرة، وكتباً قيمة، فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلاً، وما لم يعرف آمن به إجمالاً" (4).

2- أن الله تعالى تكلم بها على الحقيقة وليس مجازاً، وإن منها المسموع ومنها ما سمعه الرسول البشري من الرسول الملائكي مبلغاً عن ربه جلا وعلا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

(1) ابن منظور: لسان العرب 7/590

(2) عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها 466

(3) ابن قيم الجوزية: الرسالة التبوكية ص42 بدائع الفوائد 772

(4) ابوبكر الجزائري: عقيدة المؤمن 143

وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَائِشَةَ دَاوُدَ زُبَيْرًا ﴿١٦٣﴾ [سورة النساء: 163]. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشورى: 51]. قال ابن قيم الجوزية "فجعل الوحي في هذه الآية قسماً من أقسام التكليم. وجعله في آية النساء قسيماً للتكلم، وذلك باعتبارين، فإنه قسم التكليم الخاص الذي هو بلا واسطة وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة"¹ ذكر منها ابن قيم الجوزية "إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره به أن يوصله إليه"² ومنه الكلام المباشر "كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم هو في حديث الإسراء"³.

3- أن جميع هذه الكتب قد اتفقت على الدعوة إلى توحيد الله:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى وما جاء فيه عن دعوات الرسل وما أنزل عليهم من الكتب ليخرج بحقيقة واحدة اتفق عليها جميع الرسل، وأنزلت بها جميع الكتب، وهذه الحقيقة هي الدعوة إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، فهي المشترك بينها، وأن اختلفت شرائعهم ومناهجهم فما من نبي أرسل ولا كتاب أنزل إلا وكان أول ما يدعو إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى يقول الله تعالى في تقرير هذه الحقيقة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل: 36]. يقول ابن قيم الجوزية: مبيناً حقيقة ما تدعو إليه الرسل من افراده بالتوحيد بجميع أنواعه "فهذا الأفراد وذلك الأفراد بهما بعثت الرسل وأنزلت الكتب وشرعت الشرائع ولأجل ذلك خلقت السموات والأرض، والجنة والنار وقام سوق الثواب والعقاب"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين 557/2-558

(2) المصدر نفسه . 32/1

(3) ابن قيم الجوزية زاد المعاد في هدي خير العباد 31/1

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 557/2-558

4- أن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً:

من الإيمان أن نعتقد أن جميع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً ولا يكذبه فكلها من عند الله تعالى، فالإنجيل يصدق لما تقدمه من كتب كالتوراة، والقرآن يصدق لجميع الكتب السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سورة المائدة: 48]. قال ابن قيم الجوزية "المراد من الآية أنه يصدق لما تقدم من كتب الله تعالى" (1). كالتوراة والإنجيل، والزيور وسائر ما أنزل الله على أنبياءه ورسوله من الكتب السماوية يصدق بها ما جاء في القرآن الكريم.

وقال في موضع آخر دليلاً على تصديق القرآن للكتب السابقة وتفصيلاً لمجملها "وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها" وهذه حقيقة قول المسيح "أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل، ويفسر لكم كل شيء" وإذا تأملت قوله وكل شيء عدّه الله لكم به" وتفاصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق المرسلين الكريمين، ومطابقة الأخبار المفصلة من محمد صلى الله عليه وسلم للخبر المجمل من أخيه المسيح" (2).

5- إن نسخ هذه الكتب بعضها لبعض حق:

كما كان القرآن ناسخاً لجميع هذه الشرائع وأن النسخ جائز في القرآن، من الإيمان أن نعتقد ونصدق أن النسخ حق وما شرعه الله في وقت كان لحكمة وما نسخه من أمر في وقت آخر كان لحكمة هو يعلمها سبحانه قال ابن قيم الجوزية في بيان معنى قوله تعالى دليل على النسخ: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [سورة المائدة: 5].

"قالوا: وقد اتفقنا على أن المراد بذلك ما ذبحوه لا ما أكلوه، لأنهم يأكلون الخنزير والميتة والدم، قالوا: وقد جاء القرآن، وصح الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين كان قبله، وأن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن، فإنه كافر، وقد أبطل

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 428.

(2) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى، 61.

الله كل شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام، فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام⁽¹⁾. فالدين واحد وإن تعددت الشرائع والمناهج، فجميعها لا تخرج عن كونها تصدر عن مشكاة واحدة ومصدر واحد وهو الله تعالى، فالله واحد ودين الأنبياء واحد، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فدين الأنبياء واحد" وهو دين الإسلام، كلهم مسلمون مؤمنون، كما بين الله في غير موضع من القرآن، لكن بعض الشرائع تتنوع فقد يشرع في وقت أمراً لحكمة، ثم يشرع في وقت آخر أمراً آخر لحكمة، كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة، فتنوعت الشريعة والدين واحد، وكان استقبال الشام ذلك الوقت من دين الإسلام، وكذلك السبب لموسى من دين الإسلام، ثم لما نسخ صار دين الإسلام هو الناسخ وهو الصلاة إلى الكعبة فمن تمسك بالمنسوخ دون الناسخ فليس هو على دين الإسلام ولا هو متبع لأحد من الأنبياء، ومن بدل شرع الأنبياء وابتدع شرعاً فشرعه باطل لا يجوز اتباعه"⁽²⁾.

فدل قوله وقول تلميذه على أنّ النسخ في القرآن لبعض الشرائع السابقة جائز وذلك لما تقتضيه الحكمة الإلهية في مراعاة مصالح الناس بحسب أزمانهم فإن ما يصلح في زمن لا يصلح في آخر بحسب تغير ظروف الناس وأحوالهم وأزمانهم

6- الإيمان بأن لله كتباً كثيرة لا يعلم عددها إلا الله "فنؤمن بما سمي تعالى منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى، وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء"⁽³⁾ وإن الله تعالى تكلم بها وإنها أنزلت من عنده، وإن الله تعالى تعهد القرآن منها بحفظه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(1) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م، 189.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 194/35.

(3) العز بن عبد السلام، شرح العقيدة الطحاوية، 202.

أَلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ [سورة الحجر:9] قال ابن قيم الجوزية: "والله تعالى قد ضمن حفظ ما أوحاه إليه وأنزل عليه ليقوم به حجته على العباد إلى آخر الدهر" (1).

ثالثاً- مقاصد الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بالكتب السماوية له مقاصد عظيمة وآثار جليلة تنعكس إيجاباً على حياة الإنسان وسلوكه في الدنيا والآخرة بحيث تصبح حياته وسلوكياته وتعامله في الحياة مع ربه وخالقه مع الناس تبعاً لإيمانه بهذا الركن العظيم والأصل الصحيح من أصول الإيمان وأركانه وأهم هذه المقاصد ما يأتي:

1- الشعور بوحدة الدين وأن الله واحد:

إن إيمان المسلم بالكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل على الأنبياء والرسل السابقين يشعر بوحدة الدين فدين الله واحد لا يتجزأ وهو الإسلام الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران:19]. قال ابن قيم الجوزية: "يعنى الذي جاء به محمد وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ليس لله دين سواه" (2) حتى وأن اختلفت شرائعهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((الأنبياء أولاد علات وفي لفظ، إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)) (3).

قال ابن قيم الجوزية: "وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وملائكته، وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد لاشارك جميعهم فيه وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(1) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسله، 496.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: 580/2.

(3) أخرجه البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء: باب: واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها "مريم 16"، حديث رقم 3443. ومسلم: كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى، حديث رقم: 2365.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ [سورة الشورى: 13] (1) ثم قال: "وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتى التي كانت لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه" (2)، ولكن اختلاف الشرائع راجع إلى أحوال الناس بحسب اختلاف أزمانهم وأجناسهم وثقافتهم.

2- العلم بعناية الله تعالى بعباده وكمال رحمته حيث أنزل عليهم كتباً يهديهم بها. وهذا مقصد عظيم من مقاصد الإيمان بالكتب السماوية حيث تتجلى رحمته وعنايته بخلقه سبحانه وتعالى بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، والقرآن الكريم الكتاب الخاتم لكل الكتب السماوية خير شاهد على ذلك، قال ابن قيم الجوزية: في وصفه: "فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات والسبب الواصل بينه وبين عباده، إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيع به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشيع منه العلماء، لا تفتى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما زادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً، زادها هداية وتبصيراً، وكلما بجست معين فجر لها ينابيع الحكمة تفجيراً، فهو نور البصائر من عملهما وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (3) وقال في موضع آخر واصفاً إياه بالفضل والرحمة أي القرآن كما ذكر الله تعالى في محكم تنزيله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يونس: 58].

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 890.

(2) المصدر نفسه: 890.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 5/1.

"قال طائفة من السلف "فضله القرآن، ورحمته: الإسلام، والتحقيق: أنه كلا منهما فيه الوصفان، الفضل والرحمة وهما الأمران اللذان امتن الله بهما على رسوله-صلى الله عليه وسلم- وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [سورة الشورى:52]، والله سبحانه إنما رفع من رفع بالكتاب والإيمان ووضع من وضع بعدها" (1) فمدار سعادة العبد في الدارين في التمسك والعمل بما جاء به القرآن من الأوامر والنواهي.

3- الشهادة:

إن الشهادة بحسن ما جاءت به هذه الكتب دليل على أنها من عند الله، وهذا ما يرسخ الإيمان في قلوب المؤمنين ويجعل عقولهم تشهد بذلك فيزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، فما تحمله الكتب السماوية وأخص منها القرآن الكريم من الشرائع ما يجعلها تتسم بالجمال والكمال المطلق في العقائد والأوامر، والنواهي والأخلاق فهذه الشريعة المحمدية هي الدليل على صدق ما تدعيه فإنّ الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعد لها، قال ابن قيم الجوزية: "وإذا تأملت الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها ولا يدرك الوصف حسناتها، ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت ، وكانت على أكمل عقل رجل منهم فوقها وحسب العقول الكاملة الفاضل أن أدركت حسناتها وشهدت بفضلها وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها ، فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة والمحتج له والدعوى والبرهان ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها يكفي بها برهاناً وأية وشاهداً على أنها من عند الله وكلها شاهدة بكمال العلم وكمال الحكمة وسعة الرحمة والبر والإحسان، والإحاطة بالغيب، والشهادة بالعلم والمبادئ والعواقب وأنها من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده فما أنعم عليها بنعمة أجل من أن هداهم لها وجعلهم من أهلهم ومن ارتضاهم لها" (2) وجعل حياة قلوبهم وقفاً عليها كما قال: "فالشريعة حياة

(1) ابن قيم الجوزية: إغاقلة اللفهان: 33/1.

(2) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 342/1، 343.

القلوب وبهجة النفوس ولذة الأرواح" (1) شريعة كاملة متكاملة تجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشريعة التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم "جامعة لمصالح الدنيا والآخرة" (2) فيها صلاحه و فلاحه ونجاته في الدنيا و الآخرة فهي حبل النجاة فمن تمسك به نجى ومن تركه فقد وقع وهلك.

4- إقامة الحجّة على أهل الكتب السابقة بما ثبت منها من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن تصديق القرآن لما سبقه من الكتب السابقة دليل على صدقه: قال ابن قيم الجوزية "أفلا ترى كيف اطرد في القرآن وصف الكتاب بأنه مصدق لما بين يديه؟ وقال: وباتفاق الناس أن المراد مصدق لما تقدمه من الكتب، وبهذه الطريق يكون مصدقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون أبلغ في الدليل على صدقه من أن يقال: هذا كتاب مصدق لك، فإنه إذا كانت الكتب المتقدمة تصدقها وتشهد بصحة ما فيها مما أنزله الله من غير مواطأة ولا اقتباس منها، دل على أن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق، كما أن الذي جاء بها كذلك، وأن مخرجهما من مشكاة واحدة، يعني فإذا كان موسى صادقاً وكتابه حق، فهذا كذلك، إذ من المحال أن يخرج شيان من مشكاة واحدة، ويكون أحدهما باطلاً محضاً والآخر حقاً محضاً فإن هذا لا يكون إلا مع التباين والتنافر،" (3)، وهذا محال في حق المرسل والمرسل إليه والمرسل به " فالقرآن صدق الكتب المتقدمة، وهي بشرت به، وبمن جاء به، فقام الدليل على صدقه من الوجهين معاً: من جهة بشارة من تقدمه به، ومن جهة تصديقه ومطابقتها له فتأمله.

ولهذا كثيراً ما يتكرر هذا المعنى في القرآن؛ إذ في ضمنه الاحتجاج على الكتابيين بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الطريق وهي حجة أيضاً على غيرهم بطريق

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 512.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 152/19.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد 429

اللزوم لأنه إذا كان يمثل ما جاؤوا به من غير أن يتعلم منهم حرفاً واحداً دل على أنه من عند الله تعالى⁽¹⁾.

5- شكر الله على إنزاله تلك الكتب فهي نور وهدى دنيا وآخره

فهذه الكتب هي النور التي يستضيئون بها وهدى يسرون عليه في الدنيا والآخرة فهي نعمة ومنة كبيرة من الله عز وجل تفضل بها على خلقه وامتن بها على عباده فلم يتركهم سبحانه هملًا، تتخطفهم الأهواء والشهوات وتتقاذفهم الميول والرغبات، بل هيأ لهم من الأسباب ما يصلح أمرهم ويسدّد وجهتهم، ولن يقدر العبد ما أسبغ الله عليه من نعمة الإيمان به، وما يتبعه من إيمان بما أنزله من كتب إلا عندما يتأمل حال من حرم هذه النعم وحال من كان يحيا حياة الغي والضلال ولا يدري الهدف من سيره، وما هي الغاية التي يسعى إليها من سيره، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة الأنعام: 122]. قال ابن قيم الجوزية: "من كان كافرًا ميت القلب، مغمورًا في ظلمة الجهل، فهديناه لرشده، ووقفناه للإيمان، وجعلنا قلبه حيا بعد موته مشرقًا مستنيرًا بعد ظلمته؟ فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته، وجهله بمعرفته، وتوحيده وشرائع دينه، وترك الأخذ بنصيبي من رضاه والعمل بما يؤديه إلى نجاته وسعادته: بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها مكروه، فهديناه للإسلام، وأنعشناه به، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه، فأبصر الحق بعد عماه عنه، وعرفه بعد جهله به، وأتبعه بعد إعراضه عنه، وحصل له نور وضياء يستضيء به، فيمشى بنوره بين الناس"⁽²⁾ أفلا يستحق ذلك شكر المنعم على هذه النعم الجزيلة والعطايا الثمينة وهو أهل لها أن يشكر ويحمد وحقيقته "هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة"⁽³⁾، وقد فسّر ابن قدامة شكر القلب وشكر اللسان فقال: "وأما بالقلب

(1) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد 429.

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان، 23/1، 24.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 4/2.

وطاعته فهو أن يقصد الخير، ويضمرة للخلق كافة، وأمّا باللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وأمّا الجوارح، فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقى من الاستعانة على معصيته" (1).

فشكره سبحانه يكون بالثناء عليه بذكر محامده وطاعته بامثال أوامره والكف عن معاصيه وترك مناهيه فذلك شكره وحمده سبحانه .

6- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثله.

من الإيمان بالكتب السماوية أن نعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تعالى متصف بصفة الكلام والقرآن الكريم هو كلامه فمن زعم غير ذلك فقد أنكر الرسالة: كما قال ابن قيم الجوزية: "فمن أنكر أن يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد أنكر حقيقة الرسالة" (2) فالقرآن كلامه تكلم به على وجه الحقيقة بلغه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق جبرائيل عليه السلام تلاه عليه وهو تلاه على أمته فالقرآن كما وصفه ابن قيم الجوزية هو "حروف وكلمات وسور وآيات تلاه عليه جبرائيل كذلك وتلاه هو على الأمة كما تلاه عليه جبرائيل، وبلغه جبرائيل عن الله تعالى كما سمعه، وهذا قول السلف وأئمة السنة والحديث، فهو يميزون بين ما قام بالعبد، وما قام بالرب، والقرآن عندهم جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، وأصوات العباد وحركاتهم وأدواؤهم وتلفظهم، كل ذلك مخلوق بائن عن الله" (3)، وكلامه سبحانه لا يشبه كلام المخلوقين فهو معجز في لفظه وفي معناه فكل آية فيه "وكل حرف منه تنفجر ينابيع من الحكمة، وكل كلمة تمطر منها سحائب الرضوان والرحمة، وكل آية تحتوي على بحار من الإعجاز زواجر، وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر ولم نجد له في الكتب السالفة نظيراً ولم تمدّ إليه

(1) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، 263.

(2) ابن قيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن 117.

(3) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلّة، 450، 451.

كف معارض منازلًا كان أو مغيراً. ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 88]، فما رام أحد معارضته إلا عرضت له عوارض العي واللكن⁽¹⁾ وهذا دليل قاطع على إعجازه لفظاً ولغة ومعنى.

قال ابن قيم الجوزية: "والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكله معجزة، إما لسلب قدرتهم عن الإتيان بمثله، وإما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الإتيان بمثله فعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه - صلى الله عليه وسلم بها، وعجزهم عن الإتيان بمثل هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مرية في ذلك ولا خلاف"⁽²⁾. وهذا أصل من أصول الإيمان أن نعتقد بصحة الكتاب أنه منزل من عند الله لا يعتره تحريف ولا تأويل وأنه معجز في نفسه ومعجز لغيره.

7- الإيمان بالكتب السماوية من أقوى الدوافع على خضوع القلب وإذعانه الله تعالى. إذا آمن العبد بأن هناك كتباً سماوية تحمل شرائع إلهية توجه البشرية إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ويوافق فطرهم ويتماشي مع متطلباتهم، أدرك أن ما شرعه الله من أحكام وأسرار لم يكن لمجرد التشهي والهوى أو عبثاً "فإن الله لم يشرع شيئاً سدى ولا خلو من حكمة بل في طوايا ما شرعه من الحكم والأسرار التي تبهر العقول ما يستدل به الناظر فيه على ما وراءه فيسجد القلب خضوعاً وإذعاناً"⁽³⁾ فيزداد إيماناً مع إيمانه ويقيناً فوق يقينه، ويزداد حباً لربه ومعرفة له وتعظيماً لقدره، فتنتلق جوارحه عاملة

(1) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان/13.

(2) المصدر نفسه، 324.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 532.

بأوامر الله فتتحقق الغاية العظمى من الإيمان بالكتب السماوية، وهي العلم بما فيها
فينال ثمرة هذا الإيمان سعادة في الدنيا وفوزاً في الآخرة.

8- الإيمان بالكتب السماوية السابقة لا يقتضي إقرار ما يوجد بأيدي اليهود والنصارى
من التوراة والإنجيل فإنها بدلت وحرفت.

ولكن مقتضى الإيمان أن نقر ونعتقد أن الله أنزل كتباً على رسله السابقين
تحمل شرائع سماوية لم يلحقها التحريف ولا التبديل، وإن ما بأيدي اليهود والنصارى
اليوم ليست هي الكتب المنزلة على علي موسى وعيسى -عليهما- السلام فقد وقع فيها
التحريف والتبديل، وما بقي من أحكام نسخت بالقرآن، ولا بن قيم الجوزية كلام طويل
يطول ذكره أورده في كتابه، هداية الحيارى يبين فيه ما لحق هذه الكتب من صور
التحريف والتبديل أذكر منه بعض قوله: "وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في
مواضع متعددة، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب وليحسبه السامع منه وما هو منه فهذه
خمسة أمور أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل!
الثاني كتمان الحق الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانها، الرابع: تحريف الكلم عن
مواضعه، وهو نوعان تحريف لفظه، وتحريف معناه: الخامس: ليّ اللسان به ليلبس على
السامع اللفظ المنزل بغيره، وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعوتهم إلى
ذلك"⁽¹⁾.

الخلاصة

الإيمان بالكتب السماوية هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة وهو
التصديق الجازم والإقرار بأن الله أنزل كتباً فيها شرائع وهذه الشرائع جميعها تدعو إلى
توحيد الله تعالى وإفراده بالوحدانية والعبودية، وأن مصدرها واحد، صادر من مشكاة
واحدة لا اختلاف فيها، وأن هذه الكتب جميعها يصدق بعضها بعضاً، أنزلها الله تعالى

(1) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى، 48، 49.

رحمة بعباده وتوجيهها لهم في حياتهم توجيهها عقائديا سليما من الشعور بوحدة الدين وأن الله واحد ، والعلم بعنايته بهم أن أنزل إليهم كتبها هدايتهم ، وأن كل ما فيها من الحسن يشهد على أنها من عند الله ، فهي النور والهدى في الدنيا والآخرة فكل ما فيها كفيلا بأن يجعل قلب العبد ذليلا منكسرا أمام ربه وخالقه شاهدا له على صدق ما تدعوا إليه كتبه من خلال رسله الذين أرسلهم الله لتبليغ شرعه ودينه .

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة والنبوة

أولاً: تعريف الرسالة لغة واصطلاحاً:

لغة: "رسل الرء والسين واللام أصل واحد مطردٌ منقاس يدل على الانبعث والامتداد"⁽¹⁾ وفي لسان العرب "الإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرسالة، والرسالة والرسول: بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر... والرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، آخذاً من قولهم جاءت الأبل رسلاً أي متتابعة (...). وسمى الرسول رسولاً لأنه ذو رسول. والرسول: اسم من أرسلت، وكذلك الرسالة ويقال: جاءت الأبل أرسالاً"⁽²⁾ وعلى ذلك فالرسول في اللغة أما أن يكون مأخوذاً من الإبتعاث والإرسال بمعنى التوجيه وإما أن يكون مأخوذاً من التتابع فيكون الرسول هو الذي تتابع عليه نزول الوحي.

أما اصطلاحاً: "تكليف الله نبياً من أنبيائه بتبليغ شريعته للناس فالرسول: هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه"⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحج: 75].

ثانياً: تعريف النبوة لغة واصطلاحاً:

لغة: "النبأ الخبر والجمع أنباء، والنبئ، المخبر عن الله عز وجل، لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل، وقيل: صوابه أن يقول فعيل بمعنى مفعول مثل نذير بمعنى منذر، وأليم بمعنى مؤلم، وقال الفراء: النبي هو من أنبأ عن الله فترك همزه قال: وإن أخذ من النبوة وهي الارتفاع عن الأرض، أي إنه أشرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمزة"⁽⁴⁾ وعلى ذلك فالنبوة في الأصل مشتقة من النبأ، وأصلها الهمز، ولكن لما كثر استعمالها خفف بإسقاط الهمز، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "النبي" وهو من النبأ وأصله الهمزة، وقد قرئ

(1) ابن فارس "معجم مقاييس اللغة 463/1".

(2) ابن منظور، لسان العرب، 1472/4.

(3) عبدالرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، 267.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 420/8، 421 باختصار.

به، ولكن لما كثر استعماله لينت همزته، كما فُعل ذلك في الذرية وفي البرية، وقد قيل: هو من النبوة، وهو العلو، فمعنى النبي: المعلّى الرفيع المنزلة. والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأ الله، وجعله منبئاً عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر علياً"⁽¹⁾.

أمّا اصطلاحاً: هي "إصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي"⁽²⁾ "فإن أمر بتبليغه فهو نبي رسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول وهذا ما يفرق النبي عن الرسول، وهو أن النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه لاختصاصه به دون غيره، والرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه به"⁽³⁾.

فيكون الإنباء هنا الإخبار بالشرع فقط على وجه الخصوص للمخبر أي النبي في حين يرى شيخ الإسلام أن النبي مكلف بالإخبار و الإنباء بما أنبأ الله به قال شيخ الإسلام ابن تيمية "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي، وليس برسول قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [سورة الحج:52]، وقوله: "من رسول ولا نبي" فذكر إرسالاً يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح، وقد ثبت في الصحيح: ((أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض))⁽⁴⁾ وقد كان قبله أنبياء كيث وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً⁽⁵⁾ ومن هنا يتبين الفرق بين النبي والرسول فليس كل نبي رسول ولكن كل رسول نبي أرسله الله إلى قومه لتبليغ رسالته والذود عن عقيدته إلا سول الله -صلى الله عليه وسلم- أرسله الله

(1) ابن تيمية: النبوات، تحقيق الشحات أحمد الطحان، مكتبة فياض، المنصورة. 309، باختصار يسير.

(2) عبدالرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها 266.

(3) عبدالغني أبو شيبه، مباحث في أصول العقيدة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2001م، 249.

(4) أخرجه البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً، حديث رقم 4712 ومسلم كتاب الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة: حديث رقم 194.

(5) ابن تيمية: النبوات 242.

إلى الناس جميعاً ورسالته خاتمة الرسالات وكتابه خاتم الكتب جميعاً ومهيمناً عليها وناسخاً لها وشاهداً عليها .

ثالثاً- حكم الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام.

إن الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام-يعد أصل من أصول العقيدة الإسلامية التي لا يصح إيمان عبد إلا بعد الإيمان بهم جميعاً، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الواردة في محكم كتابه ضرورة الإيمان بهم بمن سمي منهم ومن لم يسم منهم، كما نصت كثير من الأحاديث النبوية على ضرورة ذلك وأن الإيمان بهم جزء ولا يتجزأ من عقيدة المسلم وإيمانه، والإيمان بهم يتضمن أربعة أمور.

1- الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، قال ابن قيم الجوزية: "إن دعوة محمداً بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة أخوانه كلهم فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزل الله"⁽¹⁾ وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لاسيما أنه قد بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قيم الجوزية: "فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدتهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة وأنه لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة وإن المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد تكذيباً للمسيح الذي هو المسيح بن مريم عبدالله ورسوله وإن آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو ابطل الباطل"⁽²⁾.

2- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة الأحزاب:7].

(1) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى، 174.

(2) المصدر نفسه، 63.

وأما ما لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال تعالى: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ ﴾ [سورة غافر: 78]، فالإيمان في حقهم جميعاً واجب "فمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض لم ينفعه إيمانه بما كفر حتى يؤمن بالجميع" (1).
3- تصديق ما صح عنهم من أخبار:

التصديق يكمن سواء فيما ذكره الله تعالى عنهم من أخبار دعوتهم في كتابه الكريم وقصصهم مع أقوامهم وذكر شرائعهم أو ما ذكره عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث وآثار تتحدث عن دعوتهم وسيرتهم.
4- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم:

وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: 65]. قال ابن قيم الجوزية: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد، وسائر الصفات وغيرها ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفى عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشر صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك حتى يضاف إليه مقابل حكمه بالرضا والتسليم وعدم المشاركة، وانتفاء المعارضة والاعتراض" (2) وهو من جملة الإيمان به صلى الله عليه وسلم بما جاء به عن ربه وبلغه عنه، وإلا كان ذلك محض إفتراء وإدعاء للإيمان بما جاء به فمن صدق القول والعمل القبول والرضى وعدم المخالفة أو المشاققة لما جاء به.

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 1194، 1195.

(2) ابن قيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن، 287.

رابعاً: مقاصد الإيمان بالرسول عليهم السلام والسلام

للإيمان بالرسول مقاصد عظيمة وثمرات جليلة باعتباره أصل من أصول الإيمان وركن وطيء من أركانه العظيمة تتجلى فيما يأتي:

1- العلم برحمة الله تعالى بخلقه حيث أرسل إليهم الرسل الكرام للهداية والإرشاد .
لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله وحده على وجه الأكمل الذي يحبه الله ويرضاه وكان قاصراً على التنظيم والتشريع الذي ينظم حياته وعلاقته بربه ويربطه بخالقه إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده كانت رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب هدايتهم وإرشادهم وإنذارهم: قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: 165]. قال ابن قيم الجوزية: "والرسول من أولهم إلى خاتمهم -صلوات الله وسلامته عليهم أجمعين- أرسلوا بالدعوة إلى الله، وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول" ¹ وهي جوهر الرسالة ولبها وعليها مدار جميع الأمور وأزمتها.

"القاعدة الأولى: فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً حتى كان العباد يشاهدونه سبحانه، وينظرون إليه فوق سماوته على عرشه يكلم ملائكته، ويدبر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم، كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهي، ويرضى ويغضب ويحب ويسخط، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره، ويجيب دعوة مضطربهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن شاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير كل يوم هو في شأن، يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً ويقصم ظلماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه ويؤخر ما يشاء تأخيرها، فأزمنة

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 481/2

الأمر كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة⁽¹⁾، وإستكمالاً للطفه بعباده ورحمته بهم تعريفهم بالطريق الموصل إلى مرضاته ثم الحال الموصل إلى مرضاته وهذا ما بيّنه ابن قيم الجوزية عند الكلام على القاعدة الثانية والثالثة فقال:

"والقاعدة الثانية: تعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله واتباعه، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والإيمان بوعده ووعيده.
القاعدة الثالثة: تعريف الحال بعد الوصول، وهو ما تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصرط"².

2- شكر الله تعالى على أن أرسل إليهم رسلاً تهديهم إلى الصراط المستقيم
إن منزلة الشكر "من أعلى المنازل وهي فوق منزلة الرضى وزيادة، فالرضى مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه وهو نصف الإيمان"³ كما أنه مقام عظيم من مقامات أهل التقوى والإيمان، زلت فيه أقدام قوم وهديت فيه أخرى وهم أهل الصراط المستقيم الذين اتبعوا الحق وآمنوا به وصدقوا رسله وآمنوا بكتبه فكانوا من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والإسلام المستوجبة للشكر والثناء، وأي نعمة أجل وأعظم من هذه النعمة وهذه المنة المتمثلة في دينه وشرعه. قال ابن قيم الجوزية "فالحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعوا إلى الحكمة والموعظة الحسنة وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم وإليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة فأحب الوسائل إلى المحسن التوسل إليه بإحسانه، والاعتراف له بأن الأمر كله محض فضله، وامتنانه، فله علينا النعمة السابعة، كما له علينا الحجة البالغة، نبؤ له بنعمه علينا، ونبؤ بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا وإسرافنا في أمرنا"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ، 481/2.

(2) المصدر نفسه، 481 /2

(3) المصدر نفسه 3/2

(4) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى: 11.

3- إن التمسك بما جاءوا به هو الطريق الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

إن التمسك بما جاءت به الرسل من الإيمان بالله تعالى وتوحيده والدعوة إليه بالحق هو طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قال ابن قيم الجوزية: "ومن هنا تعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال"¹، ومن هنا تكمن الضرورة والحاجة إليهم للإعتبارات السابقة فحياة الإنسان ووجوده على هذا الكون بدون معلم مرشد وموجه إلى ما فيه سر حياته وسعادته هو بمثابة الجسد الميت الذي لا روح فيه ولا حياة كما قال ابن قيم الجوزية: "فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأبى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه، وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف أن هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"⁽²⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد 25/1

(2) المصدر نفسه، 1/ 26.

وبالنظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودراستها والتأمل فيما ذكر فيها من نعوته الطيبة وخصاله الكريمة وشمائله الحميدة وجب اتباعه والاهتداء بهديه فهو "أمينه على وحيه وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على العباد طاعته، وتعزيزه وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه وسد دون جنته الطرق، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره"⁽¹⁾ بل لا سبيل لأحد جاء بعده في نيل السعادة في الدنيا إلا باتباعه وطاعته والسير على نهجه.

4- العلم بقدرة الله تعالى واختياره واصطفائه لبعض خلقه وتفضيله بعضهم على بعض. من الإيمان أن تعلم أن الله تعالى له القدرة التامة والحكمة البالغة في اصطفاء بعض خلقه على بعض عن سائر البشر، واجتباؤه بعض الرسل منهم في الدرجة والمنزلة عن سائر الرسل كما قال تعالى مخبراً أنه أخلصهم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة ص: 46-47].

قال ابن قيم الجوزية: "فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله، وهم المصطفون من عباده ويكفى في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذ خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض، وأعلاهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورون في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

(1) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد: 8/1.

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ [سورة الشورى:13]، وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ فجعل شريعته أكمل الشرائع ورسالته خاتمة الرسالات وأتمها أرسله الله رحمة للعالمين، وذلك " أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما اتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربين له فالذين عجل قتلهم، وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له"²، فنالهم النفع في الدنيا على قدر إقامتهم بها لم يمستهم سوء أو ضر عاشوا في كنف الإسلام وأهله وحظوا منه بما حظي به المسلمون من الأمن والأمان والحفظ حفظ ذمهم ودماءهم وأموالهم و إلا تؤخذ منهم إلا بحقها.

"وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم به وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته"⁽³⁾ وهذا من تمام لطف الله ورحمته وعموم دعوته وشمول رسالته .

5- محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم:

وذلك لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة خلقه وعبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقهم وكمال نصحتهم لهم وصبرهم على أذاهم.

قال ابن قيم الجوزية: مبيناً الواجب في حقهم "بل يجب علينا احترامهم وتوقيرهم والإيمان بهم ومحبتهم وموالاتهم، والثناء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"⁽⁴⁾

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المجرتين 439، 430 باختصار يسير.

(2) ابن قيم الجوزية جلاء الأفهام ص93

(3) المصدر نفسه، 93.

(4) المصدر نفسه، 169.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "إنما حقوق الأنبياء في تعزيرهم وتوقيرهم ومحبتهم محبة مقدمة على النفس والمال والأهل، وإيثار طاعتهم ومتابعة سننهم ونحو ذلك" (1) هذا كما جعل الله تعالى من شرط إيمان العبد تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن قيم الجوزية: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه فإنها من تمام مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له فهي محبة لله من موجبات محبة الله" (2).

بل الأمر كما قال شيخ الإسلام بن تيمية: "فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله" (3) فجعل شيخ الإسلام قيام الدين وقفاً على تعظيم الرسول وتوقيره والثناء عليه بما هو أهله وذلك بما أثنى عليه ربه عز وجل، وما أثنى هو نفسه به، فأصل تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 56]. (4) قال ابن قيم الجوزية "وهذه الصلاة لا يجوز أن تكون هي الرحمة، وإنما هي ثناؤه سبحانه، وثناء ملائكته عليه، والعناية به وإظهار شرفه وفضله وحرمة" (5).

ومن الثناء عليه صلى الله عليه وسلم مشروعية الصلاة عليه في عبادات كثيرة كالتشهد والقنوت، وصلاة الجنازة، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد وغيرها وقد أوصلها "ابن قيم الجوزية إلى أربعين موطناً" (6) وذلك لما في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من الفوائد والثمرات من كونها سببا لحصول الحسنات ومحو السيئات وإجابة الدعوات وحصول الشفاعة، وصلاة الله على العبد ودوام محبة النبي صلى الله عليه وسلم "ذكر ابن قيم الجوزية لها أربعين فائدة"

(1) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم 308.

(2) ابن قيم الجوزية: جلاء الإفهام 97.

(3) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق وتعليق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 162.

(4) ابن قيم الجوزية: جلاء الإفهام: 80-86.

(5) المصدر نفسه: 180-245.

(6) ابن قيم الجوزية: جلاء الإفهام 247-255.

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم. التأدب عند ذكره ، بأن لا يذكر باسمه مجرداً بل يوصف بالنبوة أو الرسالة فلا يقال محمد ولكن نبي الله أو الرسول ونحو ذلك. وهذه خصيصة له في القرآن دون إخوانه من الأنبياء عليهم - الصلاة والسلام فلم يخاطبه تعالى فقط باسمه مجرداً. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:40]. يجي التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [سورة النور:63]، فقال ابن قيم الجوزية: " فأمر سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضاً بل يقال: يا رسول الله ولا يقال: يا محمد وإنما كان يسميه باسمه وقت الخطاب الكفار وأما المسلمون فكانوا يخاطبونه برسول الله(1).

الخلاصة:-

الإيمان بالرسول _ عليهم الصلاة والسلام _ هو أحد أركان الإيمان الستة وقاعدة من قواعده المهمة ، فلا قيام لهذا الدين إلا على هذا الأصل من أصوله ، فالتصديق به واجب، والإقرار به حق ، وأوجه على عباده لما له من المقاصد والأسرار أبرزها أن من كفر برسالة واحد منها كفر بالجميع الأمر الآخر العلم برحمة الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم رسلاً هدايتهم ثم شكره على إرساله لهم هؤلاء الرسل ، ثم التمسك بما جاءوا به لأنه السبيل الموصل إلى سعادتهم في الدارين ، والعلم بقدره الله وإختياره وإصطفائه لبعض خلقه على بعض وتفضيله بعضهم على بعض ، ومحبة الرسل وتوقيرهم والثناء بما أجراه الله تعالى على أيديهم من الخير وبما قدموه للبشرية من الفضل فمن طريقهم كانوا سببا في نجاتهم وهدايتهم وتصحيح سلوكهم وتهذيب أخلاقهم ودعوتهم إلى كل خير وفضل .

(1) ابن قيم الجوزية: جلاء الإفهام 83، 84، وابن كثير، تفسير ابن كثير 130/5.

الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة وبيان مقاصدها.

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر وبيان مقاصده.

المبحث الثالث: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر وبيان مقاصده.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة وبيان مقاصدها.
أولاً- تعريف الملائكة لغة اصطلاحاً:

لغةً: الملائكة جمع بفتح اللام- واشتقاقه من الألوكة والمألكة وهي الرسالة، فملك أصله مألِك- بزنة مفعل، وجمعه ملائكة بتقديم اللام على الهمزة، فظهر أن لفظ الملائكة يدل على الإرسال⁽¹⁾ بتولي أمر كلف به. قال الراغب: "المتولى من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له: مَلَكٌ بالفتح ومن البشر يقال له مَلِكٌ بالكسر- فكل مَلَكٍ ملائكة وليس كل ملائكةٍ مَلَكًا، بل الملك هو المشار إليه بقوله ﴿وَالنَّزِعَاتِ غَرَقًا﴾⁽¹⁾ وَالنَّدِشِطَاتِ نَشْطًا⁽²⁾ وَالسَّلْبِحَاتِ سَبْحًا⁽³⁾ فَالسَّلْبِقَاتِ سَبَقًا⁽⁴⁾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا⁽⁵⁾ ﴿سورة النازعات: 1-5﴾.

أما اصطلاحاً: "فالملائكة عالم غيبي، خلقهم الله عز وجل من نور، وجعلهم طائعين له متذللين"⁽²⁾ قال ابن قيم الجوزية: "ولفظ الملك يشعر بأنه رسول الله منفذ لأمر غيره، فليس له من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾⁽⁷⁾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ⁽⁸⁾ ﴿سورة الأنبياء: 27-28﴾، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽⁹⁾ ﴿سورة النحل: 50﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽⁶⁾ ﴿سورة التحريم: 6﴾، ولا تنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئاً إلا من بعد إذنه⁽³⁾.

فهم عباد مكرمون لهم وظائف متعددة ومهام عدة منهم الصافون ، ومنهم المسبحون، ومنهم ما له مقام معلوم لا يتخطاه ولا يتعداه وأعلاهم الذين عنده سبحانه المسبحون.

(1) ابن منظور: لسان العرب، 365/8.

(2) محمد بن صالح العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية، 35.

(3) بن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، 444/2، جلاء الافهام في الصلاة على خير الأنام، 270.

ثانياً- حكم الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أصل من أصول العقيدة الإسلامية قال ابن قيم الجوزية: "لهذا كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمس التي هي أركان الإيمان، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر"⁽¹⁾ قال الله تعالى في صفة عقيدة المؤمنين في سورة البقرة ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [سورة البقرة:285]، وقال تعالى مثبتاً ضلال من يفكر بالملائكة في سورة النساء ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [سورة النساء:136]، ولقد جاء الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم في مناسبات مختلفة، كما جاء ذكرهم في الأحاديث النبوية، قال ابن قيم الجوزية لا تخلو سورة من سور القرآن من ذكر الملائكة تصریحاً أو تلميحاً أو إشارة وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر"⁽²⁾ والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور.

1- الإيمان بوجودهم حقيقة.

2- الإيمان فيمن سمى كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومالك، وخازن ورقيب وعتيد ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

3- الإيمان بما أخبر به رسوله-صلى الله عليه وسلم من صفاتهم وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين وذلك يتبين من خلال الاستقراء لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف.

أ-الصفات الخلقية.

فمن الصفات الخلقية:

1-أن لهم أجنحة فمنهم "من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك"⁽³⁾ قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ

(1) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، 447/2.

(2) المصدر نفسه، 447/2.

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 567/5.

وَرُبِّعَ يَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴿٥١﴾ [سورة فاطر:1]، ومنه من له ستمائة جناح كجبريل فقد ((أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق))⁽¹⁾.

ومن المعلوم لدينا أننا لم نر عالم الملائكة ولا الكيفية التي خلقت عليها ولا كيفية أجتحتهم ولكن الذي يجب علينا في حقهم أن نؤمن أنهم ذوو أجنحة كما ذكر الله في كتابه.

2- لا يأكلون ولا يشربون، وقد استدل العلماء على ذلك بقوله سبحانه على ضيف إبراهيم ﴿فَلَمَّا رَعَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة هود:70]. قال ابن قيم الجوزية وهو يصف حال إبراهيم مع ضيفه ويصف حال الملائكة معه "أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه معه يحتاجون إلى الإذن في الأكل بل كان إذا قَدَّم إليهم الطعام أكلوا، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ألا تأكلون، ولهذا أوجس منهم خيفة"⁽²⁾.

3- لهم القدرة على التمثل بالصورة البشرية ، فقد ثبت ذلك بالقرآن الكريم وبالأحاديث الصحيحة منها " أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى مجلس الرسول أو غيره على صورة إنسان مجهول كما في حديث عمر، وكما في قصة نزول جبريل على مريم وتمثله لها بشراً سويماً، ومنها قصة ضيف إبراهيم -عليه السلام-، ومنها قصة الملائكة الذين جاؤوا إلى نبي الله لوط عليه السلام لإهلاك قومه، جاؤوا على صورة شباب مرد حسان"⁽³⁾.

ب-الصفات الخلقية:

من صفات الملائكة الخلقية.

(1) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: فكان قاب قوسين أو أدنى حيث الوتر من القوس، حديث رقم 4856، وباب: قوله فأوصى إلى عبده ما أوصى، حديث رقم 4857.

(2) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، 148، وما بعدها الرسالة التبوكية 214.

(3) عبدالرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها 236، 237، باختصار.

1- "محبتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم" (1) على الدوام تكرمة لهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: 7]، قال ابن عاشور: "وخص في هذه الآية طائفة من الملائكة موصوفة بأوصاف تقتضي رفعة شأنهم تذرعا من ذلك إلى التنويه بشأن المؤمنين الذين تستغفر لهم هذه الطائفة الشريفة من الملائكة، وإلا فإن الله قد أسند مثل هذا الاستغفار لعموم الملائكة ثم قال والإخبار عن صنفي الملائكة بأنهم يسبحون ويؤمنون به ؛ توطئة وتمهيد للإخبار عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا فذلك هو المقصود من الخبر" (4) أما دليل محبتهم للمؤمنين وذلك "إن الملائكة تحب حبا يليق بحالهم، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعي على أنهم يحبون، ففي الحديث الصحيح: ((أن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: أن الله أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل في السماء: إن الله أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض)) (2)(3).

2- الحياء إن الملائكة تستحي استحياء يليق بحالها إذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة)) (4) يعني ذلك الرجل: عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ففي هذا الخبر الصادق دليل على صفة الحياء للملائكة (5).

3- الإيمان بما أخبر الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أعمالهم التي وكلوا بها وهم في ذلك أصناف كثيرة، منها من وكل بالوحي كجبريل، وبالقطر كميكائيل، وبالنفخ في الصور كأسرافيل قال ابن قيم الجوزية "فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات، وإسرافيل موكل بالنفخ

(1) ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، 79، وما بعدها، الداء والدواء، 110.

(2) أبو بكر الجزائري: عقيدة المؤمن، 127.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: المقة من الله، حديث رقم 5693، ومسلم، كتاب: السير والصلة والآداب: باب: إذا أحب الله حبه إلى عباده، حديث رقم 2637.

(4) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان ابن عفان، حديث رقم 2401.

(5) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، 126.

في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: ((اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))⁽¹⁾. فتوسل إليه سبحانه بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه⁽²⁾.

ومنها من وكل بأصناف أخرى من المخلوقات فسبحانه قد "وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حين يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه، وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل الأنهار فيها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله تعالى، ومنهم: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾⁽¹⁾ فَالْعَصِيفَاتِ عَصْفًا⁽²⁾ وَالنَّشِيرَاتِ دُخْرًا⁽³⁾ فَالْفَرِيقَاتِ فَرَقًا⁽⁴⁾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا⁽⁵⁾ ﴿ [سورة المرسلات: 1-5]. ومنهم: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا⁽⁶⁾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا⁽⁷⁾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا⁽⁸⁾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا⁽⁹⁾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا⁽¹⁰⁾﴾ [سورة النازعات: 1-5]، ومنهم ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا⁽¹¹⁾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا⁽¹²⁾ فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا⁽¹³⁾﴾ [سورة الصافات: 1-3] ومنهم: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكلوا بحمل العرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى⁽³⁾ فتحدد وظائف الملائكة وإعدادها التي لا تحصى فإن ذلك إنما يشير إلى حكم بالغة ومقاصد عظيمة تتعلق بقدره الله تعالى وإظهار سلطانه وعظيم ملكه، وبيان ناطق بالوهيته وربوبيته واستيلائه على الكون وعلى خلقه.

(1) أخرجه مسلم كتاب: الصلاة: باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم 770، والترمذي كتاب الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، حديث رقم 3420، وأبوداود كتاب: الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء حديث رقم 767.

(2) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، 445/2، مع التقليل والتأخير.

(3) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، 444/2.

ثالثاً-مقاصد الإيمان بالملائكة.

لا ريب أن لكل أصل من أصول الإيمان مقاصده العظيمة وثماره الجليلة، وآثاره الطيبة على حياة الفرد والمجتمع، والإيمان بالملائكة أحد هذه الأصول له مقاصده وآثاره ومن مقاصده ما يأتي:

1- تحقيق الإيمان:

إن الإيمان لا يصح إلا بالإيمان بهم فهم جزء لا يتجزأ من عقيدة المؤمن، فالإيمان بهم من البر كما أخبر سبحانه والبر "هو الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذه هي أصول الإيمان الخمس التي لا قوام للإيمان إلا بها"⁽¹⁾ والإيمان بالملائكة هو الأصل الثاني من أصول الإيمان.

2-الإيمان بتفرد الرب تعالى بمعاني ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته:

وهذا المقصد من أجل المقاصد الإيمانية العظيمة التي تركز عليها عقيدة المسلم، ولا يصح منه إيمان حتى يثبت لربه تعالى ما أثبتته لنفسه من معاني الربوبية من الملك والحكمة والتدبير، وإثبات الأسماء والصفات، والأفعال، وما أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من معاني ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ومما ثبت لله تعالى من أسمائه الحكيم، وما ثبت له من الصفات الحكمة فلم يخلق الله تعالى خلقاً إلا للحكمة، ولم يشرع شرعاً إلا الحكمة وليس بالضرورة أن تصل عقول العباد إلى إدراك الحكمة من الخلق دائماً بل قد يبين الله تعالى لعباده بعض تلك الحكم وقد يستر بعضها، اختباراً لعبوديتهم، وتسليمهم لربهم ومن حكم الله في خلقه قدر أن يخلق الملائكة ولا شهوة لهم إلى المعصية بل همهم مصروفة إلى طاعة رب العالمين "فإنه سبحانه خلق خلقه أطواراً: فخلق الملائكة عقولاً لا شهوات لها ولا طبيعة تتقاضى منها خلاف ما يراد من مادة نورية لا تقتضي شيئاً من الآثار والطبائع المذمومة وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها، وخلق الثقلين، الجن والأنس، وركب فيهم العقول والشهوات والطبائع المختلفة لآثار مختلفة بحسب موادها، وصورها وتركيبها، وهؤلاء هم أهل الامتحان والابتلاء وهم المعرضون للثواب والعقاب، ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على

(1) ابن قيم الجوزية: الرسالة التبوكية، 42، وما بعدها التبيان في أقسام القرآن، 93.

طبيعة وخلق واحد ولم يفاوت بينهم لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة وموجب الربوبية ومقتضى الألوهية⁽¹⁾.

3- شكر الله على عنايته بالعباد:

من مقاصد الإيمان بملائكته شكره تعالى حيث وكل بهم ملائكة تحفظهم بالليل والنهار وتدعو لهم بالهداية والكفاية منذ بدء تكوينهم إلى استقرارهم في أحد الدارين، قال ابن قيم الجوزية: في عناية وكفاية الملائكة وحفظهم وهدايتهم للبشر- "والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث"⁽²⁾ والدعاء لهم. واستشهد ابن قيم الجوزية على ذلك بحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله -ﷺ: ((من قال يعني إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت وهديت ووفيت، وتنحى عنه الشيطان، فيقال لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى؟))⁽³⁾ ⁽⁴⁾ بفضل دعاء الملائكة له.

4- التأدب والحياء منهم:

التأدب والحياء من الملائكة وذلك لاستشعار قربهم وملازمتهم للإنسان في أحوال كثيرة، وتجنب ما يؤذيهم من الأقوال والأفعال والأحوال، فلا يجرؤ على ارتكاب معصية أو إثم استحياء ممن يلازمه في نومه ويقظته في ليله ونهاره وفي حله وترحاله قال ابن قيم الجوزية فيما يجب في حقهم "فملك المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع عنه، ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به أن يسيء جواره، ويبالغ في أذاه وطرده عنه وإبعاده، فإنه ضيفه وجاره وإذا كان إكرام الضيف من الآدميين والإحسان إلى الجار من لوازم الإيمان

(1) ابن قيم الجوزية: طريق المحترين، 158..

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 444/2.

(3) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 83.

(4) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم، 3426 وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول الرجل إذا خرج من بيته، حديث رقم 5095. حديث صحيح صححه الألباني في السلسلة.

وموجباته فما الظن بإكرام أكرم الأضياف وخير الجيران وأبرهم⁽¹⁾ وقال: "قال بعض الصحابة رضي الله عنهم إن معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم وأكرمواهم ولا الأم ممن لا يستحي من الكريم العظيم القدر، ولا يجله، ولا يوقره، وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار: 10-12]. أي استحيوا أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصى بين يديه وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان⁽²⁾ فالحياء لازمة من لوازم الإيمان به وخصيصة من خصائص أهله تكون حياة القلوب وزادها "وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياة من موت القلب والروح، فكلما كان الحياء أحي كان الحياء أتم"⁽³⁾. أي بمعنى موجود وليس غائب والوجود من صفات الحياة والعدم من صفات الموت وإن كان المقصود من ذلك موت القلب والروح.

5- ملازمة الطاعة واجتناب المعصية:

إذا علم العبد أن لله ملائكة تكتب الحسنات والسيئات لزم الطاعة واجتناب المعصية وذلك رغبة منه في كتابتهم الخير والشهادة عليه، ورهبة من كتابة خلافه والشهادة عليه بعد أن علم أن الله وكلّ "ملائكة لحفظ ما يعمل وإحصائه وكتابته"⁽⁴⁾ كل كبيرة وصغيرة تصدر منه خيراً كانت أم شراً، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق: 17-18]. وصفاً دقيقاً يشعر بالخوف والرهبة لما قد يقع من العبد أو يصدر منه من قول أو عمل يكتب في صحيفة أعماله ويكون شاهداً عليه بكتابه الملك له، يقول الإمام

(1) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 158.

(2) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، 158-159.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 16/2.

(4) ابن قيم الجوزية: إغائة اللفهان من مصايد الشيطان 444/2.

القرطبي في وصف الملكين المكلفين بكتابة الأعمال "في الرقيب ثلاثة أوجه: أحدهما: أنه المتبع للأمر، الثاني: أنه الحافظ، الثالث: أنه الشاهد. وفي العتيد وجهان: أحدهما: "أنه الحاضر الذي لا يغيب والثاني: أنه الحافظ إما للحفظ وإما للشهادة"⁽¹⁾.

6- الطمأنينة والشعور بالأنس من قريهم:

الإيمان بالملائكة مشعر بالطمأنينة والسكينة إذا علم العباد إن هؤلاء الخلق قريبون منهم وملازمون لهم وبما يجدونه من شعور بالطمأنينة والآنس في قلوبهم ونفوسهم، قال ابن قيم الجوزية: "فإذا ألم به الملك حدث من لمتة الانفساح والانشراح، والنور، والرحمة والإخلاص، والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه، وقصر- الأمل، والتجافي عن دار البلاء، والامتحان، والغرور فلو دامت له تلك الحال لكان في أهنأ عيش وأذه وأطيبه"⁽²⁾ وقال: "وأن ما أورث سكينه وطمأنينة فهو من الملك، فالملك بها اتصال، وبينه وبينها مناسبة، فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلباً يناسبه"⁽³⁾ فاحرص أيها المؤمن أن تكون دائماً في جوار الملك وصحبته بالإقبال على مجالس الطاعات وحضور مجالس الذكر والعلم فتحصل لك بركة دعائهم لك وصلاتهم عليك وتغشاه السكينة والرحمة وتحفك بأجنحتها وترغب في خلتك كما قال ابن قيم الجوزية: "وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتهم تمسحهم"⁽⁴⁾ وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده))⁽⁵⁾.

7- العلم بعظمة خالقهم وقوته:

إن العلم بعظمة الخالق تبارك وتعالى وقوته وسلطانه تتبين بعظمة المخلوق فإن عظمة المخلوق وقوته تدل على عظمة الخالق وقوته، فإذا ما علم العبد وألم بأصناف

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 17/11.

(2) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، 279.

(3) ابن قيم الجوزية: الروح، 393.

(4) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 146/1.

(5) أخرجه مسلم، كتاب، الذكر والدعاء، باب، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر حديث رقم 2700.

الملائكة وصفاتهم الخلقية والخلفية ووظائفهم في الكون وأن "كل حركة في السموات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم والشمس والقمر، والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض" (1) لأدراك عظمة الخالق عز وجل من عظمة الملائكة: "فالملائكة أعظم جنود الله تعالى" (2) وأعظم خلقه قوة "وهذا جبريل الذي وصفه الله بالقوة في سورة التكوير ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة التكوير: 19-20] (3) ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه ثم قلبها عليهم. فهو قوي في تنفيذ بما يؤمر به غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السموات والأرض فيما يأمر به عن الله تعالى" (4).

8- محبة الملائكة وموالاتهم:

من مقاصد الإيمان بالملائكة محبة الملائكة وموالاتهم على ما قاموا به من عبادات على الوجه الأكمل ، واستغفارهم للمؤمنين ودعائهم ، وكفائتهم لهم والدفاع عنهم ، وحفظهم بالليل والنهار ، وغيرها من سائر الأعمال التي يقومون بها تجاههم ما يوجب على المؤمنين في حقهم محبتهم جميعاً دون استثناء ، فلا يفرق في ذلك بين ملك ومملك لأنهم جميعاً عباد الله يعملون بأمره لا يعصون الله ما أمرهم به، وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة، وزعموا أن جبريل عدو لهم وميكائيل ولي لهم، قال ابن قيم الجوزية: "وقالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم "من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من بني إلا يأتيه ملك بالخبر؟ قال: هو جبريل، قالوا ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة؟" (5) فانزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوَّ الْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ وَعَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوَّ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

(1) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 444/2.

(2) المصدر نفسه: 444/2.

(3) ابن قيم الجوزية: التفسير القيم: 351.

(4) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، 445/2.

(5) أخرجه أحمد في المسند ، 4 ، حديث رقم 2483.

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [سورة البقرة: 97-98] (1).

9- قيمة الإنسان وأهميته عند الملائكة:

إذا علم العبد أن الملائكة "هم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبه ليقوى قلبه، ويزداد شكراً، وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونهم إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهّدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته" (2) وإذا علم أن الله "أمرهم بالسجود له تكريماً له، وتعظيماً له، وإظهاراً لفضله" (3) أوحى له ذلك كله بأهميته وقيّمته عند الملائكة.

خلاصة:-

إن الإيمان بالملائكة هذا العالم الغيبي الذي لم نره ولكن علمنا به عن طريق النقل وأدركناه بطريق العقل هو أحد أركان الإيمان الستة، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بعد الإيمان بها والتصديق بوجودها، وأنها خلق من خلق الله تعالى لها وظائف ومهام كلّفها الله بها وإقتضتها حكمته سبحانه وتعالى، ولعل من أبرز ما إقتضته حكمته سبحانه تفرده بألوهيته وربوبيته على خلقه، ثم شكر البشر له سبحانه أن وكلّ بهم ملائكة تحفظهم بالليل والنهار وتبعث في نفوسهم الخوف والحياء إذا علموا أن هناك ملائكة تحصي عليهم أعمالهم وتسجل لهم كل ما يصدر عنهم من خير أو شر، فيلتزمون الطاعة ويجتنبون المعصية، كما يشعرون بالأنس والطمأنينة من قربهم، والأهم من ذلك الشعور بعظمة الخالق وقوّته أن خلق لهم خلق بهذه القوة والعظمة تحب

(1) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان 446/2.

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان، 446/2، 447.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد 1182، وما بعدها، ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 200/4.

مؤمنهم و تبغض كافرهم، وتستغفر للمؤمنين وتدعوا لهم كما تشفع لهم يوم القيامة
وتسلّم عليهم في الجنة.

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر وبيان مقاصده.

توطئة

أخبر الله تعالى أنه لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى هملاً وإنما خلقهم لأمر عظيم وخطب جليل فقد خلقهم ليوحده، أي ليعبده وحده ولا يشركوا به شيئاً والخلق حتماً سيموتون، فكان لا بد من البعث والنشور لمجازاة المؤمنين الموحدين بالجنة ومحاسبة المشركين والعصاة بالنار، وإلا فما قيمة الحياة، وما معنى إرسال الرسل وإنزال الكتب مع العلم أن الدنيا ليست دار مجازاة للمحسنين ولا دار حساب للعصاة المتمردين والكافرين قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:115]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة:36]. فهاتان الآيتان الكريمتان وغيرها من الآيات الدالة على البعث والرجوع إلى الله تؤكد حقيقة واحدة، وهو أن الإنسان لا بد أن يكون مسائلاً أمام الله تعالى يوم القيامة ومحاسباً على ما قدمت يده في الحياة الدنيا وبالتالي لا بد أن يكون مسؤولاً أهلاً للأمانة التي حملها نفسه وهي أن يفكر في معرفة موجهه وخالقه، وحقه عليه من السمع والطاعة لأمره، واجتناب نهيه، وأن ينظر إلى الدنيا أنها دار مرور عبور لا دار استقرار ومقام وأنه لا بد راحل عنها إلى دار لا تبلى ولا تفتنى. وهو ما هو يعبر عنه بالحياة الآخرة أو اليوم الآخر وما يحويه من بعث وحشر، وحساب، وجزاء، وجنة ونار، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا اليوم العظيم.

أولاً- معنى اليوم الآخر لغة واصطلاحاً:

اليوم الآخر لغة: قال ابن فارس: "الباء والواو والميم: كلمة واحدة هي: اليوم الواحد من الأيام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم، ويقولون: نعم فلان في اليوم إذا نزل" (1).

وفي اللسان: اليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، والجميع أيام لا يكسر إلا على ذلك، وأصله أيوأم فأدغم ولم يستعملوا فيه جمع الكثرة (2) وعند الراغب اليوم يعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت ويركب يوم مع إذ فيقال يومئذ نحو قوله: عز وجل ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [سورة المدثر:9]. ويعني بذلك يوم القيامة (3).
ثانياً: الآخر لغة: قال ابن فارس: الهمزة والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف المتقدم (4).

وفي اللسان الأخرى والآخرة: دار البقاء، صفة غالبية، والآخر بعد الأول، وهو صفة يقال: جاء آخراً وبأخره بفتح الخاء وأخراً وبأخره مجرف وبغير حرف، أي آخر كل شيء (5) فعبر عن الدنيا بالأول وعبر عن نهايتها وفنائها بالآخرة التي تعقب كل شيء.
وعند الراغب: آخر يقابل به الأول وآخر يقابل به الواحد، ويعبر عن الدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر عن الدار الدنيا عن النشأة الأولى (6).

أما اصطلاحاً: فهو أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها، والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة (7).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 654/2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 473/9.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 578.

(4) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 42/1.

(5) ابن منظور: لسان العرب: 95/1.

(6) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: 9.

(7) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، 191.

واليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث فيه للناس فيه للحساب والجزاء وسمي بذلك، لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم⁽¹⁾ وقد دل ذلك جمع من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي أخبرنا الله تعالى بها، ورسوله الكريم عن هذا اليوم العظيم ووصف أهواله وأحواله ومستقر أهله وصفاً تذهل فيه العقول وتشيب له الرؤوس يوم يعجز فيه اللسان عن الوصف والكلام.

ثانياً- حكم الإيمان به:

يعد الإيمان باليوم الأصيل الخامس من أصول الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة البقرة: 177]، "فعمقيدة الإيمان بالله تعالى لا تنفك عن الإيمان باليوم الآخر، لأن من مقتضى الإيمان بالإيمان بالله وتصديقه في جميع ما يخبرنا به، وقد أخبرنا باليوم الآخر في وعده ووعيده، وما أعد الله في هذا اليوم للمؤمنين المتقين، وما اعتد فيه من عذاب للمجرمين⁽²⁾."

"فعمقيدة الإيمان باليوم الآخر وما في هذا اليوم من حقائق ثابتة، عمقيدة معلومة من الدين بالضرورة لذلك يعمل المسلم دائماً وفق عمقيدته التي متى أخل بها كفر-أنه يؤمن باليوم الآخر، ولا ينكر شيئاً من أحوال الآخرة وحقائقها التي جاء الإخبار عنها بطريق يقيني صادق فلا ينقص منها شيئاً، ولا يزيد عليها شيئاً من محض الخيال والتصور لأنها أمور من أمور الغيب التي لا يستطيع العقل أن يعرف عنها أية صورة، ما لم يأت نص واضح يبين له شيئاً من حقائقها عن طريق الرسول المبلغ عن الله تعالى الذي هو وحده عالم الغيب ولا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول"⁽³⁾.

إذاً الإيمان باليوم الآخر هو إيمان بالغيب، لأن أحداً لم يشهده بنفسه وإنما أخبرنا الله تعالى عن طريق رسله الكرام، فسييله هو النقل الصحيح مما جاء في الكتاب

(1) محمد بن عبد الوهاب، شرح الأصول الثلاثة، شرح عبدالعزيز بن باز، ابن عثيمين، صالح الفوزان، اعتنى به المركز المنير للتحقيق، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1429 هـ / 2008، 245.

(2) عبدالرحمن حنكة، العمقيدة الإسلامية وأسسها، 537.

(3) عبدالرحمن حنكة، عمقيدة المسلم وأسسها، 537-538.

والسنة والعقل الصريح مما يقره العقل ولا ينكر وجوده وحدثه أحد، ومن مقتض
الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعدة أمور، كالبعث والحشر، والحساب والجزاء، والميزان
والصراط، والجنة والنار.

الأمر الأول: البعث:

1- البعث في اللغة الإرسال:

الإرسال يقال: "بعثه وإبتعثه بمعنى أي أرسله فانبعث"⁽¹⁾ كما يأتي بمعنى الإحياء
من الله للموتى، ويأتي بمعنى الإثارة⁽²⁾.

أما في اصطلاح الشرع: "هو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية
فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين غير مستترين غرلا غير مختنين"⁽³⁾.
قال ابن كثير "البعث وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"⁽⁴⁾ فكلا
التعريفان يدلان على اشتمال البعث على بعث الأجساد والأرواح معاً.

وأن هذه الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها التي كانت عليها في الحياة
الدنيا بإتفاق أصحاب الملل، قال شيخ الإسلام بن تيمية-رحمة الله- "ومعاد الأبدان متفق
عليه عند المسلمين واليهود والنصارى"⁽⁵⁾، وهو ما جاءت به جميع الرسل وأكده جميع
الشرائع السماوية، قال ابن قيم الجوزية: "وأما الحق الذي اتفقت عليه الرسل، واتباعهم،
فهو أن هذه الأرواح باقية بعد مفارقة أبدانها لا تفتنى ولا تعدم، وأنها منعمة أو معذبة
في البرزخ، فإذا كان يوم المعاد ردت إلى أبدانها"⁽⁶⁾ فيكون البعث لكليهما معاً.

2- دليله

قرر القرآن الكريم أدلة البعث وأقام عليه البراهين والحجج فجاءت براهين
المعاد في القرآن مبنية على أصول ثلاثة ذكرها ابن قيم الجوزية.

(1) ابن منظور: لسان العرب، 449/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 450/1، وابن فارس معجم مقاييس اللغة، 139/1.

(3) محمد بن عبد الوهاب، شرح الأصول الثلاثة، 245.

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 614/4.

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، 160/4.

(6) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 409/2.

"أحدهما تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال فيه جواب من قال: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [سورة يس: 78-79]. وأما الثاني: تقرير كمال قدرته: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [سورة يس: 81].
 وأما الثالث: كمال حكمته كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾ [سورة الأنبياء: 16]، ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل في الشرع وأن كمال الرب وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجهه وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزهه كما له عن سائر العيوب والنواقص" (1).

هذا كما ساق من الأدلة والبراهين ما يفهم الخصوم ويرد حجج المبطلين فذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّنْ نُظَفِّئُهُ ثُمَّ مِمَّنْ عَلَقَةٌ ثُمَّ مِمَّنْ مُضْغَةٌ مُّخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَّبِيٍّ لَّكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [سورة الحج: 5]. يقول ابن قيم الجوزية: في الاستدلال بهذه الآية "إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الإمكان والوقوف بإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها" (2).

الأمر الثاني: الحشر:

والحشر لغة: قال ابن فارس "معناه الجمع مع سوق وكل جمع حشر" (3).

وقال الراغب: ولا يقال الحشر إلا في الجماعة (1).

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد 14-15 باختصار يسير.

(2) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، 157/1.

(3) ابن فارس معجم مقاييس اللغة 297/1.

وقال ابن منظور: " الحشر لغة معناه الجمع حشر حشرهم ويحشرهم حشرا جمعهمومنه يوم المحشر والحشر جمع الناس يوم القيامة، والمحشر المجمع الذي يحشر إليه القوم" (2).
 أمّا في اصطلاح الشرع: الحشر: "هو الضم والجمع ويراد به تارة الحشر إلى موقف القيامة كقول النبي ﷺ: ((إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً)) (3) وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكوير:5]، وكقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:47]، ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر فحشر المتقين جمعهم إلى الجنة، وحشر الكافرين جمعهم وضمهم إلى النار" (4) قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ [سورة مريم:85]، وقال: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة مريم:23]، وقال: ﴿سورة الصافات:22-23]. هذا الحشر هو بعد حشرهم إلى الموقف وهو حشرهم وضمهم إلى النار" (5) ومن هنا يكون الحشر حشران حشر أهل المتقين إلى الجنة و حشر المجرمين إلى النار بعد الجمع.

وقال ابن قيم الجوزية: "فقد قيل أول حشر الناس عند قيامهم من قبورهم في هذه الأرض التي ماتوا ودفنوا فيها ثم يحولون إلى الأرض التي تسمى الساهرة ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [سورة النازعات:14]، والساهرة هي التي يحاسبون عليها إذا فرغوا من الحساب وجازوا على الصراط" (6) وهذا وقد بينت السنة الشريفة الهيئات والحالات التي يأتي بها الخلائق، وهي هيئات وحالات مختلفة أما حسنة وإما قبيحة يحسب ما قدموا من خير وشر، وإيمان وكفر وطاعة ومعصية.

(1) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 119.

(1) ابن منظور لسان العرب 456/2

(3) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ حديث رقم 3349،

ومسلم كتاب: الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم 2860.

(4) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 58/1، 59.

(5) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، 59/1.

(6) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد: 770.

الأمر الثالث: الحساب:

والحساب لغة عند ابن فارس لفظ يطلق ويراد به عدة معان الأول: "العدّ تقول حسبت الشيء أحسبُه حسباً و حسباناً، والإحصاء والحسب والثاني: الكفاية، تقول شيء حساب، أي كافٍ، ويقال أحسبت فلانا إذا أعطيته ما يرضيه⁽¹⁾ والحسبان ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه وكذلك لقطعة الحسيب والمحاسب فإنها تطلق مراداً بها الحساب قال الراغب: "والحسيب والمحاسب من يحاسبك ثم يعبر عن المكافئ"⁽²⁾.

وقال ابن منظور: "الحساب لفظ يطلق ويراد به عدة إطلاقات منها العد والإحصاء والحسب العد والمعدود والحسب قدر الشيء كقولك الأجر بحسب ما عملت، وحسبه أي قدره ويأتي كذلك بمعنى الكثرة"³.

والحاصل من الأقوال السابقة أن المراد بالحساب، الكثرة في الشيء والزيادة والعد والإحصاء والدقة في العدد دون زيادة ولا نقصان.

أما اصطلاحاً: "الحساب يدور على محتويات الكتب التي يعطاها كل فرد من أفراد الناس في ساحة فصل القضاء، ويقرؤها كل واحد من أهل الموقف سواء من كان يقرأ منهم ومن لم يكن يقرأ"⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الغاشية: 25-26]، وهذه المرحلة من أهم المراحل التي يمر بها الناس يوم القيامة للفصل بينهم، وإقامة الحكم بالعدل فلا تظلم نفس شيئاً ويسبق الحساب عرض فسؤال وقد ثبت في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((من نوقش الحساب عذب، فقالت عائشة أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الانشقاق: 7-8]، فقال بل ولكن ذلك العرض، ومن نوقش السحاب

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 293/1، 294.

(2) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 116.

(3) ابن منظور لسان العرب 433/2_ 435.

(4) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، 209.

عذب)) (1).

قال ابن قيم الجوزية: "فأشكل عليها النصين حتى بين لها -صلوات الله- وسلامه عليه أنه لا تعارض بينهما وإن الحساب اليسير هو العرض الذي لا بد أن يبين الله فيه كل عامل عمله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:18] حتى ظن أنه لن ينجو نجاه الله تعالى بعفوه ومغفرته ورحمته فإذا ناقشه الحساب عذبه ولا بد" (2).

الأمر الرابع: الميزان:

لغةً: الوزن نقل شيء بشيء، وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان، فهو يطلق ويراد به قدر الشيء وقيمته أو خسة الشيء وسقوطه كما تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن أي قدر لخسته، ويقال: وزن الشيء إذا قدره ووزن تمر النخيل إذا فرضه، والميزان يقال: للآلة التي يوزن بها الأشياء والميزان العدل" (3).

وقال الراغب: الوزن معرفة قدر الشيء يقال: وزنته وزناً ووزنة" (4)

أمّا اصطلاحاً: فهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توضع فيه الأعمال بعد تحويلها

إلى أعراض محسوسة وهذا ما ذكره ابن قيم الجوزية في نونيته المشهورة حيث يقول:

ينشئ من الأعراض أجساماً ما كذا	بالعكس كل قابل الإمكان
أفما تصدق أن أعمال العبا	د. تحط يوم العرض في الميزان
وكذلك تثقل تارة وتخف أخ	رى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان وكفتاه تقيمه	والكفتان إليه ناظرتان
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو الـ	محسوس حقاً عند ذي الإيمان (5).

(1) أخرج البخاري، كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب حديث رقم 6537.

(2) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، 1053/3.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 293/9، 294.

(4) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 559.

(5) ابن قيم الجوزية: الكافية الشافية: (القصيدة النونية)، 281.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: -رحمه الله- "الميزان: هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة" مثل قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [سورة الأعراف:8]، ﴿وَمَنْ حَقَّ مَوَازِينُهُ﴾ [سورة الأعراف:9]، وقوله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأنبياء:47]، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) (1)(2).

فيتضح مما سبق أن الميزان هو الآلة التي توضع فيها الأثقال والأوزان، وصحائف الأعمال أوزان تتحول إلى أثقال يوم القيامة بقدره الله سبحانه وتعالى لتجزي كل نفس ما قدمت من أعمال الخير أو الشر.

الأمر الخامس: الصراط

والصراط لغة: الطريق المستقيم (3) ويقال له الصراط بالسين "الطريق المستسهل أصله من سرت الطعام وزرته ابتلعتة فليل سراط تصوراً أنه يبتلعه سالكه أو يبتلع سالكه" (4) وقال ابن قيم الجوزية: "تسمى الطريق صراطاً لأنه يسترط المارة والصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقاً مستقيماً، سهلاً مسلوفاً واسعاً موصلاً إلى المقصود" (5).

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته (6).

(1) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب فضل التسبيح حديث رقم 6406 وكتاب: الإيمان والندور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم حديث رقم 6682، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: 2694.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 170/47.

(3) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 287.

(4) المصدر نفسه، 235.

(5) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 307.

(6) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 11/1.

أما اصطلاحاً: فقد جلى هذا المعنى في وصف الصراط ابن قيم الجوزية مبيناً وموضحاً أن هناك صراطان، صراط معنوي، وصراط حسي مادي، الصراط المعنوي ويتمثل في اتباع شرع الله وطريق رسله-عليه الصلاة والسلام-وحتماً هو الطريق الموصل إلى الجنة. والصراط الثاني: المتمثل فذلك الذي نصبه لخلقهم يوم القيامة للمرور عليه وعلى قدر ثبوته على الصراط المستقيم في الدنيا يكون ثبوته على الصراط المنصوب في الآخرة فقال: "وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط"⁽¹⁾، الذي وصف صلى الله عليه وسلم المارين عليه بحسب أعمالهم الصالحة في الدنيا: ((فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الركاب ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبوا حبواً، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار))⁽²⁾ فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القذة بالقذة جزاء وفاقاً. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النمل:90] ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره عن هذا الصراط المستقيم فإنها الكلاليب التي بجني ذاك الصراط، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه"⁽³⁾ وتقف حاجزاً بينه وبين الجنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمة الله- "فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية مدارج السالكين 10/1

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان باب: فضل السجود، حديث رقم 806 وكتاب التوحيد باب: قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ القيامة 22، 23. حديث رقم 7437، ومسلم كتاب الإيمان باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم 182.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 10/1.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 81/3.

الأمر السادس: الجنة :

وهما آخر المراحل التي يتم فيها الثواب والعقاب، فقد أعدّ الله تعالى دارين، دار للنعيم المقيم وأسماءها الجنة أعدها للمتقين وجعلها مأوى لهم، وجعلها مراتب ودرجات كل حسب عمله وما قدمه في الدنيا من صالح الأعمال والأقوال. وجعلها منازل ودرجات كل حسب عمله للمجرمين من الكافرين والعصاة المتمردين، وجعلها منازل ودرجات كل حسب عمله في الدنيا، وما قدمت يداها، وقد وصف الله تعالى كلاً من الجنة والنار في القرآن الكريم وصفاً دقيقاً فوصف الجنة بأوصاف تبعث في النفوس البهجة والسرور وتحثها على السعي نحو مرضاة الله، ووصف النار بأوصاف تقشع منها الأبدان وتنزع منها القلوب ما يجعل النفوس تخافها وتحشاها بهجر ما نهى الله والعمل بما أمر والجنة كما جاء وصفها لغة "هي البستان العظيم الذي يستر ما بداخله وهي مشتقة من مادة: جن التي هي بمعنى الستر ولذلك سمى الجن جنّاً لاستتارهم واختفائهم عن الأنظار كما سمى الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه، ومنه جنون الليل أي شدة ظلمته وستره لما فيه"⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً: "الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله، عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله مخلصين لله متبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم"⁽²⁾ وقد جاء وصفها في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة وصفاً معبراً عما فيها من النعيم والخير الكثير، ومن أفضل ما وصف عن الجنة ما ألفه ابن قيم الجوزية في خاتمة نونيته الشهيرة⁽³⁾ مستقراً ذلك من القرآن وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة وكتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح الذي فصل فيه الكلام وأطال فيه الشرح والبيان واصفاً إياه أنه "إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً

(1) ابن منظور، لسان العرب، 230/2.

(2) محمد بن عبد الوهاب، شروح الأصول الثلاثة، 247.

(3) ابن قيم الجوزية: الكافية، الشافية، 249-282.

وجلي عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات
الجنات وباعث الهمم العليات إلى العيش الهنيء في تلك الغرفات" (1).

الأمر السابع: النار

والنار كما أخبرنا عنها القرآن الكريم هي مأوى الكافرين والمتكبرين، عن
طاعته قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٧٦) خَلِيدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧٧﴾ [سورة
هود: 106-107]

وقد أكثر سبحانه من ذكر النار ووصفها في القرآن الكريم تخويفاً وترهيباً، وحذر
من عذابها الوقوع فيما يستوجب عقبا من الشرك بالله والكفر والمعاصي وجميع ما حرم
الله ونهى عنه.

النار لغة: تقال: للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم ولنار
الحرب (2).

وشرعاً: من خلال الاستقراء لنصوص القرآن والأحاديث النبوية الشريفة أن
النار هي دار العقاب والعذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين فيها أنواع رهيبه من
العذاب المادي والروحاني، وأنها دركات فوق بعضها بعض كل دركة أشد عذاباً من
الأخرى.

وخلاصة القول أن الجنة حق وأن النار حق، والتصديق بهما واجب وأنه من
الإيمان بالله تعالى، وأنهما مخلوقتان موجودتان ولا تفنيان، ومن زعم غير ذلك فهو غير
مؤمن بهما، قال ابن قيم الجوزية: "فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن
وأحاديث رسوله ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار" (3).

(1) ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 18.

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 530.

(3) ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 65.

ثالثاً: مقاصد الإيمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر مقاصد جليّة وغايات عظيمة تتجلى في صلاح قلوب العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأبرز هذه المقاصد مما يأتي:

1- ضرورة اليقين باليوم الآخر:

إن في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثاراً واضحة وثماراً طيبة، لا بد أن تظهر في قلب العبد على لسانه وجوارحه، وفي حياته كلها، ولكن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر ومجاهدة الشهوات، والعوائق، وذلك أن العبد مع يقينه باليوم الآخر وأحواله يرى في حياته ثمرات هذا اليقين ضعيفة، فلا بد إذا من سبب لهذا الأمر، ويجلي هذه المسألة ابن قيم الجوزية: فيقول: "فإن قلت: كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل؟ وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غداً بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشدّ عقوبة، أو يكرمه أتم كرامة، ويبيت ساهياً وغافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك، ولا يستعد له، ولا يأخذ له أهميته؟ قيل: هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر هذا الخلق فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء، وهذا التخلف له عدة أسباب، عزاه ابن قيم الجوزية إلى سببين رئيسيين لكل منهما نصيبه في ضعف إيمان صاحبه و غفلته عن ربه.

"رد أحدهما: ضعف العلم ونقصان اليقين، ومن ظن أن العلم لا يتفاوت، فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك، ليزداد طمأنينة، ويصير المعلوم غيباً شهادة، وقد روى أحمد في مسنده: ((ليس المخبر كالمعائن))⁽¹⁾ فإذا اجتمع إلى ضعف العلم عدم استحضاره، وغيبته عن القلب في كثير من أوقاته أو أكثرها لاشتغاله بما يضاده، وانضم إلى ذلك تقاضي الطبع، وغلبات الهوى، واستيلاء الشهوة، وتسويل النفس وغرور الشيطان"⁽²⁾.

واستبطاء الوعد، وحلول الأمل، ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل وإلف العوائد، فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك السموات والأرض أن تُزولا، ولهذا

(1) أخرجه أحمد، 3/341، حديث رقم 1842. حديث صحيح، صححه ابن حبان والحاكم.

(2) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، 51.

السبب يتفاوت الناس في الإيمان والأعمال، حتى ينتهي إلى أدنى مثقال ذرة في القلب، وجماع هذه الأسباب يرجع إلى ضعف البصيرة والصبر، ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر واليقين، وجعلهم أئمة الدين، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: 24].⁽¹⁾

2- الإخلاص لله عز وجل والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم

إن الموقن بقاء الله عز وجل يوم الفزع الأكبر لا تلقاه إلا حريصاً على أعماله خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال فتصبح هباءً منثوراً والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء والعجب والمن وطلب الجاه والشرف في الدنيا فكلما كان العبد موقناً بقاء ربه كان أحرص ما يكون على أن لا تضع منه أعماله الصالحة يوم القيامة وهو في أشد الأوقات حاجة إليها، ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالى لعل الله عز وجل أن ينفعه بها، كما أن اليقين بالرجوع إلى الله عز وجل يجعل العبد في أعماله كلها متبعاً للرسول -صلى الله عليه وسلم- غير مبتدع ولا مبدل قال ابن قيم الجوزية: "فلا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره وما عدا ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه أحوج ما هو إليه، هباءً منثوراً وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد))⁽²⁾ وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء"⁽³⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي، 52/51.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الصلح باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث رقم 2697 ومسلم كتاب الاقضية باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم 1718، 1718.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 65/1.

3- الحذر من الدنيا والزهد فيها والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب وسلامته.

إذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائماً على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكثر بزهرتها ولا يحزن على فواتها قال ابن قيم الجوزية: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها فهذا أحد النظرين

والنظر الثاني: في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وإقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى: 17]، فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة"⁽¹⁾ وهذا وزهد العبد في الدنيا لا يعني انقطاعه عنه، وعدم ابتغاء الرزق في أكنافها لقوله الله تعالى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص: 77]. هذا كما يتولد من هذا الشعور الراحة النفسية والسعادة القلبية، وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات وذلك للرجاء فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله عز وجل، وما أن يفقد القلب هذه المعاني حتى يجيم عليه الهم والتعاسة وقلوب العباد في هذا الأمر تتفاوت في الهم والغم كثرة واستمراراً بحسب ما فيها من الإيمان أو الفسوق والعصيان يقول ابن قيم الجوزية: القلوب على نوعين "قلب هو عرش الرحمن ففيه النور والحياة والفرج والسرور والبهجة، وذخائر الخير وقلب هو عرش الشيطان فهناك الضيق والظلمة والموت والحزن والغم والهم"⁽²⁾ أما ذلك الذي عرف الدنيا على حقيقتها وامتلأ

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 123، 124.

(2) ابن قيم الجوزية: الفوائد: 42.

قلبه بهم الآخرة وأنبأها فإن نفسه لا تذهب حسرات على الدنيا ولا تنقطع نفسه لهثاً في طلبها ولا يأكل قلبه الحسد والتنافس فيها ولا يقل صبره ولا يجزع قلبه عند المضي والشدائد، ومهما حرم في هذه الدنيا فهو يعلم أن الله عز وجل الحكمة البالغة، وهو يرجو الأجر يوم القيامة.

4- التزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات واجتناب المعاصي والمبادرة بالتوبة والاستغفار:

إذا لم يبادر العبد بطاعة الله تعالى والتزود بالأعمال الصالحة، ويرجو ثواب ربه فإنه أبعد ما يكون عن طاعة الله تعالى ورجاء مغفرته، وقبول استغفاره وتوبته. يقول ابن قيم الجوزية: "ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدهما: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع مخافة الفوات، وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))⁽¹⁾ وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ٦٣ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا

(1) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الخوض، حديث رقم: 2450. وإسناده حسن

هُمَّ يَجْرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ بِإِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ [سورة المؤمنون: 57-65] (1).

يقول ابن قيم الجوزية: "فتأمل كيف جعل رجاءهم اتيانهم بهذه الطاعات؟ وقال المغترون: إن المفرطين المضيعين لحقوق المعطلين لأوامره الباغيين على عباده، المجترئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله" (2).

5- اجتناب الظلم بشتى صورته:

إن كثرة الظلم وتفشيها بين العباد في الأنفس والأموال والأعراض لا يمنعه ولا يوقفه إلا اليقين بالرجوع إلى الله عز وجل، وإعطاء كل ذي حق حقه وإنصاف المظلوم من ظلمه، فإذا تذكر العبد هذا الموقف العصيب والرهيب موقف القيامة حينما تنصب الموازين القسط، فلا يضيع عند الله شيء وقد أيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق والحذر من ظلمهم واتقاء دعوتهم. يقول ابن قيم الجوزية: "لا تحتقر دعاء المظلوم، ويحك نبال أدعيته مصيبة وأن تأخر الوقت قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل وأستاذه "لأنصرك ولو بعد حين" احذر عدواة من ينام وطرفه باك يقلب وجهه في السماء يرمى بها ما لها غرض سوى الأحشاء منك" (3) فاستيفاء الحقوق يوم القيامة والتقاضي هناك ليس بالدينار الدرهم ولكن بالحسنات والسيئات فلتتذكر دائماً يوم الفصل العظيم يوم يفصل الحكم العدل بين الناس ويقضي- بين الخصماء بحكمه وهو أحكم الحاكمين.

6- حصول الأمن والاستقرار بين الناس بالحكم بشريعة الله:

أن مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله عز وجل واليقين بالآخرة والجزاء والحساب لا شك أنه مجتمع يسود أفراد الأمن والسلام، لأن تعظيم الله سبحانه من تعظيم شرعه الذي جعل النفوس لا ترضى بغير شرع الله عز وجل حكماً أو بديلاً ولا تقبل الخضوع إلا لحكمه وشرعه، وهذا بدوره يجعل مثل هذه المجتمعات مطمئن وتسعد

(1) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي: 52، 53.

(2) المصدر نفسه: 53.

(3) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 954.

لأن أهلها أشد حرصاً على مرضاة الله وخوفاً من عقابه يوم الفصل والجزاء فلا تحاكم إلا لشرع الله، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة فلا خيانة، ولا غشى- ولا ظلم، وهذا لا ينفي البتة أن هناك مجتمعات يمارس فيها الظلم وتمارس فيها المعاصي، ويقل فيها الوازع الديني والخوف من الآخرة عندها يكون التحاكم إلى الطاغوت، وحكمهم في هذا هو البلاء العظيم قال ابن قيم الجوزية واصفاً الطاغوت "كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما يعلمون أنه طاعة له"⁽¹⁾ وقال أيضاً "أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردة وحتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً"⁽²⁾ فمن تحاكم إلى غير شرع الله تعالى كان فساداً كبيراً وشرراً مستطيراً، حيث تداس هناك القيم وتنتهك الحرمات ويسطوا القوى على الضعيف، وبالتالي لا يأمن الناس على عقائدهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم، وكفى بذلك سبباً في عدم الأمن والاستقرار وانتشار الخوف واختلال حياة الناس.

فالحكمة تقتضي تحكيم شرع الله تعالى وتفويضه على باعث النفس والهوى؛ لأن ما تأتي به الشريعة من غايات وحكم مما لا تستقل العقول بإدراكه، وأن العباد لا صلاح لهم بدونها ألته قال ابن قيم الجوزية: "لا ريب أن الشرائع تأتي بما لم تستقل العقول بإدراكه فإذا جاءت به الشريعة اهتدى العقل حينئذ إلى وجه حسن مأموره، وقبح منهيه فسرتة الشريعة على وجه الحكمة والمصلحة الباعثين لشرعه"⁽³⁾ ولا يتحقق الأمن والأمان إلا بتطبيق السياسة العادلة المنبثقة من الاطلاع على الشريعة وكمالاتها كما قال ابن قيم الجوزية: "ومن له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالها وعدلها وسعتها

(1) ابن قيم الجوزية: علام الموقعين 68/1.

(2) المصدر نفسه، 69/1.

(3) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة 451/2.

ومصلحتها وان الخلق لاصلاح لهم بدونها البتة، علم أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن أحاط علماً بمقاصدها ووضعها مواضعها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة خرج الحق من الظالم الفاجر وهي من الشريعة علمها من علمها، وخفيت على من خفيت عنه⁽¹⁾.

7- تقصير الأمل وحفظ الوقت:

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد طول الأمل والأمني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة واغترار بزينة الحياة الدنيا فأمثال هؤلاء "قد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل وشملتهم الغفلة، وثمرتهم الأماني، والخدع الكاذبة فخدعهم حلول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهم في لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بأخرتهم طاروا إليه زرافات ووجداناً، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً"⁽²⁾ حتى إذا ضلوا هكذا يلهثون وراء أمانيتهم وباغتهم الأجل قطع عليهم آمالهم، وذهبت نفوسهم حسرات على ما فرطت في عمرها وأضاعمت من أوقاتها، ولكن التيقن بالرجوع إلى الله عز وجل والتذكر الدائم لقصر الحياة وأبدية الآخرة وبقائها هو العلاج الناجع لطول الأمل وضياح الأوقات يقول ابن قدامة: "واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان أحدهما حب الدنيا، والثاني الجهل".

السبب الأول: حب الدنيا: فإن الإنسان إذا أنس وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمنى نفسه أبداً بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر

(1) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد 791

(2) ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. ص 5.

أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر⁽¹⁾ وقد ران عليه وحجب قلبه عن رؤية الحق ومعرفته، فصار كل شيء عنده من باب الأمانى، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه، فإن خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له، سوّف بذلك ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر قال: إلى أن يصير شيخاً وإن صار شيخاً، قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة أو يرجع من هذه السفرة، فلا يزال يسوّف ويؤخر ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم، ويشغل بشغل بعد شغل، إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته.

السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قالوا الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخاً قد يموت ألف صبي وشاب، وقد يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة وأن استبعد ذلك⁽²⁾ وكلاهما من أخطر الأسباب على الإنسان وعلى حياته في الدارين فإن من يعول على الأمان مع التفريط في حق الله وحق نفسه كان من جملة القوم الخاسرين الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة.

قال ابن قيم الجوزية: "فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضرم من التسويف وطول الأمل"⁽³⁾.

8- محاسبة النفس في الدنيا قبل يوم القيامة:

إن المحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر، وأن الله تعالى سوف يحاسب فيه الخلائق فإنه يقينه بلقاء ربه يوم الحساب يبعث على النظر في نفسه ومحاسبتها في الدنيا قبل أن تحاسب في الآخرة قال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما حق

(1) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين 367.

(2) ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين: 367، 368.

(3) ابن قيم الجوزية: طريق المحترين 341.

الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة⁽¹⁾.

فمحاسبة النفس أمر عظيم جداً، وقضية مهمة للغاية تدور عليها السعادة ولا تصلح النفس ولا يحصل الصلاح إلا بها، وقد بين ابن قيم الجوزية الأمور التي تعين على المحاسبة فقال: "معرفته أنه كلما اجتهد فيها استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً، وبعينه عليها أيضاً: معرفة أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها: دخول النار والحجاب عن الرب تعالى فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم، فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها⁽²⁾".

وقال: "وترك المحاسبة والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتها فإن هذا يؤول به إلى الهلاك ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موافقة الذنوب، وأنس بها وعسر عليها فظامها⁽³⁾" قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحشر: 18]. قال ابن قيم الجوزية في تفسير هذه الآية "يقول الله تعالى لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: آمن الصالحات التي تجنبه، أم السيئات التي توبقه؟⁽⁴⁾".

9- ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال قضية الإيمان بالبعث أنه حقيقة يقينية لا يتطرق إليها شك ولا ينكرها إلا ملحداً أو معطلاً.

إن إنكار حقيقة البعث يناقض الإيمان بالكلية، وينافي تصديق القلب وإقرار اللسان كما يتضمن إنكار البعث تعطيلاً لأسماء الله وصفاته، ومقتضاها، وإنكار لعلم الله تعالى وقدرته وحكمته قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

(1) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان 75/1.

(2) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان، 76/1.

(3) المصدر نفسه، 76/1، 77.

(4) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللفهان، 79/1.

إِنِّيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

[سورة المؤمنون: 115-116]

يقول ابن قيم الجوزية: عن هذه الآيات "فجعل كمال ملكه، وكونه سبحانه الحق وكونه لا إله إلا هو وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه مبطلاً لذلك الظن الباطل والحكم الكاذب، إلى أن قال: فإن ملكه الحق يستلزم أمره ونهيه، وثوابه وعقابه وكذلك يستلزم إرسال رسله، وإنزال كتبه، وبعث المعاد ليوم يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه، ولم يثبت له الملك الحق ولذلك كان منكراً كافراً بربه، وإن زعم أنه يقر بصانع العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال والمستحق لنعوت الكمال"⁽¹⁾ وهذه حقيقة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حقائق النشور والبعث والحساب .

ويقول في موضع آخر "وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته، فإن شبه المنكرين له كلها، تعود إلى ثلاثة أنواع احدهما اختلاط أجزاءهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص. الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة منه وإنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعده شيء، هكذا أبداً كلما مات جيل خلفه جيل آخر فأما أن يموت النوع الإنساني كله ثم يحييه بذلك فلا حكمة في ذلك"⁽²⁾ ولهذا كان الصواب أن المعلوم معلوم بالفعل مع الشرع وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص"⁽³⁾ إضافة إلى ذلك فإنكار البعث سؤ ظن بالله عز وجل، كما قال ابن قيم الجوزية: "ومن ظن إنّه لن يجمع

(1) ابن قيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن: 108.

(2) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 13، 14.

(3) المصدر نفسه: 15.

عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار مجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته
ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن
أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء⁽¹⁾ وسوء الظن بالله تعالى ذنب عظيم
وعقابه وخيم لا يخرج إلا من صدور المكذبين والمنافقين فنسأل الله السلامة من كل
ذنب عظيم.

10- بيان الحكمة البالغة في بعث الأموات بعد موتهم

وذلك أن الله تعالى من مقتضى علمه وحكمته سبحانه وتعالى أن بين للناس
حقيقة ما اختلفوا فيه من حكمة بعث الأموات بعد موتهم، وقد جلي هذه المسألة ابن
قيم الجوزية: بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ
يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽³⁸⁾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ
فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ ﴾⁽³⁹⁾ سورة النحل: 38-39 فذكر تعالى
حكمتين بالغتين في بعثه الأموات بعدما أماتهم.

"إحدهما: أن بين للناس الذين اختلفوا فيه، وهذا بيان عياني يشترك فيه الخلائق كلهم،
والذي حصل في الدنيا بيان إيماني اختص به بعضهم.

الحكمة الثانية: علم المبطل بأنه كان كاذباً وإن كان على باطل وإن نسبة أهل الحق
إلى الباطل من افتراءه وكذبه وبهتانه فيخزيه ذلك أعظم خزي"⁽²⁾.

11- إدراك الغاية والحكمة من خلق الجنة والنار

إن معرفة مقتضيات الحكمة الإلهية في حلول الثواب بأهل طاعته سبحانه وتعالى،
وإنزال العذاب بأهل معصيته إنه لمن الحكمة الإلهية أن تكون أن هناك جنة ونار، ولو
لم تكن هناك جنة ولا نار، لكان هذا من العبث الذي ينزهه الرب الحكيم عنه نفسه.
لكن علمه سبحانه وحكمته يقتضيان خلاف ذلك. وذلك لأنه سبحانه وتعالى لما خلق
الإنس والجن أمرهم بعبادته وطاعته وحذرهم من معصيته وأوجب لعباده إن هم أطاعوه

(1) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد 104/3.

(2) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 1211.

أن يدخلهم جنته، وأن لا يعذبهم وأوجب في حق من عصاه وخالفه أن يعذبه بناره، وهذا من مقتضى عدله ورحمته فلم يعذب خلقه لحاجة أو لمنفعة له منهم وإنما لغاية تقتضيها المصلحة قال ابن قيم الجوزية: مبينا هذا الوجه من الحكمة "أن عقوبته ليست لحاجته إلى عقوبته ولا لمنفعة تعود إليه، ولا دفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة، بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هي عبث محض خال من الحكمة والغاية الحميدة ، فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه فإما إن يكون من تمام أوليائه وأحبابه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا وهذا"⁽¹⁾.

وقال أيضاً: في بيان الحكمة والغاية من خلق النار "أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت ها هنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين وإن لم تطهر في هذه الدار، ووافقت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها، ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار"⁽²⁾ وأدخله جنته وجنته من موجبات رحمته سبحانه، كما قال ابن قيم الجوزية: "إن الجنة موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه ورحمته تعالى تغلب غضبه وتسبقه"⁽³⁾ كما "إن العفو أحب إليه سبحانه وتعالى من الانتقام والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل ولهذا ظهرت آثار المحبة في شرعه وقدره، ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه"⁽⁴⁾.

والأمر الآخر الذي يجب معرفته في إظهار الحكمة من خلق الجنة والنار وذلك لوجهين ذكرهما ابن قيم الجوزية:

(1) ابن قيم الجوزية: حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 367.

(2) المصدر نفسه ، 367.

(3) المصدر نفسه: 378.

(4) المصدر نفسه: 372.

الوجه الأول: وهو أن الله سبحانه لما خلق الجنة دار جزاء وثواب وقسم منازلها بين أهلها على قدر أعمالهم، وعلى هذا خلقها سبحانه لما له في ذلك من الحكمة التي اقتضتها أسماؤه وصفاته، ((فإن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وبين الدرجتين كما بين السماء والأرض كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض"))⁽¹⁾، وحكمة الرب سبحانه مقتضية لعمارة هذه الدرجات كلها، وإنما تعمر ويقع التفاوت فيها بحسب الأعمال كما قال غير واحد من السلف ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضلهم وبنعمته ومغفرته ويتقاسمون المنازل بأعمالهم² فمنازل الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء غير منازل غيرهم من صالحى البشر، فكما يتفاوتون في درجة الإيمان يتفاوتون في منازل الجنة ودرجاتها فعلى قدر العمل يكون الجزاء والأجر: فالمقصود أن حكمته سبحانه افتضت خلق الجنة درجات بعضها فوق بعض، وعمارته بآدم وذريته، وإنزالهم فيها بحسب أعمالهم، ولازم هذا إنزالهم إلى دار العمل والمجاهدة، وأنه أيضاً سبحانه خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض كما أخبر سبحانه في كتابه بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [سورة البقرة: 30]

فأراد سبحانه أن ينقله وذريته من هذا الاستخلاف إلى توريثه جنة الخلد، وعلم سبحانه بسابق علمه إنه لضعفه وقصور نظره قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس، فإن النفس مولعة بحب العاجلة وإيثارها على الآخرة، وهذا من لوازم كونه خلق من عجل وكونه خلق عجولاً فعلم سبحانه ما في طبيعته من الضعف والخور، فاقتضت حكمته أن أدخله الجنة ليعرف النعيم الذي أعد له عياناً فيكون إليه أشوق وعليه أحرص، وله أشدُّ طلباً فإن محبة الشيء وطلبه من لوازم تصوره⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله: يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي، حديث رقم 2790، الترمذي كتاب: صفة الجنة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة، حديث رقم 2530.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة 17/1

(3) المصدر نفسه: 18/1-19. باختصار.

الوجه الثاني: إن من مقتضى عدله ورحمته بخلقه إنه سبحانه لا بد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وإن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيها حكماً يحمدونه هم عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قال تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الزمر: 75].

وخلاصة القول هو أن الحكم الإلهي يوجب وضع العقوبة على الظالمين بمقتضى عدلهمما تشهد له العقول والفطر وهذا لا يتنافى مع كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته قال ابن قيم الجوزية: " ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك، ولا يحسن بها سواه بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولى به حصلت الحكمة التي لأجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك وليس في الحكمة الألهية إن الشرور تبقى دائماً ولا نهاية لها ولا انقطاع أبداً، فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء، فهذه نهاية الفريقين في هذه المسألة"⁽¹⁾.

الخلاصة:

من مقتضيات عدل الله تعالى وحكمته أن يكون هناك يوم آخر يحاسب فيه الخلق على أعمالهم التي قدموها في الدنيا من خير أو شر وأن يسبق هذا اليوم مقدمات و أمور من البعث ، والنشور و الحساب ، والميزان ، والصراط ثم يكون بعد ذلك الشواب والجزاء بإثابة المؤمنين بالجنة ومعاقبة المشركين والمجرمين بالنار . فالإيمان بهذا الركن العظيم وما يجري فيه من حوادث عظيمة، و أمور جسام هو من مقتضيات الإيمان بالله تعالى فالتصديق به حق والإيمان به واجب والعمل بمقتضى هذا الإيمان يثمر للعبد ثمرات طيبة و آثار عظيمة، تتجلى في صلاح القلوب وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

(1) ابن قيم الجوزية: حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح: 387.

المبحث الثالث: التعريف بالقضاء والقدر وبيان مقاصده
أولاً- تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً

القضاء والقدر من أركان العقيدة التي يجب الإيمان بها والإستسلام لها فالله سبحانه وتعالى جعل للقضاء والقدر حكمة وأنه لا يقع شئ في الوجود حتى أفعال العباد الإختيارية إلاّ يعلم الله بها وتقديره لها ، وأن حكمته تابعة لمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

القضاء لغة: الإحكام، والإتقان، وإتمام الأمر، قال ابن فارس: "القاف، والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته"⁽¹⁾ ويأتي أيضاً بمعنى القدر "وقيل: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتاممه"⁽²⁾.

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن كثيراً فمن المعاني التي ورد بها:

- 1- معنى الوصية والأمر⁽³⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ- رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:23]. أي أمر بذلك⁽⁴⁾.
 - 2- معنى الإنهاء⁽⁵⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ [سورة الحجر:66]. أي أنهيناها إليه وأبلغناه ذلك⁽⁶⁾.
 - 3- معنى الفراغ: قضى فلان صلاته أي فرغ منها⁽⁷⁾.
 - 4- ويأت أيضاً بمعنى الأداء، والإعلام والموت⁽⁸⁾.
- وأما شرعاً: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 406/2.

(2) ابن منظور: لسان العرب، 406/7.

(3) المصدر نفسه: 406/7.

(4) الراغب الاصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، 421.

(5) ابن منظور: لسان العرب، 406/7.

(6) ابن منظور: لسان العرب، 406/7.

(7) المصدر نفسه: 406/7.

(8) ابن منظور: لسان العرب، 406/7، 407.

تغيير¹.

القدر: لغة: يطلق على الحكم والقضاء والطاقة، قال ابن فارس: "القاف والذال والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء كُنْهه ونهايته: فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها"⁽²⁾.

ويأتي على معانٍ منها:

1- الايتاء قال ابن فارس وقدرة الله تعالى على خليقته إيتاؤههم بالمبلغ الذي شاؤه ويريده⁽³⁾.

2- معنى الطاقة: "وقدرت أي أطقت"⁽⁴⁾.

3- التضيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [سورة الطلاق:7]. قال الراغب الأصفهاني: "أي: ضيق عليه"⁽⁵⁾.

أما شرعاً: "هو تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق، وغيرها من المخلوقات وصدورها جميعاً عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها"⁽⁶⁾ وقال ابن حجر في تعريفه القدر المراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء، و أزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث عن علمه وقدرته وإرادته "⁽⁷⁾ بأنه تقدير الله السابق

(1) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، الاشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد _السعودية طبعة 1 - 1421 هـ ص331.

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: 388/2.

(3) المصدر نفسه: 388/2.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 264/7.

(5) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 410.

(6) البيهقي ، ابي بكر أحمد ابن الحسين (ت458هـ) الإعتقاد إلى سبيل الرشاد حققه و علق عليه ، ابراهيم أبو العينين ، دار الفضيلة الرياض ، ط1 ، 1420 هـ ، 1999م ص145

(7) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 118/1

للأشياء، وعلمه بها، ثم كتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيتته العامة، وخلقه لكل
لشيء" (1).

وقال ابن قيم الجوزية: "هو قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير وكل مخلوق فمنه
ابتدأ وإليه يصير" (2) "وأن ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء
الناس" (3) وهذه التعريفات متقاربة فيما بينها وهي تفيد أن القدر يشمل العلم الأزلي
الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجد وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ وإيجاد ما قدر
الله إيجاده على النحو الذي سبق علمه وجرى به قلمه وللعلماء في التفرقة بين القضاء
والقدر قولان .

القضاء هو: العلم السابق الذي حكم به الله في الأزل، والقدر: وقوع الخلق على
وزن الأمر المقضي السابق .

يقو ابن حجر: " قال العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل والقدر
جزئيات ذلك الحكم وتفصيله" (4).

وقال في موضع آخر. " القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل،
والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" (5)

والثاني عكس القول السابق فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق
قال ابن بطلال (6): " القضاء هو المقضي ومراده بالمقضي المخلوق" (7) وهذا قول الخطابي فقد

(1) صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، اللائى البهية، في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تحقيق
عادل رفاعي، دار العاصمة، السعودية، ط1، 1431، 2010م، 303/2.

(2) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، 40.

(3) ابن قيم الجوزية: طريق المحترين، 114.

(4) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 477/11.

(5) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 149/11.

(6) هو أبو الحسن علي ابن خلف ابن بطلال البكري القرطبي ثم البنسسي ويعرف بابن اللحام، شارح صحيح
البخاري، اخذ عن: ابي عمر الظلمكني، وابن عفيف وايب المطرف، كان من أهل العلم والمعرفة عنى بالحديث عناية تامة
وكان من كبار المالكية، تفوفى في سفر سنة 449هـ، الذهبي سير أعلام النبلاء، ط3، 1305هـ_1985 مؤسسة
الرسالة الأردن ج18، ص47، 48.

(7) ابن حجر فتح الباري 149/11 .

قال في معالم السنن القدر اسم لما صار مقدراً عن فعل القادر كالمهدم والنشر والقبض ،
اسماء لما صدر من فعل الهادم ، والناشر والقباض والقضاء هذا معناه الخلق كقوله
تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿١﴾﴾ [سورة فصلت:12]-أي خلقهن¹ ، وبناء
على هذا القول: " يكون القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين
التقديرين فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع"² وبناء على هذا قد تبين مما
سبق أن القضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر " القضاء والقدر بمعنى
واحد إن انفرد أحدهما عن الآخر، ويختلف عند الاجتماع ويكون القدر ما يكون
قدّره الله في الأزل ، والقضاء ما حكم به فعلاً هذ يكون عند الاجتماع ، أما إذا قيل:
(قضاء الله وحده) أو قيل: (قدر الله وحده) فهو شامل للمعنيين³

ثانياً- حكم الإيمان بالقضاء والقدر

يعد الإيمان بالقضاء والقدر الأصل السادس من أصول الإيمان بالله تعالى قال
ابن قيم الجوزية: "والإيمان به قطب رحي التوحيد، ونظامه ومبدأ الإيمان وتمامه فهو
أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، والحكمة أخيته التي يرجع إليها، ويدور في
جميع تصاريفه عليها، والحكمة مظهر الحمد والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال
التقدير"⁽⁴⁾.

فالإيمان به واجب والتصديق به ركن من أركان الإيمان، ومن لم يؤمن به كان
كافراً قال ابن عباس "القدر نظام التوحيد فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره
بالقضاء نقضاً للتوحيد، ومن وحد الله وآمن بالقدر كانت العروة الوثقى لا انفصام
لها"⁽⁵⁾.

(1) الخطابي ، معالم السنن (شرح سنن أبي داود) المطبعة العلمية حلب، ط14551، 1هـ_1932م، ج4/322.

(2)الراغب معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن ص410.

(3) محمد بن صالح العثيمين ، شرح العقيدة السفارينية ، دار الوطن للنشر، الرياض ط1، 1426هـ ص 274.

(4) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، 40.

(5) ابن قيم الجوزية: طريق المحترين وباب السعادتين، 112.

وقال أبو الدرداء⁽¹⁾: "ذروة الإيمان أربع: الصبر للحكم، والرضاء بالقدر والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب"⁽²⁾ وهذه الأحكام الأربعة هي أصل أصول الإيمان التي تدور عليها رحي العقيدة الإسلامية الصحيحة وأسسها القويمية .

وقال ابن قيم الجوزية: "أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه، وهذا في كل كتاب أنزله الله على رسله⁽³⁾ وللقضاء والقدر أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي كالآتي:
المرتبة الأولى: " وهي العلم السابق، فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم وانفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها".

المرتبة الثانية: هي مرتبة الكتابة لكل شيء في اللوح المحفوظ. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء:105]، فربنا- تبارك وتعالى- أخبر أن هذا مكتوب مسطور في كتبه، والزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذي عند الله والأرض الدنيا، وعباده الصالحون أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا أصح الأقوال في هذه الآية، وهي علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة: وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفترة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتضي على الحقيقة إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من

(1) هو عويمر بن زيد الأنصاري الخرزجي، أسلم يوم بدر حفظ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالم أهل الشام ومقرب دمشق وفقههم وقاضهم، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق كان روايا للحديث كما روى عنه ابنه وزوجته وعدد من الصحابة توفي سنة اثنين وثلاثين "الذهبي: تذكرة الحفاظ: 23/1، وما بعدها، ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: حامد احمد الطاهر دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م، 260/1".

(2) ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين وباب السعادتين، 113.

(3) المصدر نفسه: 114.

أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن¹ ومن خالفه في هذا الإعتقاد والإيمان بهذه المرتبة ولم يثبت لله تعالى مشيئة ولا إرادة، ولا إختيار، فهو من أعداء هذه الأمة وأعداء جميع الرسل عليهم السلام .

المرتبة الرابعة: "وهي خلق الله لأفعال المكلفين ودخولها تحت علمه وكتابه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر:62]. وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له⁽²⁾ .

تبين مما سبق إن القضاء والقدر هو علم الله السابق بجميع الأشياء صغيرها قبل أن تكون، أثبتها عنده في اللوح المحفوظ ، وأنها واقعة طبقاً لما جرى به القلم ، وعلمه بها أول مراتب القضاء والقدر ثم كتابه المحيط بجميع الموجودات ، علم فكتب ، ومشيئته العامة لكل شيء أرادته على الوجه الذي شاء وأراد ، وخلق لأفعال المكلفين ، فمن أنكر شيئاً من ذلك لم يؤمن بالقضاء والقدر.

ثالثاً- مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر مقاصد جلييلة وأخلاقاً عظيمة وعبوديات متنوعة يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، منها مقاصد إيمانية عقديّة تعود على إيمان العبد بالزيادة وعلى عقيدته بالثبات، ومنها مقاصد أخلاقية تعود على المؤمن بحسن الخلق، وطيب النفس، وحسن المعشر- ولين العريكة وتكسبه عند الله شكوراً وتزاد بها صحيفة أعماله نوراً، ومنها مقاصد نفسية جميلة تعود على صاحبها بالراحة والطمأنينة والسكينة، وتضفي عليه أمناً وهدوء بال. ومن هذه المقاصد ما يأتي:

1- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر أن الإيمان بهما يحقق الإيمان بربوبية الله وألوهيته

(1) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليم ص134_174 بإختصار .

(2) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 215.

إن مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر الرضي بقضاء الله وقدره، فمن آمن وصدق بما أجراه الله في كتاب القدر وسبق به علمه ومشيتته ورضى به. وحده في ربوبيته وألوهيته وأفرده بالعبادة كان من تام الرضى بالله قال ابن قيم الجوزية: "وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه وكتابته وتقديره ومشيتته، فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وإلهاً ومالئاً ومدبراً فهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس"⁽¹⁾ وقال في موضع آخر: "أن الرضى مَعْقِد نظام الدين ظاهره وباطنه، فإن القضايا لا تخلو من خمسة أنواع: فتنقسم قسمين: دينية، وكونية، وهي مأمورات ومنهيات، ومباحات، ونعم ملذة وبلايا مؤلمة، فإذا استعمل العبد الرضى في ذلك كله، فقد أخذ بالحظ الوافر من الإسلام، وفاز بالقدح المعلى"⁽²⁾ والمقصود بذلك أن الرضى بقضاء الله والتسليم بقدره الديني والكوني هو معقل الإيمان ومربطه.

2- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر إن كلا منهما يثمر الرضى عن الله تعالى:

من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر الرضى عن الله تعالى فلا يعترض على حكمه ولا يسخط على قضائه. قال ابن قيم الجوزية "أن من ملأ قلبه من الرضى بالقدر: ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة. وفرغ قلبه لمحبتة، والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضى، امتلأ حظه بضد ذلك واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه، فالرضى يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله"⁽³⁾.

3- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر أن كلا منهما يثمر الشكر:

إن المؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة فينبعث بسبب ذلك إلى شكر الله إذ هو المنعم المتفضل الذي قدر له ذلك وهو المستحق للشكر قال ابن قيم الجوزية: "إن الرضى يثمر الشكر الذي هو أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان، والسخط يثمر ضده، وهو كفر النعم، وربما أثمر له كفر النعم، فإذا رضى العبد عن ربه في جميع الحالات. أوجب له ذلك شكره

(1) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 802.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 564/1.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 562/1.

فيكون من الراضين الشاكرين، وإذا فاته الرضى: كان من الساخطين وسلك سبيل الكافرين" (1) وقال في موضع آخر: "الحكم والقضاء نوعان: ديني وكوني، فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام شكرها الرضا بها" (2) على الوجه الذي يوجب طاعته وحسن عبادته لربه "فإن أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، من عرف النعمة والمنعم، وأقرها بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها" (3) الحقيقي بأنعم الله عليه والمستحق لعطائه ومثله وإحسانه ورحمته به في الدنيا والآخرة .

4- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر عدم اليأس والقنوط:

إذا علم المرء وأيقن أن كل ما حصل له هو بقضاء الله وقدره استراح قلبه ولم ييأس لفوات شيء كان يرجوه، أو لوقوع أمر كان يحذر منه قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد:22]. قال ابن قيم الجوزية: "إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

الأول: مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقاه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه.

(1) المصدر نفسه: 562/1.

(2) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، 802.

(3) ابن قيم الجوزية: طريق المحترتين وباب السعادتين، 128.

الثالث: مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدر غالباً لغضبه وانتقامه ورحمة
حشوه.

الرابع: مشهد الحكمة، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سدى ولا
قضاء عبثاً.

الخامس: مشهد الحمد، وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.
السادس: مشهد العبودية، وأنه عبد محض من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده،
وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده، فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت
أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه⁽¹⁾ فليس للعبد بعد ذلك من
إعتراض أو تسخط لأحكام سيده التي أجراها عليه وفق إرادته ومشئته وما تقتضيه
حكمته سبحانه به فإن كل ما يجريه عليه من أحكام وأقضية فكلها رحمة وعدل
وحكمة .

6- الاجتهاد والحرص على الأخذ بالأسباب:

إذا علم العبد أن ما أجراه الله عليه من سعادة أو شقاوة كان ذلك بسبق مقادير
الله عليه إنما سبقت بالأسباب، فيدفعه ذلك العلم إلى الاجتهاد والحرص على الأخذ
بالأسباب المفضية إلى السعادة. كما في الصحيحين عن علي ابن أبي طالب، قال: كنا في
جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه مخضرة⁽²⁾ فنكث
فجعل ينكث بمخضرتة ثم قال: ((ما منكم من أحدٍ، ما من نفس منفوسة إلا كتب
مكانها من الجنة والنار وإلا كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل
على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة
ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: ((اعملوا فكل
ميسر أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل
أهل الشقاوة ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦١﴾ فَسَنِّيَرُهُ

(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد، 48، 49.

(2) وهي: ما اختصر الانسان بيده فأمسكه من عصا أو مفرعة أو عثرة أو عكازة أو قضيب وما أشبهها، وقد يتكأ
عليه، ابن منظور: لسان العرب: 110/3.

لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيسِرُهُو لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ [سورة الليل: 5-10].⁽¹⁾، فدل هذا الحديث ونظائره على أنه لا يترك العمل اتكالاً على القدر وإنما يوجب الجد والاجتهاد في العمل قال ابن قيم الجوزية: "أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن وهذا مما يدل على فقه الصحابة بالقدر، ودقة إفهامهم وصحة علومهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكّن منه وهيء له فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب"⁽²⁾ فسنة الله في الكون وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب والاجتهاد في تحصيلها فإن ذلك مدعاة لحصول المقدر قال ابن قيم الجوزية: "وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول المقدر أدنى إليه، وهذا كما لو قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه، وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح أو التسري أو الوطء، وإذا قدر له أن يستغل أرضه من المغل⁽³⁾ كذا وكذا لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قدر الشبع والري فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللبس وهذا شأن أمور المعاش والمعاد"⁴ فالإيمان بالقدر لا ينافي العمل والسعي والجد في جلب مصالح الدنيا ومنافعها وكل مانح ونسعى في تحصيله "فالقدر معين على الأعمال وباعت عليها ومقتضى لها لا أنه مناف لها وصاد عنها وهذا موضع مزلة قدم، من ثبت قدمه فاز بالنعيم المقيم، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى

(1) اخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: "فأما من أعطى واتقى"، حديث رقم: 4945، 4946، 4947، 4948، 4949، ومسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية الادمي في بطن أمه، حديث رقم: 2647.

(2) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 119

(3) ضرب من التناج، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 518/2، وقيل: هي الأرض الكثيرة النبات، ابن منظور، لسان العرب، 332/8.

(4) ابن قيم الجوزية شفاء العليل 120

أميرين هم سبب السعادة الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع⁽¹⁾.

7- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر الشعور بالسعادة والفرح:

إن فرح المؤمن بالقدر بذلك الإيمان الذي حرم منه أمم كثيرة يورثه التسليم بما قد يطرأ على حياته من أمور، وعلى نفسه من مشاعر القلق والتوتر، فلا يجعلها تتسرب إلى نفسه وتصبح هاجسه الملازم له وذلك أنه على يقين بأن الله سوف يختار له ما هو في صالحه حتى وأن كان يبدو في ظاهره على النقيض تماماً مما كان يأمله ويرجوه واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 216]، قال ابن قيم الجوزية في تفسير هذه الآية: "عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة لعدم علمه بالعواقب فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد أوجب له ذلك أموراً منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وأن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها، وأنفع، وكذلك لا شيء أضرَّ عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور"⁽²⁾ فينبغي على العبد أن يعلم أن منع الله له فيه خير كثير وأن حكمته سبحانه تقتضي ذلك وأنه لا سبيل إلى الرضى بما أنزل إلا بتفويض الأمر إليه في كل حكم يجريه عليه .

"ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة ومنها أن لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم فلعل مضرتة وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختاره على ربه شيئاً بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره

(1) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، 121 وباختصار.

(2) ابن قيم الجوزية الفوائد 174 باختصار

فلا أنفع له من ذلك" (1) فإن الله تعالى أعلم وأرحم بعبده، من نفسه فإن ما يعلمه الله لا يصل إليه إدراك العبد ولا يحيط به علما، فالأسلم له أن يرضى ويسلم بإختيار الله له فإن سلم بذلك "قيض الله له من الأسباب ما يسرفه عنه أنه خير له فالأوفق له في ذلك ، أن يشكر الله ويجعل الخير في الواقع ، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه ، وأقدر على مصلحة عبده منه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:216]، فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره ، سررتكم أو سائتكم" (2).

"ومن أسرار هذه الآية: أنه إذا فوض أمره إلى ربه ورضى بما يختاره له أمدته فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضه اختيار العبد لنفسه وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه" (3) والواقع الذي نعيش فيه يرينا صور متعددة من حياة الناس وواقعهم وتبدل أحوالهم ، ممن رضوا وسلموا بأقدار الله ورضيوا بما قسمه الله لهم في معيشتهم من غنى أو فقر أو سلب أو بصحة وعافية، وحرمان من نعمة الولد، وغير ذلك من مسائل الدنيا وأمورها من العسر إلى اليسر، وفي الوجه المقابل لهذه الصورة أناس عاشوا في قلق و ألم وحزن بسبب تفويض إختيارهم على إختيار الله لهم فوقعوا في شر إختيارهم.

"ومنها: أن يريجه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل من أخرى ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه فلورضى بإختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه، لأنه مع اختياره لنفسه ومتى صح تفويضه، ورضاه اكتنفه في المقدر والعطف عليه واللفظ به فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه ببقية ما يجذره ولطفه يهون عليه ما قدره" (4).

(1)المصدر نفسه 174

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويجق نشر مؤسسة الرسالة ط1،1420، 2000م ، 96/1

(3)ابن قيم الجوزية الفوائد 175.

(4) ابن قيم الجوزية، الفوائد، 174، 175، باختصار

8- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر نصره الحق والاندفاع إلى ساحة الوغي لإعلاء كلمة الله تعالى

إن المؤمن بهذا الركن العظيم في الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله و ذروة سنامه يعلم أن ما قدره الله له كائن فيرضى وترضى نفسه وهي له كارهة. ولكنه يعلم يقينا أن ما اختاره الله له فيه خير كثير، فملاقاة العدو في ساحة الوغي أمر شاق على النفس تبغضه وتكرهه لما فيه من تعريض للنفس للموت والخطر، ولكن بالرغم من شدة هذا الأمر إلا أن هذا الأمر يعقبه خير كثير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 216]. قال ابن قيم الجوزية: "المجاهد المخلص يعلم أن القتال خيراً فرضى به، وهو يكرهه لما فيه من التعرض لإتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب، ومتى قوى الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة وإن لم يخل من الألم فالألم بالشيء لا ينافي الرضا به، وكراهته من وجه لا تنافي محبته وإرادته والرضا به من وجه آخر"⁽¹⁾.

9- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر طمأنينة القلب وسكونه:

إن الرضي بالقضاء والقدر والتسليم بما قدره الله من أمور ومسائل يوجب للعبد طمأنينة القلب وسكون النفس لما يرى أن ذلك كله فيه صلاحه وفلاحه، وإن عدم رضائه به هو مجلبة شر له، يقول ابن قيم الجوزية: "أن الرضي يوجب له الطمأنينة وبرد القلب، وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب قلبه، وربيبته وانزعاجه، وعدم قراره. وقال: أن الرضي ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت عليه السكينة: استقام. وصلحت أعماله، وصلح باله، والسخط يبغضه منها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش، فمن أعظم نعم الله على عبده: تنزل السكينة عليه، ومن أعظم أسبابها: الرضي عنه في جميع الحالات"⁽²⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، 803.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: 560/1، 561.

10- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر تحويل المحن إلى منح والمصائب إلى أجر.
قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [سورة التغابن: 11]. قال ابن عباس: "بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته" ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم، أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه"⁽¹⁾ وقال ابن قيم الجوزية: "علمه بأنه إذا رضى انقلب في حقه نعمة ومنحة وخف عليه حملة وأعين عليه وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله وكَلَّه، ولم يزد إلا شدة فلو أن السخط يجدى عليه شيئاً لكان له فيه راحة، أنفع له من الرضى به"⁽²⁾ أي علمه بما قدره الله له والرضى به.

11- التواضع لله تعالى:

إذا أنعم الله تعالى على عبده المؤمن بالرزق وأفاض عليه بالخيرات علم أن ذلك من الله وبقدر الله زاده ذلك تواضعا لله تعالى ولو شاء لا تنزعه منه أنه على كل شيء قدير، قال ابن قيم الجوزية: "تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرد به بذلك، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه واطمأن لهيبته واخبت لسلطانه"⁽³⁾.

12- من مقاصد القضاء والقدر تحقيق العبودية لله وحده:

إذا علم العبد أن ما أجراه الله تعالى عليه من أحكام يكرها ورضاه إنما هي من موجبات عبوديته لله تعالى قال ابن قيم الجوزية: "أن يعلم أن تمام عبوديته في جريان ما يكرهه من الأحكام عليه ولو لم يجر عليه منها إلا ما يجب لكان أبعد شيء عن عبودية ربه، فلا تتم له عبوديته من الصبر والتوكل والرضى والتفرع والافتقار والذل والخضوع

(1) ابن كثير: تفسير ابن كثير، 29/7.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 560/1.

(3) ابن قيم الجوزية: الروح، 359.

وغيرها- إلا بجريان القدر له بما يكرهه وليس الشأن في الرضى بالقضاء الملازم للطبيعة، إنما الشأن في القضاء المؤلم المنافر للطبع"⁽¹⁾.

13- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر سلامة الصدر، وطهارة القلب من الغل والحسد:

إن أعظم ما يعين على الوصول إلى سلامة الصدر، وطهارة القلب الرضى بقضاء الله وقدره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فالخلق لا يملكون نفعاً ولا ضرراً حقيقياً إلا بمشيئة الله وإرادته، لأنهم لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء لم يكتبه الله لم ينفعوا العبد به، وإن اجتمعوا على أن يضروا بشيء لم يضروا بشيء لم يكتبه الله. قال ابن قيم الجوزية "إن الرضى يفتح له باب السلامة، فيجعل قلبه سليماً نقياً من الغش والدغل"⁽²⁾ والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى. وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش: قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضى، وكذلك الحسد: هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى"⁽³⁾.

14- عدم الجزع والخوف:

متى آمن العبد بالقدر وعلم أن المصيبة مقدره في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح بذلك "أن الرضى يوجب أن لا ييأس على ما فاتته، ولا يفرح بما أتاه وذلك من أفضل الإيمان، أما عدم أساه على الفائت: فظاهر وأما عدم فرحه بما أتاه، فلأنه يعلم أن المصيبة فيه مكتوبة من قبل حصوله فكيف يفرح بشيء يعلم أن له فيه مصيبة منتظرة ولا بد"⁽⁴⁾.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، 560/1.

(2) الحقد المكتوم: ابن منظور، لسان العرب، 372/3.

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 561/1.

(4) المصدر نفسه، 561/1، 562.

15- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر عدم الحرص على الدنيا:

إن الحرص على الدنيا هو أصل البلايا والمحن، فالحرص على الدنيا دائم الهموم مستديم الغوم، لا يقنع برزقه، ولا يطمئن لقضاء الله وقدره، فذله قائم لا يزول وفاقته حاضره لا تعرف الأفول قال ابن قيم الجوزية: "إن الرضى ينفي عنه آفات الحرص والكَلْبَ على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصل كل بلية. وأساس كل رزية، فرضاه عن ربه في جميع الحالات: ينفي عنه مادة هذه الآفات"⁽¹⁾.

16- الإيمان بالقضاء والقدر يثمر حسن الخلق:

إن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره يورث الإنسان حسن الخلق فيبعث على الطمأنينة والراحة النفسية، لأن عنده كل شيء بقدر الله ومادام عند المؤمن إيمان ورضى بالله تعالى فسيرضى بكل قدره، يقول ابن قيم الجوزية: "إن الرضى يفتح باب حسن الخلق مع الله ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضى، وسوء الخلق من السخط وحسن الخلق يبلغ صاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"⁽²⁾.

17- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر أنهما مفتاح الحب الصادق لله تعالى:

إن من رضى بالله رباً أحبه الله - جلاً وعلا - ومن أحبه الله كان أسعد الخلق وأقربهم إلى الله، وأرفعهم درجة، وأعلاهم منزلة بشرف منزلة الرضى. التي هي رأس المحبة. يقول ابن قيم الجوزية: "فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له، فهو في مزيد ولو فترت جوارحه، بل قد يكون مزيده في حالة سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل، بما لا نسبة بينهما ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام، وأكمله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع، فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله وقيام غافل عن الله، فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب والهمم والعزائم، لا إلى صور الأعمال"³ فالأعمال لا تقاس

(1) المصدر نفسه 562/1.

(2) المصدر نفسه، 570/1.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 576/1.

بقلة ولا بكثرة و صورة وشكلا ، وإنما تقاس بما تحمله الصدور من صدق الإيمان والرضى بأقدار الله ومن هنا تكون قيمة العبد"، وقيمة العبد: همته وإرادته، فمن لا يرتضيه غير الله ولو أعطى الدنيا مجذافيرها-له شأن، ومن يرضيه أدنى حظ من حظوظها له شأن، وإن كانت أعمالهما في الصورة واحدة، وقد تكون أعمال الملتفت إلى الحظوظ أكثر وأشق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"⁽¹⁾.

18- من مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر العلم أن كل ما خلقه الله فله فيه حكمة:

إن من أسنى مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر أن كل ما خلقه الله تعالى له فيه حكمة بالغة والحكمة تتضمن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى: يحبها ويرضاها. والثاني: حكمة تعود إلى عباده، وهي نعمة عليهم يفرحون بها ويتلذذون بها وهذا يكون في المأمورات والمخلوقات "فهو سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى، ومصالحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل.

وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا⁽²⁾ "وقد ذكر ابن قيم الجوزية أنواعاً منها: "إنكاره على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:115]، فقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة:36]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾ [سورة الأنبياء:16]، والحق هو الحكم والغايات والمحمودة التي لأهلها خلق ذلك كله. وهو أنواع كثيرة: أن يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته.

ومنها: أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع.

ومنها: أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع.

ومنها: أن يدبر الأمر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات.

(1) المصدر نفسه : 576/1.

(2) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل، في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 585.

ومنها: أن يثيب ويعاقب فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإسائه فيوجد أثر عدله،
وفضله موجوداً مشهوداً، فيحمد على ذلك ويشكر⁽¹⁾.

ومن حكمه العظيمة التي عليها جميع مدارات الأمور: "أن يعلم خلقه أنه لا إله غيره ولا
رب سواه.

ومنها: أن يصدق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهيئه.

ومنها: ظهور أثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي ومنها:
شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليکہا، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظهور أثر كماله المقدسي، فإن الخلق والصنع لازم كماله، فإنه حي عليم قدير،
ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً⁽²⁾.

"ومنها: أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات"⁽³⁾.

فإن لله تعالى حكمة في خلقه من إظهار القدرة التامة والحكمة البالغة في التفرد
بالخلق والإبداع .

"ومنها: أنه سبحانه يجب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح، ولا بد من لوازم ذلك
خلقاً وشرعاً".

"ومنها: أنه يجب أن يثني عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم".

"ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووجدانيته وألوهيته"⁽⁴⁾.

فكل ما في الكون والوجود من الدلائل والشواهد هو دليل على وحدانيته و
ألوهيته وهو أبرز وأجل حكمه سبحانه .

19- الرضى بالقضاء والقدر بثمر سرور القلب بالمقدور

إن أهل الرضى بأقدار الله وقضائه هم أسعد الخلق نفوساً، وأهنأهم بالاً، فهم
يتنعمون بجنة الدنيا على حقيقتها على خلاف من سخط على قضاءه وقدره، فهو في سجن

(1) ابن قيم الجوزية شفاء العليل القضاء واقدر والحكمة والتعليل 606 باختصار .

(2) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 606 باختصار

(3) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 606 باختصار 606

(4) ابن قيم الجوزية شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل 607.

وضيق و كرب لا ينفك عنه، أبداً، فهذا حال الراضي والساخط، وأنت ضع نفسك حيث تشاء، يقول ابن قيم الجوزية: "إن الرضى يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمانينة القلب عند كل مفرغ مهلع من أمور الدنيا وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمة من ربه، وفرحه بقيام مولا عليه، واستسلامه لمولاه في كل شيء، ورضاه منه بما يجريه عليه، وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره، وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته"⁽¹⁾.

20- الإيمان بالقضاء والقدر يذهب الهم والحزن:

إن من أعظم الأسباب التي تعين على دفع الهم والحزن الإيمان بالقضاء والقدر والرضى به، قال ابن قيم الجوزية: "أكثر الناس هما بالدنيا أكثر همهما في الآخرة وأقلهم هما بالدنيا أقلهم هما في الآخرة" فالإيمان بالقدر والرضى به وذلك أن المؤمن إذا نظر في حكم الله ورحمته وإن ما قضاه الله عليه هو خير دعاه ذلك إلى الرضى بالقضاء والقدر فلم يغتم ولم يحزن بقضاء الله " يذهب عن العبد الهم والغم والحزن"⁽²⁾.

21- التفرغ لعبادة الله تعالى:

إن الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المؤمن إيمانه تبعاً لرضاه بقضاء الله وقدره لا تبعاً لهوى قلبه ومراده فيترك الدنيا ويلقى بها خلف ظهره وحينها يتفرغ لعبادة ربه فلا يسخط على قضائه وقدره. قال ابن قيم الجوزية: "أن الرضى يفرغ قلب العبد، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغموها. قال ذو النون⁽³⁾: ثلاثة من أعلام التسليم: مقابلة القضاء بالرضى، والصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، وثلاثة من أعلام التفويض: تعطيل إرادتك لمراده، والنظر إلى ما يقع من تدبيره لك وترك الاعتراض على الحكم وثلاثة من أعلام التوحيد: رؤية كل شيء من الله، وقبول كل شيء

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: 570/1.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: 571/1.

(3) هو ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض المصري احد المشايخ المشهورين، وهو معدود في جملة من روى الموطأ قال عنه ابن العماد: كان أوحده وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، مات في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، ابن كثير: البداية والنهاية، 34710، ابن العماد شذرات الذهب 106/2، 107.

عنه، وإضافة كل شيء إليه" (1) وثلاثتها هي عين الإيمان بالله ولب التوحيد وصدق العقيدة .

خلاصة:

يعتبر الإيمان بالقضاء والقدر قطب رحي التوحيد ونظامه فالإيمان به واجب والتصديق بهركن من أركان الإيمان ومن لم يؤمن به فقد إنسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك فالإيمان بالقضاء والقدر هو فعل الله تعالى وإرادته ومشئته وقضاء الله كله حق وكله حسن وأن جميع أفعال العباد وكل حادث في الكون هو بقضاء الله وقدره ولكن مشيئة الله شئت أن يكون للإنسان مشيئة هي أساس التكليف والإبتلاء ومناطق الثواب والعقاب وبسببها يكسب الإنسان الخير فيثاب عليه أو الشر- فيعاقب عليه والإيمان بالقضاء والقدر لا يتناقض مع الأخذ بالأسباب ، كما أن الإيمان بالقضاء والقدر يثمر لصاحبه ثمرات عظيمة ويحقق له مقاصد جلييلة في الدنيا والآخرة منها مقاصد إيمانية يصحح بها المؤمن عقيدته ويزداد بها إيمانا وقربا من الله تعالى ومقاصد دنيوية أخلاقية ونفسية تعود على الإنسان بالراحة والطمأنينة والسكينة وسلامة الصدر وطهارة القلب من الغل والحسد وعدم الجزع والخوف والفوز بمحبة الله ومحبة العباد له.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: 573/1.

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي خلق خلقه أطواراً وأرسل رسله أرسالاً وأنزل كتبه تبشيراً وإنذاراً، وأشهدهم على وجدانيته ، وتفرد به ربوبيته وألوهيته، كلمة قامت عليها السماوات والأرض شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين.
أما بعد،،

الحمد لله الذي وفقني لانجاز هذا البحث والذي توصلت من خلاله إلى نتائج هامة وفوائد عامة أهمها:

1- إن البيئة العلمية والثقافية التي كان يعيش فيها ابن قيم الجوزية لها أثر كبير وتأثير بالغ في تحديد ملامح شخصيته، وتكوينه العلمي المتميز الذي اكتسب طابع الخصوصية والتفرد في بناء منهج علمي رصين قائم على الكتاب والسنة ، والدعوة إلى الاجتهاد وذم التقليد الذي يحمل المقلد إلى ترك ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لقول مقلده واجتهاده .

2- إن من أهم مقاصد العقيدة تكمن كونها مصدر كل خير ، ومصدر كل فضيلة ، ورادع عن كل شر ، ودافعاً على الاستقامة ، فهي ضرورة هامة ، وحاجة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها ، فإن وجود الإنسان في هذه الدنيا ، وسر سعادته متوقفاً على صحة عقيدته ، وسلامة معتقده ، فإن من مقاصد العقيدة هو الارتقاء بالعقل البشري ، وتحقيق العدل والوصول إلى أعلى درجات الحرية ، ولا يكون ذلك إلا بطهارة المجتمعات الإنسانية من صنوف الظلم والعبودية لغير الله تعالى ، وإقرار عقيدة التوحيد .

3- إن من أهم مقاصد العقيدة إقرار حقيقة وجود الله تعالى التي اتفقت الفطر والعقول على الإقرار بها ، مع الدعوة إلى التفكير والتأمل بعين البصيرة الثاقبة في بدائع صنع الله تعالى ، والاستشهاد بخصائص ربوبيته ، وكمال قدرته وعلمه وحكمته التي تقود إلى غاية الغايات وهو توحيد الالهية بكل خصائصه

- التوحيدية التي تدور عليه رحي العقيدة الصحيحة وبه يتميز المؤمن من الكافر مع بيان أن هذا التوحيد أول ما يدخل به في الاسلام ، وآخر ما يخرج به من الاسلام .
- 4- إن لهذا التوحيد مقاصد وأسرار ، تقوم على مصالح العباد على اعتبار أن الشريعة مبناهما وأسسها على الحكمة ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد .
- 5- إن أعمال القلوب من المحبة والخوف والرجاء والخشية والتوبة والإنابة والتوكل والصبر لها علاقة في تحديد علاقة العبد بربه باعتبارها من أعظم أفعال العباد لتعلقها بالقلب منشأ الإيمان ومصدره ، ومحل صدقه وكذبه ، فهي الضابط والمعيار في تعيين علاقة العبد بربه وخالقه ، وبيان أثر هذه العلاقة في سائر معاملاته وتصرفاته مع الخلق ، فهي غاية عظيمة ومقصد جليل .
- 6- إن من مقاصد هذه العقيدة تحقيق الخضوع والإنقياد لله تعالى ، وذلك بذكره ، والثناء عليه بجميل أوصافه واسمائه ، ودعائه ، واستغفاره .
- 7- إن من أجل المقاصد الإيمانية والتوحيدية معرفة الله تعالى باسمائه وصفاته ، والثناء عليه بها ، ومدحه وتمجيده ، فكلما ازداد العبد معرفة باسماء الله الحسنی وصفاته العلی أثمر لديه أنواعاً من العبودية الظاهرة والباطنة ، وإزداد إيمانه ، وقوي يقينه .
- 8- إن معرفة كل صفة من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنی ينبغي التخلق بها والعمل بمقتضاها .
- 9- إن من أهم مقاصد الايمان بالنبؤات معرفة الله تعالى من خلال كتبه التي انزلها على رسله ، فإنه كلما إزداد العبد معرفة بكتب الله إزداد إيمانه وقوي يقينه ، ثم العلم برحمة الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم رسلاً تهديهم إلى سواء السبيل مع التمسك بما جاؤوا به لأنه السبيل الموصل إلى سعادتهم في الدارين .
- 10- من مقاصد العقيدة الايمان بالغيبات كالملائكة واليوم الآخر والايمان بالقضاء والقدر ، فالإيمان بهم جميعاً جملة وتفصيلاً يثمر لصاحبه ثمرات جليلة ، ويحقق مقاصد عظيمة في الدنيا والآخرة ، فمنها مقاصد إيمانية يصحح بها المؤمن عقيدته،

ويزداد بها ايماناً وقرباً من خالقه ، ومقاصد دنيوية اخلاقية ونفسية تعود على الإنسان بالرحمة والطمأنينة ، وسلامة الصدر وطهارة القلب .

وأخيراً: أسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذا الجهد المقل خالصاً لوجهه الكريم، والذي لا أدعي فيه الكمال ولكن عذري أني بذلت فيه قصارى جهدي فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، كما أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأن تلق القبول والاستحسان . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين أدركوا مقاصد دينهم وعقيدتهم والحمد لله رب العالمين.

الباحثة

الفهارس العامة

1- فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1- سورة الفاتحة			
1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	2	- 293 -
2- سورة البقرة			
2	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	30	- 440 -
3	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	45	- 202 -
4	﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾	61	- 227 -
5	﴿فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾	152	- 219 -
6	﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ...﴾	-155 157	- 204 -
7	﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَّا حُوفٍ﴾	155	- 161 -
8	﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	190	- 231 -
9	﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	260	- 269 -
3- سورة آل عمران			
10	﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾	17	- 250 -
11	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	18	210 - 208 -
12	﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبْ...﴾	31	- 146 -
13	﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا ﴿﴾	120	- 202 -
14	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	122	- 176 -
15	﴿لَيْسَ لَكُم مَّا رَشِيَ﴾	128	- 139 -
16	﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	138	- 78 -
17	﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ...﴾	146	- 201 -

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
18	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾	159	- 179 -
19	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾	173	- 223 -
20	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ...﴾	190	- 121 -
21	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...﴾	200	- 201 -

4- سورة النساء

22	﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾﴾	58	- 62 -
23	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾	81	- 175 -
24	﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴿١٢٨﴾﴾	128	- 161 -

5- سورة المائدة

25	﴿فَتَوَكَّلْ وَإِنَّكَ تَمْتُمُونَ ﴿١٣﴾﴾	23	- 178 -
----	------------------------------------------	----	---------

6- سورة الأنعام

26	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ...﴾	82	- 70 -
27	﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴿٩٩﴾﴾	99	- 126 -
28	﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَكُمْ شَيْءًا فَاعْبُدُوهُ...﴾	102	- 307 -
29	﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَكُمْ شَيْءًا فَاعْبُدُوهُ...﴾	102	
30	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾﴾	162	- 69 - ، - 293
31	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَخْرَجًا وَمَدِينًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿١٦٥﴾﴾	165	- 7 -

7- سورة الأعراف

32	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾	55	- 233 -
33	﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾	69	- 140 -
34	﴿وَيَذَرِكْ وَعَ الْهَتَكِ ﴿١٣٧﴾﴾	127	- 145 -
35	﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾﴾	180	- 174 -

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
---	-----------	-----------	------------

8- سورة الأنفال

36	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾	33	242 - 243 -
37	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	46	- 200 -

9- سورة التوبة

38	﴿لَوْ كَانَعَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾	42	- 61 -
----	---------------------------------------------------------------	----	--------

10- سورة يونس

39	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ...﴾	5	- 127 -
40	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا بِإِلَهِكُمْ فَأَعْلِيهِ تَوْكَلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾	84	- 178 -
41	﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	107	- 269 -

11- سورة هود

42	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمًا وَأَهْمِينًا﴾	75	- 194 - ، - - 195
43	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَعَذَابًا آخِرَةً...﴾	103	- 168 -

12- سورة يوسف

44	﴿فَصَبِّرْ وَصَبِرٌ﴾	18	- 197 -
45	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِنِي لِي﴾	33	- 227 -
46	﴿أذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَآنَسُهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْثَ...﴾	42	- 107 -
47	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي بِاللَّهِ﴾	86	- 200 -
48	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا...﴾	108	- 6 -

13- سورة الرعد

49	﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ تَمَّ أَنْزِلَ لِيَكْمُرَ بَبْكَالٍ...﴾	22-19	- 201 -
50	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ...﴾	28	- 217 - ، - - 219

14- سورة إبراهيم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
---	-----------	-----------	------------

16-سورة النحل

51	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴿٩﴾﴾	9	- 61 -
52	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى...﴾	39-38	- 438 -
53	﴿أَوْيَا خُذْهُمْ مَعَلَّتْ خَوْفًا نَّارَ ﴿٤٧﴾﴾	47	- 161 -
54	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	50	- 404 -
55	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	50	
56	﴿مَنْعَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنشِئُوا هُوَ مَوْمِنًا مِّنْ قَلْبِهِ...﴾	97	- 157 -
57	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ...﴾	123	- 154 -
58	﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿٣٧﴾﴾	127	- 198 -

17-سورة الإسراء

59	﴿وَلَا تَجْعَلِي دَ كَمَعْلُولَةٍ إِلِّلْعُنُقِكُمْ وَلَا تَبْسُطْهَا كَمَا لَبَسَ...﴾	29	- 62 -
60	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ آلِ رَبِّهِمُ آلًا...﴾	57	- 164 -

18-سورة الكهف

61	﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴿٥٨﴾﴾	58	- 269 -
62	﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُعَيْنَانَا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾	80	- 166 -

19-سورة مريم

63	﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾	3	- 233 -
64	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ...﴾	65	- 104 -
65	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ...﴾	93-88	- 149 -

20-سورة طه

66	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾﴾	82	- 192 -
----	------------------------------------------------------------------------------------	----	---------

21-سورة الأنبياء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
67	﴿لَوْ كَانَفِيهِمَاءُ الْهَيَّةِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ...﴾	22	- 146 -
68	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾	32	- 122 -
69	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾	87	- 244 -
70	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴿٩٠﴾﴾	90	- 165 -
71	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾	107	- 65 -

22- سورة الحج

72	﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ...﴾	7-5	- 123 -
----	------------------------------------------------------------------------------------	-----	---------

23- سورة المؤمنون

73	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...﴾	14-12	- 119 -
74	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ...﴾	65-57	- 431 -
75	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بَآلِ عَذَابٍ فَمَا أُسِرُوا...﴾	76	- 200 -
76	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ...﴾	-115 116	- 436 -

24- سورة النور

77	﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ ﴿٦﴾﴾	6	- 209 -
78	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾	31	- 186 -
79	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي يَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾	52	- 167 -
80	﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿٦٣﴾﴾	63	- 227 -

25- سورة الفرقان

27- سورة النمل

81	﴿لَوْلَا تَسْتَعْفِرُونَ وَاللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	46	- 243 -
----	------------------------------------------------------------------	----	---------

28- سورة القصص

82	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ وَ إِنَّهُ...﴾	16	- 294 -
----	---------------------------------------------------------------------------------	----	---------

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
29- سورة العنكبوت			
83	﴿أَوْ لَمِيكَفِهِمَا نَأْنَأْزِلُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	51	- 271 -
84	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمَّنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ...﴾	61	- 108 -
30- سورة الروم			
85	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبْتَأَى...﴾	41	- 163 -
31- سورة لقمان			
86	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾	19	- 62 -
32- سورة السجدة			
87	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُوا وَنَبَأْمُرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿﴾	24	- 202 -
33- سورة الأحزاب			
88	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ...﴾	3-1	- 153 -
89	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجْلِنَا قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	4	- 153 -
90	﴿فَإِذَا جَاءَ آلْخَوْفُ رَأَى تَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾	19	- 161 -
91	﴿لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْ...﴾	21	- 172 -
92	﴿وَالَّذِ كَرِيْنَا لِلَّهِ كَثِيرًا وَوَالَّذِ كَرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ...﴾	35	- 216 -
93	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْ...﴾	42-41	- 216 -
94	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْ...﴾	43-41	- 224 -
35- سورة فاطر			
95	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	28	273 - 169 - - 166 -
96	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ مُظْلِمُونَ﴾	33-32	- 70 -
38- سورة ص			

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
97	﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾	25	- 189 -

39- سورة الزمر

98	﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّيْرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾	10	- 204 -
99	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا لَطْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ...﴾	17	- 197 -
100	﴿وَأَنبِئُوا الرِّبَّكُمْ ﴿٥٤﴾﴾	54	- 194 - ، - 196

40- سورة غافر

101	﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١٤﴾﴾	14	- 228 -
102	﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾	16	- 295 -
103	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾﴾	60	- 229 - ، - 242 ، - 237

41- سورة فصلت

104	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا...﴾	7-6	- 157 -
-----	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----	---------

43- سورة الزحرف

105	﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾	68	- 149 -
-----	-----------------------------------------------------------------------------	----	---------

46- سورة الأحقاف

106	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾	35	- 203 -
-----	---------------------------------------------------------------	----	---------

47- سورة محمد

107	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴿١٦﴾﴾	19	- 244 -
-----	----------------------------------------------------------------------------	----	---------

50- سورة ق

108	﴿وَأُزْلِفَتِ آلٌ...﴾	33-31	- 196 -
109	﴿مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾...﴾	35-33	- 168 -
110	﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٥٥﴾﴾	45	- 168 -

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
---	-----------	-----------	------------

51- سورة الذاريات

111	﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨)	18	- 250 -
112	﴿وَالْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨)	48	- 123 -
113	﴿وَمَا خَلَقْتُ ثَلَاثَ آلٍ حِينَ وَآلِ الْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ٥٦﴾	56	- 7 - ، - 164 -
114	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ (٥٦)	65	- 156 -

53- سورة النجم

115	﴿وَأَنْ لَّيْسَلِلَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَتَّسَعَيْهِ و سَوْفِيرَى﴾ (٤٠)	39-40	- 74 -
-----	---------------------------------------------------------------------------------------------	-------	--------

56- سورة الواقعة

116	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتِ وَالَّتِي تُوْرُونَ...﴾	71-73	- 133 -
-----	--------------------------------------------------	-------	---------

58- سورة المجادلة

59- سورة الحشر

117	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا...﴾	19	- 222 -
118	﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (٢٣)	23	- 300 -
119	﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (٢٣)	23 من الأمانة قال الزجاج	
120	﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ (٢٣)	23	- 297 - ، - 294 -

61- سورة الصف

121	﴿وَأُخْرَتْ حِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣)	13	- 152 -
-----	------------------------------------------------------------------------------------------------	----	---------

64- سورة التغابن

122	﴿لِلَّهِ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ (١)	1	- 295 -
-----	------------------------------------------	---	---------

65- سورة الطلاق

123	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢)	2	- 182 -
-----	------------------------------------------------------	---	---------

66- سورة التحريم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
124	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ...﴾	8	- 193 -
67-سورة الملك			
125	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	12	- 168 -
70-سورة المعارج			
126	﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾	33	- 209 -
71-سورة نوح			
127	﴿فَقُلْنَا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ...﴾	11-10	- 243 -
128	﴿فَقُلْنَا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٢﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ...﴾	14-10	- 245 -
129	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾	10	- 242 -
75-سورة القيامة			
130	﴿وَجُوهٌ مِّمْدِنَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	23-22	- 160 -
76-سورة الإنسان			
131	﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾	8	- 152 -
79-سورة النازعات			
132	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِخَشَلَهَا ﴿٤٥﴾﴾	45	- 168 -
86-سورة الطارق			
133	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾	5	- 119 -
87-سورة الأعلى			
134	﴿سَيِّدًا كَرِيمًا ﴿١٠﴾﴾	10	- 168 -
112-سورة الإخلاص			
135	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ...﴾	4-1	- 1 -

2- فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
1	((أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي...))	- 406 -
2	((أذنب عبدي ذنباً، فقالأي رب أصبت ذنباً فأغفر لي،...))	- 247 -
3	((اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً،...))	- 233 -
4	((أفضل الدعاء الحمد لله))	- 228 -
5	((أفلا أحب أن كون عبداً شكوراً))	- 362 -
6	((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))	- 346 -
7	((ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة))	- 407 -
8	((أما بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن...))	- 203 -
9	((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن...))	- 256 -
10	((أن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل أن الله أحب...))	- 407 -
11	((إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك...))	- 88 -
12	((إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس))	- 373 -
13	((أن الله جواد يحب الجود))	- 347 -
14	((إن الله حبي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن...))	- 370 -
15	((إن الله رفيق يحب الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا...))	- 356 -
16	((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...))	- 378 -
17	((إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى...))	- 206 -
18	((أن فقراء المهاجرين أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم...))	- 225 -
19	((أن فقراء المهاجرين أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم...))	- 225 -
20	((إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي...))	- 203 -
21	((الأنبياء أولاد علات وفي لفظ، إخوة من علات أمهاتهم...))	- 383 -
22	((الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. يتلى الرجل...))	- 205 -
23	((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أولما تدعوهم إليه عبادة...))	- 256 -
24	((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في...))	- 88 -
25	((إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً))	- 421 -

م	طرف الحديث	الصفحة
26	((أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض))	- 393 -
27	((إني لا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية))	- 167 -
28	((إيمان بالله ورسوله))	- 81 -
29	((تواضع لله رفعه))	- 329 -
30	((جاء في الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص-رضي الله ..))	- 205 -
31	((حتى يلقاها ربها))	- 107 -
32	((حسبنا الله ونعم الوكيل))	- 223 -
33	((خرج على حلقة من أصحابه فقال (ما أجلسكم) ..))	- 224 -
34	((خلقت عبادي حنفاء، فاجتأهم الشياطين، وحرمت عليهم ..))	- 109 -
35	((دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا ..))	- 226 -
36	((ذاق طعم الإيمان من رضي الله بالله ربا وبالإسلام ديناً ..))	- 85 -
37	((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله، وبالإسلام ديناً ..))	- 341 -
38	((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء))	- 225 -
39	((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله ..))	- 245 -
40	((عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن ..))	- 83 -
41	(())	- 450 -
42	((عند الكرب لا اله إلا الله العظيم الحليم، لا اله إلا الله ..))	- 212 -
43	((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين ..))	- 168 -
44	((فالداعي مندوب أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما ..))	- 229 -
45	((فإن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وبين الدرجتين كما ..))	- 440 -
46	((فتضمنت هذه الدعوة العفو عنهم، والدعاء لهم، ..))	- 205 -
47	((فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم ..))	- 115 -
48	((فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من ..))	- 425 -
49	((في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله ..))	- 212 -
50	((فيما يرويه عن ربه من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ..))	- 219 -
51	((قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ..))	- 172 -
52	((قال سبحانه وتعالى من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته ..))	- 222 -

م	طرف الحديث	الصفحة
53	((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة ..))	- 217 -
54	((كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد))	- 429 -
55	((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان ..))	- 424 -
56	((لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))	- 274 -
57	((لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر))	- 329 -
58	((لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم ..))	- 220 -
59	((لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم ..))	- 412 -
60	((لا يقل المملوك لسيدته ري))	- 107 -
61	((لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ..))	- 213 -
62	((لقد سأل الله باسمه الأعظم))	- 230 -
63	((لقيت ليلة اسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقاليا ..))	- 222 -
64	((لله افرح بتوبة عبده حين يتوب إليه-من أحدكم كان علي ..))	- 188 -
65	((اللهم أغثنا اللهم أغثنا))	- 363 -
66	((اللهم اغفر لقومي فأنتم لا تعلمون))	- 205 -
67	((اللهم اغفر لي فأنت تسأل الله شيعيناً يستر ذنوبك ..))	- 241 -
68	((اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتي، وأنا عبدك، وأنا ..))	- 242 -
69	((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت، المنان ..))	- 230 -
70	((اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمك ناصيتي بيدك ماض ..))	- 238 -
71	((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض ..))	- 408 -
72	((اللهم رب هذه الدعوة التامة))	- 107 -
73	((اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت))	- 355 -
74	((اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ومن فيهن ..))	- 230 -
75	((لو أن الناس كلهم أخذوا بما لكفتهم يعني لو حققوا ..))	- 182 -
76	((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق ..))	- 182 -
77	((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما حلم بجنته أحد، ..))	- 163 -
78	((ليس المخبر كالمعابن))	- 428 -
79	((ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ..))	- 239 -

م	طرف الحديث	الصفحة
80	((ما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر))	- 206 -
81	((ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم ..))	- 221 -
82	((ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ..))	- 211 -
83	((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا ..))	- 203 -
84	((ما من مصيبة تصيب العبد المسلم إلا كفر الله بها عنه ..))	- 205 -
85	((ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ..))	- 110 -
86	((ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم ..))	- 213 -
87	((ما منكم من أحدٍ، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها ..))	- 450 -
88	((مثل الذي يذكر الله ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))	- 220 -
89	((من استغفر الله تعالى دبر كل صلاة ثلاث مرات، استغفر ..))	- 252 -
90	((من جلس مجلساً أكثر فيه لغطه فقال قيل أن يقوم ..))	- 221 -
91	((من خاف أدج، ومن أدج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية، ..))	- 431 -
92	((من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك، له ..))	- 212 -
93	((من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ..))	- 85 -
94	((من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه ..))	- 247 -
95	((من قال يعني إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا ..))	- 410 -
96	((من قال يعني إذا خرج من بيته - بسم الله - توكلت على الله، ..))	- 256 -
97	((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))	- 6 -
98	((من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد - صلى الله ..))	- 251 -
99	((من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجاً ومن كل ..))	- 238 -
100	((من لم يسأل الله يغضب عليه))	- 422 -
101	((من نوقش الحساب عذب، فقالت عائشة أليس الله يقول ..))	- 264 -
102	((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي ..))	- 312 -
103	((والتوسل إليه باسمين الحي القيوم ما أوصى به نبيه فاطمة ..))	- 207 -
104	((والملائكة عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم ..))	- 212 -
105	((وفي الحديث دليل على أن التكلم بهذا الذكر مرة واحدة ..))	- 97 -
106	((وما يدريك أنها رقية ؟ كلوا وأضربوا ليمعكم بسهم))	

الصفحة	طرف الحديث	م
- 257 -	((ومن كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة))	107
- 226 -	((يا حي يا قيوم برحمتك استغيث))	108
- 284 -	((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً..))	109
- 284 -	((يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا ..))	110
- 236 -	((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقول دعوت فلم يستجب لي))	111
- 206 -	((يقول الله جل جلاله ما لعبدي المؤمن جزاءً إذا قبضت ..))	112

3- فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب الحديث والسنة:

- ❖ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ت463هـ، تحقيق أبي الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1414هـ-1994م.
- ❖ سنن ابن ماجة، أبو عبدالله ابن ماجة القزويني، ت275هـ، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1431هـ-2010م.
- ❖ سنن أبوداود، سليمان ابن الأشعث، السنجستاني دار الفجر للتراث، القاهرة، 1431هـ-2010م.
- ❖ سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي دار الفجر التراث، القاهرة، 1431هـ-2010م.
- ❖ سنن النسائي، أبي عبدالرحمن احمد ابن شعيب النسائي، دار الفجر التراث، القاهرة، 1431هـ-2010م.
- ❖ شرح صحيح البخاري، محمد بن صالح العثيمين، نسخة مضبوطة النصوص، مخرجة الأحاديث، دار المحدثين، مصر، ط4، 2008م.
- ❖ شعب البيهقي، أبوبكر أحمد ابن حسين، تحقيق محمد العيد بسيوني، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1410هـ.
- ❖ صحاح العربية، إسماعيل ابن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.
- ❖ صحيح مسلم، أبو مسلم القشيري، نسخة مصححة، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- ❖ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تعليق عبدالعزيز بن باز ، دار المعرفة بيروت، 1979م.
- ❖ مسند أحمد ابن حنبل، ابو عبدالله ابن حنبل، تحقيق شعيب الارناؤوط عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2002م.

ثالثاً: كتب التفسير:

- ❖ التحرير والتنوير، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- ❖ التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أويس الندوي، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1971هـ.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق إبراهيم الطفيش، دار الشام ، بيروت، ط3.
- ❖ تفسير ابن عثيمين (الفاحة والبقرة)، لابن عثيمين ، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
- ❖ تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، 1974م.
- ❖ تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ت1418هـ، الناشر : مطابع أخبار اليوم.
- ❖ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ.
- ❖ تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق بن عبد الرحمن معلا اللويحق، الناشر مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000.

رابعاً: كتب العقيدة

- ❖ ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي؛ فاروق حسن الترك ، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.
- ❖ اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، تحقيق فواز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1426هـ، 2005م.
- ❖ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار السلام، ط3، 2007م.
- ❖ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، المنصورة، ط1، 1426هـ-2005م.
- ❖ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية تخريج وتوثيق خالد العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1424، 2003م.

- ❖ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1998م.
- ❖ الحسنه والسيئة ، لابن تيمية، تحقيق عادل أبوشوشة، مكتبة فياض، المنصورة، ط2007م.
- ❖ الرسالة الصدفية، ابن تيمية ، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2004م.
- ❖ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين ، دار النشر الجامعة الإسلامية، المدينة، 1421هـ-2001م.
- ❖ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية، اعتنى به محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط2010م.
- ❖ اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، صالح بن عبد العزيز ابن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق عادل رفاعي، دار العاصمة ، السعودية، ط1، 1431م-2010م.
- ❖ الواابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، دار عالم الكتب، بيروت.
- ❖ تحفة الذاكرين، الشوكاني، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوثيقية، القاهرة.
- ❖ جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، عالم الكتب، بيروت.
- ❖ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق د-جميل غازي مطبعة المدني القاهرة.
- ❖ شأن الدعاء، الخطابي البستي، تحقيق أحمد يوسف، دار الثقافة العربية، ط1، 1404هـ-1984م.
- ❖ شجرة الأحوال والعلوم والمعارف، العز بن عبدالسلام، تحقيق إباد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، ط2، 1998م.
- ❖ شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تحقيق إبراهيم سعيد، ط1، 1415هـ.
- ❖ شرح القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية، محمد خليل هراس، دار الإمام أحمد، ط1، 2008م.
- ❖ شرح المقاصد، التفازاني، قدم له إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011م.
- ❖ عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، طبع مصححة، صحح أحاديثها نصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م
- ❖ فقه الأسماء الحسنى، عبدالرزاق بن محسن البدر، دار ابن حزم، ط1، 2012.

- ❖ مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، ابن قيم الجوزية، اختصره محمد بن الموصلي، تحقيق مصطفى أبوالمعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة.
- ❖ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، صححه وخرج أحاديثه محمد عبدالله، دار التقوى ، شبرا الخيمة ، مصر.
- ❖ هداية الحيارى في هداية اليهود والنصاره، ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
- ابن قيم الجوزية عصره منهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، بكر زيد، ط3، 1984م.
- ❖ أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الناشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوى والارشاد، السعودية، ط1، 1421هـ.
- ❖ الخلاصة في خصائص العقيدة، علي بن نايف الشحوذ، ماليزيا ، ط1، 1430هـ-2009م.
- ❖ العقائد الإسلامية ، سيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط10، 2000.
- ❖ العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط15، 2010م.
- ❖ القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى به محمد سامح عمر، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1424هـ.
- ❖ دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد عوض الهزايمة، دار عمان الأردن، ط6، 2001م.
- ❖ دعائم العقيدة في الإسلام، محمد الدسوقي، منشورات كلية الدعوى، طرابلس، 1990م.
- ❖ دلائل التوحيد، عبدالله بن عبدالقادر التليدي، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 1999م.
- ❖ روح الإسلام، سيد أمير علي، دار الملايين للعلم، بيروت، ط1، 1961م.
- ❖ شرح أسماء الله الحسنى، ابن قيم الجوزية، محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد، ط1، 2010م.
- ❖ شرح العقيدة السفارنية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط1، 1426هـ.
- ❖ عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، دار الكتب المصرية، ط1، 2007م.
- ❖ عقيدة أهل السنة والجماعة، علي جمعة ، دار المقطم، القاهرة، ط1، 2011م.

❖ فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن، آل الشيخ، راجع حواشيه، وصححه وعلق عليه عبدالعزيز بن باز، مؤسسة الريان، ط6، 2011م.

❖ كبرى اليقينيّات، محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط8، 1982م.

❖ مباحث في أصول العقيدة، عبد الغني أبوشيبه، دار الكتب النبوية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2001م.

❖ منهج القرآن ، في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبدالعزيز، مراجعة وتقديم، محمد نجيب بخيت، دار الدعوى، ط3، 2007م.

خامسا: المصادر:

❖ ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2006.

❖ أحكام أهل الذمة ، ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، ط1، 1429هـ-2008م.

❖ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

❖ الاختيارات الفقهية، ابن تيمية، تحقيق علي بن محمد عباس البعلبي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1397هـ-1978م.

❖ الأمصار فوات الأثار، الذهبي، تحقيق وتعليق محمود الأرناؤوط، دار الكثير، دمشق، 1405هـ-1985م.

❖ البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ، لبنان، ط4، 1982م.

❖ البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق، محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2006م.

❖ البرهان في علوم القرآن الجويني، تحقيق سمير مصطفى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

❖ البيان في مصادب الشيطان، ابن قيم الجوزية، إعداد أحمد صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

- ❖ التبيان في أقسام القرآن، عالم الكتب، بيروت، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة السعودية، ط3، 1988م.
- ❖ التذكرة في الوعظ، ابن الجوزي، تحقيق عادل أبوالمعاطي، دار البشير، القاهرة.
- ❖ التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الألباني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ.
- ❖ الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، حققه وعلق عليه، حسن بن علي بن عبد الحميد، دار بن الجوزي، القاهرة، ط2 1430هـ.
- ❖ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ت852هـ، تحقيق محمد عبد المعيم طان، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط2، 1392هـ-1972م.
- ❖ الرد الوافر، نصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1426هـ-2005م.
- ❖ السلوك في معرفة دول الملوك، المقرئزي، ت845هـ، تحقيق محمد عبدالقادر عطى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
- ❖ الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أنور البلتاجي، المكتبة العربية، صيدا بيروت.
- ❖ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م.
- ❖ العبر في خبر من عبر، الذهبي دار المطبوعات، الكويت 1960.
- ❖ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، ابن قيم الجوزية، الناشر مطبعة المدني، جدة.
- ❖ الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1431هـ-2010م.
- ❖ المعجم المختص، الذهبي، تحقيق محمد الخطيب الهيل، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1408هـ، 1988م.
- ❖ الموافقات في أصول الفقه، الشاطبي، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.
- ❖ النبوات، ابن تيمية، تحقيق الشحات أحمد الطحان، مكتبة فياض، المنصورة.
- ❖ النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري الحنفي، ت74هـ.

- ❖ الوافي بالوفيات، الصفدي صلاح الدين بن أبيك، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ-2000م.
- ❖ بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق صالح اللحام، وخلدون خالد، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.
- ❖ تذكرة الحفاظ، الذهبي، مطبوعات دار المعارف، حيدر أباد.
- ❖ جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1422هـ-2002م.
- ❖ حسن المحاضرة، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه، مصر، ط1، 1378هـ-1967م.
- ❖ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الدمشقي الحنبلي، تحقيق عبدالرحمن سليمان العثيمين، الناشر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ-2005م.
- ❖ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، شرح وتعليق عبدالعزيز بن باز، محمد حامد الفقيه، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008م.
- ❖ سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م.
- ❖ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نسخة مضبوطة مراجعة زين الدين ابن العماد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ شرح رياض الصالحين، ابي زكرياء، ابن شرف النووي، تعليق ابن عثيمين، وابن باز، خرج أحاديثه، محمد بن ناصر الدين الألباني، دار العقيدة، مصر، 2008م.
- ❖ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلوة، الناشر، هجر للطباعة، ط2.
- ❖ طبقات الشافعية، ابن كثير، تحقيق عبدالحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.
- ❖ طبقات المفسرين، الداودي، محمد ابن علي، ت945هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

- ❖ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، إشراف عبدالمنعم العاني، مكتبة الحياة، 1980م.
- ❖ فوات الوفيات، محمد شاکر الکتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ❖ كشف الغطاء عن حکم سماع الغناء، ابن قيم الجوزية، تحقيق إبراهيم بن أحمد خلف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- ❖ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، خرج أحاديثه أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.
- ❖ مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، خرج أحاديثه وعلق عليه، عبدالله الليثي الأنصاري.
- ❖ معالم السنن، شرح سنن أبي داود الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م.
- ❖ معجم محدثي الذهبي، للذهبي، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1993م.
- ❖ مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م.
- ❖ مكارم الأخلاق، ابن تيمية، تحقيق وإعداد عبدالله بدران، محمد عمر الحاجي، المكتبة العسرية، بيروت، 2011.
- ❖ مناداة الأطلال، عبدالقادر بدران، ت1346هـ، تحقيق زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

سادسا: المراجع:

- ❖ ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، عوض حجازي، مطبوعات معجم البحوث الإسلامية، 1972م.
- ❖ ابن قيم الجوزية، عصره، منهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، ط3، 1984.
- ❖ الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر، المنصورة، 2009م.
- ❖ محاضرات في مقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010م.

❖ مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس ، الأردن، ط2، 2001م.

❖ مقاصد الشريعة ومكارمها ، علام الفاسي، منشورات مؤسسة علا بيروت، ط5، 2008م.

❖ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، دار الكلمة، المنصورة، ط1، 2010م.

خامسا: كتب المعاجم:

❖ الأعلام ، الزركلي، خير الدين فارس، ت1396هـ، دار العلم للملايين، ط15، 2002.

❖ المصباح المنير، محمد أحمد الفيومي، دار الحديث القاهرة، ط2، 2003م.

❖ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيادة، حامد عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوى.

❖ تاج العروس، الفيروز أبادي، تحقيق مكتبة التراث، إشراف نعيم العقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

❖ صحاح العربية، غسمايل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة/4، 1990م،

❖ لسان العرب، ابن منظور، طبعة مراجعة مصححة، دار الحديث القاهرة، ط1323هـ--2003م

❖ معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر، تحقيق نبيل مرعشلي.

❖ معجم مقاييس اللغة العربية، ابن فارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2001م.

4- فهرس الموضوعات

- 2 -الإهداء
- 3 -الشكر والتقدير
- 5 -المقدمة
- 16 -الباب الأول: ابن قيم الجوزية والمقاصد العقائدية تعاريف ومفاهيم
- 17 -الفصل الأول: نبذة عن عصر ابن قيم الجوزية ونشأته
- 18 -المبحث الأول: عصر ابن قيم الجوزية وبيئته
- 18 -أولاً: الحالة السياسية
- 20 -ثانياً: الحالة الاجتماعية
- 26 -ثالثاً: الحالة العلمية
- 29 -رابعاً: حياته ونسبه ونشأته
- 33 -المبحث الثاني: نشأته العلمية ومنهجه
- 33 -أولاً: طلبه للعلم
- 35 -ثانياً: شيوخه
- 40 -ثالثاً: تلاميذه
- 43 -رابعاً: علاقته بشيخه ابن تيمية
- 45 -خامساً - عدم التعصب للمذهب
- 47 -سادساً - أهداف منهجه
- 47 -سابعاً - خصائص منهجه
- 53 -ثامناً- ثناء العلماء عليه، مؤلفاته، أسلوبه في الكتابة، وفاته
- 58 -تاسعاً: وفاته
- 60 -الفصل الثاني: المقاصد العقائدية
- 61 -المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقائدية
- 61 -أولاً: تعريف المقاصد لغةً
- 67 -ثانياً: معنى العقيدة اصطلاحاً

- ثالثاً: أهمية العقيدة..... - 69 -
- رابعاً: خصائص العقيدة الإسلامية:..... - 74 -
- خامساً: مصدر تلقي العقيدة..... - 77 -
- المبحث الثاني: مقاصد الإيمان بالله تعالى - 81 -
- أولاً: الهداية التامة والرحمة في الدارين:..... - 81 -
- ثانياً: الفوز بالدرجة العالية والمنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة:..... - 82 -
- ثالثاً: الإيمان بالله يثمر سعادة الدارين :..... - 82 -
- رابعاً: جعل الله لهم لسان صدق علياً:..... - 83 -
- خامساً: رضا الله تعالى عن عباده المؤمنين..... - 84 -
- سادساً: لذة الطاعة وحلاوة الإيمان:..... - 84 -
- سابعاً: الإيمان نور في قلب المؤمن:..... - 86 -
- ثامناً: الأجر العظيم والثواب الجزيل:..... - 87 -
- تاسعاً: الحياة الطيبة والتمتع بالنعيم في الدور الثلاثة:..... - 89 -
- عاشراً: الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة:..... - 90 -
- إحدى عشر: استغفار الملائكة للمؤمنين:..... - 90 -
- اثنا عشر: موالاته الله لهم:..... - 90 -
- ثالث عشر: تثبيت الملائكة للمؤمنين..... - 91 -
- رابع عشر: الدرجات والمغفرة والرزق الكريم:..... - 91 -
- خامس عشر: العزة للمؤمنين:..... - 91 -
- سادس عشر: معيته لأهل الإيمان:..... - 92 -
- سابع عشر: إعطاؤهم كفلين من رحمته..... - 92 -
- ثامن عشر: الود الذي يجعله الله لعباده المؤمنين:..... - 93 -
- تاسع عشر: الأمان من الخوف:..... - 93 -
- عشرون: أنهم المنعم عليهم:..... - 94 -
- إحدى وعشرون: القرآن هدى وشفاء للمؤمنين:..... - 96 -
- اثنان وعشرون: طمأنينة القلب وسكينته:..... - 97 -
- ثلاثة وعشرون: النصر والتأييد:..... - 98 -
- الباب الثاني: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الربوبية..... - 99 -

- الفصل الأول: توحيد الربوبية مفهومه وأقسامه..... - 100 -
- المبحث الأول: مفهوم التوحيد وبيان أقسامه..... - 101 -
- أولاً: معناه لغة واصطلاحاً..... - 101 -
- ثانياً- بيان أقسامه..... - 103 -
- ثالثاً- معنى الربوبية لغة واصطلاحاً..... - 106 -
- المبحث الثاني:دلائل وجود الله تعالى وربوبيته وبيان مقاصدها..... - 109 -
- أولاً: دلالة الفطرة:..... - 109 -
- ثانيا: دلالة العقل..... - 112 -
- ثالثاً: دلالة الشرع:..... - 114 -
- رابعاً: دلالة الحس:..... - 115 -
- الفصل الثاني:مقاصد توحيد الربوبية..... - 118 -
- المبحث الأول:المقاصد التفصيلية الدالة على توحيد الربوبية..... - 119 -
- المقصد الأول: خلق السموات والأرض..... - 120 -
- المقصد الثاني: خلق الليل والنهار: وفيه مقصدان عظيمان..... - 124 -
- المقصد الثالث: خلق البحار وما فيه من العجائب الدالة على قدرته سبحانه وعلمه وحكمته..... - 125 -
- المقصد الرابع: خلق الحيوان والنبات. الشهادة له بالعظمة والكمال والبر واللطف..... - 125 -
- المقصد الخامس: خلق العالم وإحسان نظامه..... - 126 -
- سادساً: الحكمة في خلق الشمس والقمر والنجوم واختلاف سير الكواكب..... - 127 -
- المقصد السابع: الحكمة من خلق النار، والهواء، والجبال والسهل والوعر، والزلازل وأسباب حدوثها..... - 131 -
- المبحث الثاني: المقاصد الكلية من توحيد الربوبية..... - 135 -
- أولاً: توحيد الربوبية يوصل إلى توحيد الألهية..... - 135 -
- ثانيا: قطع الطمع من المخلوقين..... - 135 -
- ثالثا: اللجوء إليه سبحانه والاستعاذة به..... - 136 -
- رابعاً: زيادة الإيمان واليقين والتسليم..... - 136 -

- 137 -شكر المنعم المتفضل
- 137 -سادساً: الشعور بالعجز والضعف والحاجة إلى الله تعالى:
- 139 -سابعاً: الرضى بالمقدور
- 139 -ثامناً: ذكر ألاء الله ونعمه سبب في فلاح العبد وسعادته.
- 140 -تاسعاً: الاستدلال بالخلق على ضرورة المعاد
- 140 -عاشراً: شهادة العبد على نفسه بالنذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب جل جلاله.
- 142 -الباب الثالث: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الألوهية.
- **143** -الفصل الأول: مفهوم الألوهية ومقاصدها التفصيلية.
- 144 -المبحث الأول: مفهوم الألوهية
- 144 -أولاً: معنى الألوهية لغة واصطلاحاً
- 149 -ثانياً- أقسامه:
- 151 -المبحث الثاني: مقاصد العبادات القلبية
- 151 -أولاً- المحبة:
- 161 -ثانياً: الخوف
- 166 -ثالثاً: الخشية
- 170 -رابعاً: الرجاء
- 175 -خامساً: التوكل
- 183 -سادساً- التوبة
- 194 -سابعاً- الإنابة
- 197 -ثامناً- الصبر
- 208 -المبحث الثاني: مقاصد عبادات اللسان
- 208 -أولاً- النطق بالشهادتين
- 214 -ثانياً- الذكر
- 227 -ثالثاً- الدعاء
- 241 -رابعاً- الاستغفار
- 241 -1- الاستغفار لغة:

- 2 - 241 -
- ثامناً: مغفرة الذنوب..... - 252 -
- الفصل الثاني: المقاصد الكلية من توحيد الألوهية..... - 254 -
- المبحث الأول: المقاصد التعبودية..... - 255 -
- أولاً: حاجة العبد إلى التوحيد..... - 255 -
- ثانياً: التوحيد دعوة الأنبياء والرسل، وهو أول الأمر وآخره..... - 255 -
- ثالثاً: التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله..... - 256 -
- رابعاً: التوحيد مفتاح الجنة..... - 257 -
- خامساً: التوحيد سبب في انشراح الصدر..... - 257 -
- سادساً: القرآن كله في التوحيد..... - 258 -
- سابعاً: التوحيد سبب كل صلاح في العالم..... - 258 -
- ثامناً: التوحيد يثمر كلاماً طيباً وعملاً صالحاً..... - 259 -
- تاسعاً: التوحيد رأس العدل وقوامه..... - 259 -
- المبحث الثاني: المقاصد الدنيوية..... - 261 -
- أولاً: التوحيد نعيم الدنيا والآخرة..... - 261 -
- ثانياً: التوحيد مفتاح الخير والسرور..... - 261 -
- ثالثاً: التوحيد مكفر للذنوب عند الموت..... - 261 -
- رابعاً: التوحيد سر صحة القلب ونييمه..... - 263 -
- خامساً: التوحيد مفرج الكرب..... - 263 -
- سادساً: حسن الظن بالله..... - 263 -
- سابعاً: التوحيد مصدر القوة والمنعة..... - 264 -
- ثامناً: التوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف..... - 264 -
- الباب الرابع: المقاصد العقائدية من خلال توحيد الأسماء والصفات..... - 266 -
- الفصل الأول: المقاصد الكلية لتوحيد الأسماء والصفات..... - 267 -
- المبحث الأول: من مقاصد الأسماء والصفات معرفة الله تعالى والعلم به..... - 268 -
- أولاً: الشوق إلى لقائه..... - 272 -

- 272 -ثانيا: تحقق جانب القرب منه.
- 273 -ثالثا: تقوية جانب الخوف والمراقبة.
- 273 -رابعا: معرفة الله تحقق الحياة الطيبة.
- 274 -خامسا: معرفة الله هي السبيل لتحقيق السعادة.
- 274 -سادسا: حب الله تعالى.
- 275 -سابعا: تورث اليقين والطمأنينة.
- 276 -ثامنا: سعى العبد إلى الاتصاف والتحلي بها على ما يليق به.
- 280 -المبحث الثاني: مقاصد الأسماء والصفات في الخلق والأمر.
- 283 -المبحث الثالث: مقاصد الأسماء والصفات في العبودية.
- 290 -الفصل الثاني: المقاصد التفصيلية المتعلقة بالأسماء والصفات.
- 291 -المبحث الأول: مقاصد الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية والعظمة والجلال.
- 291 -أولا: الأسماء الدالة على الربوبية والألوهية.
- 316 -ثانياً- الأسماء الدالة على العظمة والجلال.
- 335 -المبحث الثاني: مقاصد الأسماء الدالة على الإحاطة والمراقبة.
- 344 -المبحث الثالث: مقاصد الأسماء الدالة على البر والإحسان والحسن والجمال.
- 344 -أولاً- الأسماء الدالة على البر والإحسان.
- 369 -ثانياً- الأسماء الدالة على الحسن والجمال.
- 376 -الباب الخامس: المقاصد العقائدية من خلال الإيمان بالنبؤات والغيبات.
- 377 -الفصل الأول: الإيمان بكتب الله تعالى ورسوله عليهم الصلاة والسلام.
- 378 -المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية وبيان مقاصدها.
- 378 -أولاً- التعريف بالكتب السماوية لغة واصطلاحاً.
- 379 -ثانياً- حكم الإيمان بها.
- 383 -ثالثاً- مقاصد الإيمان بالكتب السماوية.
- 392 -المبحث الثاني: التعريف بالرسالة والنبوة.

- 392 - أولاً: تعريف الرسالة لغة واصطلاحاً:.....
- 392 - ثانياً: تعريف النبوة لغة واصطلاحاً:.....
- 394 - ثالثاً- حكم الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام.....
- 396 - رابعاً: مقاصد الإيمان بالرسول عليهم السلام والسلام.....
- 403 - الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر.....
- 404 - المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة وبيان مقاصدها.....
- 404 - أولاً- تعريف الملائكة لغة اصطلاحاً:.....
- 405 - ثانياً- حكم الإيمان بالملائكة.....
- 409 - ثالثاً- مقاصد الإيمان بالملائكة.....
- 416 - المبحث الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر وبيان مقاصده.....
- 417 - أولاً- معنى اليوم الآخر لغة واصطلاحاً:.....
- 418 - ثانياً- حكم الإيمان به:.....
- 428 - ثالثاً: مقاصد الإيمان باليوم الآخر.....
- 442 - المبحث الثالث: التعريف بالقضاء والقدر وبيان مقاصده.....
- 442 - أولاً- تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.....
- 445 - ثانياً- حكم الإيمان بالقضاء والقدر.....
- 447 - ثالثاً- مقاصد الإيمان بالقضاء والقدر.....
- 462 - الخاتمة.....
- 465 - الفهارس.....
- 466 - 01-فهرس الآيات.....
- 475 - 02-فهرس الأحاديث.....
- 480 - 03-فهرس المصادر والمراجع.....
- 488- 04- فهرس المحتويات.....